International Islamic University
Islamabad-Pakistan
Faculty Of Usuluddin
Department Of Tafseer & Quranic Sciences

الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد- باكستان
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تحقيق مخطوط تفسير إلهام الرحمن للشيخ عبيد الله السندي(١٩٤٤ء)

(من سورة العلق إلى سورة القيامة)

لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب

سيد متين أحمد شاه

التسجيل:195FU/TQS/PhD/F14

المشرف

الأستاذ الدكتور تاج أفسر

كلية أصول الدين

قسم التفسير

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشكر والتقدير

إلي والديّ الكريمين الذين ربياني صغيرًا ولم تزل شجرة أدعيتهما وارفة الظلال عليّ في مضمار حياتي!

إلى الداعية الكبير مولانا طارق جميل حفظه الله تعالى الذي بثّت دعوته في قلبي معاني الحب والحنان نحو علم النبوة.

إلى أستاذي مولانا محمد زاهد حفظه الله تعالى الذي كان عونه أول مساعد لي في الطريق إلى الجامعة الإسلامية!

إلى مشرفي على الرسالة الأستاذ الدكتور تاج أفسر حفظه الله، والذي كانت شفقته وعنايته زادًا في هذا المسير العلمي.

إلى جميع أساتذتي من العلمآء الأجلاء، وأصحاب الفضل عليّ من الكرمآء النبلآء الذين أضآءوا لي الطريق، وكانوا لي على درب العلم خير معين وصديق!

إليهم جميعًا:

أهدي هذا العمل المتواضع عرفانًا وتقديرًا، وإجلالًا وتعظيمًا، وما هو إلا غيض من فيض، وقليل من كثير، عساه يرد إليهم بعض ما لهم، وعسانا وإياهم لرضاربنا نحوز، وبجنته نفوز، إنه على ما يشآء قدير، وبإجابة الدعآء جدير.

لجنة المناقشة للحصول على درجة الدكتوراه.

قسم التفسير و علوم القرآن، كلية أصول الدين.

الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد-باكستان.

أجريت المناقشة على تحقيق مخطوط التفسير إلهام الرحمن.

الموضوع:

تحقيق مخطوط التفسير إلهام الرحمن للشيخ عبيد الله السندي: من سورة العلق إلى سورة القيامة

التاريخ:

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	المناقش	الإسم	التوقيع
١-	المناقش الخارجي -١	الأستاذ الدكتور تاج الدين الأزهري	[signature]
٢	المناقش الخارجي-٢	الأستاذ الدكتور عبد الحميد العباسي	[signature]
٣-	المناقش الداخلي	الأستاذ الدكتور الشاه جنيد احمد الهاشمي	[signature]
٤-	المشرف على البحث	الأستاذ الدكتور تاج أفسر حفظه الله	[signature]

المقدمة

إن علماء الأمة قد تركوا لنا تراثًا علميًا هائلًا ذخرت به المكتبةُ الإسلامية، والمطبوع من هذا التراث أقل من المخطوط، ومخطوطاتنا تزدحم بها مكتبات العالم في الشرق والغرب، ثم إن الكلام عن التراث بدأ حينما ظهرت المطبعة، واكتشفت آلات الطبع التي جعلت أمر الكتابة سهلًا وجعل المثقفون يتحدثون عن المخطوطات وطبعها، وكانت طريقة النشر عبارة عن مجرد طباعة النص المخطوط دون اهتمام بمقابلة النسخ المتعددة إن وجدت، ولا تصحيحها، ولا الفهرسة لها. وقد بدأت مهمة نشر التراث الإسلامي عند المستشرقين، وما زال هذا العمل قسطًا جوهريًا في مجال البحث والتحقيق، فقام كثير من طلبة العلم بتحقيق المخطوطات الموجودة في مكتبات العالم، وقد حظيت المكتبة الإسلامية بحظ وافر من تحقيق المخطوطات والتراث والنصوص العلمية، ونشط في ميدانه كثير من رجال العلم الذين شاركوا في إحياء التراث الإسلامي، وأصبحت بعض الجامعات العربية تشترط أن تكون أطروحة الدرجة العلمية في تحقيق كتاب من كتب التراث، وكل أولئك عوامل رئيسة كان لها أثر في إماطة اللثام عن هذا العباب الزاخر من مصنفات السلف التي تزخر بها مكتبات العالم.

والمراد من تحقيق المخطوطات إخراج غير المنشور إلى منصة المنشور بثقة أن ما جاء في حلة النشر الشهباء هو حصيلة فكرة مَنْ نسب إليه بألفاظه بقدر الإمكان.

ولو ننظر إلى التراث الهائل المبعثر في مكتبات شبه القارة الهندية، نرى أن هذا التراث له قيمة علمية كبيرة وإنه بحاجة ماسة إلى إخراجه في ثوب الطباعة بعد البحث والتحقيق كي يزدهر تراثنا، وهذه المصنفات تتعلق بجميع الآداب والفنون على رأسها علم التفسير، فلأهل الهند مصنفات كثيرة في هذا التفسير وترجمة معاني القرآن الكريم وكتب التفسير على بعض أجزاء القرآن وفي تفسير آيات القرآن والشروح والحواشي على كتب التفسير والكتب في علوم القرآن وفي القرآءة والتجويد وما إلى ذلك.

ففي مجال تفسير القرآن الكريم وعلومه نجد شخصية علمية فذة لها باع طويل في هذا الباب، ألا وهي شخصية الشيخ عبيد الله السندي (١٨٧٢ء- ١٩٤٤ء) الذي كان حقا شارحًا كبيرًا لفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الذي كان أول مفكر إسلامي في الشبه القارة، فقد كتب في الجوانب السياسية والاقتصادية للإسلام، ومشيرا إلى هذا الجانب يقول شاعر الشرق محمد إقبال:"إن كتابة الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي حول السياسة والاقتصاد محيرة للعقول جدا في زمن كانت قوى المسلمين العلمية والعملية في معرض الزوال كتدهورهم في مجال السياسية والحكومة، وكان الناس يتوغلون في أمور لاطائل تحتها، وإن الشاه ولي الله هو الرائد الحق لنشأتنا الثانية."[١] ويقول أيضا: "نحن- المسلمون -في مواجهة

---

١ – سيد نذير نيازى، ***اقبال کے حضور***(لاهور: إكاديمية إقبال، ٢٠١٢ء)، ٣٠٣.

مهمة كبيرة جدا، وإني أرى لزاما علينا أن نفكر في الإسلام من جديد كنظام حيّ دون أي انقطاع عن ماضينا، ولعل الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي كان أول من شعر بالنهضة الجديدة." [١] ويكتب إقبال في رسالة إلى المولوي أحمد رضا البجنوري[٢]:" هل يمكن لك أن تجوّز لي اسما لعالم له نظرة ثاقبة على الفقه الإسلامي والأصول والفقه والتفسير مع الخبرة التامة بفلسفة الشاه ولي الله وكتاباته، فلو أجد هذا العالم، فأهيي له فرصة القيام عندي لقسط من الوقت وأدفع له عوضا عن ذلك مكافئة مالية. [٣] لعل محمد إقبال لم يعرف الشيخ عبيد الله السندي في هذا الصدد، فإنه كان شخصية لائقة لهذه المهمة العلمية.

يقول الشيخ السندي عن تدبره القرآن وتذوقه:"ما زلت أطالع القرآن العظيم و**حجة الله البالغة** منذ ١٢، ١٣ سنة، وفي ذلك الزمان قمت بحل المواضع المشكلة القرآنية لديّ على أصول الإمام ولي الله الدهلوي بالطمأنينة، وأما الذين لايشهدون بمكانة الإمام ولي الله، لا أستطيع الادعاء أن أجعلهم مطمئنين، ولكنني رأيت آنذاك برنامجا عمليا للتعليم العملي حسب أصولي، ولابد من الشهادة بتأثير ذلك المقام المقدس المتجلي..."[٤]

فنظرا إلى مقام الشيخ السندي في التفسير وعلوم القرآن اخترت أن تكون أطروحتي للدكتواه تفسيره باللغة العربية تفسير إلهام الرحمن.

موضوع الرسالة وأسباب اختيار الموضوع وأهميته

موضوعي في هذه الرسالة تحقيق مخطوط تفسير إلهام الرحمن للشيخ عبيد الله السندي (١٩٤٤) من سورة العلق إلى سورة القيامة. أما بالنسبة إلى أسباب اختيار الموضوع فهي تكمن في النقاط التالية:

١-كما يقدر العلماء مجموع المخطوطات الإسلامية في العالم بعشرة ملايين مخطوط، بما في ذلك من مكررات للنسخة الواحدة، ولم يطبع منها حتى الآن معشار عشرها، وهي تشكل بمجموعها ثروة علمية هائلة في شتى فروع المعرفة بحاجة لمن يظهرها إلى عالم الطباعة لينتفع بها المسلمون، ولذلك أدخل تحقيق المخطوطات إلى الدراسات العليا في الجامعات مؤخرًا، ومن التراث الإسلامي في شبه القارة — عدا التحقيقات العلمية العديدة– الذي ترك لنا الشيخ السندي، تفسيره باللغة العربية المسمى ب إلهام الرحمان في تفسير القرآن، وقد ترجم شيئ منه إلى اللغة الأردية في مجلد واحد كما تقدم ذكره، ولكن

---

١ – محمد إقبال، **التكوين الجديد للفكر الديني في الإسلام**، ٩٧.

٢– توجد في مكاتيب محمد إقبال مكاتيب إلى الرجل المذكور ولم أستطع الوصول إلى ترجمته.

٣ – محمد عطاء الله، ***اقبال نامہ***، ٢٤١– ٢٤٢.

٤– عبد الله اللغاري، ***مولانا عبید اللہ سندھی کی سرگذشتِ کابل***، رتبه، الدكتور غلام مصطفى خان، خود نوشت حالات بقلم الشيخ عبيد الله السندي(إسلام آباد: قومى اداره براے تحقيق تاريخ وثقافت، ٢٠١٧ء)، ١٤.

مخطوطه الأصيل موجود في المكتبات من دولتنا، ونسخة من هذا المخطوط، كما مر، توجد في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية، وهذا المخطوط كان في حاجة إلى تحقيق وتعليق وأخراجه في الثوب الجديد، فاخترت هذا المخطوط في مرحلة الدكتوراه، وكثيرا ما نرى في بلاد العرب أن الطلاب من مراحل الماجستير والدكتوراه يختارون المخطوطات العلمية للبحث والتحقيق في مراحلهم الدراسية.

٢- وهذا الأمر يثري ويجدي كثيرا للمكتبة الإسلامية.

٣- وهذا التفسير له ميزات عديدة، كما مر ذكرها، من أكبرها أنه لاينظر إلى تفسير القرآن تعبيرا حرفيا، بل يربط التعاليم القرآنية بنظم الاسلام الاجتماعي، وهذا من أكبر التحديات التي يواجهه العالم الإسلامي اليوم حيث نسمع هتافات التفريق بين الدين والدولة وأن الدين أمر شخصي لاعلاقة له بأمور الدولة والمجتمع، ولكن على العكس من ذلك ترى فلسفة الشيخ الشاه ولي الله – الذي تجلت فكرته في التفسير إلهام الرحمان وكتابات الشيخ السندي الأخرى- إلى الاسلام نظرة متكاملة وتقدمه دينا جديرا بهداية الإنسانية في كل عصر ومصر. وفي هذا الصدد يمكن الاختلاف مع الشيخ السندي، ولكن باعه الطويل في تدبر القرآن وفهمه لفلسفة الشاه ولي الله لايمكن إنكاره.

الدراسات السابقة

كما ذكر آنفا أن تفسير **إلهام الرحمان** قد طبعت ترجمة سورة البقرة منه إلى اللغة الأردية، ولكن لم نطلع على من قام بتحقيق مخطوطه الكامل، وأما فكرة الشيخ السندي فقد كتب حوله كتب عديدة، ولكنها لاتتعلق مباشرة بموضوعنا.

إشكالية البحث

أما إشكالية البحث فهي تكمن في النقاط التالية:

١- من هو الشيخ عبيد الله السندي؟

٢- ما هي خدماته العلمية؟

٣- ما هو تفسير إلهام الرحمن وما هي أبرز ميزاته؟

٤- هل يصح نسبة تفسير إلهام الرحمن إلى الشيخ السندي؟

٥- ما هي الميزات المنهجية لتفسير إلهام الرحمن؟

٦- ما هو تحقيق المخطوط وما هي مخطوطات تفسير إلهام الرحمن؟

ما هي الفروق الموجودة في نسختي تفسير إلهام الرحمن؟ وغير ذلك.

منهجي في البحث

في تحقيق مخطوط تفسير إلهام الرحمن قد اخترت منهج الوصفي والنقدي، حيث قمت بتعريف التفسير وإبرزت خصائصه المنهجية في هذه المقدمة، ثم خلال تحقيق المخطوط قمت بالانتقاد على موقف السندي في بعض المواضيع وإبراز الأخطاء اللغوية في التفسير.

التعريف بالمؤلف الشيخ عبيد الله السندي

إن الشيخ السندي ولد في بيت وثني في التاسع من شهر المحرم الحرام ١٢٨٩هـ في سيالكوت، وعجلت منية والده قبل ولادة الشيخ السندي، فتربّى في حجر خاله وتعلم العلوم المختلفة في المدرسة الإنكليزية، وبعد منام مبارك قد مال إلى دين الإسلام وقرأ بعض الكتب كتحفة الهند[١] للشيخ عبيد الله البائلي[٢] وتقوية الإيمان للشيخ الشاه إسماعيل الدهلوي[٣] حتى دخل نور الإسلام في صدره، فغادر بيته مهاجرًا إلى الله إلى أرض السند سنة ١٣٠٤هـ وأسلم على يدي الشيخ محمد الصديق البهرجوندوي(*بھرچونڈوی*)، وبعد مبايعة السلوك على يده اشتغل في طلب العلم، وبعد اكتمال التعليم الابتدائي سافر إلى ملتان ومنها إلى ديوبند وقرأ بعض الكتب ثم سافر إلى كانبور وقرأ على يدي الشيخ أحمد حسن الكانبوري[٤] ثم رجع إلى ديوبند وتتلمذ على يدي الشيخ محمود حسن، ودرّس بمدرسة

١- هذا كتاب في تحقيق ديانة الهنود مطبوع متداول.

٢- هو عبيد الله السلفي البائلي صاحب تحفة الهند، وهي رسالة هدى الله بها كثيرا من الناس منهم الشيخ عبيد الله السندي. وكان قد قبل الإسلام وكان اسمه قبله اننت رام. (عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي ، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)** (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩ء)، ٨: ١٢٩٩.

٣- هو الشيخ إسماعيل بن عبد الغني ابن ولي الله الدهلوي ، ولد بدهلي ل ١٢ من ربيع الثاني سنة ١١٩٣ء، وقرأ كتب الدرس عن عميه الشيخ رفيع الدين والشيخ عبد العزيز، ثم لازم السيد أحمد بن عرفان الشهيد وقد استشهد في بالاكوت . له كتب منها عبقات وتقوية الإيمان وغير ذلك.(المصدر نفسه، ٧: ٩١٤.)

٤- هو الشيخ أحمد حسن الحنفي الكانبوري من العلماء المشهورين في كثرة الدرس والإفادة، لازم لطلب العلم الشيخ لطف الله بعليكره وتخرج عليه وولي التدريس بمدرسة مظاهر العلوم في سهارنبورفدرس بها ثم ولي بفيض عام في كانبور، وكان عالما جامعا بين العلم والعمل، مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ببلدة كانبور.(الحسني، المصدر نفسه، ٨: ١١٧٩.)

الرشاد في السند، ثم رجع إلى ديوبند وأسس مؤتمر جمعية الأنصار وذلك لأجل اجتماع الرفقاء القدماء لدار العلوم بديوبند لتربيتهم وبث الحركة فيهم، ولكن لأجل بعض الخلافات مع الرفقاء سار إلى دهلي وأسس نظارة المعارف بفناء المسجد الفتحبوري وأخذ يدرس القرآن وحجة الله البالغة والكتب الأخرى، وبعد نشوب الحرب الكبرى الأولى سافر إلى أفغانستان بحمل رسالة الجهاد ضد الاستعمار، وفي خامس ذي الحجة من سنة ١٣٣٣هـ ورد في كابل ولقي الأمير حبيب الله خان والي أفغانستان، واقترح عليه زحف الجنود إلى الهند واتفقوا على أنه إذا نجحت هذه المهمة فإنه سيجلس على عرش دهلي ابن من أبناء الأمير كملك دستوري للبلاد، وقامت في كابل حكومة هندية موقتة كان رئيسها راجه مهندر برتاب أحد الثوار من الولاية الشمالية الهندية، وكان الشيخ السندي وزير الأمور الداخلية في هذه الحكومة، وبدأ عبيد الله يشكل جماعة ثورية سماها جنود الله، وأرسل في هذه المدة رسائل سرية إلى الشيخ محمود حسن والتي اشتهرت بالرسائل الحريرية المكتوبة على منادل من الحرير، ولكن مثل هذه المهمات قد جرت المكابد إلى الشيخ السندي في أفغانستان، وأثناء ذلك كان الشيخ يركز على تعليم المثقفين الجدد المهاجرين من الهند إلى أفغانستان، ولكن بعد مدة قد اغتيل الأمير حبيب الله خان وخلفه ابنه الأمير أمان الله خان، ونشط الشيخ السندي في مهمة الجهاد، وخلال ذلك نشبت الحرب بين الإنكليز وأفعانستان وكان من قصد الشيخ السندي أن يثير الحكومة الأفغانية على تأييد القضية الهندية، ولقي لهذا المرام القائد التركي جمال باشا حين زيارته كابل سنة ١٣٣٩هـ ، وفي هذا الجو قد ضاق مجال العمل للشيخ السندي فغادر كابل سنة ١٣٤١هـ مع زملائه وتحمل المكابد في هذه الرحلة ووصل في ماسكو بعد مروره ببخارا وتاشقند وأقام في ماسكو نحو تسعة أشهر، و تعلم قدر مستطاعه فلسفة الشيوعية ونظمها بمساعدة زميله ظفر حسن أيبك، ولقي بعض زعماء الحركة، وهناك رتب خطة للحكومة الحرة الهندية تقوم على الوفاق، وطبعها وأرسلها إلى الهند، ثم غادر إلى تركيا لتكميل تلك الخطة التحريرية الجهادية، ومكث في أنقرة ثم في استنبول وقابل عصمت باشا، ثم من هناك سافر إلى مكة المكرمة عن طريق إيطاليا، ومكث نحو خمس عشرة سنة في هذه البلدة الطيبة ودرس تفسير القرآن للراغبين والطالبين، وهناك أملى على بعض تلامذته تفسيره **إلهام الرحمن** والذي أنا بصدد تحقيقه والتعليق عليه، وسيجيء الكلام حوله بعد قليل، ثم عاد إلى وطنه ووصل إلى كراتشي وكانت الأحوال قد تغيرت وفي هذه المرحلة قد أبدى الشيخ بعض أفكاره التي نالت النقد من قبل العلماء، وهي التي مازالت موضع الغرض لسهام الناقدين، كما أنه قد دافع عنه العلماء الأجلاء في شبه القارة أمثال الشيخ حسين أحمد المدني والشيخ غلام مصطفى القاسمي والشيخ سعيد أحمد أكبر آبادي وغيرهم، وقضى الشيخ هذه المرحلة تارة في دهلي وتارة في السند، وكان يدرس **حجة الله البالغة** للشاه ولي الله الدهلوي على نمطه الخاص حتى وافته المنية في ٣ رمضان سنة ١٣٤٣هـ ودفن بجوار شيخه غلام محمد بقرية دين فور من توابع بهاولفور.

كان الشيخ عبيد الله السندي نابغة من نوابغ عصره في قوة الإرادة وتحمل المشقات، وكان مفرط الذكاء وجيد الاستعداد في فنون شتى، وكان عظيم الشغف بأفكار الشاه ولي الله الدهلوي دراسة وتدبرًا وتطبيقها على الأحوال الراهنة، وكان يدرس القرآن الكريم أيضًا في ضوء فكرة الشاه ولي الله الدهلوي، وله منهج خاص في تفسير القرآن، كان يستنبط منه دقائق السياسة العصرية، والمذاهب الاقتصادية، وكان يتوسع في الاعتبار والتأويل، ومن تلامذته النجباء الشيخ أحمد علي اللاهوري[١]، والبروفسور محمد سرور ومحمد موسى جار الله[٢] من علماء الروس وغيرهم.[٣]

جهود علماء شبه القارة في مجال التفسير والتعريف بتفسير إلهام الرحمان في تفسير القرآن وأهم ميزاته ومنهج المؤلف فيه

إن أرض شبه القارة أرض خصب لإنجابها علماء أفذاذا في شتى المجالات منها مجال التفسير، وقد قام علماء كثيرون في كتابة التفاسير للقرآن الكريم، وهذا التاريخ وإن كان له جذور بعيدة إلا أننا نلاحظ حركة عامة في هذا المجال بوجود الشاه ولي الله الدهلوي الذي قام بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفارسية كاملا، ثم قام أبناه الشاه رفيع الدين الدهلوي و الشاه عبد القادر الدهلوي بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأردية، ومن هذا يتسلسل الأمر فنرى العلماء يلعبون دورا جبارا في كتابة التفسير والكتب المتعلقة بعلوم القرآن، وهذه العملية نراها في اللغات المختلفة منها الأردية والعربية والفارسية والتفاسير في اللغات المحلية.

إن من تراث الشيخ السندي التفسيري، تفسيره باللغة العربية المسمى بـ **إلهام الرحمان في تفسير القرآن،** وقد أملاه الشيخ السندي على تلميذه موسى جار الله العالم الروسي الذي تم لقاءه مع الشيخ السندي خلال سفره إلى روسيا، وخلال إقامته بمكة المكرمة قد لقيه مرة ثانية فاستقى من منبع علمه،

---

[١]- هو شيخ التفسير أحمد علي اللاهوري مجاهد حركة المنديل الحريري وحركة حرية الهند ، ولد سنة ١٨٨٧ء وتوفي سنة ١٩٦٢ء.قد استفاد من الشيخ عبيد الله السندي وقضى معه خمس سنوات في أمروت (في السند) وبعد الفراغ درس في مدرسة دار الارشاد وقد لعب الشيخ دوره في جمعية علماء الإسلام، وكان يدرس القرآن الكريم نفع به خلقا كثيرا.

[٢]- موسى جار الله (١٢٩٥هـ - ١٣٦٩ هـ / ١٨٧٨ء - ١٩٤٩ ء) هو موسى جار الله، ابن فاطمة، التركستاني القازاني التاتاري، الروستوفدوني الروسي: شيخ الإسلام بروسيا، قبل الثورة البلشفية وفي إبانها. ولد في (روستوف دون) بروسيا. وتفقه بالعربية وتبحر في العلوم الشرعية. ثم كان إمام الجامع الكبير في بتروغراد (لنينغراد) وحج وجاور بمكة ثلاث سنين. وقد لقي الشيخ السندي خلال سفره إلى روسيا، ثم لقيه مرة ثانية في مكة المكرمة حيث تعلم على يديه فلسفة الإمام الشاه ولي الله. ومن كتبه: تاريخ القرآن والمصاحف، شرح ناظمة الزهر، نظام التقويم في الإسلام، نظام النسيء عند العرب، الوشيعة في نقض عقائد الشيعة وغير ذلك.

[٣] - لينظر لأحوال الشيخ: الحسني ،**نزهة الخواطر** ، ١٣٠٠- ١٣٠٢.

فتلقى عنه فكرة الإمام الشاه ولي الله، فنسخ هذا التفسير بالسماع من الشيخ السندي، وذلك فقط في مئة وخمسين يومًا[١]، وخلال هذه المدة كان معه الشيخ عزيز أحمد ابن أخ الشيخ السندي وأخو الشيخ أحمد على اللاهوري، وقد أخذ نسخة هذا التفسير من الشيخ موسى جار الله وجاء بها إلى الهند، وقد حقق ونشر جزءا منه (من سورة الفاتحة إلى سورة الأنفال) الشيخ غلام مصطفى القاسمي السندي من أكاديمية الشاه ولي الله حيدر آباد، وقد ترجم هذا التفسير إلى اللغة الأردية من البقرة إلى المائدة، محمد عبد الرزاق خريج دار العلوم ديوبند وتلميذ الشيخ السندي، ثم قام بعمل الترجمة من بداية مقدمة التفسير وسورة الفاتحة وسورة الأنعام إلى سورة التوبة، مولانا محمد قاسم، ونشر هذه الترجمة مولانا محمد معاوية من كبير والا بلدة معروفة.وهذه الترجمة مطبوعة من مكتبة أوراق لاهور وتوجد في الأسواق والمكتبات.[٢]ولكن بقية المخطوط لا تزال في حاجة إلى إخراجها في ثوب يليق بمكانتها العلمية.

نسبة التفسير إلى الشيخ السندي

من الأسئلة التي مازالت موضع النقاش عند معتني فكرة الشيخ السندي، ما نجده في الكتب المكتوبة باسم الشيخ السندي، أَكُلّه من فكرته أم بعضه دخيل من قبل تلامذته؟ وهذا السؤال حقًا حتى الآن يدور بين الإجابتين: بعض العلماء مثل الشيخ عبد الحميد السواتي[٣] والشيخ زاهد الراشدي[٤] والشيخ عبد الحق خان بشير[٥] يقول إن تلامذة الشيخ السندي أدخلوا في كتبه ما ليس من فكرته الأصيلة، وبعضهم مثل أبي سلمان شاه جهان فوري[٦] يقول إن تلامذة الشيخ قد عبروا عن فكرة الشيخ السندي بألفاظهم، ولكن جوهرها ومغزاها من فكرة الشيخ السندي. وهذا السؤال أيضًا موجه إلى تفسير الشيخ السندي إلهام الرحمن، فيقول الشيخ عبد الحميد السواتي:

> هذا [التفسير] لم يكتبه الشيخ السندي بيراعه، بل إنه خطاب إملائي، نعم! إن كثيرًا مما فيه هو من كلام الشيخ السندي، ولكن من الظلم نسبة الكتاب بأجمعه من البداية إلى النهاية إلى الشيخ السندي، ويصح أن نعتبر هذه النسبة بالخيانة العلمية، فإن بعض ما فيه مشتبه وخطأ لم يقل به الشيخ السندي ولاهو يلائم فلسفة الشاه ولي الله، وقد جاء موسى جار الله في السنوات الأخيرة من عمره إلى الهند ومكث في بهوفال،... (وقد أملأ عليه الشيخ السندي هذا التفسير

١- عبد الحميد السواتي، ***مولانا عبيد الله سندھی کے علوم وافکار***(جوجرانواله: مكتبه حميديه، ١٤٢٣هـ)، ٦٧.

٢ – لينظر: الترجمة الأردية لإلهام الرحمان (لاهور: مكتبة أوراق، ٢٠٠٥ء)، ٢٦.

٣- هو الشيخ عبد الحميد السواتي، باني مدرسة نصرة العلوم بجوجرانواله، وله تفسير ضخيم للقرآن الكريم على منهج فكرة الشاه ولي الله الدهلوي. وله كتاب حول الشيخ السندي باسم: ***مولانا عبيد الله سندھی علوم وافکار***.

٤- هو من العلماء الكبار في باكستان، شيخ الحديث بمدرسة نصرة العلوم المذكورة.

٥- هو أخو الشيخ زاهد الراشدي صاحب تصانيف شتى.

٦- هو من المحققين الكبار في باكستان، له تصانيف عديدة حول الموضوعات المختلفة.

هو أدخل في كتب الشيخ السندي الأفكار منه) فبناء على ذلك إن نسبة **إلهام الرحمن** مئة بالمئة إلى الشيخ السندي لايطابق الأمانة العلمية، .. .[١]

يقول الشيخ زاهد الراشدي:

المسئلة المهمة هي مسئلة تعبير أفكار الشيخ عبيد الله السندي وشرحها، فإنه للأسف يظن الناس أن البروفسور محمد سرور وغيره هم شارحوا الشيخ السندي، والذين كانوا متأثرين بالشيوعية، وحاولوا أن يترجموا عن الشيخ بهذه الصبغة، وهذا الأمر أدى إلى فكرة أن الشيخ السندي كان متأثرا بهذه الدعاية وكان مبلغًا لها، والأمر أن هذه الفكرة خلاف الأمر الواقع...وعندي مولانا أحمد علي اللاهوري ومولانا حفظ الرحمن السيوهاروي ومولانا سعيد أحمد أكبر آبادي ومولانا خواجه عبد الحي الفاروقي ومولانا المقرئ محمد طيب وغيرهم هم الممثلون الحق لفكرة الشيخ السندي....[٢]

هذا رأي الشيخ السواتي ولكن هناك رأي آخر للدكتور أبي سلمان الشاهجهافوري، فيقول:

إن [تفسير **إلهام الرحمن**] قد صرح عنه العلامة [موسى جار الله] أنه رتب بألفاظ مولانا السندي، لم يصدر من لسانه لفظ إلا وقد حُفظ أمامه بكل دقة، وسرّح الشيخ السندي بالنظر في تلك الأمالي وأبدى اطمئنانه ومسرته على جهد العلامة جار الله واهتمامه بالصحة، ثم إن الشيخ السندي أفصح عن إصلاحه ومسرته في كتابة له.[٣]

وقد ترجم شيء من تفسير **إلهام الرحمن** إلى اللغة الأردية، وذكرت فيه إبداءات العلامة جار الله ينبغي نقل جزء منها هناك. يقول العلامة: " لم يكن الشيخ السندي يمسُّه نصب في إملاء التفسير، وكنت في نشاط ومسرة وأزداد شوقًا إلى السماع والكتابة.... لما نظر الشيخ السندي إلى الأمالي بأكملها ولاحظ أيضًا أني ركزت على النظم والضبط بكل اهتمام، سُرّ بذلك جدًا."[٤]

يقول الدكتور أيضًا بعد ذكر ميزات التفسير **إلهام الرحمن**: "إن مولانا السندي قد نظر في الأمالي المؤلفة ولم يأل السامع جهدًا في الضبط والكتابة، وقد اطمأن الشيخ بعد ملاحظة هذه المسؤولية

١- السواتي، المرجع السابق، ٦٧- ٦٩.

٢- عبدالحق خان بشير، ***مولانا عبید اللہ سندھی اور تنظیم فکر ولی اللہی***(گجرات: حق چار یار اکیڈمی،٢٠٠٤ء)،١٠، ١١-

٣- أبو سلمان الشاهجهانفوري، ***امام انقلاب مولانا عبید اللہ سندھی –حیات وخدمات*** (لاهور: سندھ ساگر اکادمی، ٢٠١٦ء)، ٢٦٦؛

٤- المرجع نفسه، ٢٤٨، ٢٤٩، نقلا عن **إلهام الرحمن** في تفسير القرآن (الأردي)، نشره محمد معاوية كبير والا، مديرية ملتان، ٤- ٦.

وأبدى مسرته. ولا نجد مثل هذه الصراحة عن الأمالي الأردية والسندية، فلايمكن الثقة بهذه الدرجة على أية مجموعة من مجموعات الأمالي سوى أمالي موسى جار الله."[١]

هذان رأيان لعالمين جليلين لهما مكانة مسلمة في الأوساط العلمية، ففي ضوء الشيخ موسى جار الله يترجح رأي الدكتور سلمان شاه جهانفوري،لأن القارئ حينما يرجع إلى كتب أخرى عن أفكار الشيخ السندي ألفها تلامذته أخرون مثل البروفسور سرور، إنه يجد نفس الفكرة فيها، فيتلجلج في خلده هل أجمع جميع التلامذة على الدس كما يدعي العلماء مثل الشيخ السواتي وأمثاله؟ الأمر أن من سجية الإنسان جرّ الشخصيات الفذة إلى شاكلات ذهنية خاصة له، وإذا ما لم يلائم شيء من أفكار تلك الشخصيات بما عنده من الشاكلة المخصوصة، يقوم بالتأويلات أو إدعاء أنهم لايمكن منهم صدور مثل هذه الأفكار، والأمر أن الشخصيات العبقرية لايتقلدون بمنهج خاص مثل العامة، وإنهم يكوّنون فكرًا خاصًا لهم يمكن الاختلاف عنه، ولكن لاينبغي أن نجرّهم إلى الشاكلات الخاصة لنا، فإن هذا يضر فكرتهم ويخفي معالم شخصياتهم، وهذه الكارثة قد حلت – للأسف – على فكر كثير من الأعلام مثل ابن تيمية والشاه ولي الله ومحمد إقبال وغيرهم.

الميزات المهمة للتفسير إلهام الرحمن

إن تفسير **إلهام الرحمن** ما زال مخطوطًا ولم ينشر بأكمله حتى الآن، وتوجد له نسخة في مكتبة حميد الله التابعة لمجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، وللتفسير نسخة أخرى بماليزيا، وهذا المقال مبني على أساس المخطوط الأول، فبعد الرجوع إلى هذا المخطوط، قمت بدراسته، وهناك بعض الخصائص المنهجية للتفسير، والمنهج المتبع فيه المنهج الوصفي النقدي.

١–تفسير القرآن حسب ترتيب النزول

من الميزات المهمة لتفسير **إلهام الرحمان** أنه اتبع فيه مؤلفه الترتيب النزولي دون التفسير المتبع عند عامة المفسرين، وهذا الاتجاه التفسيري من مميزات القرن العشرين حيث قام بعض المفسرين بتفسير سور القرآن الكريم حسب ترتيب النزول،[٢]

١– المرجع نفسه، ٢٥٠.

٢– ومن هذه التفاسير:

١– **تفسير بيان المعاني** للشيخ ملا حويش آل غازي الفراقي الديرزوري(١٨٨٠ء– ١٩٧٨ء)، وهذا التفسير في ستة مجلدات.(مطبعة الترقي – دمشق، ١٩٦٥ء)

٢– **التفسير الحديث** لمحمد عزت دروزة(١٨٨٧ء– ١٩٨٤ء)، والتفسير في عشر مجلدات.

٣– فهم القرآن الحكيم – التفسير الواضح حسب ترتيب النزول لمحمد عابد الجابري(١٩٣٥ء– ٢٠١٠ء) والتفسير في ثلاث مجلدات.

هناك أمر ينبغي أن نأخذ به وهو أن ترتيب القرآن حسب ترتيب النزول أمر لايتوقف على التوقيف، وليست عندنا روايات معتبرة ترشدنا على هذا الترتيب بالجزم، وجميع المفسرين عبر التاريخ قد اختاروا الترتيب المصحفي في تفسير القرآن. وقد ذكر في كتب علوم القرآن أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عنده مصحف حسب ترتيب النزول، ويقول العلامة جلال الدين السيوطي في هذه الصدد: " ومما استدل به لذلک اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم ن ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير."[١] ولكن الترتيب الذي تمّ عليه الاتفاق في عهد عثمان هو الترتيب الموجود اليوم، ولم يحصل لمصحف عليٍ رواجٌ في الأمة ولا هو موجود بين أيدينا، ولذلك نرى في التفاسير المذكورة- منها **إلهام الرحمن**- أنه لايوجد فيها ترتيب موحد، بل هناك تقديم وتأخير في وضع السور.

٢-مراعاة فكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في تفسير إلهام الرحمن

الشيخ ولي الله الدهلوي(١٧٠٣ء- ١٧٦٢ء) أحد العلماء النبلاء، كان أبوه الشيخ عبد الرحيم من أعيان الدهلي، أخذ العلوم عن والده الشيخ عبد الرحيم وفرغ من التحصيل في الخامس عشر من عمره، كان قد حصل له الفتح العظيم في التوحيد والجانب الواسع في السلوك، وكان قد خاض في بحار المذاهب الأربعة ونظرفي مستدلاتهم وارتضى بطريق الفقهاء المحدثين. رحل إلى الحرمين فمكث هناك عامين وصحب العلماء هناك واستفادمنهم، وكان له يد طولى في شتى فنون وعلوم من التفسير والحديث والأصول والفقه والتصوف والكلام وغير ذلك.له ترجمة فارسية للقرآن والفوز الكبير في أصول

٤- **معارج التفكر ودقائق التدبر** للشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني(١٩٢٧ء- ٢٠٠٤ء)، والتفسير في خمسة عشر مجلدا، ويحتوي على تفسير السور المكية، ولكن المؤلف لم يوفق لاكتماله.

وهذا النوع من التفسير من الاتجاهات الجديدة في تفسير القرآن، و لتبرير هذا المنهج التفسيري يقول الشيخ عزت دروزة في مقدمة **التفسير الحديث** إنه استفتى أبا اليسر عابدين مفتي سورية والشيخ عبد الفتاح أبا غدة فقال الأول إن التفسير لا يتلى حتى يراعى فيه ترتيب الآيات والسور وقد يفسر المفسر سورة ويترك أخرى وقال الثاني إن غرض المفسر غير غرض التلاوة فلا مانع من هذا النوع من التفسير والعلماء في القديم قد سلكوا هذا المسلك حيث سلك الشيخ جلال الدين المحلي والسيوطي في تفسيرهما المعروف بتفسير الجلالين فقد بدأ الأول من آخر القرآن في التفسير وهو صاعد إلى سورة الكهف ثم مات فأتم السيوطي من حيث وقف إلى أول القرآن، وهكذا بعض العلماء الآخرون.

(لينظر: محمد عزت دروزة، **التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]**، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٣ هـ)، ١: ١٠.)

[١]- عبدالرحمٰن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(م ٩١١ه)، **الإتقان في علوم القرآن**، ت، محمد أبوالفضل إبراهيم(الهئية المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ه)، ١: ٢١٦.

التفسيروحجة الله البالغة في علم أسرار الدين و غير ذلك.[١] إن الشيخ بمثابة الجسر بين القديم والحديث ومنه

يعدّ الشيخ عبيد الله السندي أكبر شارح في شبه القارة لفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، فهو يستخدم كثيرًا مصطحات الشاه ولي الله في تفسيره مثل حظيرة القدس والملأ الأعلى والملأ السافل والتجلي الأعظم والنفس الرحمانية وغير ذلك، ونجد الإحالة إلى أفكار الشاه ولي الله خلال قراءة التفسير، وقد مر من كتابة الشيخ السندي أنه ما زال مشغوفا بدراسة كتب الشاه ولي الله.[٢]

إن الشيخ الشاه ولي الله قد ألف في شتى المجالات منها القرآن وعلومه والحديث والفقه والتصوف والكلام وغير ذلك، قد ترجم القرآن الكريم بأكمله إلى اللغة الفارسية، ثم ألف كتابا قيما **الفوز الكبير في أصول التفسير**، وقد استفاد الشيخ السندي من هذه الأعمال، يقول الشيخ عن هذا الكتاب:

"لما وصلت إلى السند وجدت نسخة للفوز الكبير، قبل ذلك كنت مشوشا جدا لأجل مطالعة تفسير الإمام الرازي، فلما وصل **الفوز الكبير** بيدي وفرغت من قراءة الفصل الأول منه اطمأننت بأنه لو شاء الله أتعلم علم التفسير فمن ذلك اليوم حتى الآن لم احتج للخروج من مسلك الشاه ولي الله." [٣]

يحيل الشيخ السندي إلى فكرة الشاه ولي الله مرة وأخرى في كتاباته وفي تفسيره، مثلا يحيل الشيخ السندي في تفسير سورة ن تحت الآية: لولَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ إلى مقولة الشاه ولي الله، فقال:" قال الشاه ولي الله إن يونس لم يكن نبيًا قبل ذلك ، بل جعله الله نبيًا بعد خروجه من بطن السمك."[٤] ويقول في تفسير سورة العلق قال الشاه ولي الله إن النبي عليه السلام بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى،[٥] والصحابة داخلون في البعثة الأخرى،

١- الحسني، **نزهة الخواطر**، ٦: ٨٥٦.

٢- عبد الله اللغاري، ***مولانا عبيد الله سندھی کی سرگذشتِ کابل***، رتبه، الدكتور غلام مصطفى خان، خود نوشت حالات بقلم الشيخ عبيد الله السندي(إسلام آباد: ***قومی ادارہ برائے تحقیق تاریخ وثقافت***، ٢٠١٧ء)، ١٤.

٣- عبيد الله السندي، **امام ولی اللہ دھلوی کی حکمت کا اجمالی تعارف**،ت، عطاء الرحمن القاسمي(الدهلي: إكاديمية الشاه ولي الله)، ٣٢.

٤- تفسير سورة ن.

٥- قال الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في **حجة الله البالغة**: إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى فالأولى إنما كانت إلى بني إسمعيل... والثانية كانت إلى جميع أهل الأرض عامة بالارتفاق الرابع. (أحمد بن عبد الرحيم الشاه ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، ت: السيد سابق (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٥ء)، ١: ٢١٤، ٢١٥.)

في ضمن ذلك يستند الشيخ السندي إلى الأصول التي مهدها الإمام الشاه ولي الله في كتبه منها **حجة الله البالغة** حيث ذكر فيه عنوانًا باسم "باب كيفية فهم المراد من الكلام" ثم "باب كيفية فهم المعاني الشرعية من الكتاب والسنة" فذكر تحته عشرة أصول لفهم الكلام [١]،

٣–التفسير الاجتماعي

ظهرت في مجال تفسير القرآن الكريم في القرون الأخيرة حركات اجتماعية لاسيما حركات التجديد والنهضة في سائر أقطار عالم الإسلام، وهي مازالت في استمرار حتى عصرنا الراهن، ففي هذا الجو قد قام العلماء بالاهتمام بالجانب الاجتماعي للقرآن بدل مجرد التركيز على الجانب الفردي والأخروي، وبناء على ذلك نراهم يحاولون طرح الحلول للمشكلات المادية والمعنوية في المجتمع في ضوء تعليم القرآن الكريم، وذلك على أساس أن القرآن الكريم هو النور الخالد لجميع العصور والدهور، وإنه يشمل كافة أبعاد الحياة الإنسانية فردية كانت أو اجتماعية، وهذا الأمر من أهم ما يبتني عليه التيار الاجتماعي التفسيري، وقد برز هذا الاتجاه في تفسير عديد من المفسرين في العرب والعجم، منهم الشيخ عبيد الله السندي الذي طبق هذا المنهج في تفسير القرآن إلى أقصى ما يمكن. وفي هذه الصدد هو أيضًا يقوم بالنقد على الشيوعية (Socialism) يقول في تفسير سورةالبقرة:"الأمر الأول في الدين هو الإيمان بالله (مع مقتضياته)، ثم عمارة البيت، ثم النكاح، ثم الكسب، ولكن في أوربا اليوم الشيوعيون لهم الغلبة، فهم يختارون الترتيب العكسي.[٢] يقول الشيخ السندي عن ضرورة التفسير الاجتماعي للقرآن في تفسير سورة العصر حيث يقول:" والمانع الثاني الذي خفى عن كثير من الناس في الحكمة القرآنية اعتمادهم على ما وصل إليه مشايخهم من التحقيقات العلمية ويكون فيه مداخلة كثيرة للسياسيات المتبدلة في تاريخ الإسلام، فهؤلاء طلبة العلم يعتقدون أن ما علمه مشايخهم من الحقائق هي بعينها لازم أن توجد في القرآن وإذا يئسوا من ذلك يضعف اعتقادهم في القرآن بأنه كتاب علمي. نتيجة بحثهم تكون أن القرآن كتاب خطابي مناسب لأهل ذلك العصر من بادية العرب. أما نحن فوصلنا إلى تحقيقات عالية وهذه كلها باجتهاد مشايخنا." [٣]

يقول الشيخ السندي في تفسير سورة العلق: إن من مقاصد النبي صلى الله عليه وسلم هو الإصلاح القومي والثاني هو الإصلاح العالمي. والمراد في هذه السورة هو الأول وإليه أشار بقوله ربك لأن خطاب

---

[١]– لينظر هذا البحث مفصلا:المصدر نفسه، ١: ٢٣٤.تحت العنوان: باب كيفية فهم المراد من الكلام.

[٢]– تفسير سورة البقرة، اللوح ٢٩،.

[٣]– **إلهام الرحمن**، تفسير سورة العصر، اللوح ١٥،.

رئيس القوم يراد به القوم كله، وفي السورة الفاتحة هو الثاني، كما يدل عليه جمع العالمين في قوله رب العالمين. [١]

٤-مراعاة فن الاعتبار في تنزيل الآيات على الواقع

إن من الأمور التي راعاها الشيخ السندي في تفسيره هو فن الاعتبار، وبذلك ينزل الشيخ السندي الآيات على الواقع ويستخرج منها المعاني الجديدة، وهذا حرصًا منه لهداية الجيل الجديد إلى القرآن الكريم، فإن الرجال المثقفين الجدد لايتأثرون برسالة قدمت في الثوب التقليدي وهذا الأمر يواجهه الدعاة مرة وأخرى. يقول الشيخ وحيد الدين خان:

"لقيت في الأيام الماضية الدكتور إكرام الحق ، وكان له شغف بالداسات الإسلامية، فقال إني قمت بقراءة كثير من التفاسير الأردية ولكن قلبي لم يطمئن بذلك، ومثل هذا الانطباع نجده عند كثير من المثقفين الجدد، سبب ذلك أن التفاسير كتبت في الأسلوب التقليدي دون الأسلوب الاجتهادي، وقدمت لذلك مثالًا من القرآن. قال تعالى: كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله (٦٤: ٥) ومضمون هذه الآية يجذب إليه الجيل الجديد الذي يحب الأمن والسلامة،ولكن التفاسير لم تقم بفتح معنوية هذه الآية، وحملها المفسرون على اليهود السابقين،كأنها حكاية الأمر الماضي وليست لها علاقة بالوضع الراهن، والنكتة المهمة لفهم القرآن أن ما قيل في السياق الماضي، ينبغي أن يراه المفسر في السياق الراهن ويكتشف انطباقه الجديد،فبناء على ذلك نستطيع أن نقول إن الآية فيها أصول أبدي، وهو أن أهل الإسلام عليهم أن يتجنبوا عن الحرب أوقدها غيرهم."[٢]

ونفس هذا الأمر قد واجهه الشيخ السندي، فحاول تنزيل آيات القرآن على الواقع مستعينًا بفن الاعتبار، وفي بيان فن الاعتبار يقول الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في **الفوز الكبير في أصول التفسير**:

المراد من الاعتبار أو العبرة لغة هو العبور من جانب الطريق أو النهر إلى جانب آخر منه، وفي الاصطلاح : هو انتقال الذهن وعبوره من الدليل إلى المدلول (الدعوى) أو من المنصوص إلى غير المنصوص (المقيس)، ومنه قوله تعالى: "فاعتبروا يا أولي الأبصار" وقوله: "إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار"، وليس هذا خارجًا من طرق الاستدلال الأربعة (عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص،

١- نفس المصدر، اللوح ٨.

٢- وحيد الدين خان، ''*مجتهدانه اسلوبِ دعوت*'' في *الرسالة*، دهلي،٤٣: ٦ (٢٠١٩ء)، ٧.

واقتضاء النص)، بل الاعتبار نوع من إشارة النص، فإذا كان بناءه على علة فقياس، وإلا فإشارة النص).[١]

والتفسير الإشاري عند الصوفية هو النظير لمثل هذا الاستنباط، ولكن الفرق بين ما يقدمه الصوفية وما قدمه الشيخ السندي، هو أن الصوفية ذكروا الأمور الأخلاقية والروحية استنباطًا من النصوص، وأما الشيخ السندي فهو يستنبط الأمور الاجتماعية والسياسية من إشارات نصوص التنزيل.

والنظير الثاني لهذا النوع من الاعتبار هو التفسير العلمي السائد في العصر الحديث، فقد قال به في العصر الراهن حتى العلماء الذين انتهجوا منهج العلامة ابن تيمية الذي يشدد على القيام بالتفسير الحرفي أو النصي للنصوص. فلو لم يترك التفسير المأثور السائد على مر العصور، ولكن بجنب ذلك أشير إلى الأمور الاعتبارية، فلعله مسموح به إلى حد ما لم يقضي على المعاني المتبادرة، يقول الدكتور سعيد الرحمن مشيرًا إلى الجانب الاعتباري لتفسير الشيخ السندي:

إن الإفادات القرآنية لمولانا عبيد الله السندي ليست نتيجة الإنكار للتفاسير السابقة، بل إنها عبارة عن البحث عن المعارف مع الاستفادة من التفاسير...وهو في هذا الصدد يعمل بقول الله تعالى:فاعتبروا يا أولي الأبصار، والاعتبار البحث عن الحل للمسائل المستجدة، ومثال ذلك تلك الآيات التي نزلت في غزوة بني نضير وهي بمعناها المتبادر مبنية على الدعوة إلى أخذ النتائج بزوال بني النضير، ولكن الفقهاء توسعوا في ذلك واستدلوا على حجية القياس وهذا مفهوم بعيد، ولم يقم أحد بالتحدي لصالح الفقهاء للدين، فما ظنك بالذي يأخذ مفهوما أقرب منه ؟ وذلك عبارة عن التفكر في أسباب زوال الأمم وربطه بالقرآن.[٢]

إن الشيخ السندي يريد في كثير من المواضيع المعنى البعيد اعتبارًا من المعنى الظاهر، ومثال ذلك في تفسير سورة الغاشية حيث يقول:

فاعلم أن المراد بالغاشية في قوله **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** هو انقلاب الحجاز الذي أهل الحجاز كلهم يعني الانقلاب الذي يقع بتعليم القرآن في الحجاز في حياة النبي ﷺ عليه السلام أولا في الحجاز ثم في باقي العرب، ويكون الناس فيه قسمين: قسم يخالف الانقلاب ويسعى في

١- الشاه ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي، **الفوز الكبير في أصول التفسير**(كراتشي: بيت العلم، ٢٠٠٦ء)، ١٠٣.

٢- سعيد الرحمن، "حرف فكر" ، عبيد الله السندي، **تفسير المقام المحمود (جزء عم)** (*لاہور*: مکی دار الكتب، ٢٠٠٤ء)، ٣.

مخالفته حتى لايفوز الانقلاب وقسم يؤيده، فيفوز هذا القسم ولم يفز القسم الأول مع سعيه الشديد في مخالفته. **الْغَاشِيَةِ** الانقلاب الحجازي وماحول الحجاز من العرب للحجاز، ثم بين حال مخالفي هذا الانقلاب بقوله وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ أي يوم هذا الانقلاب **خَاشِعَةٌ** ذليلة **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ** يعني أنها ذليلة مع العمل الشديد الذي صارت به **نَاصِبَةٌ** في مخالفة الانقلاب حتى لايقع لكن لم يفوزوا في محنتها، فصارت ذليلة تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً، لأن الناس يخرجونهم من الأمصار بعد الانقلاب إلى الصحارى، فيصلون شدة حر الحجاز، لأنه ليس في صحارى الحجاز ظل الأشجار تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ في صحارى الحجاز، لأنه ليس فيها ماء بارد .[١]

ويقول أيضًا:" خص المفسرون ما ذكر في سورة الغاشية وكذا في غيرها بالآخرة، وهذا التخصيص ليس بصحيح، بل هو يعم الدنيا والآخرة، نحن لاننكر كونه في الآخرة، بل ننكر تخصيصه بالآخرة.[٢] وفي مقام آخر ينتقد الشيخ السندي على المفسرين وذلك لأجل أنهم يريدون من مثل الآيات المذكورة الأمور الأخروية فقط، فيقول: " من الأسف أن المفسرين نشأوا من غلبة المسلمين على أكثر الممالك وتنظيم حياة المسلمين على الأحكام الإسلامية، فلا يفهمون معنى يوم الانقلاب ويؤلون كل ذلك إلى يوم القيامة لو كانوا أدركوا في شيء من يوم الانقلاب ما فعلوا ذلك "[٣] مثل هذا الكلام نجده في تفسير سورة المدثر تحت قوله تعالى: فإذا نقر في الناقور حيث يقول: فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ وجاء أوان الرحلة من الدنيا. النقر في الناقور كان علامة الرحلة في القوافل، معنى هذا وقت رحلة الإنسان من هذا الدار عندنا. وليس معناه القيامة كما يستعمله أكثر المفسرين.[٤] إن من الشرائط لقبول التفسير الإشاري عند الصوفية ما ذكره العلماء، منها عدم إنكار المعنى الظاهر، وأن هذه الأقاويل ليست بتفسير القرآن، بل يجب الاعتقاد بأن مراد القرآن الكريم الأصيل هو ما يفهم من أصل مآخذ القرآن، وهذه الأقوال بمثابة الاستنباطات الوجدانية، فلو نظن أن هذه الأقوال تفسير القرآن فإنه ضلالة.

ومن أمثلة تنزيل الآيات على الواقع عند السندي إرادته من قوله تعالى:ومن الأرض مثلهن الأقوام السبعة: الصينيون والهنود وأهل إيران والأتراك والعرب والأوربيون والحبشيون، ويريد الشيخ السندي

١- عبيد الله السندي، **إلهام الرحمن**، نسخة إسلام آباد (ن إ)، اللوح ٢٥.

٢- نفس الإحالة.

٣- تفسير سورة المزمل، ص .

٤- سورة المدثر، ص.

أن الله تعالى أظهر دينه على الأديان والمراد غلبة الدين على أديان هذه الأقوام وقد حصل ذلك في زمن عثمان رضي الله عنه.[١]

٥–التفسير الجديد عما عليه المفسرون

في كثير من الأحيان يريد الشيخ المعنى الجديد للآيات القرآنية عمّا عليه المفسّرون، فمثلا قال في قوله تعالى آخذا الأصول من الآية: غير المغضوب عليهم ولاالضالين: في النبي تكون قوّتان: قوة الفعل و قوة الانفعال، والمنفعل من النبي في العلم هو الصديق، والمنفعل من الصديق هو الصالح، والنبي نفسه يكون شهيدًا، لأن المراد بالشهيد هو من يكون فيه قوة العمل على الغاية، لايرجع وإن قتل، فالذي حصل فيه قوة الفعل من النبي مثل النبي فهو الشهيد وإن لم يقتل، فالصديق بعد النبي يكون مجددًا، والصالح هو يكون شهيدًا إذا كان في غاية القوة، فمن يكون تحت الصالح فهو ليس بشيء، وهو لايخلو إما أن يكون فيه قوة العلم مع عدم قوة العمل، فهو المغضوب عليه، وإما أن لايكون فيه قوة العلم، فهو الضال، وهذا هو المراد بقوله: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.[٢]

٦–موقف الشيخ السندي من أقسام القرآن

القسم يمين يقسم بها لتأكيد شيء، وقد ورد القسم مع مشتقاته في القرآن قراب ثلاثة وعشرين مرة، وجاء في كثير من الآيات أن اللفظ المختار للقسم حلف أو يمين، وهناك يرد سؤال كيف يقسم الله بخلقه وقد جاء النهي عن اليمين بغير الله تعالى، وقد أجاب عن هذه السؤال الإمام جلال الدين السيوطي بأوجه:أحدها: أنه على حذف مضاف أي ورب التين ورب الشمس وكذا الباقي.

الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون

الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ وصانع.[٣] ولكن الشيخ عبيد الله السندي يقول بأن القسم في القرآن يكون للشهادة مهما كان بأمر عظيم أو لا؛ يقول في تفسير سورة العصر: "إن المراد من القسم في العرفيات العامة والذهنيات المشتركة هو إبداء شهادة على المقصد، والأدلة الدالة على المطلوب تكون على قسمين." ويقول أيضًا في تفسير سورة الذاريات:" أكثر المفسرين يزعمون أن القسم إنما يأتي

١– **إلهام الرحمن**، تفسير سورة الفاتحة، اللوح ١٠.

٢– المصدر نفسه.

٣– عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،**الإتقان في علوم القرآن**، ت، محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٤ء)،٤: ٥٥.

بالأشياء المتبركة المعظمة، فاختلف آراؤهم في تفسير السورة. قال بعضهم إنها قسم بخيل الغزاة، والسورة مكية فاستشكلت عليهم، فأوّلَها البعض بأن الأية إشارة إلى أن الغزاة يكونون فيما بعد. وقال البعض إنها أهل العرفات وخيلهم وهذا لاينطبق فإن المغيرات صبحًا لاتكون في أهل العرفات وعندنا ليس المراد الأشياء المبتركة المقدسة، بل خيول المنتبهين المغبرين الذين يعرفها العرب بطبيعتهم ويعرف خاصيتها."[١]

إن الشيخ حميد الدين الفراهي من علماء شبه القارة أيضًا يقول بأن القسم في القرآن يكون للشهادة وجملة القسم تتضمن بالشهادة على أمر ما.

٧– بعض مصطلحات الشيخ السندي

يستخدم الشيخ السندي بعض المصطلحات في التفسير باللغة الأردية، مثل انقلاب، نعره، پروگرام، ولعل هذا مراعاةً لمخاطبي شبه القارة.

هذه أكبر ميزات التفسير **إلهام الرحمن** التي تتجلى من خلالها منهج التفسير ومضمونه.

أهمية الموضوع

إن التفسير إلهام الرحمن تفسير منفرد من حيث مادته وفكرته، فإنه يتناول التفسير السياسي الاجتماعي للقرآن ومن خلال ذلك يتمسك بفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، فلذلك اخترت مخطوطه للتحقيق.

تحقيق المخطوط

إن المرحلة الأولى لتحقيق أي مخطوط هو الحصول على النسخ المختلفة من الكتاب لتقديم صورة صحيحة لما كتبه مؤلف الكتاب.

إن من حسن حظي أن نسخة من تفسير **إلهام الرحمن** كان موجودًا في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية، الجناح البحثي للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، فلم أتحمل كلفة في حصولها، ولكن قد أخبر الأستاذ الكريم – المشرف على تحقيق هذا المخطوط – الدكتور تاج أفسر حفظه الله، رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية بأنه يوجد أكثر من مخطوط لهذا التفسير غير نسخة مجمع البحوث، فهو قد حصل بنفسه على مخطوطتين أخريين من التفسير، إحداهما من السند وثانيتهما من ماليزيا، ولو تكن شفقته مساعدة لي في هذا الأمر، لم أكن لأحصل عليها، فجزاه الله خيرًا

---

[١]– تفسير سورة الذاريات.

كثيرا، وخلال التعليق أشرت إلى النسخة الأصيلة بـ: ن إ (والمراد منه نسخة إسلام آباد) وإلى النسخة الثانية بـ: ن م (المراد منه نسخة ماليزيا).

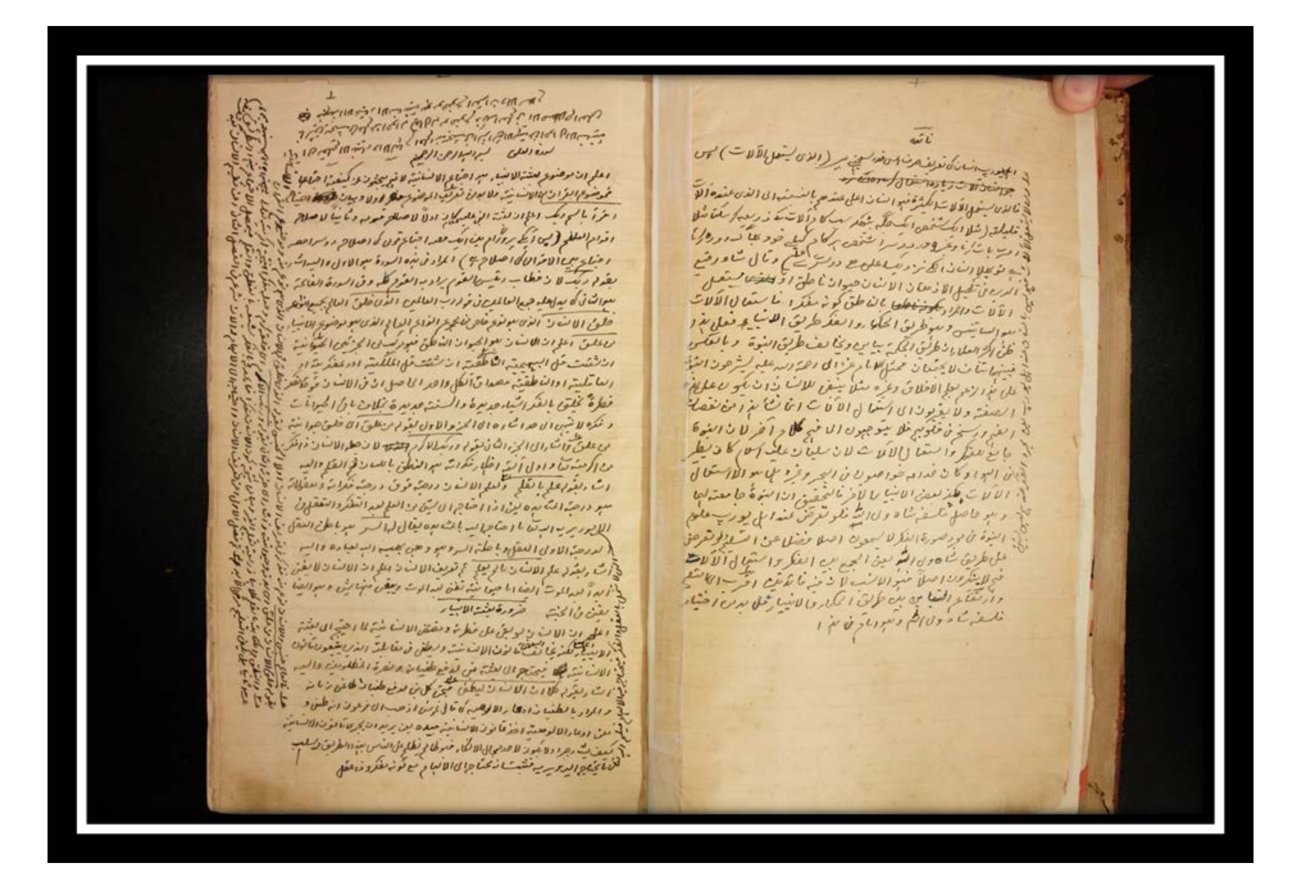
أما نسخة السند فقد قام على تحقيق بعض أجزاءها الأستاذ غلام مصطفى السندي القاسمي ونشرها، وتلك الأجزاء تتعلق بتفسير سورة البقرة، والتي ترجمت إلى اللغة الأردية أيضًا، ولكن أجزاء التفسير التي قمت تحقيقها، هي لاتوجد في هذا القسط من المخطوط، فلم يمكن لي الاستفادة منها خلال هذا الأمر. وأما نسخة ماليزيا فقد استفدت منها.

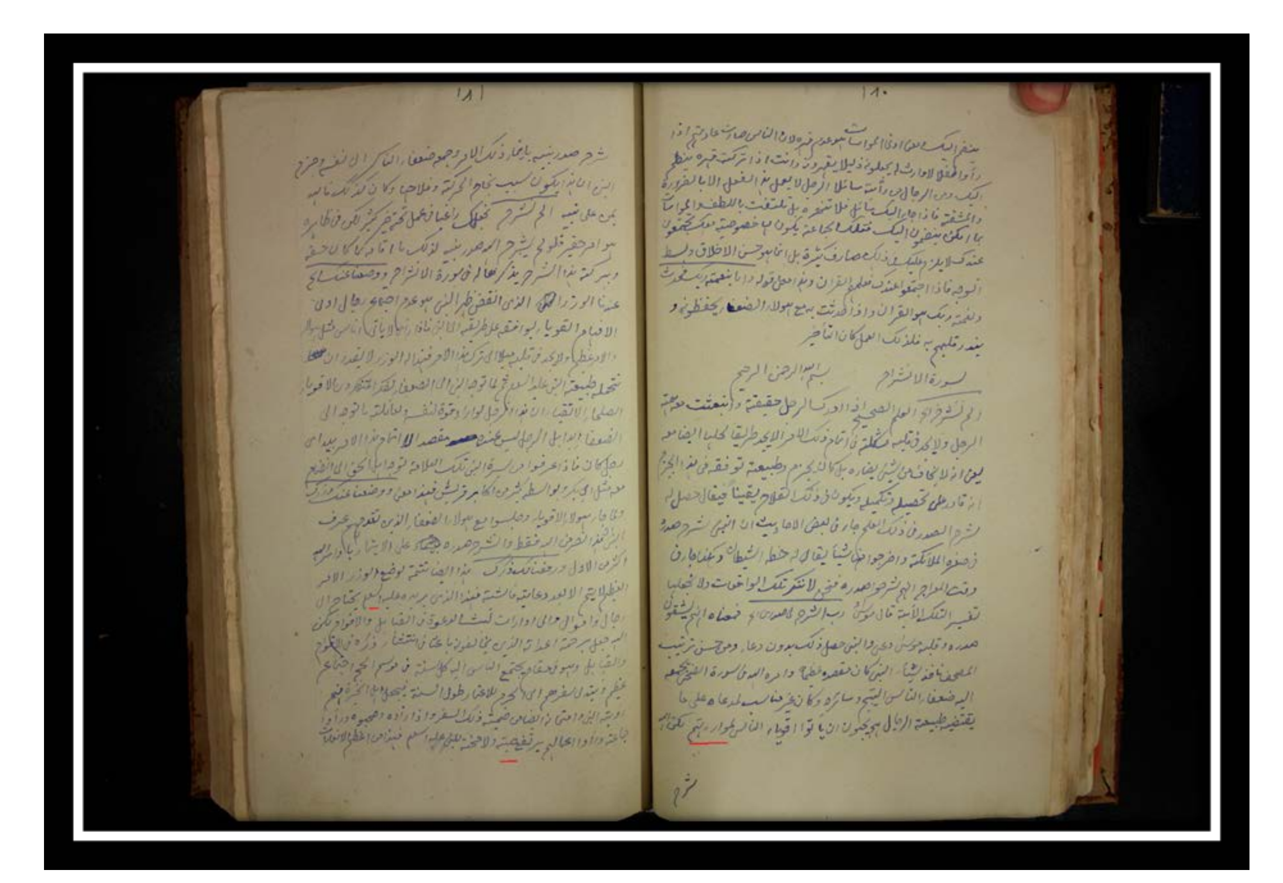
والجدير هنا عرض أوصاف ما صار بين يديّ، فأما نسخة مجمع البحوث، فإنها محفوظة اليوم في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية – مكتبة حميد الله – برقم: ٨٤، ٨٥، ٨٦ ومصورة (بميكروفيلم) برقم: ٨٤، ٨٥، ٨٦ ، وهي نسخة خزائنية نفيسة بغلاف جلدي، وعدد أوراقها ٦٦٨ورقة للمجلد الأول،٣٩٦ ورقة للمجلد الثاني، و٤٤٦ ورقة للمجلد الثالث، وعدد أسطر كل صفحة ٢٠ سطرًا على الاختلاف فإن المجلد الأول بعض صفحاته لها ٣٢ سطرًا، وعدد كلمات كل سطر عشر كلمة تقريبًا.

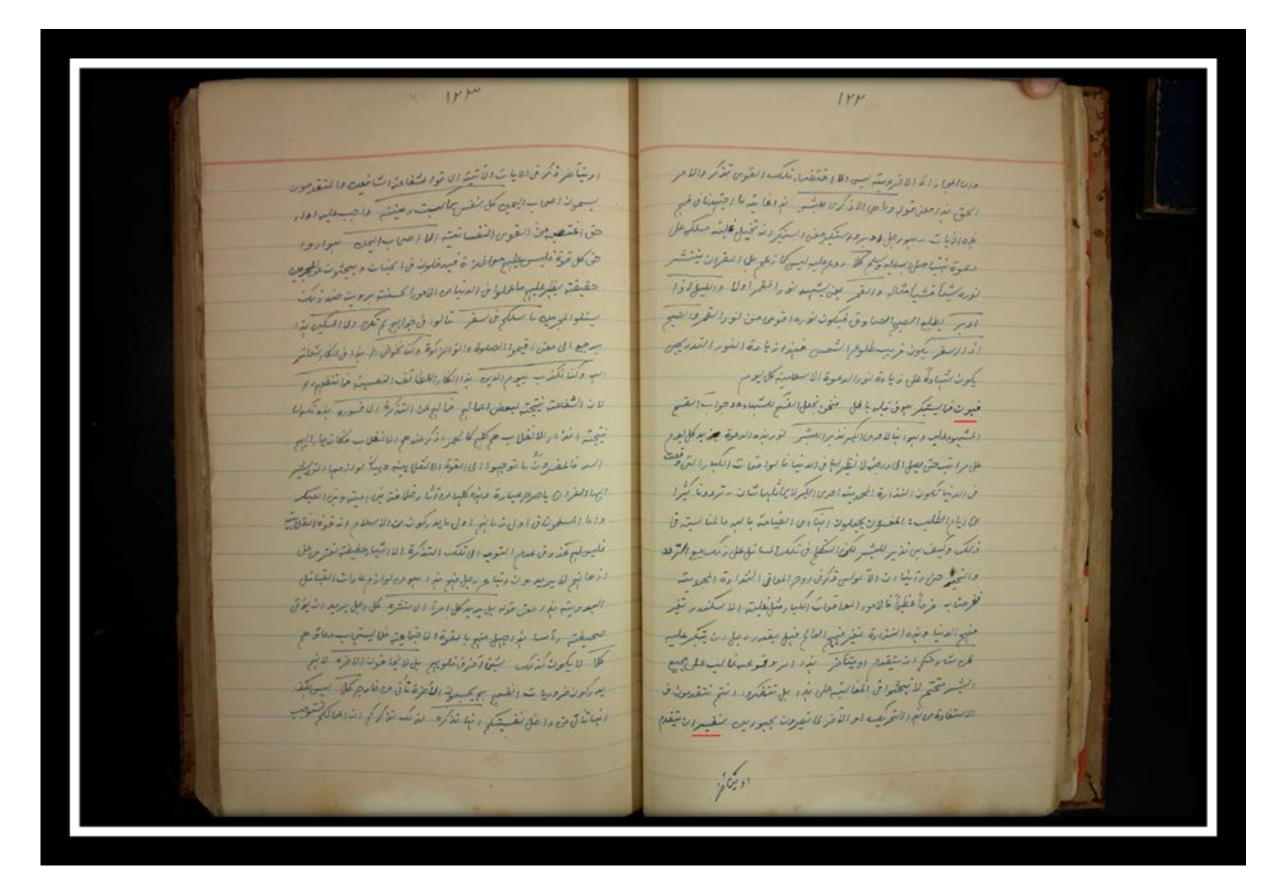
ومن الجدير بالذكر أن هذا المخطوط ليس في خط واحد وبيد ناسخ واحد، بل يظهر بعد مقابلة الألواح من المواضيع المختلفة أن المخطوط قد نسخ تارة بخط النستعليق ومرة بخط النسخ.

حاولت الاستفادة من هذين المخطوطين ليخرج النص أكثر صحة وأقرب إلى ما كتب المؤلف أو كان يريد كتابته، ورجعت خلال هذا إلى كتب الشيخ السندي المختلفة و كتب الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الذي يعد الشيخ السندي شارحًا له، علاوة على كتب التفسير الأخرى وكتب السنة الشريفة والكتب العامة، وذكرت في الحواشي ما هو بحاجة إلى التفسير.

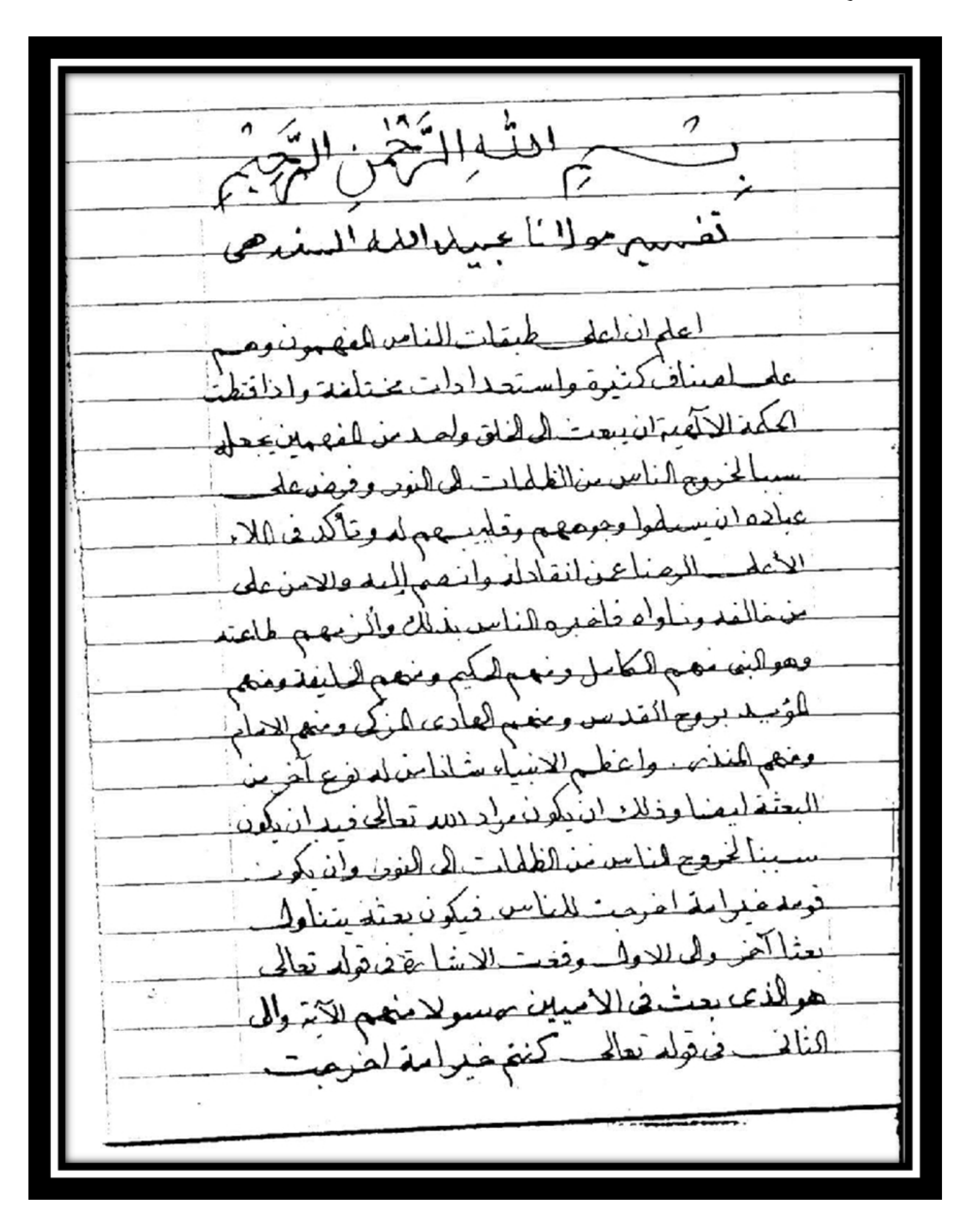
نسخة إسلام آباد(نسخة الأم)







نسخة ماليزيا



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير مولانا عبيد الله السندهي

اعلم ان اعلى طبقات الناس المفهمون وهم
على اصناف كثيرة واستعدادات مختلفة واذا اقتضت
الحكمة الالهية ان يبعث الى الخلق واحد من المفهمين يجعله
سببا لخروج الناس من الظلمات الى النور وفرض على
عباده ان يسلموا وجوههم وقلوبهم له وتأكد في الملاء
الأعلى الرضا عن انقاده وانضم إليه والامن على
من خالفه وناواه فاخبره الناس بذلك والزمهم طاعته
وهو النبي منهم الكامل ومنهم الحكيم ومنهم الخليفة ومنهم
المؤيد بروح القدس ومنهم الهادي المزكي ومنهم الامام
ومنهم المنذر. واعظم الانبياء شانا من له نوع آخر من
البعثة ايضا وذلك ان يكون مراد الله تعالى فيه ان يكون
سببا لخروج الناس من الظلمات الى النور وان يكون
قومه خير امة اخرجت للناس فيكون بعثه يتناول
بعثا آخر والى الاول وقعت الاشارة في قوله تعالى
هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية والى
الثاني في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت

هو اقرب في الرتبة من الشفق. والقمر اذا
اتسق. بعد نور الكواكب التي يكون اتساقه
من هلال الى البدر وكما يكون في الليل التدرج
في الانوار كذلك يكون في جهنم يتيقظ اللطيفة
النورانية وحصول النور بسببها بالتدرج فاذا
تم وسهل عليه الانجذاب الى الاصل على
النور يخرج من جهنم. هذا معنى قوله: لتركبن
طبقا عن طبق. قوله: فما لهم لا يؤمنون
اذا كان فيهم ذوق الحكمة الطبيعية فالمانع لهم من
الايمان بعد ذلك واذا كان رجل حكيما طبيعيا حقيقيا
اذا قرئ القرآن يسجد بطبعه هذا هو الحق
هذا معنى قوله: واذا قرئ عليهم القرآن
لا يسجدون. قوله: بل الذين كفروا يكذبون.
بعنادهم الرجل الحكيم ان كان الهيا صديقا من
بالقرآن على الاول لانه يدعوه الى ربه
وان كان طبيعيا يسجد للقرآن اذا فهم معناه.
وهل يقدر ذو عقل في الدنيا ان يعارض للقرآن
الا بالعناد قوله: والله اعلم بما يوعون. في
قلوبهم اللطيفة محنطة والله اعلم. فاذا النفس
بحكمها يحدث في قلوبهم تعارض تحير اضطراب
ثم عذاب اليم. فبشرهم بعذاب

الانسانية فهل يكون مستقيما في الحكم بالعدل؟
او نفسه فهل هو صالح لصالح الآخرين؟ [illegible] الطريقة
الاخرى [illegible] الحياة؟
[illegible] لتكميل هذه الحياة [illegible]
[illegible] انه اذا خرج من العدل كانه ترك الفطرة
الانسانية فوقا بنفسه هو يستحق التقدم؟
لو جعلنا الامر للناس فهل يقدمون هذا
الظالم على هذا العادل او يشبهونهم في
نفي القيامة هو استبعاد خلق الانسان
مرة اخرى. افلا يرون ان ربه كل يوم
يأتي بسماء جديدة وارض جديدة؟ هذا
الذي يأتي كل يوم بيوم مثل الايام السالفة
كانه خلق السموات والارض كل يوم على
مثال جديد. افليس هذا العمل اكبر من خلق
الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون.
ما حقيقة هذا التبدل اليومي؟ وما
حقيقة خلق الانسان بعد موته؟ وكيف
يكون التماثل بينهما واضحا لكن اكثر الناس
لا يعلمون. فالذين لا يدركون مثل هذه المسائل
العلمية يستحقون ان يسموا عميا او ما يستوي
الاعمى والبصير. هذا الذي ذكرنا

١-١

سورة العلق

بسم الله الرحمان الرحيم

اعلم أن موضوع بعثة الأنبياء هو اجتماع الإنسانية، لأنهم يبحثون عن كيفية اجتماعها، فموضوع القرآن هي الإنسانية، ولابد من تعريف الموضوع أولا، وبيان احتياج الإنسانية إلى تعليم الأنبياء والإلهام. اعلم أنه يبحث في الشرائع الإلهية عن أحوال الإنسانية، فالشيء يبحث في علم عن أحواله يقال له موضوع ذلك العلم في الاصطلاح العلمي، فبهذا الاعتبار الإنسانية هو موضوع القرآن والإسلام.

"**اقراء باسم ربك**" اعلم أن بعثة النبي عليه السلام كان أولًا لإصلاح قومه، وثانيًا لإصلاح أقوام العالم(*بس آپ کے پروگرام میں ایک حصہ اجتماع قومی کی اصلاح، دوسرا حصہ اجتماعی بین الاقوامی کی اصلاح ہے۔*)[١]، المراد في هذه السورة هو الأول،[٢]وإليه أشار بقوله: "**ربك**" لأن خطاب رئيس القوم يراد به القوم كله، وفي السورة الفاتحة هو الثاني، كما يدل عليه جمع العالمين في قوله: "**رب العالمين**."

"**الذي خلق**" :العالم بجميع أنواعه.

خلق الإنسان: الذي هو نوع خاص من مجموع أنواع العالم الذي هو موضوع الأنبياء.

"**من علق**": اعلم أن الإنسان هو الحيوان الناطق، فهو مركب من الجزئين: ١-الحيوانية، إن شئت قل البهيمية.٢-الناطقية، إن شئت قل الملكية أو المفكرية أو العاقلية أو الناطقية.[٣] مصداق الكل واحد. الحاصل أن في الإنسان قوةَ الفكر فطرةً، يخلق بالفكر أشياءَ جديدةً بخلاف باقي الحيوانات، وفكره

---

[١]- "في برنامجه جزأن: جزء يتعلق بالإصلاح الاجتماعي القومي، وجزء يتعلق بالإصلاح الاجتماعي العالمي." تارة ذكر الشيخ بعض انطباعاته باللغة الأردية في هذا التفسير ولكنه نزر يسير بالنسبة إلى سائر التفسير، وقد قمت بترجمة هذه الشذرات إلى الأردية.

[٢]- الشيخ السندي يشير إلى موضوع هذه السورة في تفسيره باللغة الأردية **تفسير مقام محمود** أنه هو: *یہ سورت آزادیِ عالم کا نسخہ ہے۔*(**تفسير مقام محمود**، ص،) والكلام في بادئ النظر في الموضعين من تفسير إلهام الرحمن ومقام محمود فيه فيه تناقض، ولعل التوفيق بينهما أن استخراج محور السورة أو عمودها أمر اجتهادي، ويمكن للمفسر أن يسنح له عمود في وقت وبعد مسير التدبر يمكن أن يستح له موضوع آخر. والله اعلم.

[٣]- تفسير النطق بالفكر والعقل ونحوهما لجواب سؤال تقديره أن الإنسان ليس هو الوحيد في وصف المنطق، فإن القرآن يدل على منطق الطير والنمل وغيرهما، فهذا التفسير يوضح أن النطق له معنى خاص يتميز به الإنسان وحده من بقية الحيوانات. هذا التعريف للإنسان منقول من الفيلسوف اليوناني أرسطاطاليس، والحقيقة أن أمر تعريف الإنسان قد أحدث جدلًا واسعًا على مر العصور. وقال الشاه رفيع الدين هو حيوان يستخدم الآلات.

لاينتهي إلى حد، إشار إلى الجزء الأول بقوله **من علق** أي خلق حيوانيته بالعلق(١)، وأشار إلى الجزء الثاني بقوله: "**وربك الأكرم**"، لأن جعل الإنسان ذا فكر من أكرميته تعالى، وأول آلة إظهار فكراته هو النطق باللسان ثم القلم، وإليه أشار بقوله "**علم بالقلم**"(٢)، ولعلم الإنسان درجة فوق درجة فكراته ومعقولاته، هو درجة المشاهدة، يعني إذا احتاج إلى شيء في العلم بعد التفكر والتعقل في الأمور التي لاتنحل بالعقل والفكر، فيحتاج فيه إلى الإلهام، فيلهم الله تعالى ما يحتاج إليه ويريه، فثبت أنه محتاج إلى الإفهام مع كونه مفكرًا وذا عقل، يريه الله ما احتاج إليه بالمشاهدة، يقال له السر هو باطن العقل. الدرجة الأولى العقل وباطنه السر، وهو وهبي يهبه الله لعباده، وإليه أشار بقوله: "**علم الإنسان ما لم يعلم**" ،ثم تعريف الإنسان، اعلم أن الإنسان لايفنى أبدًا بعد الموت أيضًا، أما حيوانيته فيفنى بعد الموت ويبقى منها شيء وهو أيضًا يفنى في الجنة.

ضرورة بعثة الأنبياء

اعلم أن الإنسان لو بقي على فطرته ومقتضى الإنسانية، لما احتيج إلى بعثة الأنبياء، لكنه يخالف البعض قانون الإنسانية، ويطغى في مقابلة الذين يتبعون قانون الإنسانية، فيحتاج إلى بعثة نبي لدفع طغيانه ونصرة المظلومين وإليه أشار بقوله: "**كلا إن الإنسان ليطغى**"(٣)، فيبعث كل نبي لدفع طغيان طاغي زمانه، والمراد بالطغيان ادعاء الألوهية كما قال لموسى: "**اذهب إلى فرعون أنه طغى**" ، ومعنى ادعاء الألوهية أخذ قانون الإنسانية بيده، يعني يريد أن يجري قانون الإنسانية كيف يشاء جبرًا، ولايكون لأحد مجال الإنكار، فهو ظالم يظلم على الناس بهذا الطريق ويسلب الناس حريتهم الفطرية التي فطرهم الله تعالى عليها وأموالهم، ووجه طغيانه: "**أن استغنى**" بمن تحته من الذين يتبعون القانون الإلهي، "**إن إلى ربك الرجعى**"، لأن كل شيء خلق من وجوده تعالى ويرجع إليه، وهو مسئلة وحدة الوجود.

"**أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى**" :وسبب منعه من الصلاة التي هي عبادة الله تعالى أن بين مقصده وبين مقصد هذا العبد تضادًا، فيختل مقصده بحصول مقصد العبد، لأن المعنى الحقيقي للصلاة

---

١ – فالعالم جنس والإنسان نوع منه، فذكر في تعريف الإنسان أولًا الجنس بقوله **الذي خلق**، ثم الإنسان الذي هو نوع منه، وموضوع القرآن بقوله **خلق الإنسان من علق**، أي بدنه وحيوانيته، وأشار إلى جزءه الثاني بقوله **وربك الأكرم**، أي خلقه كرم، وجعله أكرم نتيجة أكرميته تعالى.

٢ – والنطق والكتابة بالقلم كلاهما ذريعة تعليم الغير، وهما من نتيجة كون الإنسان مفكرًا، فما يحدثه بالفكر يشيعه بالنطق والقلم، فيحصل الاجتماع بهذا الطريق.

٣ – ثم فصل الأولى أعني تعريف الإنسان واحتياجه إلى الإلهام، والآن شرع في الفصل الثاني، أعني تقسيم الإنسان بعد تعريفه، ومنه يثبت ضرورة البعثة.(هذه التعليقات الأربعة من قبل صاحب الأمالي.)

هو الاستغراق في محبة الله تعالى على وجه تحترق به تعلقات ما سوى الله تعالى كلها[١]، ونتيجة هذا أمران[٢]: الأول أن العبد إذا أحب الله تعالى، لايحب الظلم، لأنه تعالى لايحب الظلم، فيحب العدل ويكره الظلم، فيطيع قانونه تعالى فلايترك الظالم على الظلم بل يقابل الطاغي لدفع ظلمه. الثاني أنه يأمر غيره بالتقوى، وتفسير التقوى في قوله تعالى:" **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**[٣] **وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**" [٤]، هكذا قال عبد القادر جيلاني[٥] رحمة الله عليه في **غنية الطالبين**[٦]، وقال تعالى: اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، لأن العدل جزء التقوى، والجزء يكون قريبًا من الكل، ومعنى الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الخ، وحاصل الاستغراق في محبة الله، والأول حاصل قوله:" **أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى**". الحاصل أن المصلي يحب قانونه تعالى يتبعه، يأمر غيره بأن يحب قانونه ويتبعه، فيحبان العدل ويكرهان الظلم[٧]، وهو عين ضد مقصد الطاغي، فلا يتركه أن يصلي، لأنه يخاف أن يجتمع الذين يتبعون قانون الله ويحبونه، وهم المظلومون ويقابلونه.

---

١ – وأما الصلاة المعروفة فيقال لها صلاة مجازا، لكونها سببًا للصلاة الحقيقية.الأنسب أن يقال إن الجوهر الحقيقي للصلوة كذا...

٢– في الأصل: أمرين. وهذا تسامح لأن خبر المبتدأ لا بد من أن يكون مرفوعًا غالبا.

٣ – كتب لفظة الإحسان في المخطوط مرتين، من البين أنه تسامح من الكاتب.

٤ – النحل: ١٩٠.

٥– هو الشيخ عبد القادر الجيلاني(٤٧٠هـ – ٥٦١هـ) ولد في جيلان (الإيراني أو العراقي على اختلاف القولين) وتعلم قسطا من العلوم في حداثة سنه ثم رحل إلى بغداد في زمن الخليفة المستظهر بالله، وهذا العهد كان عهد مهاجمة الصليبيين في الشام وكان العهد بأجمعه عهد الفوضى، وكان الشيخ عالما كبيرا وواعظا عظيما تاب على يده كثيرون، ومن مصنفاته فتوح الغيب وغنبية الطالبين وتفسير الجيلاني وغيرها.(لينظر لترجمته: خير الدين بن محمود الزركلي، **الأعلام**(بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٠ء)،٤٧:٤ وما بعد.)

٦– قد أحال الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه **الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل** إلى حديث أن النبي ﷺ قال: جماع التقوى في قوله عز وجل: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. وقد بحثت عن هذا الحديث قدر مستطاعي في المجموعات الشهيرة للحديث ولكن لم أجده.

٧ – *جب یہ مظلوموں کی دادرسی کرے گا تو اس کے پاس لوگ جمع ہو جائیں گے اور اس کی سوسائٹی تیار ہو جائے گی اور طاغی کا مقابلہ کرے گی، پھر وہ کسی پر ظلم نہیں کرے گا۔*(لما يقوم بإغاثة المظلومين فيسجتمع عنده الناس ويتحقق مجتمعهم الذي يقاوم الطاغي فلايظلم إذاً أحدًا.)(التعليق من قبل صاحب التفسير.)

اعلم أن المراد من الطاغي ليس بأبي جهل خاصة، ولامن المصلي النبي عليه السلام، بل المراد به طاغٍ ما ومصلٍ ما، لأن قاعدة تعليم القرآن عرض القانون في صورة جزئية لتسهيل الفهم، ثم يجعله قانونًا كليًا.[١]

إن كذب الطاغي بالفكر **وتولى** بالعمل.

قوله: "**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**" بالكشف وهو وهبي، وهو جنس أو جنس الأجناس دخل فيه كشف الأولياء والأنبياء وغيرهم.

اعلم كما أن للباصرة نكتةً في البصر ونكتة في الدماغ، كذلك للقوة العقل والفكر ظاهر وبطن، يقال لبطن العقل سرٌ، وهو كشفٌ بمنزلة الجنس يدخل تحته كل كشف من النبوة والولاية والرسالة.

"**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى**". تنبية لأبي جهل وغيره من الطاغين، لأنهم كانوا يعرفون الله تعالى وكونه تعالى عالمِا بأحوالهم، وكانوا يعلمون كثيرًا من أمور دين إبراهيم ولم يكونوا منكرين من ذات الله وصفاته، نعم كانوا مشركين كمشركي زماننا مع كونهم على دين الإسلام[٢]، فقوله: أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى مثل قولنا لأحد للتنبيه: ألم تعلم بأن الله يرى ومع هذا تفعل هذا الفعل.

إذا علمت من تضاد مقصد الطاغي والمصلي، فاعلم أن نتيجة هذا التضاد بينهما [تظهر] في المستقبل، فأشار بطريق الإخبار بالغيب (***یعنی بطور پیش گوئی***)[٣] فوز المظلومين في مقابلة الطاغين الظالمين بقوله:" **كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ**" وقال: "**فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ**" وقت التصادم "**سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ**" لمقابلة الزبانية كسان ،كاشت كار ، سپاهى[٤] فوقع كما قال يوم بدر، وقتل فيه إخوان من الأنصار، وهم أهل

١- يذكر معظم المفسرين هناك أن المراد من "الذي ينهى" هو أبو جهل ومن "عبدًا" النبي عليه السلام، ولكن لما كان الاعتبار بعموم اللفظ لابخصوص السبب كما هو مقرر في أصول التفسير، فبناء على التأويل العام للآيات المفهوم العام هو الأصيل في الاسترشاد من هدي كتاب الله تعالى. ثم إن الشيخ عبيد الله السندي قد تدبر في القرآن على سنن الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي، فإنه قد أبرز هذا الموقف جليًا بالنسبة إلى مرويات أسباب النزول وذكره في كتابه **الفوز الكبير في أصول التفسير**، فيقول: "وعامة المفسرين يعلقون (ويقيدون) كل آية من آيات المخاصمة وآيات الأحكام بقصة ما، ثم يجعلون تلك القصة سببًا لنزول تلك الآية، والحقيقة أن الأمر ليس كذلك فإن الهدف الأساسي (والمقصد الأصلي) من إنزال القرآن الكريم هو تهذيب نفوس البشر، ودحض عقائدهم الباطلة وإزالة أعمالهم الفاسدة." (إمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، **الفوز الكبير في أصول التفسير**، إعداد وتعريب وتقديم، محمد أنور البدخشاني (كراتشي: بيت العلم، ٢٠٠٦ء)، ١٥.)، فقوله هذا مبني على هذا الأصل.

٢- لعل الإشارة إلى الجهلة الذين جعلوا مقابر الأولياء مساجد.

٣- أي بوصف التنبؤ.

٤- الفلاح، الجندي.

الزراعة، وسحبت[١] القتلى يوم بدر وألقوا في قليب بدر (*یعنی یومِ بدر یہ پیش گوئی واقع ہوئی، حالاں کہ مسلمانوں کی حالت -- پیش گوئی کے وقت بظاہر یہ غلبہ غیر ممکن نظر آتا تھا۔ اسی سے مظلومین کو کام یابی کا یقین دلایا جاتا ہے، تاکہ وہ ہر گز مقابلے میں کم زور نہ ہوں۔*)[٢]

إذا علم فوز المظلومين بالقطع فلا حاجة إلى الصلح وقت التصادم، فقال: "**كَلَّا لَا تُطِعْهُ**" ألّا تصالحه، لأن الصلح في مثل هذه الحالة – حالة المظلومية – ليست بصلح في الحقيقة، بل هي ذلة وإطاعة الطاغي، بل **وَاسْجُدْ** أي صل الصلاة التي ينهى عنها الطاغي، لأن حقيقة الصلاة في الابتداء هي السجدة، فقط سواء سجد قعودًا أو قيامًا، ثم أضيف إليها أركان أخرى، أي إذا تيقنت بالفوز، فأي حاجة إلى الانتهاء من الصلاة، بنهي الطاغي **وَاقْتَرِبْ** أي كن من السابقين في رد الطاغي ومقابلته، السابقون السابقون أولئك المقربون.

فائدہ: اس سورت میں پروگرام قومی ہے اور سورۂ فاتحہ میں بین الاقوامی ہے، یعنی اس سورت میں خاص حجاز اور عربوں کے لیے پروگرام ہے اور اس قومی پروگرام سے آگے بین الاقوامی پروگرام تیار ہوگا اور اس حجاز کے باشندوں سے ایک جماعت تیار ہوگی، جو بین الاقوامی پروگرام کو چلائے گی۔ حضور ﷺ کا ذاتی پروگرام صرف حجاز کو درست کرنا ہے اور آگے بین الاقوامی کام آپ کے خلفا کریں گے، کیوں کہ وہ بھی حضور ﷺ کی بعثت میں داخل ہیں اور حضور ﷺ کی بعثتِ قومی متضمن ہے بعثتِ بین الاقوامی کو،[٣] كما قال الشاه ولي الله إن النبي عليه السلام بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى،[٤] والصحابة داخلون في البعثة الأخرى، كما قال النبي عليه السلام: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين[٥]، فأطلق عليهم لفظ البعثة، "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً**

---

[١]- سحب الشيء سحبًا: جره على الأرض. يقال: سحب الريح التراب: أثارته وحركته. وسحب ذيله: جره: وسحبت الريح أذيالها كذلك. (إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، المادة: سحب)

[٢]- وقد تحقق هذا التنبؤ يوم بدر، والحال أن غلبة المسلمين كانت في بادئ الرأي غير ممكنة آنذاك، وبهذا يحصل المظلومون على اليقين حتى لايضعفوا في المسابقة.

[٣]- في هذه السورة برنامج قومي وفي سورة الفاتحة عالمي، ويعني ذلك أن في هذه السورة برنامجًا للحجاز والعرب خاصة، وبعد ذلك يتحقق البرنامج العالمي، وتتهيأ من أهل الحجاز جماعة تسوق برنامجًا عالميًا.وعمل النبي الذاتي هو إصلاح الحجاز وأما الأمر العالمي فيسوقه خلفاؤه، فإنهم داخلون في بعثة النبي وتتضمن بعثة النبي القومي البعثة العالمية.

[٤]- قال الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في **حجة الله البالغة**: إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى فالأولى إنما كانت إلى بني إسمعيل... والثانية كانت إلى جميع أهل الأرض عامة بالارتفاق الرابع. (أحمد بن عبد الرحيم الشاه ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، ت: السيد سابق (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٥ء)، ١: ٢١٤، ٢١٥.)

[٥]- **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب قول النبي يسروا ولا تعسروا، رقم: ٦١٢٨.

لِلْعَالَمِينَ" ، *یعنی آپ کو تمام اقوامِ عالم کے لیے مبعوث کیا گیا ہے۔ عَالَمِینَ سے مراد اقوام ہیں،* [١]كما سيأتي في سورة الفاتحة[٢].

---

[١]– يعني أنك بعثت لجميع أقوام العالم، والمراد من العالمين الأقوام.

[٢]– حيث قال الشيخ في البداية : *اس میں پروگرام بین الاقوامی ہے۔*

١-٢

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

هي أول سورة نزلت. في ابتداءها بحث عن حقيقة الإنسان، لأن القرآن يبحث عن الاجتماعية الإنسانية على درجتين: درجة تختص بالعرب قريش و من والاها. درجة تعمّ العالمين ومعناه يجمع بين الملل الثلث: الحنيفية اليهود والنصارى والإسلام والإسماعيلية. الإسلام عام ويجمع معها ديانة الصائبة وبواسطة الفرس والروم ويجمع تحتها إمبراطوريتين: كسرى وقيصر.الفرس عندنا متحد إلى آخر بلاد الهند وبلاد الترك داخلة في الفرس. والروم متحد إلى يونان وبلاد أوربا المتمدنة، فنبحث أولًا عن حقيقة الإنسان ما هي- وقد ذكرنا نظريتين لتاريخ الإنسان، والحقيقة أنهما تعريفان باعتبار قواه المختلفة، والحقيقة الإنسانية يجمعهما، ومعنى الإنسان أنه حيوان فيه قوة علمية عالية بأخذ العلوم ويخترع منها أشياء. هذا معنى الناطق، والناطق هو الذي يخلق ألفاظه، فالإنسان يختلق علومًا ويكون تحتها أعمال توافق علومها كلها، يخلقها بإرادته. كلمة الخلق نستعملها وهي مشتركة في لسان المسلمين عامة، والقرآن يستعملها في بعض الآيات لبيان الحقيقة: تخلقون إفكًا. الناس غلطوا في فهم جاهلية العرب وقريش، وكذلك غلطوا في فهم حالات مصر زمن الفراعنة، فزعموا أنهم أقوام لايعرفون الرب خالق السموات والأرض، واستندوا في ذلك إلى بعض محاورات القرآن لكنهم ما أدركوا مس المسئلة الجمعية العامة، يعترفون بالرب خالق السموات والأرض. ساء طريقة آبائهم. هم يغلطون في بعض التفاسير التفاصيل ولابأس فيه. وحذّاقهم أخذوا طريقة التفكر من أقوام آخرين في تجارتهم إلى الشام واليمن، وافقوا في بعض التفاصيل مع اليهود، واطمئنت عقول بعضهم على فلسفة الهند أو اليونان. وهكذا نبحث عن حالات فرعون إذا جاء ذكر موسى، والإمام ولي الله في **حجة الله البالغة** يثبت أن شرائع كانت معمولة عند قريش[1]، والقرآن إنما نزل بما يعرفونها، والحكمة الإلهية لاتكلف النفوس إلا بما في وسعها، فإذا لم يعرفوا أشياء يكون مثل أعجمي وعربي. فليس لنا الآن حاجة إلى زيادة التفصيل نحيلها إلى وقت.

---

[1] - لعل إشارة الشيخ إلى هذه العبارة من **حجة الله البالغة**:"وكان فقهاء الصحابة تلقت أصول الطاعات والآثام من المشهورات التي أجمع عليها الأمم الموجودة يومئذ كمشركي العرب كاليهود والنصارى، فلم تكن لهم حاجة إلى معرفة لمياتها، ولا البحث عما يتعلق بذلك."(أحمد بن عبد الرحيم الشاه ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**(بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٥ء)، ١: ٢٣٧.)، ولكن الإشارة في هذه العبارة إلى أن أصول الطاعات والآثام كانت مشهورة عند العرب، وهي من المشهورات المسلمة عند الفطرة الإنسانية والتي تبتنى عليها الشخصية الدينية في ضوء الوحي، وأما التشريع فمصدر معرفتها إنما صحبة الرسول، فالعبارة التالية هكذا: "أما قوانين التشريع والتيسير وأحكام الدين فتلقوها من مشاهدة مواقع الأمر والنهي، كما أن جلساء الطبيب يعرفون مقاصد الأدوية التي يأمر بها بطول المخالطة

أول آية: **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** هم ما كانوا يشكون في ذلك **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** وانتقل بعد ذلك في آية إلى خصوصية الإنسان **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ** يعني مثل الحيوانات فتبين بذلك أحد أجزاء الإنسانية، وبعد ذلك ثلاث آيات في بيان الجزء الثاني للإنسانية **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** يعني يكتسب علمًا لم يكن يعرفه. هذا من جبلته عندما. هذا معنى الناطق، قبل ذلك آية: الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ هذا هو استعمال الآيات يريد شيئًا يعني تحصيل علم يختلق له ذريعته ويصنع قلمًا، ويضبط بذلك نقوشًا تدل على الألفاظ موضوعة للمعاني يفهمها بالتفكر والتدبر في ذلك هو قوة صانعة تستعمل الآلات بأنحاء كثيرة ويكون محتاجًا إلى التمدن إلى الاجتماع، وقبل ذلك آية: اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، معناه أن الله تعالى أعطاه جبلة فائقة على جميع الحيوانات تلحقه بالملائكة، وهذا كله كرم من الله تعالى، ليس للإنسان كسب واختيار منه حمدًا لله، قد تمت المسئلة الأولى، ويأتي في سائر السور شرح لها بيانات على حسب الحاجات.

المسئلة الثانية

الإنسان بالمشي على مقتضى جبلته دائمًا يفوز بالمقصد الذي هو مقتضى نوعه أم لا. بعض الإنسان يتخلف عن تحصيل المقصد وتكميله، فالتنبيه على أغلاطهم وإرشادهم إلى طريق الحق ثم عن الأرض إن أصروا على جهلهم كلها من مقتضى الإنسانية. فرضنا إنسانًا حكيمًا له أولاد عشرة، تسعة منهم ماشون على طريقة صالحة، وواحد منهم يترك مقتضى جبلة الإنسان، يلتحق بالحيوانات الخسيسة يستلذّ بأعمال الحيوانات ويفسد الإنسانية، فهذا الوالد الحكيم ينصحه لابد ويرشده باللطف والرحمة، فإذا أصرّ على استكباره وعرف منه أنه يهجم على أزواج أبيه أفلا يقتل؟ هذا هو مثال لإرشاد الأفراد المفسدة من الإنسانية. هذا المثال كان للبيت الواحد، فلو انتقلنا إلى المدينة العظيمة أو إلى مملكة ونشأت فيهم جماعة صغيرة تفسد الإنسانية والاجتماع، فالرئيس الحاكم لتلك المدينة أو المملكة يرشدهم أولًا باللّطف إلى الإصلاح، فإذا عجز عن ذلك وهم استكبروا فلايقتلهم.

ننتقل بعد ذلك إلى مسئلة أخرى. الحكيم الرئيس أو الحكيم الوالد يعرف قبح أفعال هؤلاء ويستحسن قتلهم لكن حكمته تمنعه عن إمضاء إرادته إلّا بعد ما أثبت لأهل بيته أو لأهل الحل والعقد من المدينة والمملكة فساد طبيعتهم وأنهم لايصلحون إلا للقتل ووافق عامة أهل الرأي رأي الحكيم وقطع هذه المراحل، وتحصيل الرأي العامة على موافقة هذا الحكيم الراشد يحتاج إلى دعاية، يحتاج إلى حرية في التفكر للناس، يحتاج إلى اجتماعهم على القرار، فإذا حصله الحكيم وبعد ذلك محق لتلك الطائفة المفسدة أدى فرضه ما كان يوجبه عليه جبلة الحكمة.

والممارسة، وكانوا في الدرجة العليا من معرفتها." (المصدر نفسه، ١: ٢٣٧.) فهذه العبارة صريحة في أن تعلم التشريع عند الصحابة إنما كان بناء على صحبة الرسول. والله أعلم.

فصل

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى . أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى. إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى. المراد من الإنسان البعض. قضية جملة مهملة. وإذا كان هذا البعض حصل لهم حكم في عامة الناس ينعقد اجتماع فاسد فيفر الحكيم يشتبه عليه الأمر هو يحكم بأن الإنسان بفطرته لايدرك الحق وإلا كيف يتفق هذه الجماعة على الباطل هو لايعرف أن الناس ما كان لهم حرية في التفكر لأن بعض حاجاتهم كان متعلقًا بهذا الرئيس، فهم يرضون رئيسهم، لا لأنهم يعرفونه على الحق بل بعض الحاجات الاقتصادية لا الاتفاقية؛ لايقدرون على تحصيلها إلا بتقليده وإرضائه، ولذلك دائمًا الحكماء إذا قاموا على إصلاح فساد المجتمع إنما يقتلون رؤساء المجتمع فقط لا العامة.

في مكة المعظمة في ابتداء البعث كان في الطائفة العالية من قريش طائفة منهم تنصروا، طائفة منهم رجعوا بعد تنصرهم إلى الحنفية؛ يعني ما قدروا على معرفته من دين إبراهيم وإسماعيل، والكثيرة من الطبقة العالية كانوا يحبّون المشي على طريقة آبائهم في تحصيل المعاش بسدانة البيت وبالتجارة وعدم مخالفة الناس في ديانتهم منهم من كان يحب أن يتقدم بتلك الطريقة على أقوام العالم، ومنهم من كان راضيًا على هذه الحرية الناقصة التي حصلت لهم في بلادهم كانت رياسة عامة الأمور راجعة إلى هذه الطائفة التي تتبع طريقة آبائهم ولايريد التقدم على الناس بل يعيشون على تلك الحالة المستمرة فيهم من آبائهم.

فصل

طائفة منهم، وهم الذين تنصروا، كانوا يحبون أن يطيعوا قيصر ويدخلوا بلادهم تحت إمبراطوريته، وبذلك يحصل لهم ارتقاء، وطائفة منهم كانت تحب المجوسية والصائبية لأنهم تعوّدوا الوثنية وكانت لهم موافقة في بعض الآراء، وهذا الأمر إنما نشأ في مكة المعظمة لأن ...[١] كانوا متعلقين بهاتين الإمبراطورتين، وكان مغالبة إحدهما على الأخرى والتنافس ساريًا في مراكز الدولتين، وكل دولة بواسطة حلفائه من العرب كانت تحب أن يحصل لهم اقتدار في الحجاز مركز العرب ليتمكنوا من تحصيل الجنود وللذي كان بعض حكومة في اليمن أيضًا، فمن تلك الطريق أيضًا كانت الدعاية تؤثر في مكة، وأصحاب الفيل كانوا مركز الدعاية القيصرية من اليمن إلى الحجاز. بالجملة الحجاز من الجانبين من الشمال والجنوب كان تحت دعاية الدولتين: المتنصرون يميلون إلى القيصر والوثنيون عامتهم يميلون إلى الفارس. تعرفون قصة غلبة الفرس على الروم. وفي تلك الواقعة إشارة إلى هذا. وفي وسط الطائفتين كانت جميعة الحنفاء هي تحب أن تقوم على نفسها، وكانت لهم اجتماعات صغيرة. والهمم العالية عندي تفرس

١- هناك بياض في الأصل، ولعلّ لفظ"أهل مكة" يمكن أي يسد هذه الثغرة فتكون العبارة: لأن أهل مكة كانوا الخ.

فقط. إن بيت نبيناﷺيعني بيت عبدالمطلب كان بطبيعتها يميل إلى الحنفاء، وبسبب حاجاتهم الارتفاقية كان لايقدر على مخالفة الوثنيين لأنهم كانوا يرجون أن يتولد فيهم المولود الذي وعد به الأنبياء.

فصل

النبي ﷺ كان يخلد بغار حراء محل اجتماع الحنفاء فجاءه الحق وذكر لأهل بيته أولا فاستبشروا، وهو في أول أمره ما أمر بشريعة، لكن قد كان يتبع سنة الحنفاء، وإذا راجعتم **حجة الله البالغة** في باب ما كان عليه الناس قبل البعث[1] لرأيتم أن الحنفاء كانوا يعرفون جميع الشرائع التي أتى بها النبي لكن لا بالاجتماع، والنبي أيضًا كان يتبع طريقهم، وأول شيء يعبدون به من الأعمال ذكر الله ونفي شركة معه، وكانت في اللسان العربي كلمة لا إله إلا الله عنوانًا لذلك، لكن ذكرهم لم يكن مثل ما نتصوره نحن باللسان فقط، بل كان في ضمن ذلك التفكر في منبع الملل كلها. كل ملة يقوم بناؤها على أساس. مثلًا تعرف من اليهودية أنهم يقدمون موسى على جميع البشر، وما أدخله الأحبار والرهبان من البدعات، وعامة اليهود قبلوه وهي غير مناسبة لمسئلة العالمين، هم ليسوا يجوزون ترك كل شيء منها، بل يحكمون اليهودية هذه على جميع الناس كأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فإلزام الشرك للوثنية خاصةً ليس له معنى الوثنية لاتختلف عنهم إلا بخلق الصور. أما المعنى في كلتا الحالتين سواء بسواء، وهكذا حال النصرانية والمجوسية. النصرانية يقيسونها على اليهودية لأنها فرع منها، والمجوسية يقيسونها على حال قريش ووثنيتهم في اطمينان خاطرهم على اختيار ملة من هذه الملل. هذا معنى لا إله إلا الله عندهم فإذا قالوا لا إله إلا الله فكأنهم قاموا لمخاصمة الملل، وعندهم جزم يفوزهم بالمقصد لأنهم تركوا الباطل كله وإن كان منسوبًا إلى رجال كبار، فإذا رؤوا مقصدهم العالي وهمتهم نافذة مصممة، ورؤوا ضعفهم وعدم تمكنهم في الاجتماع حصلت لهم كيفية لطيفة تلجئهم إلى الاعتماد على الله في كل حال، وتؤثر ذلك في قلوبهم وإرادتهم وجوارحهم، فإذا تأثروا بذلك تاما، يذكرون محامد الرب باللسان ويسجدون له بالأبدان. هذه الحالة تسمى عند الحنفاء بالصلوة. كلمة الصلوة مأخوذة من صلى معناه شيء لزم شيئًا لصق به مثل النار لزمت حطبًا، فإذا تنورت قلوب الحنفاء بالتفكر في معنى لا إله إلا الله يعني الرد على جميع المبطلين، وجزم الفوز عليهم بإعانة الرب وحده والتذوا بذلك، ولزمت تلك الحالة نفوسهم

---

[1]- لايوجد في **حجة الله البالغة** باب بهذا الاسم، إلا أنه يوجد هناك باب باسم "باب بيان ما كان عليه حال أهل الجاهلية فأصلحه النبيﷺ"، فيه يقول الشاه ولي الله : إن كنت تريد النظر في معاني شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحقق أولا حال الأميين الذين بعث فيهم التي هي مادة تشريعه، وثانيا: كيفية إصلاحه لها بالمقاصد المذكورة في باب التشريع والتيسير وأحكام الملة، فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم بعث بالملة الحنيفية الإسماعيلية لإقامة عوجها وإزالة تحريفها وإشاعة نورها، وذلك قوله تعالى:{ملة أبيكم إبراهيم} .ولما كان الأمر على ذلك وجب أن تكون أصول تلك الملة مسلمة، وسنتها مقررة إذ النبي إذا بعث إلى قوم فيهم بقية سنة راشدة، فلا معنى لتغييرها وتبديلها، بل الواجب تقريرها، لأنه أطوع لنفوسهم وأثبت عند الاحتجاج عليهم. (الشاه ولي الله، **حجة الله البالغة**، ١: ٢١٨.)

ظاهرًا وباطنًا سموها بالصلوة، فالنبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره كان يتبع الحنفاء، وكان يصلي عند البيت؛ أولا يذكر محامد الرب بما أنعم على إبراهيم و إسماعيل و إسحاق ثم يسجد لله وحده لاشريك له، ولعله كان يركع أيضًا، فهذا العمل كان أساس الملة الجديدة المسلمة التي تريد الحنفاء أن تغلب على جميع الأديان.

فصل

من أمراء قريش وساداتهم الذين بأيديهم الأمور الارتفاقية والقضاء في الخصومات لأهل تلك الأودية، هو رجل من بني مخزوم، فيه محاسن الأشراف التي توجد في عامة الناس،[١] لكن فكره أن يتبع طريقة آبائه من الوثنية والشرك والعادات المخربة للأخلاق، وإن كانت ناشئة منهم فلا يغيرها حفظًا لمنصب الرياسة، وتلك الرياسة تكون تحت قاعدة تكون تلك القاعدة ملجأ للمظلومين والمساكين يحتجون بها على من ظلم لم تكن كذلك، بل الرئيس مستبد في فكره. لما كان الناس في مجتمع واحد ما نشأ فيهم أحزاب، فكان عمله في ذلك الزمن لا بأس به، لكن لما قامت أحزاب مختلفة، وكانت منهم دعايات لرد الآخرين هو يحافظ على رياسة حزبه يستبد بذلك، فإن كان رجل من حزبه ظلم رجلًا لاينسب إلى حزبه، فهو يجوز أن يكون هو يأكل حقه لاسيما إذا كان مسكينًا ثم المساكين التي في حزبه لم يكون وداد إلى المظلوم فهو يظلمهم أيضًا، ولا يجوز لهم أن يقولوا بكلمة. هذا الأمر يسميه القرآن بالطغيان، وهذا الطغيان لازم للاستغناء إذا رأى نفسه مستغنيًا وإن لم يكن في الواقع مستغنيًا ويكون له الرياسة، فهو لايراعي قاعدة العدل ولايخاف من جهة المظلومين بوجه، فإنه ينسى الرب الذي خلق المساكين، وكل رجل يقوم باسم الرب على خلافه يشتد غضبه عليه. إذا تكامل هذا يسمى بالطغيان، وهذا الرجل الذي كان من بني مخزوم[٢] يحكي الله عنه بلفظ عمومي كلا معناه الإنسان لايمشي دائمًا على جبلته، بل يكون منهم رؤساء يأخذون بحق المساكين إذا رأوا أنهم مستغنون عن هؤلاء كلمة أن نترجمه الحق. الحق هذا معنى أن الحق هذا. **إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى** الحكام والمساكين كلهم مرجعهم إلى الله. الحكام يسئلون والمظلومون لهم حق الدعوى لايكون القضاء من الله إلا قضاء العدل فقط، وبالعدل يقوم هذا الاجتماع إذا اجتمعت على الإصرار بخلاف هذا العدل يهلكهم الله، ثم إن إلى ربك الرجعى. والطغيان يظهر إذا قام رجل بخلافه، فهذا الرجل رأى أن النبي يدعوا إلى الحنيفية وعبادة الله وحده لاشريك له، ويثبت عند الناس أن الله يحكم بالعدل وإنما يحب المتقين الذين يحكمون بالعدل لايحب

١- في الأصل لفظ "موجودة"، وهو غير ضروري.

٢- المراد به أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي الكناني، كما ذكر المفسرون في مناسبة نزول هذه الآيات.

الظالمين، فلما سمع أنه يدعو في صلاته إلى هذا وإن كان الأمر عموميًا لا تخصيص لهذا الرجل الظالم للرد عليه، فهو يمنع النبي ﷺ أن يصلي.

الَّذِي يَنْهَى هو رئيس بني مخزوم **عَبْدًا إِذَا صَلَّى** عبد واحد من عباد الله لادعوى له لنفسه شيئًا من مقام الرياسة، فالنزاع والخصام إنما يرجع إلى أن هذا البيت فيه حق لعباد الله أن يصلوا فيه لله أم لا؟ قريش في اكتناه حقيقتهم يعرفون أن شرفهم ليس إلا بخدمة هذا البيت وخدمة هذا البيت معناه تسهيل الطريق لمن يعبد ربه فيه. هذا مبنى شرفهم يعرفه صغيرهم وكبيرهم ذكر هم وأنثاهم حرهم وعبدهم؛ أفلا يستحيي أن يمنع عن ذلك **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى** كيف يكون بعد ذلك حق التقدم لقريش تتنزل عن ذلك الأمر العمومي الذي يمنعه ما يفعل، هل يأتي بشيء منكر؟ لا يأتي بالمنكر بالمرة.

الهداية الواضحة البينة في قريش وفي هذه البلدة المباركة هي سيرة إبراهيم وإسماعيل، فهو لايدعو إلا إلى ذلك لايذكر محمد الرب إلا بأنه أنعم على إبراهيم بكذا وكذا، فهو على الهدى فإن خالفه هذا الرئيس أليس يكون هو على الضلال.

جملة معترضة

كل مفسر أراد أن يفسر كتاب الله، فما اجتمع من العقائد الإسلامية في قلبه من عقائد الأشاعرة أو الماتريدية أو الحنابلة أو المعتزلة أو الشيعة، يجعل تلك العقائد تفسيرًا[١]، ويجزم أن النبي كان على هذا، فمن أنكر علينا عقائدنا، فهو أبو جهل. القرآن العظيم لا يسمي شيئًا من العقائد بالهدى إلا إذا كان معروفًا عند المخاطبين كونه على الهدى. كل فكر صحيح يكون فيه مرتقى للإنسانية، اهتدى إليه المدققون من المحققين، فلا يسمى بلسان القرآن هدى إلا إذا صار معروفًا يعرفه عامة الناس بعلومهم المخلوقة في جبلتهم أنه الحق، فلذلك فسرنا نحن الهدى بدعوة النبي ﷺ إلى اتباع طريقة إبراهيم. هذا لايغفله أحد لا قريش ولا أهل الحجاز، والنبي إن كان يزيد على بيان مناقب إبراهيم وإسماعيل، فهي يوصي الناس أن يتبعوا العدل والإحسان في معاملتهم العمومية لايتعرض بتعريض ما إلى رجل منهم، بل يعرف أن حب التقدم في صناديد قريش إنما يسهل لهم بتيسير الله إذا التزموا على أنفسهم ترك الظلم وإقامة العدل، بل الإحسان إلى المساكين فهو يريد الخير لقريش، وهذا لا يخالفه أحد منهم، لأنهم اجتمعوا قبل ذلك بأيام في حلف الفضول أن ينفي الظلم من هذا الوادي المبارك، وهذا أيضًا معروف عندهم. هذا معنى قوله أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى وجدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني فسر التقوى بالعمل بقوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**.[٢] وإني ما اهتديت إلى معنى التقوى إلا من ذلك اليوم، وأحب أن أذكر الشيخ قضاء بما عليّ من الشكر لأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ونشكر الله على الهداية

---

[١]- في المخطوط وقع لفظ "تفسير" بدون الألف، والصواب بها، لكونه مفعولا ثانيا لجعل.

[٢]- النحل ١٦: ٩٠.

والشيخ واسطة في ذلك. انتهى بهذه الآية بيان أحد المخاصمين، والمخاصم الآخر حاله مبينة في قوله:**أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** أي كذب ما تفضل الله به على إبراهيم وإسماعيل، بل يحب نفسه بطبيعته المعوجة كأنه أحسن مالا منهم ونوى عن اتباع العدل والإحسان بدعوى أن الرياسة لاتقوم إلا باتباع الرئيس ثم بيان حال هذا **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى** هذا المسجد يسمونه بيت الله، وكان مقرًرا عندهم إذا لم يتمكنوا من فصل خصوماتهم بواسطة رؤسائهم يأتون إلى هذا المسجد وكل يذكر دعواه، ويرجون أن الله يقضي بينهم بالحق، ثم ما ظهر يحسبونه حكم الله، ولذلك ارتسخ في أذهانهم تسمية هذا البيت بيت الله. إن قلنا بيت حكم الله لابأس في ذلك، فهذا الرجل الذي جعل رئيس قوم يخاصم رجلًا من أكفائه، لأن بيت عبد المطلب إن لم يكن رئيسًا، فليس أيضًا ما يحدث في بيوتهم يقضونه بأنفسهم لايحتاجون إلى المرافقةإلى رئيس قوم، فكان يستحق أن يفوض الأمر إلى الله ولايتجبر في منعه عن الصلاة، هذا معنى قوله **أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى**.

جملة معترضة

تقرر عند المفسرين عامة من كان على حالة يعلم أن الله يرى هو يكون من المسلمين، فلا يقدرون على ربط هذه الآية مع الآيات السابقة، وإذًا أشكل عليهم الربط فهم لايحسون ولايجدون أنفسهم جهدًا، بل أسسوا أصولًا أن آيات القرآن غير مرتبطة وهم لايتوجهون إلى هذا المقام الخاص، ومقتضاه إذا رفعت القضية إلى المسجد الحرام فكان الناس في الجاهلية مع ابتلائهم بالشرك والفسق لايشكون أن الأمر في هذه القضية إلى الله. **كَلَّا** هذا النزاع والخصومة التي حدثت بسبب الصلاة في المسجد الحرام لايجوز فيها مصالحة المخاطبين، بل أمره إلى الله، هو يقضي بينهم بالحق، هذا معنى **كَلَّا**.ليس نجاة هذا الرجل الجاني إلا بأن يتوب وينتهي عن هذا الفعل المنكر **لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ** خاصة نجازيه جزاء المجرمين، ووقع هذا في بدر. هذه بينة عظيمة واضحة على صدق دعوة القرآن من أول الأمر حدث نزاع فوّضناه إلى الله، وألهم الله بأنه يجازيه بكذا وكذا، ولايمكن لبشر أن يتصور في تلك الحالة أن هذا الرجل يمكن مجازاته بتلك الطريقة يصح تصديقه بعد أربعة عشرة من السنين، بل يمكن لبشر أن يجري سيرًا لحوادث في تلك المدة الطويلة على حب مراده وتنتهي إلى تلك النتيجة بالألفاظ التي ألهم بها لا بالتأويل، وكل رجل إذا تفكر يتيقن أن هذا ليس إلا من الله. **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** هذا قضاء من الله أنه لايتوب ولاينتهي، بل يجمع قوته لمحو تلك الطريقة طريقة الصلاة، صلاة الحنفاء في المسجد الحرام، والله سبحانه يجمع له رجالًا لا من الملوك والأمراء بل من الفلاحين والحراثين الذين نحن نجمع هؤلاء وهم يلقونه في القليب قليب بدر، هؤلاء كانوا هم الشبان من

الأنصار الذين قتلوا أبا جهل، وقد تحسر في آخر حياته لو غير أكّار[١] قتلني لأنه تعرف أن هذا تصديق الآيات القرآنية. أما قتله فما كان عنده كثير شيء بل قال هل فوق رجل قتله قومه هذا قتله لايجد فيه إهانة لنفسه، لكن قتله على يد أكّار ملأ دماغه بالندامة وعرف صدق وعد الله كلا المصالحة مع هؤلاء المرَدَة الظالمين المتكبرين لادخل في ذلك لرحمة الله تعالى. الناس إذا سمعوا أن هذه دعوة من الله يظن الجهال كل ما فعلنا فعلا يغفر لنا. ليس هذا الظن صحيحًا. رحمة الله قريب من المحسنين. أما هؤلاء الطاغون فلا يستحقون إلا التعذيب والتنكيل فإنه لو رحم الله هؤلاء مع ظلمهم فلا ينسب المساكين الظلم إلى الله، وما ربك بظلام للعبيد، لو أراد أحد أن يرحم الله لزم عليه أن يترك المنازعة لأهل الحق. أما مع إصراره وتكبره على ذلك فـ**كَلَّا لَا تُطِعْهُ** النبي كان رؤوفًا رحيمًا، لو كان له مجال الصلح مع أحد من المخالفين لبادروا إلى ذلك، ويعرف ذلك في معاملته مع عبد الله ابن أبي رئيس المنافقين، فنبه النبي ﷺ أن فكر المصالحة مع هؤلاء إطاعة لهم في فكرهم الباطل، لأن الرجل إذا كان صاحب قوة والمخاصم له لاقوة له مثله وأراد المخاصم أن يصطلح مع القوي فلا يعرف الإنسانية تلك المعاملة مصالحة، بل كلهم يجزم أن الضعيف أطاع القوي، فلذلك لايجوز فكر المسلمين المصالحة قبل تمكنهم في القوة مثلهم، فكان باب المخاصمة مفتوحًا من أول نزول القرآن. **وَاسْجُدْ** داوم على صلاتك عند البيت الحرام الذي يغيظ هذا الطاعن. ترك أسباب المخاصمة مع المبطلين غير مرضي عند الله **وَاقْتَرِبْ** تحصل لك درجة المقربين. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فاطلب القرب من الله بسبقك بالخصام والجدال والقتال مع المبطلين المتمردين، وكل من يتبعك يكون أجره على الله لك فتزيد قربتك عند الله منزلة عظيمة.

---

[١]- الأكار هو الزراع والفلاح، وقريش كانت لهم مكانة في الشعب فكانوا يحتقرون شتى المهن اليدوية، وكان أبو جهل من أشرافهم وكان يتخيل أنه من نخبة قريش وأرقى من الباقين. يقول ابن الملقن: "وفي **مسلم**: لو غير أكَّار قتلني، يعرض بابني عفراء؛ لأنهما من الأنصار أصحاب الزرع والنخل، يعني: لو كان قاتلي غير فلّاح، وهو الأكّار، كان أحب إليَّ وأعظم لشأني، ولم يكن على نقص." (ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح** (دمشق: دار النوادر، ٢٠٠٨ء)، ١٨: ٥٢٣.

٢-١

سورة الفاتحة

اس میں بین الاقوامی پروگرام ہے

[١]بسم الله الرحمان الرحيم

اعلم أن الله تعالى خلق كل شيء، وعين له لوازم وخواص، وهي لاتنفك عنه بإيجاب الله تعالى، فهي واجبة بالغير، أي بجعلها تعالى لازمة له في علمه، فلا يمكن انفكاكها عنه، وإن كل شيء فيه وجود خير محض لاشر في ذاته أصلا إلا بالإضافة إلى الغير. إذا علمت هذا فاعلم أن معنى "**الْحَمْدُ لله**" أن أفعاله تعالى كلها حسن، وهو قابل الحمد على كل فعل، **رَبِّ الْعَالَمِينَ** أي رب الأقوام، لأن في هذه السورة پروگرام بين الاقوامی.اعلم أن الأنبياء السابقة أيضًا أوتوا پروگرام بين الاقوامی كما قال في إبراهيم: "**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**" وهكذا أعطى موسى عليه السلام هذا پروگرام، وكذا عيسى عليه السلام، كما يدل عليه حديث البخاري، مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجرا الحديث[٢]، لأنه يدل على أن اليهود والنصارى والمسلمين سلم إليهم عمل واحد مثل رجل استأجر أجرا لعمل واحد مثل لبناء دار واحد.

إن قيل يلزم على هذا عموم بعثة الأنبياء السابقة هو خلاف المشهور من أنه خصوصية النبي عليه السلام. الجواب أن الخصوصية في الفوز لا في البعثة. لم يفز موسى لعدم أهلية بني إسرائيل (***یعنی ان کو شاگردنالائق ملے، ورنہ وہ کامیاب ہوجاتے۔***) [٣]وهذا مثل قوله "**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**" والحال أن هداية القرآن عامة، والفوز في هذا مخصوص بالنبي ﷺ كما أخبر الله تعالى في قوله: "**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**" وقع تكميله في زمن عثمان كما صرح به الشاه[شاه كذا] ولي الله الدهلوي في **إزالة الخفاء**، ورد قول من قال وقع تكميله في حياة النبي عليه السلام لأنه قال سبعة أقوام

١- في هذه السورة برنامج عالمي.

٢- هكذا في أصل المخطوط، والنص في **صحيح البخاري** ما أخرجه عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم: " مثل المسلمين واليهود والنصارى، كمثل رجل استأجر قوما، يعملون له عملا إلى الليل، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك، فاستأجر آخرين، فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالوا: لك ما عملنا، فاستأجر قوما، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين ".(محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب (القاهرة: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ)، رقم: ٥٥٨.

٣- يعني أنه وجد التلامذة غير صالحين إلا أنه أصلح.

في العالم: [١]چين(الصينيون)، [٢]هند(الهندوس) ، [٣]ايران(الإيرانيون)،[٤] ترک(الأتراك)، [٥]عرب(العرب)،[٦] يورپ(الأوروبيون)،[٧] حبش(أهل الحبشة)، وهذه الأقوام عظيمة في الدنيا، غلبة الإسلام عليها غلبته على الأديان كلها، وهو وقع في زمن عثمان(١). وقال الشاه [شاه كذا] رفيع الدين(٢) في **تكميل الأذهان** وهذه الأقوام السبعة هي المراد في قوله تعالى: "**وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**" أي بعض الأرض هذه الأقوام السبعة.فغلبة الإسلام عليها، غلبته على الأديان كلها، لأن الأقوام الصغيرة التي هي ما سوى هذه السبعة في زمن عثمان.

فائدة: لما كان في سورة الفاتحة پروگرام بين الاقوامی(٣) فسر قوله **رب العالمين** برب الأقوام كما في قوله تعالى: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ(٤) في حق بني إسرائيل لأنه بمعنى فضلناهم على أقوام العالمين، وما ذكره المفسرون هو أيضًا صحيح. **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ، هو تتمة رب العالمين. أول ما يحتاج إليه الإنسان هو المربي الذي يقضي حاجاته، وهو الوالدان.

اعلم أن الله تعالى قسم الرحمة على مائة، وقسم الواحد من المائة على الخلق كله، وبه يربي كل حيوان أولاده، وأخذ الإنسان أيضًا حصته، وأبقى تسعة وتسعين حصة عنده، فعليك أن تضرب عدد الواحد بعد التقسيم على أهل الدنيا في المائة، وحاصل الضرب هو مجموع رحمة الله التي نزلت على العرش للشخص الأبر، قسمت الواحدة في الدنيا، وبقيت تسعة وتسعين [تسعون كذا] ليوم القيامة.

"**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**" لابد للإنسان من تسليم جزاء أعماله، لأنه لايمكن انفكاكه وإن أمكن تأخيره، لأن من خواص الإنسان الذي جعلها الله تعالى خواصًا له، هو جزاء أعماله، فلا يمكن التبديل في هذا القانون، تأخيره أيضًا لايتجاوز من يوم القيامة، فجزاء أعمال الإنسان إن لم يحصل في الدنيا، يحصل في يوم الدين لامحالة، فهو مالك يوم الدين، يعني يجزي يوم الدين الذي لايمكن خلافه، فهذا التصور والفكر في الله تعالى ضروري لكل إنسان.

قد تم الفكر بذات الله تعالى إلى قوله "**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**" ، وحاصله ثلاثة أمور: [١]كونه محبوبًا دل عليه **الله** أي هو إله، وهو المحبوب، [٢]كونه مربيًا دل عليه "**رَبِّ الْعَالَمِينَ**" و "**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**" تتمة،

١- قد تكلم الشاه ولي الله على تفسير آية إظهار الدين في كتابه **إزالة الخفاء**. ليراجع: الشاه ولي الله الدهلوي، **إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**، ت: تقي الدين الندوي (دمشق: دار القلم، ٢٠١٣ء)، ١: ٢١٣.

٢- هو الشيخ رفيع الدين عبد الوهاب بن ولي الدهلوي ولد بمدينة دهلي ونشأ بها وأخذ في العلم على أخيه عبد العزيزوأخذ الطريقة عن الشيخ عاشق البهلتي واعترف بفضله علماء الآفاق.(لينظر لترجمته: الحسني ، **نزهة الخواطر**، ٧: ٩٧٤.

٣- برنامج عالمي.

٤- الجاثية: ١٦.

و[٣] كونه سلطانًا أعظم في السلاطين كلها، وهذه الثلاثة هي المذكورة في قوله: "**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ**"، وإذا رسخ هذا الفكر في قلب إنسان بذات الله تعالى، يخاطبه ويقول: لما علمت أنك كذلك "**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**"، ولانعبد غيرك وإن قُتلنا، لكن الطاغين يسدّوننا عن هذا الفكر وعبادتك، "**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**" في مقابلتهم من لانطيعهم في هذا.

اعلم أن الفكر المذكور بذات الله تعالى يعرض عند أهل الدنيا كلهم وينجح حتى يسلموه، لكن هذا الأمر مشكل، لابد له من طريق الإفهام (أي دستور العمل) نفهم به كل فريق حسب مزاجه، وتجويز هذا الطريق ليس بسهل، فنقول "**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**" لإفهام هذا الفكر لأهل الدنيا، ولابد بعد الطريق من المجتمع (أي سوسائٹی) الموافق لنا في هذا الفكر للفوز في هذا الأمر، وإلا انكدر عيشنا في الدنيا (*کیوں کہ جس خیال کے ہم خیال نہ ہوں، وہ بہت ہی پریشان رہتا ہے اور جس کو بیوی وغیرہ ہم خیال مل جائیں، وہ عیش سے زندگی بسر کرتا ہے۔*)[1] فلذا نطلب منك "**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**"، هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون. في النبي تكون قوّتان: [١] قوة الفعل و[٢] قوة الانفعال، والمنفعل من النبي في العلم هو الصديق، والمنفعل من الصديق هو الصالح، والنبي نفسه يكون شهيدًا، لأن المراد بالشهيد هو من يكون فيه قوة العمل على الغاية، لايرجع وإن قتل، فالذي حصل فيه قوة الفعل من النبي مثل النبي فهو الشهيد وإن لم يقتل، فالصديق بعد النبي يكون مجددًا، والصالح هو يكون شهيدًا إذا كان في غاية القوة، فمن يكون تحت الصالح فهو ليس بشيء، وهو لايخلو إما أن يكون فيه قوة العلم مع عدم قوة العمل، فهو المغضوب عليه، وإما أن لايكون فيه قوة العلم، فهو الضال، وهذا هو المراد بقوله: "**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**". أي اجعل لنا المجتمع (*سوسائٹی*) المشتمل على هذه الأركان الأربعة. وفي الحديث أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى، لأن اليهود أنكرت مع العلم، والنصارى بسبب الجهل، لكن كون اليهود مغضوبًا عليهم وكون النصارى ضالين باعتبار الاجتماع القومي يعني باعتبار الحجاز فقط، وكانت النصارى في الحجاز قليلة، ولم يعرفوا النبي عليه السلام بخلاف اليهود، وأما باعتبار الاجتماع بين الاقوامى، فالمغضوب عليه قيصر، والضال هو كسرى. (٢)

---

[1]- يعني إذا لم يكن أفر اد يوافقون أمرًا عند أحد، فهذا الأمر يشق عليه ومن وجد مثل المرأةوالموافقين الآخرين، فإنه يعيش عيشًا هنيئاً.

[2]- كِسْرَى هو عظيم الفرس، وقَيْصَر هو عظيم الروم. وقد وردت الأخبار في كتب الحديث عن هلاك قيصر وكسرى.

٢-٢

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

العالمين الأقوام الإنسانية. إني فضلتكم على أقوام عصركم، ويأتي للعالم معنى غير ذلك أيضًا يطلق على كل ما سوى الله ويطلق على جنس جنس من المخلوقات. عامة أهل العلم يحبون أن يأخذوا المعنى العمومي[١] الكائنات كلها؛ لأن حمد ربنا بالكمالات التي ظهرت في المخلوقات كلها يكون أكمل ونحن نرجح أن يكون المراد منه الأقوام فقط؛ لأن تلك السورة خلاصة القرآن العظيم والقرآن العظيم وحي على خاتم النبيين، وموضوع النبوة ليس إلا الاجتماعية الإنسانية فكل شيء يتعلق بالإنسانية من السماء والأرض والجن والملائكة والجنة والنار يأتي ذكره بالتبع. المقصد ليس إلا تكميل الاجتماعية الإنسانية. هذا مقصد عمومي لجميع النبوات، ونبوة خاتم النبيين مقصدها تكميل حركة جميع الأقوام كلها تحت نظام الفطرة التي يقتضيها الإنسانية، فإذا كان موضوع القرآن الاجتماعية الإنسانية بالنظر إلى جمعية الأقوام، فالسورة التي تشير إلى مقاصد القرآن بالإجمال إذا استعمل فيها لفظ العالمين، يكون معناه الأقوام. سورة اقرأ نزلت في ابتداء القرآن وكان المراد منها افتتاح الدرجة الأولى من البعثة النبوية التي مرجعها إصلاح قريش ومن والاها فذكر في ابتدائها. **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** لأن القوم لايعرفه الأجل إلا بانشعاب تعلقاته الطبيعية إليه سلسلة آبائه وسلسلة أمهاته، لو تتبع إلى آخر ما يحفظها، لوجد أكثر أفراد الأقوام من عائلته، كما كان مدار المعرفة بالقوم هو نفس الإنسان. افتتح الله تلك السورة. **باسم ربك** والدرجة الثانية من البعثة النبوية هي درجة اجتماع الأقوام كلها تحت ملة إبراهيم الحنيفية فافتتح الله في سورة الفاتحة برب العالمين.

السورة التي تشير إلى البعثة الثانية جعلت في مقدمة المصحف والسورة التي إلى بعثة قومية، جعلت في آخر المصحف إشارة إلى أن المقصد الأصلي من البعثة النبوية هي الدرجة الثانية والدرجة الأولى لتكميل الدرجة الثانية فقط. وعنوان الإسلام ينبغي أن يكون أنه حركة عالمية لا أنه حركة عربية وإن كانت الحركة العربية من مبادئ الحركة العالمية. عامة المؤرخين يجعلون دورة العالمية في العالم ابتدائها من زمن الإسكندر[٢] أو رجال مثل ذلك تقدموا على عصره قليلًا، لكن التحقيق عندنا مبدأ تلك الحركة إبراهيم عليه السلام. الله جعله للناس إمامًا. وأولاده كانوا يسعون لتوسيع هذه الإمامة وإدخال الأمم في دينه، فهذه حركة عالمية، ثم بعض الناس يفرقون بين حركة دينية وحركة سياسية ويعدون الحركة

---

[١]- في ن إ: ... الحمد من الكائنات كلها، وفي ن م: المعنى العمومي الكائنات، فاخترت ما في هذه النسخة فإنه يظهر ملائمًا للسياق.

[٢]- في ن م أضيف لفظ: المقدوني.

الدينية حركة خيالية، والحركة السياسية يعدونها مبنية على الحقائق، فهم إذا سمعوا أن إبراهيم مؤسس حركة عالمية لايلتفتون إليها لأنه هذه هي حركة دينية عندهم، وهذا التفريق الذي حدث في ذهنية العصر، ليس مبنيًا على أساس صحيح. أغلاط الطرفين المتدينين والسياسين جعلت الأمر مشكلًا. الإنسانية من ابتدائها إلى انتهائها شيء واحد لايمكن تقسيمها، فالحركة الاجتماعية الإنسانية إن سميتموها دينية أو سياسية لايتنوع بذلك إلى نوعين إذا كان مطمح النظر في الحركتين حقيقة الإنسانية. أما إذا رجع الدينيون إلى تخيلات وأعمال غير محققة في الإنسانية أو رجع السياسيون إلى تحصيل الأمور المعاشية للإنسان فقط وأعرضوا عن النظر في الارتقاء الذهني، فتلك اختلافات اصطلاحية راجعة إلى تنازع الجماعتين، ونحن لانتوجه إلى هؤلاء الذين لايتوجهون إلى الإنسانية تمامًا. إنما غرضهم البحث عن بعض الأطراف الإنسانية، فالدين الصحيح الذي إمامه إبراهيم عليه السلام يبحث عن الفطرة الإنسانية تمامها، فهو حركة دينية وحركة سياسية فهو كلها.

بعض الملوك يقتصرون على تحصيل الملك لهم فقط، بعض المعلمين يقتصرون على إصلاح ذهنية فقط، فهؤلاء أعمالهم مبادئ لتكميل الإنسانية لاتعارض بينهما. نوضحه بمثال رجل علمي يرى علمه نافعًا للإنسانية فيعلم من قدر عليه، ولجمعهم جماعة[١] ليستعينوا باجتماعهم، فإن أراد هو أن لايفسد عمله رجل لايعرف طريقه بالقوة، فلايجب عليه أن يهيئ قوة المدافعة، فالملك يصير لازمًا للعلم. هذا معنى قولنا إن الإنسانية لاينقسم، فإن اشتغلت جماعة بخدمة حصة من منافع الإنسانية ولاينكرون أن يكونوا جزءًا من الجامعة الإنسانية، فهؤلاء لاينكر عليهم من فعلهم شيء. فائمة الأديان هم أئمة الجامعة[٢] والذين يتعرضون لنبذ المنافع. إن كانوا لايتحاشون عن جماعة الإنسانية، فهم أدنى في المرتبة من أئمة الجامعة.

حاصل كلامنا أن أئمة الأديان حقيقة هم أئمة الاجتماعية الإنسانية والسياسيون والفلسفيون إذا قرروا على أنفسهم أنهم يكونون تحتهم أجزاء من جامعتهم فهم في الدرجة الثانية منهم عندنا. إذا كان رجل يعرف معنى الدين ويعرف الاجتماعية الإنسانية ويعرف خدام الإنسانية من أهل السياسية والفلسفة لايجعل أئمة الاجتماعية الإنسانية إلا أئمة الدين، فلما كانت الحركة الجامعة للأقوام التي ابتدأت من إبراهيم، القرآن يريد أن يكملها ويتمها. كان افتتاح الأول سورة من القرآن يذكر صفة رب العالمين لله أولى. الإنسان يعرف ربه الإله، فإذا شرع في الحركة الاجتماعية فليعرفه برب العلمين، هو رب كل إنسان وهو رب العلمين. رب واحد يختلف ذكر الصفات حسب مناسبة العلوم.

١- لفظ "جماعة" في ن م.

٢- في ن م: أئمة المانعية، ولا معنى لذلك، وهو من خطأ الناسخ، فإن المطلوب أن أئمة الدين هم أئمة الاجتماعية الإنسانية كما يتضح مما يأتي.

"**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**" معناه النظام العالمي القائم بين الأقوام الذي أقامه الله رب العلمين قابل للحمد لايوجد فيه نقص، فالنظام الذي أوجده الله في الأقوام وجعله فطرة للإنسان، يخيل نظامًا أحسن منه فقط، فليجمع رجل كل قوته في فهمه وفي إقامته على الفطرة وعدم تغييره الفطرة، وهذا لازم لمن تخيل نظامًا أحسن من هذا النظام. هو يجتهد لإقامة النظام الذي أحبه، فيصير هذا النظام الفطري، فتلك الآية تمنعنا عن التقدم على ذلك. قال بعض الحكماء ليس في الإمكان أبدع مما كان، فكان هذا كمال حكمة وفهم الفطرة التي فطر الناس عليها، لكن رأينا أناسًا ما قدروا على فهم كلام ذلك الحكم؛ لأنهم إنما حصلوا إنشاء التخيل لايعرفون شيئًا من الحكمة، ويقدرون على أن يصوروا للناس عالمًا أحسن من هذا العالم، فلو كان عندهم قدرة الإيجاد، وشرعوا في تمكين ما تخيلوا، ظهر بطلان تخيلهم في أول خطوة، والإنسان يتعجب إذا كان هؤلاء يعدون من أكابر علماء الإسلام. المراد من ذلك الحكيم عندنا الإمام الغزالي والمعارض له القاضي عياض، فنريد أن نوضح منبع الاختلاف. الكائنات العالمية لاينتهي إبتدائها ولا انتهائها كما ينتهي صفات الله الموجبة للكائنات، وإلا لزم تعطل الصفات عن التأثير، فتلك الكائنات منقسمة إلى دورات مختلفة، كل دورة سابقة علته الدورة اللاحقة، فيكون تسلسل الأدوار تحت اقتضاء الحكمة، ثم الإنسان لايقدر في البحث التفصيلي على الإحاطة بدورة واحدة[١]، ولايخطر بباله شيء من الدور السابق ولاالدور اللاحق، لكن إذا رأى إلى أزلية صفات الله وأبديتها ويعتقد في قلبه أن تعطل الصفات غير ممكن، وإن كان لايستحضر هذا العلم، إذا سئل هل يمكن شيء أحسن منه هذا؟ فيلتفت فكره بدون شعور إلى الصفات الإلهية فيقول نعم. الأحسن منه ممكن، لأن الله على كل شيء قدير ويكون مراده ممكنًا في الأدوار الأخرى وإن كان لايستحضر ولايشعر بذلك، والذي يقول ليس في الإمكان أبدع مما كان، هو ينظر إلى هذه الدورة فقط. غرضنا من ذلك البسط هو إيضاح أن الله فطر الأشياء على فطرة مخصوصة، لايمكن شيء أحسن منها في تلك الأشياء، فنحن نقول هذه الفطرة الإنسانية التي هي مشتركة بين الأقوام كلها وينتظم عليها الاجتماعية الإنسانية، لانجد نقصًا ما في شيء منها، فنحمد ربنا، فإذا ارتسخت تلك المعرفة في دماغ الإنسان، يريد التدين بدين الإنسان يصير حكيمًا ويقدر أن يفهم الدين وإذا لم يرتسخ تلك المعرفة، فهو رجل فوضوي، يمشي مرة إلى هنا ومرة إلى هنا؛ لايمشي على الطريق السوي.

١- في ن إ: "بدون واحدة"، وفي ن م: "بدورة واحدة"، والأظهر الثاني.

فصل

أم الكتاب مشتملة على سبع آيات. عندنا هي تلخيص كل مقاصد القرآن، فإذا وجدنا مبحثًا في القرآن خارجًا عن تلك الفهرست، نعرف أن منزل القرآن ما أراد ذلك، فبيان حكمة نظام الكائنات التي تفضي إلى الإنسان بتسلسل الطبقات، ثم بيان اقتضاء الاجتماعيات من الفطرة الإنسانية وحقيقتها، وبيان من أراد أن يتجاوز عن تلك الفطرة الإنسانية، خسر في أعماله وخاب. كل ذلك يكون من تفسير تلك الآية الكريمة أو الراجح إلى تلك الآية الكريمة، وظاهر أن معرفة الفطرة الإنسانية بهذا التعمق والتدقيق لايقدر عليها إلا رجل جبل على الحكمة، فنأخذ الإشارة من ذلك أن القرآن العظيم يريد أن يجمع تلك الطائفة من الإنسانية التي هي معرفة حكمة الفطرة، تكون أهم الأشياء عندها، وإذا حصل تلك الجماعة، يجعل القرآن هؤلاء في القوة المركزية وأنموذجًا للإنسانية في ارتقائها.

"**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**" الإنسان بفطرته يحتاج إلى الأبوين وإلى رحمتهما، وبذلك يكمل فطرته ويصير في الآخر مستغنيًا عنهما، ويصير هو أحد الأبوين لإنسان آخر، فالإنسانية مغمورة برحمة الآباء للأولاد من الطرفين. آبائنا كانوا يرحموننا ونحن مجبولون على الرحمة لأولادنا، ومعنى الرحمة عندنا معلوم مما يتعامل الآباء والأولاد، وأخبر النبي ﷺ بما معناه أن الله سبحانه قسم رحمته في مأة جزء[1]، فواحد منها قسم بين مخلوقاته، بذلك يرحم الآباء والأمهات للأولاد، ولنا طريق خاص في شرح هذا الحديث. نجمع ما قدرنا على الإحصائيات رحمة الآباء والأمهات على الأولاد، فتصير ملايين ملايين. إذا جعلنا أولاد الحيوانات أيضًا وأخلافها، فنجمع تلك الأعداد على الإجمال في دماغنا، ثم نضربها في المأة، فنضم بذلك رحمة الله على عباده فتعين رحمة الله عندنا بصورة محصاة. نرى الفرق بين رحمة الآباء والأمهات. الأب يريد أن يرتقي ولدي إلى أعلى ما يمكن من الكمالات، فإن حصل له مشقة في تحصيل تلك الكمالات، لابأس بها عنده، هو يتأثر بذلك، ورحمة الأمهات لها نوع أخر .هي من لاتنظر إلى أن الولد يكمل أو لايكمل، لكن يحصل به شيء فيه مشقة أو أساءة فيه إلى قلبه، فهذه لايتحملها الأم، وبعد ذلك نحن نقسم رحمة ربنا لفهمنا بسهولة إلى قسمين: ١- قسم مأة مرة فوق من رحمة جميع الآباء. هذه الرحمة نجعلها مصداق كلمة الرحمن ونجد في القرآن. "**الرحمن علم القرآن**" وكمالات أخر ذكرت في سورة

---

[1] - هذا الحديث روي بألفاظ مختلفة وبطرق متعددة، فأخرج البخاري عن أبي هريرة & قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار». (**صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، رقم: ٦٤٦٩.)، و أخرجه بنحوه مسلم(**صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ١٧/ ٢٧٥٢.)، وأحمد(**مسند الإمام أحمد**، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم: ٨٤١٥.)، وابن ماجه(**سنن ابن ماجه**، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، رقم: ٤٢٩٣.).

الرحمن تحصل بمشقة مثل علم البيان خلقة له آيات لمعرفة الحساب، خلق له الآيات ليفهم رجوع الطبيعة أي الرب ويسجد لربه مثل تلك الكمالات كلها تحصل بمشقات.

٢- ورحمة نجعلها مأة مرة أكثر من رحمة جميع الأمهات ونجعلها مصداق اسم الرحيم، وفي سورة الشعراء يأتي مقابلته بين المؤمنين والكفار، فالكفار يعذبون يغلبون، والمؤمنون بالآخرة يرحمون، فيذكر الله هنالك اسمين من أسمائه "**وإن ربك لهو العزيز الرحيم**" فالعزيز يرجع إلى الكفار الذين خالفوا اقتضاء عزة العزيز، فوقعوا في العذاب، والرحيم يرجع إلى إيصال المؤمنين إلى جنة لايكون فيها نصب ولاشيء، فجميع رحمة الله يذكر في كتاب الله ويشعرها مدارجها. أما في الإنسانية أو رحمة الرب لطائفة من الإنسان، فتلك البيانات كلها يكون مرجعها هذه الآية الكريمة والإنسان في صغره كان محتاجًا إلى الأبوين، فلما بلغ الإنسان إلى مرتبة الرجولية وتوفاهما الله أيضًا، يجد في قلبه من يرحمه مثل الأب والأم، فإذا تنبه الإنسان إن هذين الاسمين من الله يقومان مقام الآباء والأمهات لجميع الإنسانية، استأنس بها وذهب عنه اليأس الذي حصل بسبب وفات الوالدين، ويترقى في الإنسانية بسهولة، فهذا التعليم أيضًا تكميل للفطرة الإنسانية وقضاء لحاجته الأهم.

"**مالك يوم الدين**". الرحمة إذا توجهت إلى ذي استعدادات شيء وأعدت لها تكميل فطرتها، يقع بينهم اختلافات بالطبع، وهذا الاختلاف في الإنسانية يؤدي إلى ان يظلم بعضهم على بعض، فهذا مقتضى الاجتماعية الإنسانية. أما لايكون ارتقائها فهذا شيء غير شيء. أما جاء المدد لجميع أشجار الغابة فأغصان تلك الشجرة لابد تلتف مع أغصان غيرها، ففي تلك الحالة أيضًا الفطرة الإنسانية تقتضي شيئًا حكمًا؛ ذلك الحكم نقوله الإنصاف ونقول حكم الله، فالله سبحانه ما ترك الإنسانية إذا شجر بينهما نزاع وخلاف قتال وجدال أن يتركها إلى أن يفني، بل يحكم عليها بالحق دائمًا فبذلك يتسلسل الإنسانية ويترقى، فالإنسان كما كان محتاجًا إلى الله في رحمة وكان رحمة تفسير ربوبية الرب، كذلك يحتاج الإنسان إلى إنصاف الحق ويكون شرحًا لملوكية الرب.

"**الرحمن الرحيم**". معناه رب الناس. مالك يوم الدين. معناه ملك الناس، فالاجتماعية الإنسانية لاتخلو عن احتياج إلى ملك، فيظهر ملوكية الله على الناس، فهم بطبعهم يسئلون ربهم أن يحكم فيهم بالحق، فهذا والظلم والتقاتل هو مظهر عمومي للاجتماع الإنساني. كل من يراهم من بعيد يراهم أنهم يقاتلون ويظلمون، ولذلك قالت الملائكة "**أتجعل فيها يفسد فيها**" الخ وإذا دخل رجل في داخل الإنسانية ونظر كل فعل مستند إلى أسباب مسلسلة، يجزم بأن الحكمة توجب أن تصدر تلك الأفعال من الإنسانية، فليست هي فوضى، ثم يجد بعدها سر هذا الاختلاف. كل رجل من ظالم ومظلوم بطبيعة يقتضي أن يحكم عليها حاكم بالعدل، فيظهر كون الرب ملك الناس، وبهذا نوع لايظهر ملوكية الرب في شيء من المخلوقات سوى الإنسانية، لأن قدرة الله وقهره نافذ في جميع المخلوقات والمصنوعات بدون إرادة منها، وهذا الحكم يجري في الإنسانية باقتضاء من إرادة الإنسانية، فشتان بينهما. نعرف في حكمة

الشيخ ولي الله أن مجازاة كل فعل تحصل الإنسان بعد انقضاء الفعل على الفور، وهذه المجازاة هي ترجمة لفظ الدين، فالإنسان في جميع أعماله محتاج إلى مالك يوم الدين. إذا اشتغل الإنسان بفعله، فهذا يوم العمل. وإذا فرغ من فعله شرع يوم الدين.

هذا في كل فعل يمكن تنفيذ جزائه على الفور. وإن كان فعل عظيم للاجتماعية الكبيرة، فلاتنتهي إلا بعد مئات من السنين، فإيجاد الجزاء التام إنما يكون بعد الانقضاء في قوانين الحكمة. إيصال الجزاء لكل عمل صغير وكبير على الفور وعلى الثاني مقرر تحت قانون يقتضيه الفطرة الإنسانية، فالاجتماعية العامة لجميع الأقوام الإنسانية إذا اشتركت في أعمال، فجزائها تامًا لايمكن أن يكون إلا بعد انقضاء الإنسانية من وجه الأرض. وهذا أعظم يوم الدين، فإذا أطلق فلايراد إلا هذا، فالأعمال التي يشترك الإنسان فيها الإنسان في الاجتماعية الجامعة لايرجى تحصيل جزائها إلا يوم الدين، والأعمال التي تكون فيها اجتماعية قاصرة، يمكن تنفيذ جزائها في الدنيا، لكن في بعض المواضع يوكل الناس على إيصال الجزاء إلى العاملين، وهم يغلطون في العمل أو يتعمدون الخطاء والظلم، فمراقبة تلك القضاء لايمكن في الدنيا، فمثل تلك الأمور أيضًا تقضى يوم الدين. ينظر في أقضية الملوك والقضاة، فإن كان فيها شيء من الظلم وبطل الحكم الأول ويعطي الحكم بالحق بتلك الأشياء أيضًا، تكون منضمة إلى القضاء الأعلى في يوم الدين، فالإنسان محتاج دائمًا إلى ملك يقدر على مجازاته ويأخذ حقه من الظالم. هذا كله داخلة تحت كلمة "**مالك يوم الدين**" فالإنسان إذا اعتمد على تلك المعرفة يصير فارغ البال عن ضياع حقوقه. كل شيء يعمله باجتهاده يصل إليه جزاءه لابد، وبعد ذلك يخرج بالقوة القاهرة من الإنسانية تنظيم الإنسانية. إذا كان الناس غير متآمنين على حصول جزاء أعمالهم، ما قدروا الاجتماع نوعًا من القانون، يتبعونه في الأعمال يكون سببًا لارتقائهم من الحيوانية، فالفساد الذي يكون في تنظيم الإنسانية ليس مبدؤه إلا عدم ارتساخ تلك المعرفة، فكل شيء يأتي في القرآن العظيم من مجازات الرب لأقوام أو الرجال في الدنيا أو في الآخرة، فأمرها كلها راجع إلى تلك الآية الكريمة.

"**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**" إذا تعينت نسبة الإنسانية إلى خالقها بأنه رب لجميع الأقوام وربوبيته راجعة إليهم مثل ربوبية الأبوين إلى الأولاد، وقضاء خصوماتهم وإيفاء حقوقهم راجع إليه بفضل الملك الديان، ففي تلك الحالة لاتحتاج الإنسانية إلى حاكم وإلى ملك سوى ربهم ولايطمئنون على حكومة أحد ولاعلى ملكه عليهم، فالإنسانية إذا تقيدت بالله رب الناس ملك الناس وما تجاوزت عن ذلك بالتقيد لأحد كانت حرة. هذا معنى قوله "**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**" نحن أحرار بالنسبة إلى كل أحد سوى ربنا، فنعبد بقلوبنا وعقولنا وأجسامنا بطوع رغبتنا. أما غيره فلا يرجو منّا تحصيل تلك النسبة. حكمة العبودية معناه معين، لكن في ألفاظ يقع باستعمال المجازات اشتباه، فتعين ما نريد بكلمة العبودية. نحن لانستعين من أحد بشيء إلا من ربنا، فإذا كان أحد من المخلوقين يرجو منا أن نتقيد بحكمه لأنه أوصل إلينا شيئًا من ضرورياتنا، فليعرف هو. نحن لانسلم له أنه أعطانا ذلك الشيء، ولانتقيد بحكم، فإن شاء بعد ذلك

فليمنع عنا ما يريد. نحن لاتقوم حياتنا إلا بالاستعانة من الله، فلايحتاج إلى غيره فإن كان أوصل من النعم بأمر الله، فنحن نشكره ونثنيه أنه أطاع ربه، لكن التعبد لايكون إلا لله الذي أعطانا، ولو جعلنا لواسطة من الوسائط شيئًا من العبودية في كل الوسائط، يرجو منا ذلك، ونقع في اسفل السافلين، فأساس عملنا هو ترك الاعتماد في قضاء حاجاتنا على غير ربنا وبذلك نقدر على أن ننكر عبادتهم ونشرح في أنفسنا أحرارًا. أما إذا جعلنا أفكارنا متقيدة بالاحتياج إلى غير الله، فهذا يجعلنا عابدًا لهذا المعطي ويسلب حريتنا، فالكلمة الأخيرة "**إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**" تشريح الكمة "**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**" الرجل يعلم بعقله أن الله هو الخالق القادر المعطي، لكن حوائجه تجعل قضاءها متعلقًا بأحد غير الله، فهذا لايكون حرًا أو موحدًا، بل يكون مشتركًا في التعليم القرآني حسب ما فهمنا بطريق اتباع الإمام ولي الله الدهلوي، فكلمة الشرك والرد عليه وما يأتيه من العقوبات في الدنيا والآخرة، وكلمة الموحد الذي بمعنى الحرفي اصطلاح عصرنا، وما حصل له من الفوائد في الدنيا والآخرة. تلك البيانات كلها راجعة إلى تلك الآية الكريمة. نصف السورة كأنه تم، وكان فيه بحث عن الإنسان في اجتماعياته، لكن كل فرد فرد. بعد ذلك يأتي البحث عن الإنسان عن حيثية الاجتماعية تحت تلك الآية.

"**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**" هذا دعاء ومعنى الدعاء عندنا إظهار ما تقرر في قلبنا. إننا نريد أن نعمل حتى يحصل هذا الأمر. الأمر المطلوب عندنا بقرارنا، ونحن نجتهد في تحصيله بكل قوتنا، لكن يمكن أن يأتي لها عوارض وموانع لانقدر على دفعها، ونعتقد أن ربنا الرحمن الرحيم الذي هو ملكنا، قادر على كل شيء، فنرجو منه أن يدفع تلك الموانع ونعرف بواسطة خلص عباد الله أن الله يرضى من العبد بهذا الدعاء ويستجيبه، ثم جربناه فوجدناه كذلك، فلذلك ندعو ربنا لحاجاتنا، فالمحرفون لتعليم الأنبياء والمغيرون للفطرة إن كانوا قرروا للدعاء معنى غير ذلك، وينكر عليه أهل الفطرة السليمة، فنحن نتبرأ من هؤلاء كلهم، فالدعاء في الحكمة العملية تجعل جزءا من العلة التامة للأعمال، لأن دفع الموانع من أهم أجزاء العلة التامة، فإذا اعتقد الإنسان بمثل هذا، أو دعا بربه بكل قوته بإحضاره في نفسه وجعله في أقرب المواضع منه، فيطمئن بذلك قلبه، ونحن نعتقد أن القوة الإرادية للإنسان فيها تسعة أعشار لعلة الأعمال، فبعد الدعاء واطمينان الخاطر، تظهر القوة الإرادية بجميع مظاهرها، وإذا كان في قلب الإنسان خطور لعروض الموانع، قالقوة العملية الإرادية لايكون في النشاط أبدًا، فلاتعمل بكل أجزاءها ولاتظهر النتيجة بالمظهر التام.

فصل

المشي على مقتضى الفطرة الإنسانية هو الصراط المستقيم، ونعلم الله في حكمة يكمل الفطرة الإنسانية، ليس عنده أوامر ونواهٍ لغير هذا الغرض. إذا صارت طبيعتنا حرة أن تتقيد بخلوق، ونعتمد بكل قوتنا على ربنا فوق اعتماد الطفل على الأبوين في مبدأ ولادته، فلايأتي في قلبنا فكر إلا تكميل فطرتنا ولذلك ندعو ربنا اهدنا الصراط المستقيم.

فصل

في بدننا أعضاء كثيرة لها وظائف متعينة، كل أحد منها لايتجاوز عن حده، فنرتقي من ذلك المنظر إلى المعاني المختلفة الموجودة في ذاتنا، ونقسمها في أول النظر على قسمين: ١- القوى العلمية ٢- القوى العملية، ويكون في قلبنا هاجس أننا نكون في اجتماعياتنا قابلين للحمد والمدح، ونترقى عليه في العلم والعمل، فهذا هو اقتضاء فطرتنا، فنحب أن يكون لنا إذا اختلف الأمور علينا بمقتضى قوانا الطبيعية المختلفة، أن يكون القرار أحسن ما يكون، فهذا هو الصراط المستقيم، ونريد أن نمشي عليه بكل قوتنا وهذه أول مظاهرة من القوة العملية.

"**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**" تفسير للصراط المستقيم. الإنسان لايتكامل بقواه الفطرية كلها إلا إذا حصل له مجتمع إنساني، فيه نموذج لتكميل كل القوى الموجودة، فدعائنا الصراط المستقيم كان كالنظريات. وهذا وفي هذه الآية، بدلناه بالعمليات. الصراط المستقيم ما كان أمورًا نظرية فقط، بل برنامج الحياة، وهذا البرنامج لايتم إلا بالانسلاك في الاجتماع، فالجماعة التي تكون جزءًا منها، يصدق عليهم أن الله أنعم عليهم قواهم الفطرية كاملةً. أسباب الارتقاء في الحياة المهيئة اجتماعهم تحت أساس معين فإذا انسلكنا في تلك الجماعة، كأننا حصلنا الصراط المستقيم، ونستشعر بالإشارة من تلك الآيتين أن تعيين الصراط المستقيم وطلب مجتمع من واجبات الإنسانية، فإذا قصر الإنسان في ذلك تكون أعلامه راجعة إليه. مثاله الجائع والضمآن، يجب عليهم طلب الطعام والماء، فإذا لم يجتهدوا بقوتهم وماتوا لعدم وجدان الطعام والماء، تكون الملامة راجعة إليهم. جاء تفسير الذين أنعم لله عليهم في القرآن العظيم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين. الإنسان مجموعة العلم والعمل، لاينفك أحدهما عن الآخر إذا كانت الفطرة صحيحة سليمة، لكن بعض القوى في بعض الرجال يكون أغلب من الأخرى، وبذلك يتفاضل الرجال ويكون الوجود محتاجًا إلى كل واحد منهم، فالذي يغلب عليهم القوة العملية، فإن كانوا في درجة عالية يأخذون العلم من منبع الإنسانية، وهم الأنبياء والذين يتلونهم ويتأخرون عنهم في أخذ العلم من المنبع، وجد ذلك مساواتهم مع الأنبياء في القوى العلمية متحققة وهم الصديقون، والذين يغلب عليهم القوة العملية، فإن كانوا بالغين إلى درجة عالية حتى يسهل عليهم أن يقتلوا إن لم يحصل مطلوبهم، هم الشهداء، والذين يتلونهم لايبلغون إلى أن يفادوا أنفسهم، لكن في أيام حياتهم يجتهدون كل الاجتهاد ولتكميل المقصد، فهم الصالحون. الدرجة الثانية من العاملين، فمقصدنا لايتنازل في القوى العلمية والعملية عن الدرجة الثانية، فإن بلغنا إلى الدرجة الأولى، فذلك أحسن، وشرط في ذلك أن لانتنازل إلى الدرجة الثالثة في العلم والعمل، فالذين علموا بالحق وما يقتضيه فطرتهم من الصراط المستقيم، لكن ما قاموا للعمل على مقتضى ذلك، هؤلاء في الدرجة الثالثة من العمل وعبر عنهم بالمغضوب عليهم، والذين القوة العملية منهم على النشاط، لكن لم يهتدوا لمقتضى الفطرة من العلم، فهؤلاء في الدرجة الثالثة من العلم، وعبر عنهم بالضالين، فنحن نبتغي أن يحصل لنا اجتماع صالح يكون مشتملًا على الطبقة الثانية

من العلماء، والطبقة الأولى والثانية من العاملين ولاندخل في ذلك المجتمع من كان على الدرجة الثالثة من العلم والعمل، بل نخرجهم من المجتمع. ختم بذلك تفسير قوله "**غير المغضوب عليهم ولاالضالين**".

فصل

هذا الدعاء معناه: إن كان على وجه الأرض مجتمع صالح حسب حاجاتنا، فأوصلنا إليه، وإن لم يكن فوقعنا لنخرج ذلك المجتمع إلى الوجود، وهذا الأمر ليس بسهل، وبدون هذه الإرادة لايتم التصمم على الصراط المستقيم. إن كان رجل يريد أن ينهج الصراط المستقيم، لكن يشترط أن يجد المجتمع لذلك ويكون فيه، فإن لم يجد جماعة على تلك الطريقة، يجعل نفسه كالمعذور؛ لأن الإنسان لايقدم لمثل ذلك العمل العظيم إلا بالاجتماع، فهذا الرجل غرض ناقص تصحيحه قريب من النصف. أما إذا أراد رجل إن لم أجد المجتمع، فأنا أسعى لإنشاء المجتمع يكون عزمه تامًا، والقدرة على إنشاء المجتمع في الأرض ليس مثلها إلا مثل بلدة عظيمة في الصحراء، فعلى أصحاب الهمم العالية لايشكل لاهذا ولاذلك.

فصل

القرآن العظيم دعوة إلى حركة اجتماعية عالمية، ففي الدعاء الذي جعل عنوان برنامجه ما تعين شيء من الأشياء المقتضيات القومية المخصوصة. الناس في النظريات العقلية على طبقات متباينة. المقصد الواحد يحصله طائفة بوجه وطائفة بوجه آخر، وذلك المقصد لايكون إلا تكميل الفطرة الإنسانية، فالصراط المستقيم متشخص عند قوم بصورة وعند قوم آخرين بصورة أخرى، فالدعاء الذي ألهم الله نبيه، كان عامًا من التشخصات. كل رجل يعتمد بفطرته على ربه، يشغل عليه أن يسأله الصراط المستقيم، فإذا كان رجل يؤم الناس، يدعو ربه أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهل يختلف عن الاجتماع معه رجل سليم. الفطرة تشخصات الصراط المستقيم عنده أيامًا كانت، فإن الإمام يعتمد في تعيين الصراط المستقيم على ربه وعلى هدايته، فيكون تسهيل اجتماع الإقوام على دعاء واحد، و إذا لم يكن برنامج الأقوام شيئًا واحدًا، كيف يجتمعون، وكذلك تعيين العمليات للصراط المستقيم، وتفصيله بصراط الذين أنعمت عليهم أيضًا ما ذكر فيها اسم رجل من عظماء قوم دون قوم أو رجل أو رجال. لانقول صراط محمد وأبي بكر ولانقول صراط موسى وعيسى، وكذلك الأمم لهم أكابر وعظماء، فإذا ذكر اسم رجل منهم، فالرجل الذي يعتمد على ربه بفطرته هل يتخلف عن الاجتماع مع الذين أنعم الله عليهم. يكون تعيين هؤلاء مفوضًا إلى الله. ندعوه من أنعمت عليهم، فاهدنا طريقة ما وجدنا في كتب جميع الأديان دعاء نصف من هذا الاجتماع. الناس على حكمة واحدة وكذلك لانعين المغضوب عليهم ولاالضالين.

لطيفة

نحن نفسر المغضوب عليهم. في زماننا من يقول معاني القرآن مفهومة لكن العمل عليه مستحيل أو كالمستحيل، فنجعلهم من المغضوب عليهم، و جاء في الحديث أن النبي ﷺ في زمانه فسر باليهود، فليس هذا تفسير للدهور كلها في جميع الأيام. إن هو مثال نظير في ذلك الوقت[١]، فلينظر الإنسان في زمانه وفي ملكه وفي قوم من يناسبهم، فيجعله مصداق ذلك، وكذلك نفسر الضالين بمن يقول إن العلم بالقرآن في هذا الزمان كالمستحيل. إني رجل جديد الإسلام، ودخلت في الإسلام وأنا ابن ست عشر سنة، وحصلت العلوم الدينية في بلادنا على جماعة العلماء. كل الناس يقدرون على الأخذ عنهم. ما كنت رجلًا صاحب ثروة أو مشتغلًا بحرفة، أطلب العلم مثل ما يطلب عامة المسلمين ويتكفل المسلمون بحوائجهم بقدر أدنى الضرورات الخ[٢] حتى أنا أحمد ربي حمد أكبر أسهل لي أسبابه حتى وفقت أن أجعل فهم القرآن العظيم على فأنا أحمد ربي حمدًا أكبر أسهل لي أسبابه حتى وفقت أن أجعل فهم القرآن العظيم على طريقة هؤلاء الأئمة مقصد حياتي الخ وبعد ذلك الذين يقولون في هذا الزمان لايمكن

١- هذا معروف عند المفسرين، وقد ذكر ابن جرير الطبري آثارًا مختلفة هناك لبيان من هم المغضوب عليهم والضالون؟(لينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(م ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ت، أحمد محمد شاكر(بيروت: مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠ء)، ١: ١٨٥؛ وما قاله الشيخ السندي أقرب إلى روح الشريعة، فإن غضب الله لايختص بقوم خاص، بل له أسباب تسبب غضب الرحمن حيث توجد. كثير من مثل هذه النظائر تكون بمثابة ضرب المثل، لاتفسيرًا للآية على وجه الحصر، كما ذكر الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في **الفوز الكبير**.

٢- هناك اختلاف كثير بين عبارتي: ن م و ن إ، ففي الثاني ما ضبطتُه في المتن، وأما في الأول فجاءت العبارة هكذا: "بقدر أدنى الضرورات، فأنا أقول بحمد الله توجهت إلى فهم القرآن العظيم بواسطة شيخنا شيخ الهند، واحد من جماعة الديوبنديين وأقر أن شيخنا أعرف منهم مثل أربعة أو خمسة رجال، فتوجهت إلى تصانيف لشيخ شيخنا مولانا قاسم، وعرف ألوف من الطلبة يتوجهون إلى تلك التصانيف ثم ارتقيت إلى معارف الإمام ولي الله الدهلوي، ولده عبد العزيز الدهلوي، وحفيده مولانا محمد إسماعيل الشهيد. هؤلاء أكثر أهل الحق من علماء الهند يعظمونهم مثل تعظيم الناس لأكابر المجتهدين أو لأكابر شيوخ الطريقة. مقصدي أن طريقتهم ليست مختلفة عند الناس، إنما عدم الانتفاع لتغافل الناس فقظ. أنا أحمد ربي كثيرًا سهل لي أسباب متى وفقت أن جعل فهم القرآن الكريم على طريقة هؤلاء الأئمة مقصد حياتي، وما كنت أتخيل أن واحدًا من الناس يسمع مني، لأن أمري في نفسي حقير فالله سبحانه أشكره شكرًا جزيلًا، رأيت في حياتي رجالًا من أولي العقول الصالحة توجهوا إلى الأخذ عني القرآن العظيم فقظ، وهم أطيب وأعقل مني في الأمور الدنيوية والدينية عامة، ثم جاءت طائفة ممن أخذوا عني، جعلوا مقصد حياتهم التدبر في القرآن والمدارسة فيه، تخرج عليهم فوج بعد فوج، وبعد ذلك الذين يقولون في هذا الزمان لايمكن فهم القرآن. أنا أقول إنهم من الضالين على بينة من ربهم، فالاشتغال بالقرآن مثل ما اشتغلت إن سهل على كل المسلمين، فكيف يقال إن القرآن لايفهم في هذا الزمان؟ ونتعجب إذا راينا من تلك الطائفة رجالًا ينتظرون المهدي، هل هم شكروا الله في ما آتاهم من القرآن، فهم يتزيدون من نعمائه. النبي عليه السلام في زمانه فسر هؤلاء بالنصارى فهذا كالمثال والنظير لأهل ذلك العصر، لالكل الناس إلى آخر الدهر.

فهم القرآن. أنا أقول إنهم من الضالين على بينة من ربهم. النبي فسر في زمانه هؤلاء بالنصارى فهذا كالمثال والنظير لأهل ذلك العصر لالكل الناس.

فصل

الفاتحة قرائتها هي الصلوة. الطهارة والتوجه القبلة من المبادئ والركوع والسجود ومن المكملات، والأصل حضور الإنسان عند ربه في فكره وفي تخيله وعرضه إليه ما يحتاج إليه، وهذا معين لجميع من يدخل في الإسلام، فالمقصد من الصلوة هو الدعاء من الله لهداية الطريق المستقيم، ونضم معها سورة أخرى كأنها جواب من الله أن الهداية هي القرآن، فاقرؤا ما تيسر من القرآن تهتدوا[١]، ثم الركوع والسجود شكر لاستجابة هذا الدعاء. هذا معنى الصلوة عندنا، قرره مولانا محمد قاسم، ثم نزيد على ذلك من صلى تلك الصلوة في جماعة المسلمين، صار مسلمًا فالإسلام ليس إلا التحصيل للدعاء من الله بالألفاظ تلك السورة فهذا شيء ثقيل على الناس.

الشريعة الإسلامية ما أجازت أن تقرأ في الصلوة لله شيء سوى القرآن، فمعناه أن الإسلام ليس إلا اتباع ما في القرآن وهذا هو الذي يمكن تبليغه وإعلانه إلى أمم العالمين. إذا صلوا[٢] صلوة المسلمين، والمسلمون بعد ذلك أدخلوا في إسلامهم كل البدعات التي أدخلها قوم في دينهم، لكن تلك البدعات لاترى إلى صلاتهم، فلايختفي كلمة الحق للمتفكرين. أهل الإسلام أقسموا إلى أقسام هذا سني يوجب في إسلامه شيئًا لايوجبه جميع المسلمين، وبخلافه هذا شيعي هو يوجب في إسلامه شيئًا مثل السني لايقلبها السني، لكن هؤلاء ما قدروا أن يغيروا الصلوة ويقرأوا فيها شيئًا سوى القرآن[٣] مما زادوها كالجزء للإسلام. عرفنا بهذا أن الله قد حفظ هذه الدعوة الدينية الاجتماعية من التحريفات والبدعات التي أوجدها المسلمون مثل الأقوام الآخرين، فحفظ القرآن في عامة المسلمين على السواء، وتيسير فهمه لكل من أراد من أي عصر كان، وبعثة الأساتذة والمعلمين والمجتهدين في رد التحريف عن الكتاب في كل دورة انقلابية يجعلها جازمين بأن الله ما أراد من الناس الاجتماع العمومي إلا على هذا الصراط المستقيم. أنا بحمد الله جربت الحركات الاجتماعية العالمية فما وجدتها في الإنصاف والدعوة إلى الحق إلا ثلث أو ربع من الدعوة القرآنية، لكن ليس مقصدي من ذلك مدح المسلمين في ذلك العصر الذين أعرضوا عن القرآن وهم يفتخرون بالإسلام وينتسبون بأشياء دعاوي عريضة طويلة، والقرآن الكريم يقول: "**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ الخ**" كنت أردت في أول شروعي في الدعوة إلى القرآن إذا قدرت على تأسيس مدرسة لتلك الدعوة، فأكتب على أعلى بابها هذه الآية "**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ**" الخ. هذا عندي

---

[١] - في ن م و ن إ، جا هناك "تهتدون" بإثبات النون، والأنسب بسقوطها لأنه في موضع جواب الأمر، إلا إذا أول بتأويل الجملة.

[٢] - في ن م: جعلوا.

[٣] - في ن إ: سوى الإسلام، وما ن م هو الأنسب فاخترته.

جواب لأهل الإسلام في هذا العصر وهذا كله أرى حفظ القرآن من التخليط والتحريف ببركة الشريعة الإسلامية. إنها ما أوجبت في الصلوة إلا قراءة القرآن.

٣-١

سورة ن[١]

بسم الله الرحمان الرحيم

هذه السورة باعتبار النزول سورة ثانية، نزلت أولا سورة العلق، وبعدها هذه السورة، وما هو المشهور أن سورة المدثر نزلت بعد العلق فبما بعد فترة الوحي، و سورة ن نزلت قبل فترة الوحي.[٢] في هذه السورة پروگرام بين الاقوامى.

ن عدده ٥٠، ويتم الخمسون إلى واقعة صفين، وهي وقعت بعد سنتين، بعد شهادة عثمان. وفي الصفين سلم علي التحكيم، فبعد تسليم التحكيم لم تبق خلافة علي رضي الله عنه على الشأن الأول وإن لم يسلم اولئك التسليم، وأخذ العدد من حروف المقطعات مروجًا في اليهود في **سنين** النبوات. الحاصل فاز پروگرام بين الاقوامى في خمسين ٥٠ سنة، وظهر مصداق قوله: "**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.**"

"**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**": بالقلم في التاريخ شاهد على أنك "**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**" لأن تجويز پروگرام خمسين سنة على وجه ظهر فوزه كالشمس على رابعة النهار، لايمكن من مجنون بل لايمكن من كل عاقل.

" **وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ**": أي غير منقطع إلى يوم القيامة، فعلم منه أن النبي عليه السلام راعى في تجويز پروگرام الفوز إلى يوم القيامة وأراده، فكلما فاز هذا پروگرام يكون له عليه أجر، والقاعدة أن لا أجر إلا بالنية. إنما الأعمال بالنيات، فالإخبار بالأجر غير[٣] الممنون يدل على نية النبي ﷺ وقت تجويز پروگرام فوزه مرة بعد أخرى إلى يوم القيامة، فتجويز پروگرام الذي يرعى فيه الفوز إلى يوم القيامة غير ممكن من المجنون، ففوز الصحابة ومن بعدهم إلى يوم القيامة هو فوزه عليه السلام، ويستحق عليه

١- بعض السور فسرها المفسر مرتين، ومنها هذه السورة.

٢- هذه السورة مكية باتفاق أهل التأويل. لاخلاف في هذا الأمر بينهم، وأما بالنسبة إلى مدنية بعض أجزاءها فقد ذكرها السيوطي في الإتقان كما ذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في **التحرير والتنوير**.وأما كون هذه السورة ثانية نزولًا فهذا مختار الشيخ السندي بناء على قول جابر بن زيد. يقول الشيخ طاهر بن عاشور: وهذه السورة عدها جابر بن زيد ثانية السور نزولا قال: نزلت بعد سورة اقرأ باسم ربك وبعدها سورة المزمل ثم سورة المدثر، والأصح حديث عائشة «أن أول ما أنزل سورة اقرأ باسم ربك ثم فتر الوحي ثم نزلت سورة المدثر» . وما في حديث جابر بن عبد الله «أن سورة المدثر نزلت بعد فترة الوحي» يحمل على أنها نزلت بعد سورة اقرأ باسم ربك جمعا بينه وبين حديث عائشة رضي الله عنها.(محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط ١، س ن)، ج ٢٩، ص ٥٤، ٥٥.

٣- في الأصل "الغير"، الصواب "غير" بدون الألف واللام.

الأجر من الله تعالى، ولاشك أن في تجويز هذا پروگرام تكاليف كثيرة ومشقة عظيمة لأنك تحملها، لأنك "**لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**".

اعلم أن إرادة العمل بذلك پروگرام بالجزم *خلق اور تمام دنیا اگر آپ کو اس سے ہٹانا چاہے تو بھی نہیں ہٹا سکتی لیکن یہ خلق عظیم* كما قال "**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**"[١] "**فَسَتُبْصِرُ**" أنت "**وَيُبْصِرُونَ**" أي من يقول إنك مجنون "**بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ**" أي أنت مجنون أو هم مجانين؟ لأن "**رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**" فهو لا يجعل فائزًا إلا من هو على الهداية، فإن فُزتَ يعلم أن طريقك (*پروگرام بين الاقوامى*) حق، وإن فازوا يعلم أن مخالفي طريقك على الهداية، فإذا علمت أنك على الهداية "**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**" لأن فوزك يقيني فما معنى للإطاعة "**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ**" في عرض پروگرام "**فَيُدْهِنُونَ**" في مخالفتك ثم ذكر أوصاف المكذبين بقوله "**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ**" *ليس عنده پروگرام ويحلف مرا را گواہے بے گواہاں چیست سوگند* أي إن كان عنده شيء يفرضه يراه الناس، وأي حاجة إلى الحلف الكاذب.

" **مَهِينٍ**" : ذليل. فيه إشارة إلى من أسر في بدر من سبعين، وفي قوله تعالى لم ينته لنسفعن في سورة العلق، أي من قتل في بدر، الحاصل وقعت هذه الذلة يوم بدر كما أخبر في هذه السورة.

" **هَمَّازٍ**" : من عادة من لايكون عنده پروگرام يطعن في پروگرام. فهو يطعن في پروگرام بين الاقوامى، يظهر عيوبه عند الناس.

" **مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**" : يريد بالنميمة أن يجعل تعلقه بالفريقين(يعنى دونوں كى نظر ميں اچھا بنا رہے-).

"**مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ**" : اعلم أن ما هو مقتضى الإنسانية هو الخير المطلق، ومقتضى الصنف أيضًا خير، لكن ما هو مقتضى نوع الإنسانية الذي يوجد في كل فرد الإنسانية، فهو خير مطلق، فالذي يمنع في الخير المطلق الذي هو مقتضى نوع الإنسان وهو أيضًا لا مرة أو مرتين، بل صار المنع عادته، فعلم أن إنسانيته مسخت.

---

[١]- سورة التوبة: ١٢٩؛ *یعنی میں اکیلا بھی اس کام کو کروں گا، وہ بھی اپنے بھروسہ پر نہیں، بلکہ اس کے بھروسہ پر اور مجھے تمام دنیا کی طاقتیں اس سے نہیں ہٹا سکتیں۔ یہ ہے خلق عظیم؛ کیا کوئی مجنون ایسا کر سکتا ہے؟ مجنوں تو کبھی کچھ کہتے ہیں، کبھی کچھ؛ الحاصل اس بین الاقوامی پروگرام سے اگر آپ کو تمام دنیا ہٹانا چاہے، تو بھی نہیں ہٹا سکتی۔*(يعني أني سأعمل فريدًا وذلك اعتمادا على الله ولا يستطيع أحد أن يصرفني عنه، فهل يستطيع أي مجنون أن يفعل هكذا؟)

فائدة

اعلم أن الكلام في الحسن والقبح طويل، والصحيح أن فرد الإنسان الذي يكمل مقتضى الإنسانية، فهو حسن، والذي لايكمل مقتضى الإنسانية فهو قبيح بالنسبة إلى المكمل، وأما بالنسبة إلى ذاته فليس شيء ما قبيحًا، بل الكل حسن. ثم اعلم أن الحسن والبر والخير شيء واحد، وكذا الشر والقبح والإثم شيء واحد، والفرق أن الحسن والقبح ألفاظ الحكماء، والإثم والبر والخير والشر ألفاظ الشريعة. ثم اعلم أن الحسن في كل نوع لايوجد فيه مقتضى ذلك النوع على وجه أكمل، وما لايوجد فيه مقتضى ذلك النوع، فهو قبيح بالنسبة إليه، مثلا يقال هذا الحمار حسن، فالمراد أن مقتضى الحمارية يوجد فيه على وجه الكمال، وهذا الفرس حسن، أعني يوجد فيه مقتضى الفرسية على وجه أكمل، هكذا في الإنسان وغيره، وما يخالفه فهو قبيح وشر.[١]

"**مُعْتَدٍ**" : عدوان ابتداء الطغيان، لأنه تكذيب بالقلب والفكر، أي الفكر والتدبر في أن لايترك پروگرام بين الاقوامى حتى يمشي والعمل بخلافه هو الطغيان.

" **أَثِيمٍ**" : الإثم كل كبيرة، والذي اعتاد بالكبائر هو أثيم لأنه صنيعته صفته ، "**عُتُلٍّ**" متكبر، **زَنِيمٍ** يقولون هو ولد الزنا، أي ملحق بالغير في النسب، ولاحاجة لنا إليه، بل المراد به هو المنتسب إلى الغير ومن يكون تحت الغير.

اعلم أن قانون الدين الحنيفي الذي وصل إلى قريش بذريعة إسماعيل كان محفوظًا عندهم إلى قبل النبوة النبوية بثلث مائة سنين، أي زمن عمرو بن لحي[٢]، وبعد ذلك وقع الخلط فيه، ولم يكونوا يحسون بالخلط، لكنهم كانوا متفقين على أن يبلغ هذا الدين في العالم كله، واختلفوا تجويز طريقه (*يعنى اس كى كامیابى كے پروگرام ميں مختلف تھے۔*) وصاروا ثلاث فِرَق، " **أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ**" ، أي لايطعه لأجل كونه ذا مال وبنين. " **إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**" لأنه لايعلم أن طريق القرآن التعلم ضمن واقعات جزئية فيقول هذه أساطير الأولين. "**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**" أي نذله على وجه لايقدر على إخفاء الذلة، ولاعلى تجويز طريق يخرج به منها. "**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا**

١- يقول الشاه ولي الله الدهلوي إن البر كل عمل يفعله الإنسان قضية لإنقياد للملأ الأعلى واضمحلاله في تلقي الإلهام من الله وصيرورته فانيا في مراد الحق، وكل عمل يجازى عليه خيرا في الدنيا أو الآخرة، وكل عمل يصلح الارتفاقات الني بنى عليها نظام الإنسان، وكل عمل يفيد حالة الانقياد، ويدفع الحجب. والإثم كل عمل يفعله الإنسان قضية لانقياده للشيطان وصيرورته فانيا في مراده، وكل عمل يجازى عليه شرا في الدنيا والآخرة، وكل عمل يفسد الارتفاقات وكل عمل يفيد هيئة مضادة للانقياد، ويؤكد الحجب.(الشاه ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، ت، السيد سابق(بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٥ء)، ١: ١١٤.

٢- هو من قبيلة خزاعة وأول من غير الملة الإبراهيمية وعرف عبادة الأصنام.

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) "

اعلم أن القرية ليس معناه ما هو المشهور بل معناه المجتمع[1] يعني سوسائٹی وهو المراد بقوله: "**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**" أي أرسلنا في كل سوسائٹی نذيرًا. إذا علمت هذا فاعلم أن كل سوسائٹی يعمر أرضًا تكون حولهم يكون في زرعهم وغيره حق المساكين الذين لايقدرون على الزراعة، لأن الأرض لله تعالى، والمساكين أيضًا لهم حق في أرض الله، وذلك الحق لايكون بطريق التبرع، بل بطريق الحق كما في قوله: "**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**" وهكذا المروج في كل ملك[2] أنهم يعطون المساكين، فمن لا يعطي المساكين ويخالف فيه قانون آبائهم فجزاءه هلاك تلك النعمة كما قال: "**كَذَلِكَ الْعَذَابُ**" أي في الدنيا "**وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ**" أي هلاك المال في الدنيا، جزاء سلب الحق وعذاب الآخرة جزاء جعله عادةً، أي جعل سلب حق المساكين عادة له.

اعلم أن الاجتماع قسمان: ١تدبير المنزل لايحتاج فيه إلى السياسة، اجتماع أهل دار واحد، أي اجتماع القرية داخل في تدبير المنزل لايحتاج إلى السياسة(*بلکہ وہ آپس میں مل کر اپنے امور کا فیصلہ کر لیتے ہیں*) و٢ اجتماع المدينة واجتماع المدن يحتاج إلى السياسة إلى ما لا نهاية له، كلما ازداد الاجتماع، ازداد الاحتياج إلى السياسة.

" **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ** "، أي لمتبعي پروگرام بين الاقوامى "**جَنَّاتِ النَّعِيمِ**" في الدنيا والآخرة، ولاحاجة إلى التقييد بالآخرة، ويحرمون منها مخالفوه" [3] **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**" هذا لايمكن[4] " **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**" أن لكم جنات مع مخالفة پروگرام " **أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ.إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ**" أي كتب لكم أن لكم ما تخيرون مع مخالفة پروگرام "**أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُون**" أي عهد منا بأنا نعطيكم الجنات، وإن خالفتم پروگرام "**سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ** " أي بالكتاب والأيمان، وفي عدمه ما بقي إلا الأخذ بالقوة " **أَمْ لَهُمْ**

١- هذا مجاز مرسل بذكر المحل وإرادة الحال.

٢- اللفظ المستخدم عموما هو الدولة.

٣- العبارة من قبيل أكلوني البراغيث.

٤- وهذا التقدير يشير إلى أن الاستفهام في الآية للإنكار.

شُرَكَاءُ " الآلهة، يعني أم يأخذون منا الجنات بالجبر بإعانة الشركاء " **فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ.**" وقريش لم تكن قائلة بالشركاء القاهرين، وإن كانوا قائلين بالشركاء، فصح نفي الشركاء.

اعلم أن اليهود لم يؤمنوا لأنهم يقولون إن السلطنة تكون أبدًا في نسل داؤد، فهم لايسلمون النبي لهذا الوجه، وما سوى يهود أهل إيران وغيرهم لم يكونوا أهل كتاب بل أهل حكمة، لم يكن عندهم شيء مؤكدا من اليمن، فيقال لقريش إن كان عندكم كتاب بطريق أهل الكتاب، فأتوه وإن كان إيمان على طريق أهل الحكمة، فأتوا بها وإلا فما بقي إلا الأخذ بالقوة، فأتوا بالشركاء الخ.

"**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**" أي يشمرون الثوب عن الساق للحرب (*یعنی جس دن بہادر پنڈلیوں سے کپڑے اٹھا کر لڑائی کے لیے تیار ہوں گے.*) "**وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ**" أي الإطاعة "**فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**" الإنكار من الإطاعة، بل يصيرون مجبورين عليها "**وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ**" إلى الإطاعة، "**وهم سالمون**" عن الذلة، أي لو أطاعوا في ذلك الوقت، لم يحصل لهم هذه الذلة، هكذا وقع فيمن أسر يوم بدر.

تتمة: قوله: "**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ**" في اجتماع قريش لم يكن زرع وغيره لعدم صلاحية الأرض له، لكن كان نكتة مركز نذور الناس لبيت الله، وكانت قريش تأخذ نذور الناس كلها، وكان فيها حق المساكين لأنها كانت لله تعالى، والمساكين ايضًا عباد الله، وكانت قريش لاتعد الناس في مقابلتهم شيئًا، فهم كانوا مثل أصحاب الجنة، إن أدوا حق المساكين مثل أسلافهم سلموا وإلا هلكوا وهلكت أموالهم في الدنيا ولهم عذاب الآخر على جعل سلب الحق عادة.

شرح التقوى

هو المذكور بقوله: "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**"[١]وحاصل التقوى أمران[٢]: [١]أمر يتعلق بالخالق، و[٢]أمر يتعلق بالخلق، ذكر الأول بقوله: **الْإِحْسَانِ** وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإنه يراك، وذكر الثاني بقوله: "**بِالْعَدْلِ**" ثم لابد للعدل من طريق يفهمه الكل، فذكره بقوله: "**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**" يعلم الكل ما ذا يفعل بالابن والأب ... فعليه أن يعلم أهل العالم كله مثل أقاربه فيعامل بهم ما يعامل بأقربائه؛ مثلا يعلم الصغائر مثل بيته إلى آخره (يحب لأخيه ما يحب لنفسه[٣]).

ثم اعلم أن في الاجتماع ثلاث جماعات: [١]الحكام و[٢]وزرائهم و[٣]عوامهم الذي جعلهم وزراء اعتمادًا على عقولهم(*ہر سیاسی سوسائٹی ان تین حصوں پر مشتمل ہوتی ہے:* فخلاف الحكام **الْبَغْيِ** وخلاف الوزراء **الْمُنْكَرِ** *یعنی جو تمام وزرا کے نزدیک بری ہو؛ کیوں کہ منکر اس چیز کو کہتے ہیں،*

---

[١]- النحل: ٩٠.

[٢]- وفي المخطوط: أمرين، وهو خطأ الكاتب، لأن المقام مقام خبر المبتدأ.

[٣]- الحديث المعروف: لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. (متفق عليه)

جس کا برا ہونا معقول ہو، سوسائٹی کے تمام عقلا اس کو منکر سمجھیں اور ان ممبروں کو عام لوگوں نے ان کی عقل پر اعتماد کرکے منتخب کیا ہے تو ان کے فیصلہ کے خلاف کرنا منکر ہے، اور **فحشاء** وہ فعل ہے جس کو انسان چھپ کر کرنا چاہے اور کسی کے دیکھنے سے اس کو رنج معلوم ہو، یعنی عام پبلک جس کو اچھا نہ سمجھے، اس کام کو بھی نہ کرے، تو اس میں تمام اخلاق آ گئے، جن سے سوسائٹی محفوظ رہ سکتی ہے، یعنی سوسائٹی سے معاملہ صاف رہ سکتا ہے اور اللہ سے بھی صاف رہ سکتا ہے اور یہی حقیقت ہے تقویٰ کی، تو اصل جز دو ہوئیں: [1]احسان اور [2]عدل، باقی إيتاء القربى، نهي عن الفحشاء والمنكر والبغي یہ سب شرح ہیں عدل کی۔)[1]

"**فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ**" أي اترك خيال انتقام المكذبين لأنه مخل في دستور عملك، بل فوض معاملة انتقامهم إليّ واعمل عملك. "**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** " فيه حكم ترك المقاتلة بالمكذبين متى لم تؤمر به، لأنه مخل في العمل."**أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ**" العذران يمنعان الإنسان في قبول دستور العمل، [1]أحدهما سؤال المبلغات في تمشية دستور العمل، مثلا يقولون إن دستور عملك أحسن؛ تسئل المبلغات لتمشيته ولا نستطيع تحمل المبلغات فلا نسلم (اس قسم کا عذر عام طور پر ہو سکتا ہے۔)[2] الثاني أن عندهم مكتوبًا يعني في درجة القطع إنهم يفوزون قطعًا في مخالفة القرآن ودستور عمله. اعلم أن الكتابة تكون كنايةً عن القطع، كتب أي قطع يكتبون أي يقطعون. الحاصل أن عندهم أمرًا مقطوعًا أنهم يفوزون في مخالفة دستور عملك، أعني القرآن يعني ليس عندهم شيء من هذين الأمرين، فلا يجوز لهم المخالفة.

"**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ**" یعنی اپنے کام پر ڈٹا رہ خدا کے حکم سے" و "**لَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ**" "**إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**" في التعجيل بالانتقام لأنه يضرك كما أضره "**لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ** "............ "**فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**" أي جعله نبيًا. قال الشاه ولي الله إن يونس لم يكن نبيًا قبل ذلك ، بل جعله الله نبيًا بعد خروجه من بطن السمك. "**وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**" يعني أنهم يسعون بالأبصار والقول في تحريضك على القتال حتى تقاتلهم حتى يصدوك[2] عن عملك لأنهم يعلمون أنك لاتفوز في مقصد

---

[1]- كل مجتمع سياسي يحتوي على ثلاث أجزاء:مخالفوا الحكام ومخالفوا الوزراء والبريؤون عند الوزراء،لأن المنكر ما يعقل إنكاره وجميع عقلاء المجتمع يعدونه منكرًا، وهذه الأفراد للحكومة يكون انتخابهم اعتمادًا على عقلهم، فالقضاء خلافا لهم منكر، والفحشاء فعل يرتكبه الإنسان في الخلاء وهو ينزعج على أن يعلم به أحد، وهذه المصطلح يحتوي على جميع أخلاقه التي يمكن لأجلها حفظ المجتمع،يعني يمكن أن تكون الصلة بالله وبالعباد صافيا وهذه حقيقة التقوى،فالأصل اثنان: الإحسان والعدل، وأما ما بقي من إيتاء ذي القربى والنهي عن الفحشاءوالمنكر والبغي فهي شرللعدل.

[2]- في المخطوط: حتى يصدونك، وهذا خطأ، لأن دخول حتى يقتضي سقوط نون الجمع.

إن أخذت في قتالهم، فهم يسعون بكل حيلة في أن تقوم لقتالهم، ففيه تعليم قانون عدم التشدد."**وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**" أي هو پروگرام بين الاقوامى.

٣–٢

سورة ن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ن من أوائل ما نزل. قلنا إن سورة العلق ابتداء دعوة قومية وسورة ن ابتداء الدعوة العالمية."**ن**" الحروف المقطعة لنا في حلها طريقة مخصوصة، نحن لانجعل المتشابهات من لايعلمها أحد من الراسخين، وإن كان طريق علمهم ليس طريق النظر والفكر، بل عندنا يعدّ طريق النظر طريقة أخرى. الأنبياء يوحى إليهم بالوحي بواسطة الملائكة أو بدون الواسطة. تلك العلوم لايقدر أن يفهمها الرجل بالنظر والفكر عامة، فإذا لم يكن عند الناس طريق آخر لتلقي علوم الأنبياء، كان الناس كلهم محرومين وما حصلت الفائدة التي أرادها الله بإيحائها إلى الأنبياء، ونحن نعتقد أن النبي إذا شرع في عمل وتوفاه الله قبل إتمام ذلك الأمر، يتخذ خليفة له يتم الله العمل على يديه. موسى توفاه الله قبل الإتمام فاتخذ يوشع خليفة، وكان هو أيضًا نبيًا، فكان يستحق أن يخلفه، أما لو وقع بعد نبينا مثل هذا والنبوة قد ختمت به كيف يستخلف خليفة لايعرف مراده، وهذا الطريق الثاني مسلم معروف عند الحكماء يسمونه بالإشراق، هذا الطريق الذي هذّبه طائفة من علماء الإسلام وحكمائهم وسموه التصوف. والتصوف ليس إلا جعل الرجل صوفيّا، والصوفية في لسان اليونان معناها الحكمة عندنا هؤلاء الصوفية مقام الإشراقيين من الحكماء والمتكلمون كالمشائين، فعلم الحكمة في الإسلام لايتم إلا بجمع الفرقتين: الصوفية وأهل الكلام، وهؤلاء الصوفية أخذوا الروحانية عن رجل كبير الروحانية بدون تكلم وتفكر ممكن مشاهدته معمول في الجمهور، فإن كان لبعض أهل العلم نفرة عن الصوفية لبعض أغلاطهم، وهذا ليس مخصوصًا بهم فلينظروا إلى الأئمة المجتهدين والملوك العظام والخلفاء المسلمين، ولايمكن ذلك من جماعة ارتاضوا في العلم، فهذا النوع من العلم نجعله طريق فهم المتشابهات في القرآن، والجزم بصحتها يحصل بأن لاتكون مخالفةً للمحكمات، فإذا حصل الرجل من أهل العلم فهمًا في المتشابهات يوافق المحكمات، فهذا علم صحيح من أعرض عنه يكون محرومًا، فعلى هذا الفكر العلماء الذين نعتمد عليهم في فهم القرآن والسنة والحكم في مصالح المسلمين فيما ينوبهم من الأمر؛ من يكون منهم جامعًا بين النوعين من العلم أو يكون مختصًا بشيء منهما، لكن يسلم على نفسه رياسة رجل يجمع بين العلمين لايخالف فيما قضاه هو، فهذا الرجل المنفرد بشيء من العلم عندنا أيضًا من الثقات.

فائدة: أبو هريرة يروي أنه حفظ من النبي وعائين من العلم: وعاء يبثه في المسلمين ووعاء لم يبثه، وهو يقول لو لم يبثثه لقطع هذا البلعوم.[١] بعض أهل العلم يقول إنه إشارة إلى علوم الكشف والإلهام،

---

[١]– جاء في **صحيح البخاري:** عن أبي هريرة قال: " حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم ". (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر**

والأكثر على أنه كان إخبارا من النبي بمدد أقوام في الحكومات وإخبارا عن الفتن التي جرت على المسلمين بعد ذلك، ونحن نسلم رأي الأكثر، فتوجهنا إلى أن هذا العلم للنبي ﷺ حصل من كتاب الله أو بوجه آخر ووجد الحروف المقطعة في كتاب الله لايجوز عنها أحد من أهل العلم إلا رجال من الحكماء، ونحن توجهنا إلى تلك المقطعات على قيمتها العددية لأنا وجدنا ذلك العلم معمولًا في شرائع اليهود عامة، وورد فيه رواية عن النبي ﷺ مذكورة في كتب التفاسير فاجتهدنا في ذلك وحصل لنا في أكثر المواضع أحكام توافق المحكمات لأن الأمر في زمن النزول كان مبهمًا، أما اليوم فنعرف في تاريخ الإسلام ما وقع للإسلام بعد نزول القرآن، فإذا وجدنا في عددٍ مُشارٍ إليه بالمقطّعات إشارةً إلى واقعة عظيمة في تاريخ الإسلام، حملناه على ذلك بحسب ظنّنا لايكون هذا نصًا، إنما هو من الأمور الاجتهادية يختلف فيها آراء أهل العلم، فبهذا النوع من الفهم عندنا معتبر في تفسير المقطعات مثل ما يفسر أهل العلم المتشابهات على سبيل الاحتمال رفعًا لريب المرتابين. نحن أيضًا صرنا مجبورا[١] إلى ذلك، لأن الشبان الذين تعلموا العلوم في الغرب من إخواننا ومن أولادنا يسلمون منا شيئًا من القرآن لانتكلم فيه ولانبين لهم ما وصل إليه فهمنا حتى يطمئن به خاطرهم فهم لايسكتون مثل أهل العلم الذين يؤمنون بالمتشابه ولايفتشونه بل هم إما يتكلمون بآرائهم أو يرجعون إلى رجال زائعين عن طريق أهل الحق، فصونًا لهم عن ذلك فصلنا في هذا البحث.

فصل: الكلام على ن

عددها خمسون نأخذ مبدأها من المبعث، فوقع على رأس خمسين من المبعث، تنازل عليٌّ للتحكيم بصفين. عندنا هذا الأمر له أهمية كبرى في تاريخ الإسلام، لأن أمر المسلمين إلى هذا اليوم كان مفوضًا إلى النبي ﷺ في أيام حياته، وأما إلى جماعة من المهاجرين والأنصار الذين عملوا مع النبي في ابتداء الأمر، وكان الأمر راجعًا إلى تشاورهم، وكل ما وقع بينهم اتفاق على ذلك، كان المسلمون يجعلونه أمرًا مثل أمر النبي ﷺ بعد أمر النبي ﷺ، وهذا الأمر كان جاريًا بدون توقف إلى قتل عثمان، وبعده من[٢] بقي من المهاجرين والأنصار في المدينة بايعوا عليًا فهو أيضًا ملحق بإخوانه الخلفاء الراشدين الثلاثة، لكنه لم يقدر على تنظيم الحكم مثلهم وسعى في ذلك نحو سنتين، فلما يئس من ذلك ترك الأمر إلى تحكيم المسلمين. من هذا الوقت شرعت الدورة الجديدة في الإسلام إلى هذا الوقت.

من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، رقم، ١٢٠).

١- هذا أسلوب عجمي، فالتعبير الأنسب: نحن أيضًا اضطررنا إلى ذلك. ثم لفظ "مجبورًا" لا بد من أن يكون في صيغة الجمع، لأنه خبر فعل الصيرورة الثاني.

٢- في الأصل: "ما"، والأنسب "من".

الجمعية المركزية التي كانت حاكمةً على جميع الإدارات المتعلقة بالقرآن وكان حكمها هو الحكم منتظمة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهؤلاء كانوا استفادوا من صحبة النبي ﷺ كانوا يعملون بعيدين عن صحبة النبي في الممالك بالجهاد والقضاء والإفتاء والتعليم والإرشاد، وكان كل ذلك يستند إلى النبي ﷺ، وبعد وفاته عليه السلام ما تغيروا وما غيروا منهجهم، فكان الأمر كان النبي ﷺ منعزلًا في حجرته، وهؤلاء يعملون نوابين نائبين عنه، فكل ذلك كان عمل النبي ﷺ، واستمر ذلك إلى التحكيم لأن التحكيم على الحكمين ما كان من تجوير الجمعية المركزية، فنقول إلى هذا الحد انتهى الجمعية التي أقامها النبي ﷺ، فكان جميع ما عمله المسلمون إلى ذلك الزمان بفعل النبي ﷺ وتعلمه وإدارته للأمور، وفي تلك الخمسين سنة دخلت الإمبراطوريتان في الإسلام، وانتظم حكم القرآن على جميع البلاد المقدسة التي كانت موعودة لإبراهيم، فهذا الأمر كله كان النبي ﷺ فعله بنفسه. الرجل يدير الأمور في حياته ثم يتركهم على قانون واضح وجماعة مجتمعة تعمل على ذلك القانون وتستمر بدون منع من شيء، أفلا يستند تلك الإدراة إلى ذات هذا الرجل العظيم، فما وقع في خمسين سنة من ابتداء المبعث إلى تحكيم صفين فهو من عمل النبي ﷺ، هذا هو المراد عندنا **بـ نون "والقلم وما يسطرون"**.[١] هذه شهادة أخرى بعد "**ن**" كل ما كتبه الناس في التاريخ من أخبار الملوك والأنبياء. هو مصداق والقلم وما يسطرون، نزنهما بميزان أيهما أرجح عندنا. الإنسان إذا فهم هذا ليس عنده طريق إلا واحد يرجح ما عمله النبي ﷺ على جميع ما كتب ودوّن في الأمم من أخبار الملوك والأنبياء. ثم "**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**" نعمة ربك هو القرآن العظيم. أنت محل نزوله ومحل حفظه ومحل فهمه ومحل تفهيمه ومحل إدراته، ليس عندك كمال سواه لاتعمل كرجل مختبط تبين للناس أولا برنامجك بالوحي القرآني ثم تعمل على ذلك بكل قوتك وهمتك. تعلم رجالًا ما كانوا عالمين. تدبر الأمور العظام بدون اعتماد على كل شيء من المواد المالية وتفوز بجمع عقلاء الرجال وأكابرهم وإقناعهم أن لايسعوا في الدنيا إلا لتكميل ما جاء في كتاب الله. هذا تعلق النبي ﷺ بنعمة ربه، فإذا فهم الرجل مثل هذا يقول للنبي أنه مجنون ويستحضر ما عمله النبي ﷺ في خمسين سنة **مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ** ثم من قال إنه مجنون؟ أخبر الله في آخر هذه السورة "**وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ . وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**" الآن فهمنا مقصده. النبي في بداية أمره ذكر لهم أنهم لايعتمدون على قيصر ولا كسرى كما كان طوائف من السياسيين اتخذوها مسلكا لهم بل تعتمدون على الحنيفية دين إبراهيم فقط تغلبون بذلك على كسرى وقيصر، وما جاء في فكرهم أنه يمكن هذا وزعموا أن هذا قول ليس تحته علم ودراية وفكر ورؤية؛ هم كانوا جاهلين بأسرار الانقلاب ولذلك حكموا على النبيﷺ بالجنون، والله سبحانه رد عليهم، وما هو إلا ذكر للعالمين. هو القرآن، هو يعلّم الحركة العالية يجمع

١- هذا الاستباط أيضًا من التأويلات البعيدة التي نجد أمثاله في هذا التفسير حينًا لآخر.

العالمين على اتباعه، وهذا هل يمكن بدون هلاك كسرى وقيصر؟ إذا كان إبراهيم إمامًا للناس وجاء أوان ظهور دينه إلى الدنيا فمن اتخذه إمامًا من أولاده أفلا يغلب على كسرى وقيصر الذين يحكمون على الأرض المقدسة أرض إبراهيم؟ نتم شرح الآية الفاتحة. الذين كفروا يأتون إلى النبي ﷺ يسئلونه عن القرآن، عن الذكر وما يصير عاقبته، وهم يرجون أن النبيﷺ ينتهي عن التحدث بغلبة كسرى وقيصر بعد ما أنكر ذووا العقول من الناس من رجال قومه، فإذا رؤاه ما تأثر بإنكار هؤلاء بل هو جازم بما حدثهم أولا فيشير أحدهم إلى الآخر بالأبصار أن الرجل صار بعيدا عن الفهم، ومثل تلك الإشارات يؤثر في دماغ الإنسان لازمًا، وهم يريدون أن يتأثر النبي ﷺ بهم لأن سياستهم صارت باطلة بعد هذا الإعلان، لأن النبي ﷺ يدعو إلى اتباع الحنيفية دين إبراهيم وهو مرغوب عند قريش جاهلهم وعالمهم بالبداهة، فإذا تأثر الناس بهذا الدعوى هم لايقبلون بعد ذلك دعاية السياسيين الآخرين أن يتبعوا قيصر وكسرى، وهؤلاء يريدون أن يتغير النبي ﷺ في دعواه في الجملة. يلمزون بالأبصار ينسبونه إلى الجنون إذا خرجوا من عنده ويشتدون في ذلك ليتزلزل النبي ﷺ عن قليل أمره. يعترف النبي ﷺ أن هذا الأمر مشكل ولايجدون له مساغًا، والنبي ﷺ جازم، كلما أتوا بشبهة أزالها، لأن القرآن ليس المقصد منه إلا اجتماع العالمين على هداية ليس أمر قريش منظور إليه أول الأمر. إذا تقرر أن القرآن يعمل بهدايته، لابد أن يكون له الحملة، فلتكن تلك الحملة هم قريش، والآن لاينظر إلى ما عليه قريش من عدم أسباب التقدم وينتظم حركتهم السياسية بمقتضى حالاتهم المعاشية[١]، وهم كانوا من أصحاب ذلك النظر، هم ينظرون إلى تقدم قريش بوجه من الوجوه، فلا يجدون طريقًا إلا التشبث بإحدى الدولتين، والنبي ينظر أن العالم كله تهيأ لاتباع الحنيفية أولا وتكون الغلبة على سبيل الانقلاب. أهالي تلك البلاد يقومون على ملوكهم. ليس المراد مقابلة الملوك بالملوك حتى يحتاج إلى تأسيس ملوكية كبرى في قريش، بل ينظم تعليم الأفكار السياسية، وطريق الدعوة إليها، ويجعل مركزها مسجد إبراهيم في مكة، فبهذه الصورة يمكن الانقلاب. والنبي بأعماله في خمسين سنة وصل إلى درجة عالية لايصل إليها أحد من الأنبياء السابقين ولاالملوك القاهرين، ثم تفسير آخر السورة "**وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ**" كل انقلاب يأتي بعدك يكون مستندًا إلى أعمالك، فأجرهم راجع إليه، فيكون لك أجر غير مختتم. هذا الذي كان إليه إشارة بقوله واقترب. إذا كنت إمام إمام السابقين، فكل رجل يأتي بعدك يكون لك أجر مثله. "**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**" تعليمك ليس تعليمًا لايرجع إلى أصل أو يوافق الفطرة الإنسانية، بل فيه الصلابة والاستقامة مع مراعاة الفطرة الإنسانية والرجوع إلى كل ما نقل من الصالحين من أمر الحق، ولايمكن التبديل عن طريقتك أبدًا، يعني لا بعدك رجل أعظم منك "**فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ. بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ**". هؤلاء يعملون على نظام سياستهم فاتركهم وأنت تعمل على طريقتك مستقيمًا، فترون النتيجة أيكم أمره يفسد ويظهر

١- التعبير الصحيح: أحوالهم الاقتصادية.

بذلك الحقانية. إن كان الناس الآن لايقدرون أن يفهموا ما تعلمهم، فبعد مدة قليلة مثل ١٤ سنة يظهر للناس خطائهم. القوة كانت في جانب المخالفين في بدر، والتعليم الانقلابي كان راسخًا في قلوب جماعة من المسلمين، كيف غلبوا عليهم! فستبصر عن قريب معناه هذا لأن هذا اليوم عند الإسلام معروف بيوم الفرقان. وعندنا يوم يكشف عن ساق أيضًا إشارة إلى يوم بدر ، ونأتي إلى بيانه من بعد إن شاء الله. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ. المخالفون للنبي ﷺ أيضًا يريدون غلبة قريش وعندهم هذا أمر دين إلهي لأنهم من أولاد إبراهيم إذا تمكنوا في الأرض لابد أن يقيموا دينه، فالسبيل الذي يمشي عليه النبي ﷺ والمخالفون له كأنه واحد يريدون اتباع الله تبصرة ومن إبراهيم بواسطة قريش، فالله يحكم فيهم إن إحدى الطائفتين مهتدية وأخرى ضلت عن سبيله. توضيح ذلك بمثال رجل انقلابي في زماننا يريد الانقلاب العالي، لابد له من أن يتخذ الانقلاب في قومه ذريعة للمقصد، فهذا الرجل يكون .... والآخر يريد ارتقاء قومه. هذا يقال له .... والثاني إذا كان صاحب بصيرة، يعرف أن الارتقاء القومي لايمكن إلا بالانضمام إلى مركز من ....[1] فالفرق بين الرجلين يكون قليلًا في الظاهر؛ الأول يقدم الأمر العمومي ويجعل الأمر الخصوصي ذريعة إليه، والثاني يقدم الأمر الخصوصي ويجعل الأمر العمومي منتهى مقصده، فالثاني يكون برنامجه مشتملًا على أغلاط كثيرة لأن قومه مبتلىً بالتنزل وسرت إليهم عادات كثيرة فاسدة، فإذا ادعى إلى قومية لايمكنه تجريد برنامج القوم على الأمور المفسدة كثيرًا. إنما يؤولون تلك الفسادات بتأويل ويدعون الناس أنهم لايصيحون على صورة تلك الأشياء، بل ينظرون إلى المقاصد والمعاني ويتقدمون إلى الأمور العمومية، لكن هذا الأمر لايكون له تأثير في قومه إلا قليلا. القوم عامتهم يُصِرّون على صورة الأشياء الفاسدة والذين يفهمون المعاني ويريدون المقاصد العالية، لايكونون إلا شرذمة قليلة منهم لايقدرون على مقاومة العامة من قومه فلايكونون في برنامجهم ناجمين. أما أصحاب الدعوة الأولى فالأمور الباطلة في برنامجهم لايكون إلا قليلا، فإذا كان بيان تلك المقاصد بلسان بليغ يفهمه عامة أهل الفضل من قومه ويتفق أكابر أهل العقل منهم على إمضاء هذا الفكر واستعانوا بالمعرفة العالية وذهنية الفطرة الإنسانية وبثوا دعوتهم مراعين للفطرة في إطار الأرض وجعلوا كل من يتفق معهم في الفكر من قومهم مساوين لهم لايفرقون بين قوم وقوم إذا كانوا على فكر واحد كان نجاحهم في الانقلاب قريبا وأغلاطهم في المسائل القومية قليلة وإصلاح قوميتهم أيسر. هذا أمر جرّبناه على أنفسنا ورأينا المتفكر من هذا العصر كالمتفقين على ذلك، فنحن نجعل طريق النبي ﷺ يقدم الدعوة العمومية على المصالح الخصوصية الراجعة إلى قومه، فكل من آمن به من الحبشة والفرس والترك والروم قبلهم مثل رجال قومه ونظم منهم جماعته وجعلهم حاكمين على مصالح قومه، ففاز في ذلك أهل الحكومات، عارضوه وخاصموه وقاتلوه والله سبحانه سلطه عليهم. إما عامة الناس المساكين

---

[1]- هذه المواضع الثلاثة خالية في أصل المخطوط بدون كتابة لفظة ما.

المظلومين، فضمّ كلهم إلى نفسه مثل قومه وأحبّوه فوق حُبّ قومه له. أما الناس المعارضون للنبي ﷺ فكانوا يقدمون مصالح قريش على مصالح العالم، فما نجحوا إلا في أوائل أمورهم لما لم يتظاهر الحركة الإسلامية لمظاهر الغلبة، وبعد ذلك ظهر خطأهم وضلالهم "**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**" سبيله الحنيفية.

النبي ﷺ وأصحابه المهتدون في تأييد دينه؛ هل يظن أحد من المفكرين أن الدين الحنيفي يتم بدون انضمام بني إسرائيل إلى قريش؟ فإذا جعلنا ما اجتمع عليه قريش في هذا الزمان وما هو مصداق قوميتهم أصلًا من أصول الدعوة، هل يمكن انضمام بني إسرائيل إليهم الأمر الظاهر ولابد أن يتخذ أمرًا عامًا يتخذ فيه بنوا إسرائيل وبنو إسماعيل أساسًا للدعوة وبذلك تبين غلط المخالفين للنبي ﷺ . لو استمروا على ما عليه قريش وجعلوه أساس سياستهم وانضموا مع ذلك إلى قيصر الذي هو سلطان بني إسرائيل في ذلك الزمان ما كان ارتقائهم بذلك إلا قضاء بشخصيتهم وينتهي أمرهم إلى أن يصيروا مثل بني إسرائيل في أيدي الفراعنة. أما إذا جعلنا أساس الدعوة أمرًا عموميًا، فهذا يصعب على بني إسرائيل لأنهم مفرقون في التمدن العصري ومجتمعون تحت إمبراطورية غير دينية وأما قريش فيحصل لهم التجرد عن جميع ما يخالف الحنيفية بالسهولة فيكونون أئمة في ذلك التحريك. وبذلك يتبين أن النبي ﷺ كان مهتديًا في الدعوة إلى دين إبراهيم، وفي تقدم قريش على الناس. والمعارضون له كانت برنامجهم مشتملًا[١] على أغلوطات واضحة، فالرب هو أعلم هو يؤيد المهتدين، ثم هذه الآية "**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**" لما تبينت حقيقة المشرب فالاستقامة بالشدة والقوة تكون باعثًا لنجاح الانقلاب، وإذا كان فيه لين ومداهنة لايتم أمر الانقلاب إذا كانت الحركة ارتقائية، فلا بأس فيها باللين والمداهنة إذا كانت تقتضيه المصلحة. أما في الحركة الانقلابية فلايجوز أبدًا، وذلك موت للحركة لو كان النبيﷺ سلك سلوك المداهنة ما تم هذا الأمر الذي انتهى إليه في خمسين سنة في خمس مئة سنة أيضًا إلا مشاق كثيرة. بعد ذلك آيات في أوصاف المكذبين فالمداهنة معهم لاتضر. أما هؤلاء فليسوا بالانقلابيين هم ارتجاعيون. "**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**". ليس هؤلاء رجال فيهم أخلاق الإنسانية في اجتماعها تحتاج إلى أشياء، فهذا الرجل الذي يظهر أنه عازم على ذلك بالحلف، ثم إذا رأى نفعًا قليلًا، فهذا لايمكن منه الاجتماعية. الثاني "**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**" الطعن في الناس والمشي بالنميم عادة المفسدين لا المصلحين. المصلحون يعرفون لو جازاهم الناس بمثل فعلهم هل يمكن لهم الفوز؟ فإذا علموا أن مقصدهم يفسد بذلك إذا عارضه الناس بمثل فعلهم تجنبوا عن تلك الأفعال، وإن كانت مشتملة في بعض الأوقات على

١- في الأصل مشتملة وذلك من خطأ الكاتب.

فوائد كثيرة، هم يعرفون أن ضرره أكثر من نفعه "**مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**" لايعطي المال لمن يحتاج إليه وإن كان الرجل داخلًا في حزبه السياسي، فهذا منّاع للخير إذا منع الناس عن المال وأباح لأصحابه على قدر حاجاتهم، فلايكون مانعًا للخير، لأن هؤلاء الذين يمنعهم عن المال إذا رأهم أنهم ليسوا من أهل سياسة، ربما يكون إعطاء المال سببًا إلى الانضمام إلى حزبه فمنع المال عن المحتاجين لايرجع إلى مصلحة أبدًا، وهؤلاء مبطلون يمنعون حزبهم أيضًا عن المال "**مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**" يجمع المال بالعدوان وعلى خلاف قانون الأخلاق وبأسباب تخالف الأخلاق الإنسانية، مثل الزنا والربا إذا كان أمثل ذلك سببًا لجمع الأموال لايمتنعون عنها؛ هؤلاء يقال لهم أثيم العدوان إنما يكون بالغلبة بالرياسة أو بالقوة والإثم يكون بخرق عادة حسنة وإبطال العادة الحسنة "**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**" يتكبر في نفسه لاينخضع للحق أبدًا بعد ذلك رجل غير صحيح النسب ليس موجودًا على طريق الشرع يقتضيه الإنسانية عندنا. ليس معناه أن نسبه غير ثابت عن أبيه بل معناه أن أخلاقه فيه عدم النظام لايعتمد على شيء فلا يقال له إنه ابن صدق ويقال له إنه ابن الكذب إذا تعين سوء أخلاق الرجل أيضًا، يكون فيه فائدة الإنسان يجتنبه. أما إذا لم يكن له سجية يعتمد عليها، فكأنه ليس ابن الشر، وهذا يكون مثل الرجل يلبس الحق بالباطل ولانجد لتلك الطائفة كلمة يتبين بذلك باطن أمرهم إلا أن يقال لهم إنهم مثل أولاد الزنا، لأن هذا الرجوع إلى النسب والانضمام إلى قبيلة أو عائلة أو بيت بعين للناس طريق المعاملة معه. أما إذا لم يكن له والد فعامة الناس لاتفهم كيف يعامل معه هذا الرجل فاسد الأخلاق يظهر بمظهر الشرّ ويكون فيه الخير ويظهر بمظهر الخير ويكون فيه الشر، فهل يمكن أن يعتمد على سياسته "**أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ**" هو إنما تقدم على عامة الناس لأنه جمع أموالا ورجالًا. أما أن يكون عنده فكر في ارتقاء الإنسانية في فهم ماضيها أو الحكم في مستقبلها، فليس منها في شيء "**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**" قال في القرآن العظيم يحكي قصص الأولين لتفهيم ذهنية الناس والفطرة الإنسانية ليقدر الناس على الحكم في سياسته على منهاج مستوٍ. أمور تاريخية واقعة لكن لخصت بتلخيص حسن يظهر منها الفائدة في أقرب أوقات وإذا لم يتفكر فيها الرجل لايلتذّ به مثل التذاذه بالتاريخ ولايلتفت إلى كلمات الحكمة التي يثبتها القرآن. والإنسانية في ارتقائها في المستقبل وإنّما تتعلّم الدرس من التاريخ، فإذا رأينا رجلًا من زعماء السياسة ولايقدر أن يفهم تلك الكلمات المختصرة، فذلك نص على عدم فهمه وعدم تفكره، فالرجل إذا كان خاليًا عن التفكّر وجمع أولادًا وأموالًا لايكون باعثًا لشرفه ولايجعل إمامًا يتبع، بل كل ما تيسّر أن يقطع مثل هذا الحطب من الإنسانية ويلقى في النار يكون رحمة على الإنسانية "**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**" معناه إننا نذهب بعزتّه ويستبين لعامة الناس إهانته فلايلتفتون إليه وهذا إذ تنور ضمير العوام يفهم العوام بفهم اجتماعيات الإنسانية والشرك فوائدها ثم غصب هؤلاء لفوائد العامة وجعل الناس محرومين من الاستفادة. يذهب عن الناس فكر أن يظنوا قوم رجل ذي مال صاحب عز، بل من يسعى للاجتماعية لتقدم الاجتماعية الإنسانية، وإن كان رجلًا مفلسًا يكون محبوبًا عند العامة من أصحاب

الناس كانوا ذوي أموال وكانوا يعطون الفقراء أيضًا شيئًا من أموالهم، ثم منعوا عن ذلك أيضًا الذي كان يرجوه الناس منهم وهذا لايكون الأشياء معروفة عندهم، فأهلك الله رأس مالهم وهم ندموا على ذلك وعلموا أن سبب حرمانهم هو منعهم للفقراء وحكموا على أنفسهم أنهم كانوا طاغين فتبين بذلك معنى **طغى** الذي في سورة العلق مضى نزيد حكمة من سورة النازعات: اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى.

" **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ**" إلى **راغبون** هؤلاء منعوا الناس حقوقهم فأخرق الله جنتهم؛ كذلك العذاب في الدنيا "**ولعذاب الآخرة الخ**" هؤلاء كانوا ظالمين فابتلوا بعذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة وأصحاب العدل والإحسان يعني التقوى؛ أمرهم في الدنيا والآخرة على ضد ذلك يكون لهم الحكم في الدنيا والجنة في الآخرة. إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ الخ الناس يريدون التقدم في الاجتماعيات لابالتشبث بالتقوى والعدل، بل بالتمسّك بالأنساب وأشياء غير ذلك ويجعلون أنفسهم بسبب انتسابهم إلى رجل كبير مثل إبراهيم مستحقين للإنعام الذي وعد به المتقون ويعملون أعمالًا خلاف التقوى والظلم مثل أصحاب الجنة. هكذا كان يزعم أكثر صناديد قريش ويظلمون الضعفاء والمساكين وهذا كان سببه كثرةَ أموالهم وهؤلاء يؤسسون طريقًا للسياسة ولغلبتهم على الأقوام وبحذائهم المسلمون يتمسكون بالتقوى يفوزون بمقاومتهم؟ كلا! بعد ذلك "**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**" فلا يكون المسلمون والمجرمون على سطح واحد، بل المتقون يفوزون في الدنيا أيضًا بالحكم على الناس وهؤلاء يكونون محكومين، فهذا الأمر يظهر يوم الفرقان. "**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**". قال السجستاني إذا اشتد الأمر والحر، قيل: كشف الأمر ساقه، فلذلك حملناه على يوم بدر "**وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**" أن يخضعوا للمسلمين فلا يستطيعون لأن اجتماعهم كان مبنيًا على كبرهم. لما علم الناس أن المسلمين تهيؤوا لقتالهم، بعض رجال قريش دعوهم إلى المسالمة والرجوع؛ لأن العير الذي كانوا خرجوا لتأييده رجع سالما إلى مكة، لكن هذا الأمر أن قبله مثل أبي جهل يكون كالتسليم لأمور المسلمين في معاملة الحرب فردّوْها، ثم لما حضروا ميدان الحرب ورأوا بأعنيهم أن الملائكة ينصرون المسلمين يريدون لو تخلصوا بالمسالمة فلايستطيعون. الجاني إذا تاب قبل اقتداء الحكومة يقبل توبته، أما بعد ذلك فلا يترك. هؤلاء أيضًا كانوا يدعون إلى السجود فردوها وبعدما غلب عليهم يريدون ولايستطيعون. هذا الذي قدرنا على تفسير تلك الآيات يوم يكشف ونحن لاننكر أن شيئًا من مثل هذا يقع في القيامة والمحشر. وأما إن تغير القرآن يحتاج إلى تلك القصة فلا. إنما لم يتنبه عليه أكثر المفسرين لأنهم اعتقدوا بدعاية فاسدة أن القرآن ليس في آياته اتساق ولا انتظام. "**فذرني إلى متين**" فلما إنهم لايتبعون أمرك، فالمؤاخذة لأصحاب الثروة الذين تعدّوا على فقراء الناس ومساكينهم من جهة خالقهم لازمة عليهم؛ ليس في ذلك دخل لدعوتك ولدعوت أصحابك. أنت تدعوهم إلى سبيل النجاة عن ذلك؛ فلو كان لهم عقول لاتبعوك وما اغتروا بتأخير عذاب الله. نعم لو كنت تسئلهم أموالهم لتنظيم

دعوتك، لكان لهم عذر، هم يحبون المال أكثر من أنفسهم. هذا معنى قول الله: "**أم تسئلهم أجرًا**" الخ أم عندهم رجال اكتشفوا ما عند الله بدون النظر وعلموا أن الله لايعذبهم بهذه الآثام؛ لأنهم من أولاد إبراهيم أو لأنهم كذا وكذا. عندهم كتاب مثل التوراة والإنجيل يتناقلونها ويثبتون لأنفسهم أن لاعذاب عليهم لكان لهم عذر. هذا معنى قوله: أم عندهم الغيب الخ وبلاكشف وبلا تناقل من كتاب إلهي عندهم. وليس ذلك فالعذاب متحتم عليهم وهؤلاء يعرفون هذا؛ لأن الرجل إذا كان مولى لعبيد واعتدى رجل آخر على عبيده، فالمولى لابد ينتقم منه فالرب لاينتقم من الذين يعتدون ويمنعون المساكين الذين يطوفون حول بيت الله ويصلون عنده، فصاحب البيت ينتقم لامحالة من هؤلاء المعتدين على مواليه. هذا مفهوم عندهم ومتحتم عليهم. "**فاصبرلحكم الخ**" أنت تعمل لتعليم الجماعة وتنظيمهم حسب كتاب الله وإدارتهم الأمور إذا فوّض الأمر إليهم، فبهذه الفرصة التي حصلت لك، تُعلّم أصحابَك؛ لأن حكمةَ الله أن الحكومة عن حكومة، فإن كانت حكومةً ظالمةً قائمةً على العدوان، فلا يتأتى فيها الانقلاب حتى يتهيأ قوم آخر لإدارة الحكومة بالعدل والإحسان بالنسبة إليهم، فأنت إذا لم تهيء جماعتك لتقوم مقام صناديد قريش، لايتأتى الانقلاب؛ فاصبر لحكم ربك وهيء الناس ليحكموا بحكم الرب، وهذا لايكون في ساعة أو شهر أو سنة "**وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ**" هو تعجل وابتلي "**إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ .لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ**" ذوالنون كان مبعوثًا من جهة نبي آخر فأخطأ وتاب، فبعد ذلك جعله الله نبيًا فاجتباه الخ فالنبوة الإلهية لاتتحمل التعجيل قبل الاستعداد التام فالنبي مأمور أن يهذب جماعة ويمرّنهم على تنظيم الحكومة تحت القرآن. ولعل صناديد قريش إذ ظهر عليهم آثار عذاب الله يتوبون فيغفر الله لهم وهكذا كان يوم الفتح؛ لما غلب عليهم المسلمون وأحاطوا بهم، جاء أبو سفيان فأسلم وتاب وكان سببًا لبقاء قريش، فهذه الواقعة كأنها إشارة إلى ذلك من ابتداء الأمر. يهذب أصحابه التنظيم الحكومة على حسب القرآن.

ن عددها ٥٠ وجعلنا إلى مدة التحكيم وعلى ذلك ختمت خلافة نبينا ﷺ . الخلافة الراشدة لجعلها الناس إلى اصطلاح الحسن مع معاوية، فجعلوا هذه الفتنة كلها جزءا من الخلافة الراشدة والأمر عندنا غير ذلك؛ لأن خلافة عليّ انعقدت بالمدينة بأهل الحل والعقد الذين انعقدت بهم خلافة الصديق والفاروق وعثمان، فخلافته كانت صحيحة. انعقدت على طريقة شرعية ثم تركها إلى جماعة من المسلمين، يحكمون كيف شاءوا؛ فالانعقاد الذي بأيدي المهاجرين والأنصار انتهى في ذلك الوقت . الأمر بعده لو كان الناس جعلوه إمامًا بعده كانت خلافته جديدة. جاء في الحديث أن الخلافة ثلثون سنة، تفسيره عندنا بعد أن النبي ﷺ بعد فتح مكة صار خليفة الله، ثم كان أبو بكر خليفة رسول الله لاخليفة الله، ثم كان عمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أمراء المسلمين نصبهم الجمعة المركزية التي قررها القرآن العظيم بنفسه وهم كانوا أهل شورى النبي ﷺ، والشورى في الأمور غير النازلة من الله كانت فرضًا على النبي ﷺ فلأداء هذا الفرض، كانت الجمعية متعينة سمّاهم الله السابقين الأولين من المهاجرين

والأنصار. هذه الطبقة الأولى من شورى النبي ﷺ والذين اتبعوهم بإحسان، هم الطبقة الثانية وعمر وعثمان جعلها تلك الجمعية أمراء المؤمنين وجعلت الصديق خليفة رسول الله فالإمارة التي حصلت لعلي ببيعة السابقين من المهاجرين والأنصار بمسجد النبيﷺ انتهت بتنازله بقول حكم الحكمين. تلك المسئلة كانت واضحة في القانون لكن دعاية الأحزاب المتخالفة لبني هاشم وبني أمية في أيام الفتنة وبعدها، أخفته عن نظر كثير من المسلمين، فالخلاصة ثلثون سنة معناها في ابتداء فتح مكة إلى تحكيم صفين، وكان أول خلفاء النبي وقد كان خليفة الله. ذكر القرآن في سورة البقرة إني جاعل في الأرض خليفة. والناس جعلوها منحصرة في آدم والذي فهمناه من السياق أن الله إنما ذكر قصة آدم، لأنه يريد أن يجعل النبي ﷺ خليفة له في الأرض. قد نص القرآن على داؤد " **إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ** "والناس تغافلوا عن خلافة النبي ﷺ لأنهم زعموا النبوة أعلى من الخلافة وهم لايعلمون معاني تلك الألفاظ بالتحديد الصحيح. النبوة والخلافة مفهومان مختلفان بينهما عموم وخصوص من وجه. الخليفة لايكون إلا من ينتهي إليه الحكم بكتاب الله فيكون خليفة الله في أرضه، حكمه حكم الله، فإذا أخذنا الخلافة من فتح مكة وكان في عشرين من المبعث، تتم ثلاثون سنة على تحكيم صفين، لكن بعض الرواة أضافوا في هذا الحديث كلمة "بعدي" وجعلوا خلفاء النبي مدتهم ثلاثين سنة. نعم هذا يمتدّ إلى صلح الحسن مع معاوية وعندنا زيادة كلمة "بعدي" خطأ من الراوي، وليست بواردة في جميع روايات الحديث. ثم هذه المسئلة فرق عندنا بين خمسين سنة وبين ثلاثين سنة.

٤-١

سورة المدثر

بسم الله الرحمان الرحيم

في حديث البخاري قال رسول الله ﷺ لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب[١]، والمراد أن هذه الخمسة جاءت في القرآن، وإلا فأسماءه كثيرة.والمراد بالمدثر هو الماحي لأن **ادثره** بمعنى **أهلكه** موجود في كتب اللغة[٢]، فمعنى المدثر هو مهلك الكفر وماحيه."**قُمْ**" لأنه لاحاجة لك إلى انتظار شيء بخلاف اليهود والنصارى، لأن كل واحد منهما ينتظر نزول مسيحه، ومسيح أحدهما غير مسيح الآخر، وأنت بنفسك مسيح، والمسيح الذي ينتظره اليهود والنصارى هو في الحقيقة محمدﷺ "**فَأَنْذِرْ**" قومك من نتائج السوء اللحوق بقيصر أو كسرى (من هلاكهم ودينهم في هذه الصورة) " **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**" أي لاتسلم كبرياء أحد ولاملك أحد من قيصر وكسرى إلا كبرياء الله تعالى وسلطنته قانونه تعالى "**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**" وطهارة الثوب يستلزم طهارة البدن والمكان، لأنه ملاصق في الداخل بالبدن، وفي الخارج بالمكان فحاصل "**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**" طهّر البدن، والثوب والمكان وطهارة الثلاثة شرط لصحة الصلاة، والتكبير صلاة، وكذا السجود وغيره، والتقييدات نزلت بعد وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ أي اجتنب من كل نجاسة محسوسة أو خيالية، أي من الخيالات النجسة وغيرها، لأنه لما كان الاجتناب من نجاسة محسوسة ضروريًا، فهو في نجاسة باطنة أولى، وهذا الاجتناب لحفظ صحة الدماغ(***کیوں کہ نجاست سے نہ بچنے میں دماغ بالکل خراب ہو جاتا ہے،***

---

[١]- **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: ٣٥٣٢.

[٢]- إن مادة دثر تدل معنى تضاعف شيء وتناضده بعضه على بعض، فالدثر المال الكثير. (انظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، باب الدال والثاء وما يثلثهما، مادة: دثر.)، وأما معنى المحو في هذه المادة فقد أشار إليه ابن منظور في **لسان العرب** بقوله: قال أبو عبيد: سريعة الدثور يعني دروس ذكر الله وامحاءه منها، يقول: اجلوها واغسلوا الرين والطبع الذي علاها بذكر الله. ودثور النفوس: سرعة نسيانها، تقول للمنزل وغيره إذا عفا ودرس: قد دثر دثورا؛ قال ذو الرمة:"أشاقتك أخلاق الرسوم الدواثر"، وقال شمر: دثور القلوب امحاء الذكر منها ودروسها، ودثور النفوس: سرعة نسيانها. ودثر الرجل إذا علته كبرة واستسنان. وقال ابن شميل: الدثر الوسخ. وقد دثر دثورا إذا اتسخ. ودثر السيف إذا صدئ. وسيف داثر: وهو البعيد العهد بالصقال؛ قال الأزهري: وهذا هو الثواب يدل عليه قوله:"حادثوا هذه القلوب"، أي اجلوها واغسلوا عنها الدثر والطبع بذكر الله تعالى كما يحادث السيف إذا صقل وجلي؛ ومنه قول لبيد:"كمثل السيف حودث بالصقال"، أي جلي وصقل؛ وفي حديث أبي الدرداء: أن القلب يدثر كما يدثر السيف فجلاؤه ذكر الله، أي يصدأ كما يصدأ السيف، وأصل الدثور الدروس، وهو أن تهب الرياح على المنزل فتغشي رسومه الرمل وتغطيها بالتراب. وفي حديث عائشة: دثر مكان البيت فلم يحجه هود، عليه السلام. (ابن منظور، **لسان العرب**، حرف الراء، فصل الدال المهملة.)

وحفظ الصحة مقدم من المعالجة، وهو أصول غفل عنه أهل الإسلام وأخذه انگريز) "**وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ**" *لوگوں کو غلام بنانے کے لیے احسان نہ کر* "**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**" *یعنی خدا کے حکم* 'فأنذر' *پر ڈٹا رہ* "**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ. فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ**" المراد به موت كل شخص لا القيامة كما قال به المفسرون، لأن الموت أقرب إلى فهم الناس بخلاف القيامة لبعدها." **عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ** " جاء لفظ الكافرين في القرآن أول مرة في هذه السورة باعتبار ترتيب النزول؛ فسره القرآن بنفسه بقوله " **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا .سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ.**"

"**ذَرْنِي**" أي افعل فعلك الإنذار ولاتتوجه إلى جزاء من يخالفك ولا إلى الانتقام منه، بل فوض معاملة الجزاء والانتقام إليّ فأنا أنتقم منه إذا جاء وقته، فإن فيه تأخيرًا " **وَحِيدًا** " اكلوتا فهو يكون عزيزًا "**وَبَنِينَ شُهُودًا** " لايحتاج هو وبنوه إلى السفر لكونه صاحب مال وخدم (*ہر طرح کے خدمت گزار ہر وقت موجود ہیں۔*)، فمثل هذا (يعني صاحب المال) يجعل لنفسه رياسة أقل درجة رياسة في البيت، وتترقى رياسته في الرياسة القومية، وأما الرياسة بين الأقوامية فلا يمكن حصولها بالمال، بل هي تحصل بالعقل والفكر، وأما الرياسة القومية فيمكن حصولها بالمال كما هو مشاهد في القرى (*يعني چودھری اور نمبر دار وغیرہ اپنی قوم میں ریاست حاصل کر لیتے ہیں۔*) "**وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا**" يعني تهيأت له أسباب الترقي القومي،" **ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ**" أي أراد أن يحصل الترقي بين الأقوامي، *یعنی وہ چاہتا ہے کہ جو بین الاقوامی ترقی حضور ﷺ کرنے کے لیے اور جو عالم گیر انقلاب حضور ﷺ کرنا چاہتے تھے، وہ میں کروں،*[١] "**كَلَّا**" أي لايمكن منه ترقي بين الأقوامي " **إِنَّهُ** لأنه **كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا**" أي لأنه يخالف قانون الترقي بين الأقوامي الذي لايمكن حصوله بدونه، ويريد أن يحصل بدون ذريعة المال فلايمكن "**سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا** " (قال الشاه عبد القادر[٢] (*اب اس سے چڑھواؤں گا بڑی چڑھائی*) *یعنی وہ ترقی بین الاقوامی کے لیے بڑی تکلیف اٹھائے گا، لیکن کام یاب ہر گز نہیں ہو گا،*[٣] لأنه خالف قانون حصوله الذي جاء به القرآن ثم فسر عناده بقوله" **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ**" يعني أنه أخطأ في التقدير (*یعنی اندازہ غلط لگایا۔*) وقال لايمكن هذا الترقي بين الأقوامي بهذا

١- يعني أنه يريد أن يتحصل على الترقي العالمي الذي حصل به النبي الكريم.

٢- هو عبد القادر بن ولي الله الدهلوي أحد العلماء الكبار، قرأ العلم في صغر سنه على يد أخيه عبد العزيز ابن ولي الله وكان جامعا بين العلم وأوصاف الأخلاق، قرأ عليه كثير من العلماءله ترجمة معاني القرآن بالأردية الشهير اسمها موضح القرآ،.(الحسني، المصدر السابق، ٧: ١٠٢٧)

٣- يعني أنه يصعد للترقي العالمي ويحتمل لذلك المكابد ولكن لا يفلح.

القانون (پروگرام) الذي يعرض القرآن، فأخطأ في التقدير لأن قانون القرآن واحد ذريعته هذا الترقي يعني ." **ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ**" *دوبارہ نہایت ناک منہ چڑھایااور غصہ ہو ہو کر کہا کہ یہ کیاترقی کریں گے، یعنی حضور صلی اللہ علیہ وسلم اس پروگرام سے ہرگز بین الاقوامی ترقی نہیں کرسکتے۔*[١] "**ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ**" يعني أظهر علوه وقال أنا أقدر على هذا الترقي لا محمد لأن قانون محمد ليس بقانون سماوي بل هو سحر يؤثر "**إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**" اي تقوله محمد لحصول الرياسة لنفسه فهو لايقدر عليه بل أقدر عليه، وتعبيره بالسحر لجواب من يقول فمن أين جاء التأثير في قلوب الناس إن لم يكن من الله.

فائدة

الترقي بين الأقوامي يحصل لمن لايعد نفسه كبيرًا من الناس بل يعد نفسه فردًا من أفراد الإنسانية، وأما من يعدّ نفسه عاليًا وكبيرًا كما فعل هذا الرجل يدل عليه قوله **اسْتَكْبَرَ** فلا يمكن له حصول هذا الترقي. ''**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ**'' جزاء لما فعل ''**عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**'' فرض في السماء تسعة عشر قوة، اثنا عشر بروجًا والسبعة السيارة، فالمجموع تسعة عشر، وفي الإنسان أيضًا تسعة عشر قوة تناسب قوى السماء، فقوى السماء مؤثرة وقوى الإنسان متأثرة، لأن كل قوة تتأثر من قوة تناسبها من القوى السماوية، فيه إشارة إلى أن الإنسان لايفنى بالموت بل يفنى بدنه فقط، لأن هذه المؤثرات التسعة عشر لاتفنى، فالمؤثرات كذلك، فالإنسان يترقى بعد الموت أيضًا ''**إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا**'' بل يعرفون ويسلمون أم لا ''**لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**'' أنه صحيح لعلمهم قبله إن المؤثرات السماوية تسعة عشر قسمًا ''**وَالْمُؤْمِنُونَ**'' لأنهم إذا رأوا أن أهل الكتاب سلموه حقًا وهم أهل العلم فهو حق لاريب فيه ''**مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا**'' *یعنی یہ لکھتے ہی رہیں گے* ''**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**'' أي مثل عدة خزنة جهنم أي بعد بيان مثل هذه المضامين المتشابه يضل البعض ويهدي البعض.

"**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**" اعلم أن الثوابت قسمت بين اثني عشر برجًا وجعلت اثنا عشر جندا للتسهيل وإلا كل ثابت له جند وفي كل برج ألوف من الثوابت، فعلى كل برج آلاف الجنود، فبهذا الاعتبار لايعلم جنود ربك إلا هو، "**وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**" أي عدة الملائكة.

"**كَلَّا**" فيه رد زعم المقدر الذي قال بعد التقدير إنه لايمكن الترقي بين الأقوامي بهذا القانون، أي زعمه غلط ثم ذكر تصوير ترقيه بقوله ''**وَالْقَمَرِ. وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ. وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ**'' يعني أن القانون لايفوز دفعة بل يحصل هذا الترقي بالتدريج، مثلا يحصل نور القمر في الليل، ثم بعد ذلك نور الصبح، وهو فوق نور القمر وأعلى منه، ثم بعد الصبح تطلع الشمس وتنور الدنيا، وهكذا يترقى هذا

---

[١]- يعني أن النبي لايتحصل على الترقي العالمي ببرنامجه.

القانون بالتدريج ويثور أهل الدنيا كلهم *یعنی آہستہ آہستہ تمام دنیا میں انقلاب پیدا کر دے گا۔* "**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ**" أي الإنذار الذي دل عليه قوله" **فَأَنْذِرْ**" في ابتداء السورة كذا في روح المعاني[1]، وأكثر المفسرون على أن ضمير "**إِنَّهَا**" يرجع إلى جهنم، يعني أن هذا الإنذار انقلاب عظيم مثل انقلابات كبيرة مضت مثل انقلاب نوح وذي القرنين وإبراهيم وموسى وداؤد وغيرهم "**نَذِيرًا لِلْبَشَرِ**" أي للإنسانية كلها لكونه انقلابًا عالم گیر "**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ**" أي فمن شاء منكم التقدم إلى هذا الانقلاب فليتقدم، ومن شاء فليتأخر (*یعنی جس کا جی چاہے، اس انقلاب کی طرف سبقت کرے اور جس کا جی چاہے پیچھے ہٹے۔ جو آگے بڑھے گا، کام یاب ہو گا اور عزت پائے گا اور جو پیچھے ہٹے گا، وہ ذلیل ہو گا، لیکن اگر کوئی یہ چاہے کہ میں اس انقلاب سے بچ جاؤں، یہ غیر ممکن ہے؛ کوئی نہیں بچ سکے گا۔*)[2] "**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**" محبوسة بأعمالها السوء "**إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ**" فهم ليسوا بمحبوسين "**قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**" ذكروا أربعة أسباب: ١الأول: "**لم نك من المصلين**"، الصلاة مشتقة من الصلعة كما هو طريق الاشتقاق، والصلعة معناها الذريعة ثم جمعوها فصارت صلاة، ويقال للصلاة صلاة جامعة لذرائع قرب الله تعالى من القيام والركوع والسجود، فالحاصل إنا لم نكن مرتكبين ذرائع قرب الله والاستغراق في محبة الله حتى يحصل لنا درجة الإحسان.[3] ٢الثاني: "**وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**" إطعام المساكين والمحتاجين لابد منه للترقي، لأنهم بعد إطعامهم لهم، يصلون إلى درجة المطعمين (*اور مطعمین ان کے برابر رہنا نہیں چاہیں گے، تو اوپر ترقی کریں گے۔ یوں ہی نیچے سے ایک دوسرے کو دھکیل کر اوپر لے جائیں گے۔*)فمن لايطعمهم فهو لايريد الترقي، ولايمكن حصول الترقي بغير إطعام المساكين والمحتاجين.[4] ٣الثالث: وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ أي لم نعين مقصد وپروگرام حتى نتفكر فيه، بل كنا نخوض الأحاديث بغير تعيين المقصد، هذا أيضًا دليل عدم

١- نص **روح المعاني**: "وقيل ضمير إنَّها يحتمل أن يكون للنذارة وأمر الآخرة." (شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني، ت، علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٥ء)، ١٥: ١٤٥.

٢- يعني من شاء يسبق إلى هذه الثورة ومن شاء يتأخر، فمن شاء يكون فائزا ومحترما ومن يتأخر يذل ولكن لو شاء أحد أن يتجنب عنها لايمكن.

٣- هذا الاشتقاق لم أجده في كتب اللغة. والاشتقاق المعروف والموجود في الكتب هو أن الصلوة مشتقة من مادة: ص ل و / ي، التي تدل على أمرين: النار وما أشبهها من الحمى والثاني هي الدعاء. (ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، باب الصاد واللام وما يثلثهما، مادة: صلى.)

٤- فهؤلاء مانعون عن الترقي، فهم يقطعون (*یعنی یہ ترقی میں آڑ ہیں، ان سب کو صاف کر دیا جائے گا اور ترقی کی آڑ اٹھا دی جائے گی۔*فهم الذين يصدون عن سبيل الله.) (العبارة من المؤلف)

إرادة الترقي. ٤ الرابع: وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ *یعنی ہم اپنے آپ کو اپنے اعمال کا ذمہ دار نہیں سمجھتے تھے، ان کی جزاوسزا کے قائل ہی نہ تھے، حتیٰ کہ آخری وقت جزاوسزا کا مقرر ہے، اس کے بھی ہم منکر تھے۔* (١)

"وَكُنَّا نَخُوضُ" نتحدث مع المتحدثين من غير فكر في مقصد، لأنه لم يجئ في ذهننا مقصد نتفكر فيه، لأن الفكر يكون بعد تعيين المقصد، ولم نعين مقصدًا. **"وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ"** *يعني ہم اپنے اعمال کا اپنے آپ کو ذمے دار نہیں سمجھتے تھے، اس لیے ہم یوم محاسبہ کے منکر تھے۔* **"فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ"** لأن الشفاعة تنفع من يخطئ في حياته الانفرادية، لكنه يعمل في الحياة الاجتماعية أعمالًا صالحة، فإذا أراد الله تعالى أن يعذبه بذنوب ارتكبه في حياته الانفرادية، يشفع له الذين عمل معهم أعمالًا في الحياة الاجتماعية ويقولون يا الله إنه فعل معنا كذا وكذا من الأعمال فاغفر له فغفر له أخطاء التي صدرت منه كلها[٢]، وأما من لم يعمل عملًا في الحياة الاجتماعية، لايغفر له خطيئاته. **"فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ"** أي ما وجه إعراضهم عن هذا القانون بين الأقوامي(أي *دنیا کے انقلاب کا پروگرام*) ثم ذكر ثلاثة أوجه: أحدها بقوله: **"كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ"** أي لهم نفرة من هذا الانقلاب مثل نفرة الحمر من الأسد. الثاني بقوله: **"بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً"** [٣]مثل ما أوتي محمد عليه السلام حتى يبقى عظمتنا(*یعنی ہماری بڑائی برحال رہے۔*) لأن في هذه الصورة لايكون أحد تابعًا للآخر، وأما في صورة اتباعنا محمدًا ﷺ فتفوت كبريائنا فلا نتبعه. **"كَلَّا"** "یعنی *ان کے انکار کا بھی سبب نہیں ہے جو مذکور ہو، بلکہ* لايخافون الآخرة. وذكر الثالث بقوله: بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ يعنى *وہ اپنے آپ کو اپنے اعمال کا ذمہ دار نہیں سمجھتے اور محاسبہ کے دن کو نہیں مانتے، اس لیے وہ کسی قانون کی پابندی نہیں کر سکتے۔*

"كَلَّا" أي لايعطي لكل واحد منهم صحفًا كما يقولون ولاحاجة إليه لـ **"إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ"** فمن شاء استفاد منها، ومن لم يشأ لايستفد منها، فهو يهلك نفسه، لايمكن سلامته من هذا الانقلاب من غير اتباع هذه التذكرة. **"إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ"** أي پروگرام للإنسانية كلها، لايلزم من أنكار مثل هذا الأحمق نفي كونه تذكرة، بل هو في الواقع *عالمگیر پروگرام ہے*"**فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ. وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**" ذكره بعنوان عام لعدم العلم لنا بمن يستفيد منه، أي من وضَع اللهُ فيه استعدادَ الاستفادة منه يذكره، ومن ليس فيه استعداد الاستفادة لايذكره **"هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ"** *یعنی اس کے نام سے عدل ممکن ہے، دوسرے*

١- يعني ما كنا نعد أنفسنا مسؤولين لهذه الأعمال ولاكنا نقول بيوم الجزاء حتى كنا نكذب بيوم الجزاء.

٢- وفي أصل المخطوط: غفر له خطاءته الذي صدر منه كله. وفي هذه العبارة أخطاء، فإن جمع الخطأ أخطاء، وثانيا لابد من الإتيان باسم الموصول "التي" ثم ضمير الصلة أيضًا يكون مؤنثًا.

٣- يعني إن كان لابد من هذا الانفلاب فصورته أن يؤتى كل واحد قانونه(أي پروگرام).

کے نام سے عدل ممکن ہی نہیں ہے، کیوں کہ دوسرے کو انسان دھوکا دے سکتا ہے، لیکن اللہ کے نام سے جو عمل کرے گا، وہ کبھی خلافِ عدل نہیں کر سکتا، کیوں کہ وہ خدا کو علیم بذات الصدور سمجھتا ہے، اس سے اپنے کسی عیب کو چھپا نہیں سکتا۔[۱] "**وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**" لخطيئات وقعت في اتباع قانونه "**التَذْكِرَةُ**" معناه یاد دھانی تعلیم کے معنیٰ ہیں۔ انسان کی استعداد اور قویٰ جو اس کے اندر پہلے سے موجود ہیں، مگر وہ خوابیدہ تھے۔ ان کو بیدار کر دینا تعلیم سے کوئی نئی چیز (جو پہلے سے انسان میں موجود نہیں تھی۔) پیدا نہیں کی جاتی، تو تعلیم ایک یاددہانی ہوتی ہے اور بیدار کرنا ہوتا ہے خوابیدہ قوت کو۔[۲]

---

[۱]- يعني يمكن العدل باسمه تعالى ولايمكن العدل باسم غيره لأن الإنسان يمكن أن يخدع الآخرولكن العمل الذي يجيء به باسمه تعالى فلايكون خلاف العدل، لأنه يعد الله عليما بذات الصدور ولايستطيع أن يستر عنه عيبا ما.

[۲]- التذكرة معناه تذكير التعليم. إن الإنسان فيه مواهب والقوى ولكنها كانت نائمة فالتعليم يجليها ولايخلق أمرا جديداً.

٤–٢

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

الْمُدَّثِّرُ: في هذا الاسم أيضًا دفع الاشتباه مثل المزمل. وما جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال دثروني دثروني[١] فإنما يجعله الناس متعلقًا بهذا، لأن التفاف النبي ﷺ بالثوب كأنه إشارة إلى ترك الأمر، فالناس فهموا أن النبي ﷺ كان يريد الراحة والسكون والله نصبه على منصب عظيم، فيكلف أن يقوم الليل، فينذر فانتظم في فكرهم هذا المعنى، لكنا نتأمل في سيرة النبي ﷺ بوجه على غير فكرهم. النبي ﷺ بفكرته وقوته كان يريد هذا الأمر الذي أمره الله به. أكثر الكتب التي توجد عندنا في التفسير والسيرة، ألفت في زمن بني هاشم أي الخلافة العباسية ومن بعدهم آل بني هاشم. إنهم أولًا أقاموا الانقلاب سريًا خلاف بني أمية واستعانوا باللعلماء. إنهم كانوا يبينون للناس مثالب بني أمية ومناقب بني هاشم وكان لعلمهم أعظم تأثير في فوز ذلك الانقلاب، ولما تمكنوا من الخلافة ورأى الناس الصالحون من العلماء أنهم أفسد من أمر بني أمية، وهم إنما كانوا قاموا بضد بني أمية لرجاء أن الحكومة تصلح إذا وصلت بأيدي بني هاشم، وهم كانوا يتبعون القانون ويدعون إلى الهدى أي الأخلاق الحسنة، ولما رأوا بعد تغلبهم على الخلافة أنهم ما أصلحوا شيئًا مما كانوا يعدون به، بل استبدوا بالأمور وفعلوا أمورًا منكرة أكثر مما كان يعملها بنو أمية، غدرهم بالعلويين قتل الصالحين منهم بأشد العذاب، أوجب تنفير عامة أهل العلم عن بني عباس، ثم كان معهم قوة فارسة تعرف السياسة الاحتيالية، فأرادوا أن يسدوا أفواه العلماء ويسلبوا قوتهم السياسية في الدعاية إلى إقامة الحق فأوجدوا مسائل لامعنى تحتها مثل خلق القرآن وعذبوا طوائف من الناس ثم منعوهم عن رواية الحديث. مسئلة خلق القرآن كانت تمهيدًا لذلك فانخدع طائفة من المحدثين والفقهاء على موافقة سياستهم فأجازوا لهم رواية الحديث فدخل بذلك بعض الأحاديث الضعيفة في الصحاح، منها أن الخليفة إذا صلى لاتتعرض لأعمال[٢]، ومثل ذلك أشياء أخرى مدسوسة في كتب الحديث، والفقهاء أوجدوا الحيل باسم تدقيق القانون فأباحوا المحرمات وسهل

١– في بعض الروايات جاء هذا اللفظ بالتكرار وفي بعضها بدونه. وألفاظ السنن الكبرى للنسائي: أخبرنا الربيع بن محمد بن عيسى، حدثنا آدم، حدثنا شيبان، عن يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله بن قارظ الزهري، أن جابر بن عبد الله أخبره، أن أول شيء نزل من القرآن يا أيها المدثر "، قال جابر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " جاورت بحراء، فلما قضيت جواري أقبلت في بطن الوادي، فنادى مناد فنظرت عن يميني وشمالي وخلفي، فلم أر شيئا، فنظرت فوقي فإذا جبريل جالس على عرش بين السماء والأرض، فجئثت منه، فأقبلت إلى خديجة فقلت: دثروني دثروني، وصبوا علي ماء باردا، فأنزل يا أيها المدثر ".(أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(٣٠٣هـ)، **السنن الكبرى**، تخريج، حسن عبد المنعم شلبي،كتاب التفسير، سورة المدثر، رقم: ١١٥٦٩.)

٢– لم أجد في هذا المعنى حديثًا في كتب الصحاح.

على الفساق أن يجلسوا على مسند الخلفاء.[١] هذه كانت حالة البلاد وسياسة تلك الاجتماعيات، فمن كتب ذلك الزمان وصلت إلينا أشياء واعتمدنا عليها، وهي كلمات خالية عن الحكمة، ألفاظ بليغة وصورة حسنة ولكن ليس تحتها شيء من حكمة القرآن ولا إعجاز فيها إلا أن بلاغته كانت مفهمة للناس. سياستهم خرقاء، سياسة حزبية مبنية على فوائد بيوت خاصة، فمن هذا الزمان حفظنا من تفاسير القرآن لانقدر أن نقول كم بقي فيها من معاني القرآن عشرة أو عشر عشرة.[٢] ثم خرّج الناس من تلك الكتب كتبًا يختصرون فيها وينقصون، وهؤلاء هم العلماء، ونعرف من هذا أن الله حفظ القرآن، وهو قد بقي محفوظًا مع تلك الانقلابات، وإذا كان رجل جبله الله على الحكمة وطالع كتب الأديان السابقة ثم قرأ القرآن يكون كافيًا لهدايته، وهذا يصل إليه أيدي هؤلاء الظالمين حتى يحرفوها فإذا كان رجل بفطرته يفهم ثم يقرأ كتب الحديث الصحاح منها، وجد الكثير الطيب محفوظًا، وهذا الرجل يقدر على إخراج ما أدخلوا فيها من الفاسد إذا كان متبصرًا في المعاني القرآنية. ولما كان هذا قليلًا، وإن كان تعيينه يحتاج إلى اجتهاد كبير، نقدر أن نقول إن الحديث أيضًا محفوظ في المسلمين، لكن لامثل حفظ القرآن وبعد ذلك أشياء كثيرة من الفقه والسيرة والتاريخ الرطب واليابس مخلوط فيها. فرض على كل جماعات المسلمين في جميع آثارهم في جميع أعصارهم أن يكون فيهم طوائف يعرفون التمييز بين الحق والباطل. كل قوم من المسلمين غفلوا عن إقامة هذا الفرض أياما يلتحق باليهود والنصارى، فالأمر الذي نحن نعرفه من سيرة النبي ﷺ هو غير ما تثبته تلك الكتب الطويلة العريضة. النبي كان ﷺ مضطرًا على إقامة الحق، وتربيته كانت في بيوت عالية من قريش كانت فيهم بقايا من الحسنات الملة الإسماعيلية ثم كان ذلك الزمان زمان الانقلاب، والفرس والروم كانوا يتنازعون فيما بينهم وكل منهم يريد أن يجذب الأمم إلى نفسه وكان تأثيرهم في قريش أيضًا قويًا، وكان في قريش أحزاب سياسية ثلاثة: قسم يميل إلى قيصر وقسم يميل إلى كسرى وقسم يجتنب عنهما ويقيم الحنيفية والنبي ﷺ كان القسم الثالث بفضائله الجبلية، وكان لازمًا أن يشتغل في السياسة، وفي قلبنا جزم بأن النبي ﷺ كان يغلب على المخالفين كلهم. هذا كان استعداد النبي ﷺ ثم تفضل الله عليه بالوحي وجعله نبيًا خاتم النبيين وجعل دعوته دعوة انقلابية في العالمين. أفيُظن على طريق منكرنا أن النبي ﷺ كان يميل إلى أن يلتف بثوبه ويجلس في بيته والله أنزل عليه الآيات وقال قم قم فقام؟ لكن مصلحة تلك الدولة التي صنفت في زمانها الكتب أن الدين الذي جاء به النبي ﷺ خالٍ عن الحكمة والسياسة، ومن يتكلم بالحكومة والسياسة رجل مبتدع غير ديني معتزل فاسد العقيدة، فالذين يقرؤون القرآن بذهنية الأشاعرة لاحاجة لهم في شيء من التفكر

١- هذا بالنسبة إلى البعض وإلى قام مثل أحمد بن حنبل ضد هذا التيار وتحملوا في سبيل ذلك من المكابد ما تحملوا.

٢- لعل هذا التصوير صدر لحمية بني أمية وإلا أن النصوص دالة على حفظ الإسلام و بقاء رسالته على صورته النقية و حمل العدول من كل خلف رأية الإسلام.

إلا إذا جاءت آية ترد نظريتهم فيؤلونها مثل عامة المقلدين يقرؤون كتب الحديث فإذا جاء شيء يخالف مذهبهم، يؤلونه وهذا إكمال علم الحديث عندهم. هذا الرجل إذا عرضنا عليه **حجة الله البالغة** يندهش مثل ذلك من العلوم الحكمة العالية كانت مرتكزة في الأحاديث التي رواها أبوداؤد والبخاري و الترمذي، ثم إذا جعلنا جميع ما في **حجة الله البالغة** وما زاد عليها الشيخ في تصانيفه المتفرقة تلك الحكمة كلها راجعة إلى كتاب الله واستنبطناها من السورة القرآنية، يرى هذا العلم في الدنيا غير التي كانت فيها الأول. فالمدثر عندنا معناه المهلك للكفر، دخل فيه صفة المبالغة لأن هذا كان من جبلة النبي ﷺ بطنا تحت بطن، فالقوة التي كانت موجودة في جبلة النبي ﷺ أظهرها بهذا الاسم وترجمة النبي ﷺ في الحديث الذي ذكرناه بالماحي الذي يمحوا الله به الكفر لما رأينا في كتب اللغة دثره أهلكه تعجبنا من علماء اللغة لِمَ لم يلتفتوا إلى هذا المعنى؟[١] وذكر عذرهم في سورة المزمل.

"**قُمْ فَأَنْذِرْ**" يعني جميع من يصل إليه صوتك فكان لازمًا على النبي ﷺ أن يخرج بتعليمه جماعة يبلغون قوله إلى الأمم، فالقوة المركزية للمخرجين حصلت بقيام الليل استمروا عليه سنته، فهؤلاء الصحابة يكون لهم أصحاب ولأصحابهم أصحاب حتى يبلغوا إنذار النبي ﷺ إلى اليهود والنصارى والفرس والروم أولا ثم هذا، ثم يخرج من تلك الأقوام رجال يبلغون الدين إلى أقوام تليهم.

"**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**" الكبير يكون في القبيلة ثم في المدينة ثم في المملكة ثم في العالمين، فلانجعل كبيرًا سوى ربك فلايكون الملك لأحد من ملوك الأقوام، بل يكون تحت قانون عمومي يستوي على الإنسانية لجماعة تخرجوا بالقرآن سماهم الله بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وتلك الجماعة يقدمون لإدارة أمورهم رجلًا أميرًا عليهم لكن الحل والعقد يكون الكل بيد تلك الجماعة. تلك السياسة القرآنية اختفت على الناس بسبب دعاية العباسيين وغيرهم واشتبهت بتقديم أبي بكر لعمر. الأمر بيد واحد من أولي الأمر مثل استخلاف الملوك لأولادهم والأمر لم يكن ذلك. أبوبكر من تلك الجماعة المركزية رجل كبير له حق الاقتراح وإذا سلمه الجماعة تم الأمر، والجماعة ما سلمت إلا بعد المباحثة. قالوا لأبي بكر ما تقول عند الله أقمت علينا رجلًا شديدًا فأجابهم بجواب اقتنعوا به،وهو أن الشدة ليست في جميع الأحوال فالأمر بتقديم عمر لم يكن من أبي بكر بل باجتماع السابقين عليه. هكذا عثمان ما قدمه إلا السابقون الأولون. وعلي كان يحتجّ في زمنه أنه ما قدمني إلا من قدم عمر وعثمان فوضع الأمر أن الأمير كان من حق الجماعة لامن حق الأفراد ولكن سياسة بني أمية أولا ثم سياسة بني عباس ثانيًا تريد أن تخفى هذا الحق وما قدروا على إخفائه تاما، فسياسة الإسلام التي فهمناها هو هذا ربنا الله وحده لاشريك له في الملك وعلم الناس في تلبية الحج تلك الكلمة أن الحمد

---

[١]- نجد في بعض اللغات أن "دثر" مترادفه "أهلك". ولعل الشيخ السندي يشير إلى هذا المعنى، ولكن الحمل على هذا المعنى في النص القرآني تأويل لايخلو من التعسف.

والنعمة لك والملك لاشريك لك، والقوة الانتظامية الإدارية موكولة إلى جماعة تكون أقرأ الناس بكتاب الله وعارفة بسيرة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار. تلك الجماعة تكون في الحقيقة كفيلة لإدارة ويقدمون رجلًا منهم لإصلاح نظامهم. هذا الرجل ليس له استحاق في شيء من الأمور إلا بالمشورة مع تلك الجماعة فالمسلمون كما قدموا وأخروا في سنن العبادات، هكذا كان منهم إفراط وتفريط في إدارة السياسات. الصور لاتعتبر إلا للمعاني، فإذا غيرت جماعة من المسلمين صورة النظام عن المأمورية لكن أقاموا مع ذلك الدين الحق في داخل المسلمين وبلغوا كلمة الإسلام إلى أقوام العالمين على المنهج الذي تركهم النبي ﷺ عليه. مرادنا من ذلك كل من أسلم من المخالفين يجعلون له من الحق مثل حقوقهم ثم من قبل إطاعة حكومتهم يجعلون له حرية دينية ومن يعاندهم يقاتلونه، فإذا كانوا باقين على تلك الطريقة في المعاملة مع أقوام العالم وفي المسلمين نصبوا قضاة عالمين بالكتاب والسنة يقضون بينهم بالحق وغيروا صورة الحكومة من الشوروية إلى الانفرادية إلى الحكومة المستبدة فإذا أقاموا المعنى يكون جرمهم خفيفًا وإذا تركوا المعنى وبدلوا الصورة، فهم الذين غيروا دين الله، وإثم تنزّل الإسلام كله يرجع إليهم وإثم تنزّل السياسة الإسلامية كله يرجع إليهم، فمعنى "**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**" لاتدع إلى حكومة رجل كبير كائنا من كان "**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**".

"**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**" طهارة البدن في باطن الثوب وطهارة المكان من خارج الثوب وهذه القصة من اقتضاء الإنسانية الصحيحة نلحقها بالملائكة وتكون نتيجتها بالتدريج التنفر عن الأخلاق الخبيثة فالجماعة التي تكون حاكمة بالقرآن يلزم أن تكون ممتازة في الصورة أيضًا، ويكون مجلسهم وملبسهم نظيفًا، ورأينا بالتجارب أن كل أمة التزمت الطهارة يكون مرجعها إلى الارتقاء ومن يكون عادتهم ترك الطهارة يكون مرجعها إلى ارتجاع إلى الحيوانية، فهذه علامة ظاهرة لصحة المزاج القومي. "**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**" هذا معناه الأخلاق غير الطيبة التي لاتلائم الاجتماع وكذلك والخيالات الفاسدة، يلزم على الرجل اجتنابها، ليكون مستعدًا لفهم الحكمة القرآنية.

"**وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ**": إذا أحسنت إلى رجل لاتطلب جزائه كثيرًا منه. هذا تمرين لخلق العدالة. "**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**"إذا كنت لاتقدر أنت قبول حكومة غير الله وتريد أن تجعل نفسك ممن ينقاد لربك فقط، فتحصيل تلك الحالة يحتاج إلى تحمّل مشقات كثيرة، فلذلك فاصبر، فإن كنت تتصور أن توحيد الرب في الملوكية سهل، إذا قلنا به حصل، فليس الأمر كذلك، فلتحصيل ذلك عليك أن تصبر على المشقات، وهذا هو غاية هذه الدعوة. قد ذكرنا في المقدمة الخصال الأربع التي أدى إليها جميع أمور الدين. فنرى في الآية "**ربك فكبر**" إخباتًا وخضوعًا للرب و في "**وثيابك فطهر**" طهارةً وفي "**والرجز فاهجر**" سماحةً و في "**ولاتمنن تستكثر**" عدالةً، ومع ذلك يكون تعظيم شعائر الله أيضًا جزاء من الدين فإقامة شعائر الله محتاج إلى مشقة عظيمة، فكان في قوله "**ولربك فاصبر**" إشارة إليه، فالنبيﷺ أمر

بالإنذار وجمع له مقاصد دينه في كلمات مختصرة فتبين بذلك معنى الإنذار أن لاتخالفوا هذه الأمور فالذي ينكر هذا الإنذار له مدارج: رجل يستمع لكن لايفهم ويريد أن يفهم وإن كانت صورته صورة المخالفين لكنه ليس منهم. رجل يفهم ويرى أن ذلك يضره لأنه يسلك طريقًا في السياسة غير ذالك فينكر في ذلك غاية جهده وأنه مع الأسف ما أدرك الحقيقة، فهذا هو المخالف حقيقة واسمه في لغة القرآن: الكافر، فالكافر يستعمل في القرآن كثيرًا ومعناه الحقيقي مبين في هذه السورة فقط. ولما كان الأمر بالإنذار فكان متوجها إلى المخالفين فقط، وما بين خلاصة أمر الدين إلا ليتبين أمر المخالفين. إنهم ينكرون ما يوجبه الفطرة الإنسانية مثل الطهارة والسماحة والعدالة والإخبات، فالقصد من هذا البيان هو تحديد كلمة الكافرين.

"**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ**" وجاء أوان الرحلة من الدنيا. النقر في الناقور كان علامة الرحلة في القوافل، معنى هذا وقت رحلة الإنسان من هذا الدار عندنا. وليس معناه القيامة كما يستعمله أكثر المفسرين وعندنا كلمة الشيخ سعدي كوس رحلت بكوفت دست اجل [١]كأنه ترجمة هذه الآية. "**فذلك**" إلى **غير يسير** بعد الموت يظهر مجازاة الأعمال الشخصية فصلها الشيخ في **حجة الله البالغة** وغيرها، فإذا ترك الناس مقتضى الفطرة الإنسانية فطرتهم تجاريهم وتطلب منهم الضروريات التي تركوها فيكونون حائرين هائمين لايجدون ملجأ فيتعذبون بذلك، فحقيقة الكفر تستلزم مضرة للكافر. يظهر ذلك على الفور بعد موته. بقي بعد ذلك إيضاح معنى الكافر.

"**ذرني ومن خلقت**" إلى "**إلا قول البشر**" التحقيق عندنا أن الأمثلة القرآنية لاتريد شخصًا معينًا بل جماعة تصدق عليهم تلك الأوصاف وعامة المفسرين يجعلون إفراد الصيغة دليلًا على كون المراد رجلًا معينًا، ثم يتكلفون في تطبيقه عليه، و على هذا عامة المفسرين، وفساد ذوقهم في فهم القرآن أنهم يجعلون الآيات العامة منزلة في حق الرجال المخصوصين وكل ذلك من تلبيس السياسيين الدجالين الذين يريدون أن لايحكم عليهم المسلمون بالآيات القرآنية العامة اتخذوا عذرًا. تنفعهم أن تلك الآيات نزلت في رجال مخصوصين فالآية التي يكون فيها إشارة إلى الخصوص، فواجب على المفسرين أن يأتوا بالشهادات أنها نزلت في كذا، وكذا يذكر الله في التمثيل رجلًا كان وحيدًا لأبيه وأمه فكأنه نشأ في رفاهية تامة من ابتداء أمره. وإذا بلغ وصار رجلًا حصل له مال ممدود يحصل نفعه بالتجارة أو بزيادة نسل المواشي الإبل والبقر والغنم وجعل الله بنين لايحتاجون العمل شهودا في بيته وهو إلى درجة من التمدن. يرتقي بالطبع هذا الرجل يصير كبيرًا لقبيلة صاحب الأولاد والمال. هذا عندنا معنى قوله "**وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا**" يعني تمهيدا في ارتقائه المناصب العالية لكن هذا لايخلو عن تقدم في قبيلة وعائلة "**ثم يطمع أن أزيد**" يريد أن يصير كبيرًا في قومه في ملكه **كلا** لايمكن ذلك لأن ذلك يحتاج إلى انتظامه بقواعد أخرى، يعرف الحق

---

[١]- هذا من كتاب الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي **روضة الورد** (گلستان) في الباب الأول في سيرة الملوك.

العمومي للناس، يقدر أن يبين ذلك لعقلاء الناس ويقنعهم أنه يقضي لهم بالحق أو يكون عنده قوة قاهرة من العساكر يغلب بذلك على المخالفين ويستبد بالأمور فإذا أراد الرجل أن يتقدم في ملكه يلزم عليه أن يتبع قواعد مقررة عند الله في ذلك وهو يخالفها مع فهمه يقول لا حاجة إلى ذلك إصلاح العقيدة والإيمان وإصلاح الأخلاق والأعمال ليحببه إلى الناس تقدمه كأنه ليس بلازم عنده وهذا كان مقدورًا له لو التزم، وأما تغلبه بالعساكر القاهرة فليس في قوله فآيات الله اللازمة لتحصيل منصب من مناصب التقدم هو ينكرها ويعاندها بضد ذلك قصدًا ويمكن له أن يحصل له الترقي الزائد على ما حصل له من كونه كبيرا لقبيلته. "**سأرهقه صعودا**" معناه أنه عندنا يترقى في الظاهر ويزعم أنه يصعد في المرتبة وفي الحقيقة يكون سبب هلاكية ومحرومية عما كان حصل له من الجاه والمكنة صعودًا أصعده صعودًا هو يجمع قوته لمخالفة الحق الذي جاء له النبي ﷺ وهو يزعم في ابتداء الأمر أنه يترقى في ذلك ، وفي نهاية الأمر يخسر فيكون ترقيه معكوسًا. هذا فهمناه من كلمة الصعود. صعوده يكون سببًا لنزوله فالرجل إذا لم يكن معاندًا لايسمى كافرًا في لسان القرآن. الكلمة تستعمل مجازًا في غير الحقيقة فيغلظ به الناس كثيرًا. ذكر عناده بقوله "**إنه فكر وقدر**" ورأى أن هذا الأمر يكون خير قريش وخير الحجاز لكن رآى الطريق الذي سلكه هو لايوافقه فرجع عن ذلك التقدير وجعله سببًا لنقصان وحرمان يأتيان على أهل الحجاز ثم نظر مرة ثانية فظهر له الحق وأراد اختاره إخفائه "**ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ**" كأنه لم يظهر له شيء من الحق ثم قطع قرارًا أنه لايوافق هذا الحق بل يجعل مسلكه ناجحًا بخسران ذلك الطريق. هذا معنى قوله "**ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ**" قرر أنه يخالفه هذا **أدبر** ويريد أن يظهر باطله على الحق هذا **استكبر** الآن لم يبق عنده شيء إلا أن يذكر وجها ثم يتوجه الناس إلى النبي ﷺ وتكلم معه لايقدر على مخالفته فكأنه سحر، حصل له شيء من كان متوارثًا عند الأقوام الآخرين. غاية ما في الباب النبي ﷺ يدعي أنه هذا الأمر يغلب على العالمين فهذا دليل على أنه من الله إذا كان هو صادقًا في هذا الأمر لكن لايكون هكذا، بل مثل البشر في غلبة على الناس يجعلون تجويزًا ويتفانون في مدح مقصدهم ليغلب على أفكار الناس. هذه عادة البشر عامة فليس هذه الدعوة إلا قول البشر.

الجملة المعترضة

لما حدث في زمن المأمون القول بخلق القرآن وتناظر فيها طائفتان جعل بعض أهل العلم قول هذا الكافر أن هذا إلا قول البشر راجعًا إلى من يقول بخلق القرآن. أنا منذ اطلعت على هذا وكان القول منسوبا إلى عظيم من عظماء المسلمين، أتعجب مرارًا كأن القرآن العظيم يبحث من هذا البحث، فلما رأينا أكثر المتكلمين بعد تنقيحاتهم اللطيفة يصدقون بخلق الألفاظ العربية دائمة منهم يحكمون على من يجعل الكلام اللفظي غير مخلوق أنهم فاسدوا العقول لاينبغي أن يخاطبوا فتعجبنا من ذلك وتركنا تلك الخرافات وما قدرنا على تعيين الحق إلا بعد فهمنا مسئلة التجلي في حكمة الإمام ولي الله الدهلوي.

"**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ**" هذا الكافر المعاند إذا ارتحل من دار الدنيا ندخله سقر "**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ**" يدخل في كل مفصل وكل قوة. عذابه وشدته لواحة للبشر من شدة النار التي تخرج من ضمن قواهم الباطنة تحرق البشر، فهذه النار التي في سقر، قد بين الله في بعض السور أنها تخرج من قلوبهم وتتكلم عليها في سورة الهمزة "**نار الله الموقدة**" الخ وتكون مثالها مثال الحمى بفساد الأخلاط تظهر الحرارة على البشرة، فهذه فساد الأخلاق تظهر النار وتحرق البشرة "**عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**"

بحث حول الملكات الإنسانية

هذه المسئلة غامضة لايعرفها إلا من يتكلم على النفس الإنسانية والقوى التي تنشعب منها، فلما كان هذا من مباحث خاصة لأهل العلم وليس لعامتهم نصيب في فهمها بسهولة، أجهل الأمر، ويعرف حقيقتها كل من له دخل في معرفة الحكمة في النفس الإنسانية وليس هذا مختصًا بالحكماء من أهل الإسلام، بل إن أهل الديانات الصائبية وطائفة من الحنفاء كلهم يعرفون ويتفقون على ذلك. وتلخيص ذلك أن الحواس المعروفة للإنسان عشرة، خمس ظاهرة وخمس باطنة. الظاهرة لا اختلاف فيها وفي الباطنة عندنا تفسير خاص بنا ولكل رجل حق أن يصطلح على أسماء اللطائف بما أحب إذا كان المعنى لا يختلف فيه. والحواس الباطنة هي: الحس المشترك والواهمة والمتخيلة والحافظة والقوة المحركة فصارت عشرةً، وتسع من اللطائف خفية مختصة بالقوة المثالية والملكية والإلهية في النفس الإنسانية، وهي ١-القوة العازمة أو القلب و٢-القوة المدركة أو العقل الأول ثم ٣-الروح والسر بطن لهما، أي القلب والعقل، ثم ٤-الخفي و٥-الأخفى البطن الثاني لهما و٦-الأنانية الكبرى و٧-نور القدس بطن لهما ثالث ثم ٨-الحجر البحت نموذج التجلي الإلهي، فصارت تسعة عشر بفساد شعبة من تلك الشعب يكون بالمعذب مسلك مخصوص بتلك الشعبة الآن يظهر معنى هذه الآية الطويلة. "**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ**" إلى قوله ذكرى للبشر تلك المسئلة يتفق بها الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون إذا بين لهم، يزداد إيمانهم بشهادة قلوبهم فهؤلاء لايرتابون في أنهم الملائكة وإن عدتهم لازم أن تكون تسعة عشر وأصحاب الشكوك الذين لايقدرون على تحصيل اليقين في شيء من الأشياء يعبر عنهم القرآن بالذين في قلوبهم مرض والكافرون يعني المعاندين يعترضون ويقولون "**مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا**"ليست هذه مسئلة عمومية يفهمها كل الناس سواء سواء من كان مستأهلا لذلك يفهم ويبني على ذلك الأساس حكمة المجازات لاضرورية كلها فيكون سببًا لهدايتهم والذين لايستأهلون لذلك لايقدرون أن يسكتوا عن تلك المسئلة ويبحثون الأمور التي يدركونها فإذا اطمئن خاطرهم في الأمور العامة يجتهدون في تحصيل معنى تلك المسئلة بعد ذلك ويمكن لهم ذلك لأنهم أدركوا كثيرًا من حكمة الشرائع الإلهية فالرد إلى مراكزها يكون صعبًا عليهم لكنهم يبحثون أولًا في تلك المسئلة فيضلون هذا معنى قول الله "**كذلك يضل**" إلى "**إلا هو**" تلك اللطائف لها أصول لايمكن إدراكها في تلك الدنيا يعلمها إلا الله وما هو إلا ذكرى للبشر مسئلة المجازاة الأخروية يصعب فهمها على أكثر الناس وإذا نبهوا على قواهم الباطنة، وأن المجازاة الأخروية ليس إلا اقتضاء تلك القوى تذكر

والأمر الحق. هذا معنى قوله "**وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**" هذا غاية ما اجتهدنا في فهم هذه الآيات. هو رجل ادبر واستكبر معنى استكبر أنه تخيل غلبة مسلكه على دعوة نبينا ﷺ. **كلا** ردع عليه ليس كما زعم، بل القرآن ينتشر نوره شيئًا فشيئًا، مثاله "**والقمر**" يعني يشهد نور القمر أولًا "**والليل إذا أدبر**" يطلع الصبح الصادق فيكون نوره أقوى من نور القمر "**والصبح إذا أسفر**" يكون قريب طلوع الشمس، فهذا زيادة النور التدريجي يكون شهادة على زيادة نور الدعوة الإسلامية كل يوم. فنحن نجعل القسم للشهادة وجواب القسم المشهود عليه وهو "**إنها لإحدى الكبر**" نذيرًا للبشر نور هذه الدعوة يزيد كل يوم على مراتب حتى يصل إلى درجة لانظير لها في الدنيا، فالواقعات الكبار التي وقعت في الدنيا تكون النذارة المحمدية إحدى الكبر لايماثلها شأن. ترددنا كثيرًا من أيام الطلب. المفسرون يجعلون "**إنها**" أي القيامة بالله، فالمناسبة في ذلك وكيف هي نذير للبشر لكن التكلم في تلك المسائل على ذلك مع التردد والتحير حتى رأينا أن الألوسي ذكر في **روح المعاني** النذارة المحمدية[١] ففرحنا به فرحًا عظيمًا فالأمور الواقعات الكبار مثل غلبة الإسكندر تغير منهج الدنيا وهذه النذارة تغير منهج العالم يقدر رجل أن يتكبر عليه."**لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**" هذا أمر وقوعه غالب على جميع البشر، متحتم لاتبحثوا في المغالبة على هذا، بل تتفكروا أنتم تتقدمون في الاستفادة من هذا التحريك أو الآخر لما تصيرون مضطرين تفسير أن يتقدم أو يتأخر ذكر في الآيات الآتية إلى قوله شفاعة الشافعين والمتقدمون يسمون أصحاب اليمين "**كل نفس بما كسبت رهينة**" واجب عليها أداء حق اغتصبه من القوى النفسانية إلا أصحاب اليمين هم أدوا حق كل قوة فليس عليهم مؤاخذة فيدخلون في الجنات ويبحثون عن المجرمين حقيقة يظهر عليهم ما عملوا في الدنيا من الأمور الحسنة برؤية ضد ذلك يسئلوا المجرمين "**ما سلككم في سقر**" قالوا في جوابهم "**لم نك**" إلى "**المسكين**" هذا يرجع إلى معنى أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة "**وكنا نخوض**" الخ هذا في إنكار شعائر الله. "**وكنا نكذب بيوم الدين**" هذا إنكار اللطائف النفسية "**فما تنفعهم الخ**" لأن الشفاعة نتيجة لبعض أعمالهم "**فما لهم عن التذكرة**" إلى "**قسورة**" هذه تكون نتيجة إنذار الانقلاب. هم كلهم كالحمر. اذكر عندهم الانقلاب فكأنه جاء إليهم أسد فالمفسرون ما توجهوا إلى القوة الانقلابية وبيان لوازمها التي يشير إليها القرآن بأصرح عبارة، وهذه كلها من آثار خلافة بني أمية وبني العبكر، وأما المسلمون في أول زمانهم أول ما يدركون من الإسلام أنه قوة انقلابية فليس لهم عذر في عدم التوجه إلى تلك التذكرة إلا أشياء خفيفة تعتري على أذهانهم لايريدون اتباع رجل منهم. هذا هو من لوازم عادات القبائل البدوية. هذا معنى قوله "**بل يريد كل امرء**" إلى "**منشرة**" كل رجل يريد

١- قال في **روح المعاني**:"وقيل ضمير إنَّها يحتمل أن يكون للنذارة وأمر الآخرة."(شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق، علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ١٥: ١٤٥.

أن يؤتى صحيفة رأسا. هذا جهل منهم بالقوة الاجتماعية فلايستجاب دعاؤهم **كلا** لايكون كذلك شيء آخر في قلوبهم بل لايخافون الآخرة لأنهم يدركون ضروريات أنفسهم. هم يحسبون الآخرة تأتي من خارج "**كلا**" ليس هكذا أنها تأتي من داخل نفسيتكم "**إنها تذكرة**" لذلك تذكركم أن أعمالكم تستوجب الجزاء في الآخرة **فمن شاء ذكره** هو دعوة عمومية للإنسانية ليست مخصوصة برجل يقوم بعائلة بمملكته "**وما يذكرون الخ**" هذا التذكير لاينفع كل الناس لكن صنف من الإنسان يحتاج إليه وهم المخاطبون أي بهذا الإنذار. هذا معنى قوله "**وما يذكرون إلا أن يشاء الله**" مشيئة تتعلق بصنفين: صنف يعملون بالعدالة حسب استعدادهم، فإذا علموا العدالة تامة يكملونها وينفعون الناس كثيرا، هؤلاء هم أهل التقوى وصنف يخالفون الحق عمدًا لكن لسوء فهمهم أو عدم وصولهم إلى الحق يعملون المظالم والمعاصي فإذا علموا فهم لايصرون على خطائهم هم أهل المغفرة ترجمة قوله هو أهل التقوى وأهل المغفرة هو يشاء أن يذكر أهل التقوى وأهل المغفرة. هذا على حسب فهمنا، وقيل **هو** الله أهل التقوى من يتقي عذابه وأهل المغفرة لأن يغفر من يخاف عذابه. هذا أيضًا لابأس به لكن اتساقه بما قبله لايتضح لنا بعد السورة المد

٥-١

سورة المزمل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

"**يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**" اعلم أن أفضل المعلمين من يجعل تلامذته مثله أو أفضل منه بتعليمه إياهم، وأما من ليس كذلك فهو معلم ناقص ورديء، ورسول الله ﷺ يأخذ الحكمة والكتاب من الله تعالى من حيث كونه نبيًا ورسولًا، وهو الأخذ وهبيًا وهو يعلم الكتاب والحكمة تلامذته من حيث كونه معلمًا كما قال: "**ويعلمهم الكتاب والحكمة**" والتعليم كسبي، فالنبي عليه السلام من حيث كونه معلمًا يريد أن يجعل تلامذته مثله أو أفضل منه بتعليمه لكونه أفضل المعلمين.(*یعنی قرآن شریف کا جس طرح کہ حضور ﷺ مطلب سمجھ گئے ہیں اور آپ کے دماغ میں آگیا ہے، اس طرح بالکل اپنے شاگردوں کے دماغ میں اس کا صحیح مطلب بیٹھادیں کہ وہ بالکل حضور ﷺ کی طرح سمجھ جائیں، کیوں کہ جب تک آپ ایسے کامل شاگرد تیار نہ کریں گے کہ جو قرآن کے مطالب سمجھنے میں حضور کے بالکل مساوی ہوں، تو آپ کے کام کی تکمیل غیر ممکن ہے۔*)[١]
فمعنى المزمل أي الحاشر الذي من أسماءه الخمسة عليه السلام، فمعناه يا جامع جنود الزملاء(جمع زميل) بالمبالغة في الكم والكيف يعني في الكثرة والكمال(والزمالة هي الناقة الراحلة يعني باربردار، والزميل هو العديل، والزميلان يكونان على الزاملة، أحدهما في جانب والآخر في جانب آخر، فهما عديلان.) فحاصل معناه أي *زمیلوں کے لشکر تیار کرنے والے مبالغہ کے ساتھ؛ان کی مقدار میں بھی اور ان کی کیفیت میں، یعنی کثرت سے۔اے شاگردوں کے تیار کرنے والے جو تمھارے زمیل یعنی جو قرآن کو سمجھنے میں بالکل تمھارے مثل ہوں گے۔*)[٢] ثم علم النبي عليه السلام طريق تعليم يُعِدُّ به تلامذته مثله بقوله "**قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا.**

١- يعني كما أن النبي فهم معنى القرآن فعليه أن يفهم مثل ذلك تلاميذه بالمفهوم الأصح لأن بغير ذلك لايمكن تكميل أمره.

٢- يعني معناه يا معد جنود الزملاء بالمبالغة كما وكيفا بالكثرة، وهؤلاء الزملاء يكونون مثلك في فهم القرآن، هذا إطلاق بعيد عما هو سنن عامة المفسرين في بيان معنى هذا اللفظ، فإن عامة المفسرين يأخذون التزمل بمعنى التلفف بالثوب. يقول ابن عاشور: وهذا التزمل الذي أشارت إليه الآية قال الزهري وجمهور المفسرين: إنه التزمل الذي جرى في قول النبيء صلى الله عليه وسلم «زملوني زملوني».(محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**(تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ء)، ٢٩: ٢٥٦. وأما المعنى الذي أخذه الشيخ السندي فنجده عند مفسر آخر هو الشيخ محمد أمين شيخو (١٨٩٠ء- ١٩٦٤ء) من دمشق في تفسيره **تأويل القرآن العظيم**: **أنوار التنزيل وحقائق التأويل**، فيقول فيه: يا أيها المزمل هو طلب زمالة الخلق وصحبتهم للنهوض بهم للأنس والإنسانية ونوال الخيرات من الرحمن الرحيم بمعيته وزمالته...(محمد أمين شيخو، **تأويل القرآن العظيم**: **أنوار التنزيل وحقائق التأويل**، جمع وتحقيق، الأستاذ المربي عبد القادر يحيى الشهير بالديراني.

نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا"[١]أي قم أنت وتلامذتك معك في الليل أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (یعنی آہستہ آہستہ ٹھہر ٹھہر کر ان پر پڑھ۔)[٢]

اعلم أن طريق التعليم اثنان: أحدهما التعليم باللسان بطريق المخاطبة والثاني التعليم بالتوجه فقط من غير تلفظ باللسان، وهو طريق الحكماء الإشراقيين، وهو مروج أيضًا في الصوفياء في هذا الزمان، ولايمكن تكميل المريد والتلميذ بغير هذا الطريق، فعلم الله تعالى نبيه هذا الطريق لتعليم التلامذة، أعني طريق التوجه(یعنی آپ رات کے وقت توجہ سے ٹھہر کر قرآن پڑھ اور وہ توجہ سے سنیں، اس طریقے سے ان کو اعلیٰ پیمانے پر تیار کر۔) آج بھی کاملین کی صحبت سے صحابہ کی طرح کامل پیدا ہوسکتے ہیں۔ چناں چہ شاہ ولی اللہ صاحب[٣] ؒ **القول الجمیل** میں اپنے والد ماجد (شاہ عبدالرحیم صاحبؒ) کا ایک واقعہ لکھا ہے کہ ان کے والد صاحب کو علی کرم اللہ وجہہ کی ملاقات ہوئی تو انھوں نے علی کرم اللہ وجہہ سے دریافت کیا کہ آپ بتلایئے کہ میری نسبت تقرب الی اللہ کی، آپ کی نسبت کی طرح ہے یا نہیں تو انھوں نے فرمایا کہ تو اپنی نسبت کو خوب توجہ کرکے حاضر کر؛ انھوں نے حاضر کی علی کرم اللہ وجہہ نے فرمایا کہ ہاں تو تمھاری نسبت بھی ویسی ہی ہے۔[٤]ثم ذكر الله تعالى ضرورة إعداد الجماعة الكاملين بقوله "**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** "یعنی آپ کو ایسا پروگرام دینے والے ہیں کہ اس کی تکمیل

---

https://books.google.com.pk/books?id=lThDDwAAQBAJ&pg=PA999&source=gbs_toc_r&cad=٣#v=onepage&q&f=false

١- جس قدر اللہ کا قرب زیادہ حاصل ہو، اسی قدر قرآن کا مطلب زیادہ صحیح سمجھ میں آئے گا اور اسی قدر اس کی توجہ میں زیادہ اثر ہو گا۔

٢- اس کا حاصل یہ ہے کہ ان کو سمجھنے اور غور کرنے کا موقع دے۔ جلدی میں وہ نہیں سمجھیں گے، لیکن آہستہ آہستہ ان کو پڑھا بالترتيل هو التعليم بطريق الخطاب كما هو طريق المشائيين، لكن الترتيل المقيد بالصلاة فيصح إليه التوجه، فيكون تعليم النبي عليه السلام جامعًا لطرق المشائيين والاشراقيين، ولايمكن التكميل بغير إيضاح طريق التوجه عن طريق تعليم الإشراقيين.

٣- هو الإمام في الهند أبو محمد الشاه أحمد ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، أخذ العلوم عن والده الشيخ عبد الرحيم، توفي أبو سنة ١١٣١هـ وهو ابن السابع عشر.قد سافر إلى بلاد الحجاز وأخذ عن علمائها مع الإضافة إلى الآخرين من الشيوخ من الهند وقدم إلى الهند فدرس، وله تصانيف جليلة في مختلف الفنون، وهو الذي ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية. (الحسني، المصدر السابق، ٦: ٤١٠.)

٤- يعني اقرأ القرآن ليلا بالتوجه والترتيل بأحسن وجه. ثم إنه يمكن اليوم إنشاء جماعة الكاملين مثل الصحابة، فقال الشاه ولي الله في **القول الجميل** عن والده الشاه عبد الرحيم أنه لقي عليا كرم الله وجهه، فسأله أن يبين هل نسبتي إلى الله مثل نسبتكم أم لا. فعلى ذلك أحضر علي نسبته بالتوجه الخاص فقال إن نسبتك مثل نسبتي.

بغیر اسے کامل شاگردوں کی جماعت غیر ممکن؛ پس ایسی جماعت تیار کرو جو آپ کا ہاتھ بٹائے۔[1] ثم ذکر وجه تخصیص اللیل بقوله "**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**" عرب میں گرمی بہت ہوتی ہے، اس وجہ سے رات کے وقت وہ بھی نہیں ہوگی۔ دوسرے جو کھانے وغیرہ سے طبیعت میں جو اس کے اثر سے ثقل آتا ہے، وہ بھی نہیں رہے گا، کیوں کہ عرب رات کا کھانا عصر کے وقت کھایا کرتے تھے تو نصف رات تک وہ بھی ہضم ہو جاتا ہے۔ ان دو وجہوں سے رات کے وقت بات صاف منہ سے نکلے گی یہ معنی ہیں" **أَقْوَمُ قِيلًا**" کے[2] اور تجربہ سے ثابت ہوا ہے کہ نفس کی ضد چھڑوانے کے لیے، ترکِ نیند سے بہتر کوئی چیز مفید نہیں؛ چناں چہ باز کو تعلیم دینے والے جب وہ تعلیم کو قبول نہیں کرتا، تو اس کو نیند کی لذت سے محروم کرتے ہیں اور سونے نہیں دیتے ہیں۔ ایسے ہی پولیس میں جو چور اقرار نہ کرے، اسے سونے نہیں دیتے، تو وہ اقرار کر لیتا ہے۔ نفس تعلیم کی طرف متوجہ نہیں ہوتا اور ضد کرتا ہے تو اس کی ضد توڑنے کا علاج اس کو لذتِ نیند سے محروم کرنے سے لیا گیا اور یہ سب سے بہترین علاج ہے اس کی ضد چھڑوانے کا۔ پس نفس تعلیم کی طرف متوجہ ہوگا۔ یہ معنیٰ ہیں "**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**" کے،[3] وذكر وجهًا آخر لتخصيص الليل بالتعليم بقوله: "**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**" من تبليغ العوام وغيره، فلا يمكن تعليم الخواص في النهار[4] "**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ**" والقرآن فلا محالة يجيءذكر اسم الله وقت قراءته "**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**" وقت ذكر اسمه من كل ما سواه(یعنی اللہ کے نام کے وقت۔ اس کے ماسوا کا بالکل خیال ہی باقی نہ رہے، جب قرآن شریف کا مقصد صحیح ذہن میں آئے گا، کیوں کہ قرآن کا مقصد یہ ہے کہ اللہ کے ماسوا کسی کو اپنے اوپر کسی کو حاکم و بادشاہ نہ مانا جائے، تو جب قرآن کے پڑھنے میں اور اللہ کی یاد کے وقت اس کے دل سے اللہ کے سوا سب محو ہو جائیں گے، تو پھر وہ کسی کو بادشاہ ماننے کو تیار نہیں ہوگا اور جب اس کے دل میں اوروں کا بھی خیال ہے تو وہ فقط اللہ کو بادشاہ ماننے کے لیے تیار نہیں ہوگا اور جب کہ اس کے دل میں اوروں کا بھی خیال ہے تو وہ فقط اللہ کو بادشاہ ماننے کے لیے تیار نہیں ہوگا، زیادہ سے زیادہ اللہ کو شہنشاہ مان لے گا اور

---

[1] - يعني نحن بصدد إعطاء كم برنامجا لايمكن تكميله بدون جماعة التلامذة يساعدونك في الأمر.

[2] - إن العرب يكون الحر فيه شديدًاولكنه يضعف في الليل، والعرب كانون يأكلون العشاء وقت العصر فيضعف ثقله في الليل فينهضم فبذلك ما يخرج من الفم يكون صافيا، وهذا معنى قوله أقوم قيلا.

[3] - ومن المجرب أن النفص تضعف بترك النوم فالعقاب لما لم يقبل التعليم يحرمونه بلذة النوم وكذلك الأمر يكون مع اللص الذي لايقر بجرمه، وهكذا معاملة النفس إذا لم يقبل التعليم يحرم من لذة النوم، وهذا معنى قوله إن ناشئة الليل الخ

[4] - ذكر بقوله **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** طريق فهم مطلب القرآن، یعنی ذکرِ اسم اللہ کے بعد جب تبتل حاصل ہوگا تو خدا کے قرب میں اشراق حاصل ہوگا، تو اس وقت قرآن کا مطلب بھی صحیح سمجھ میں آئے گا کہ اللہ کے سوا نہ کوئی بادشاہ ہے نہ مربی نہ محبوب، لہٰذا اس کے سوا کسی کو نہ مانا جائے، یہی حاصل ہے قرآن کا۔

اوروں کو چھوٹے بادشاہ، جیسا کہ قریش وغیرہ کا خیال تھا؛ غرض سب سے کامل انقطاع کے بغیر قرآن کا صحیح مقصد ذہن میں آہی نہیں سکتا، تو اس آیت میں قرآن کا صحیح مقصد سمجھنے کا طریقہ بتادیا۔)[1] "**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**" قرآن میں تعلیمِ قومی کی تکمیل کے بعد بین الاقوامی تعلیم کا بھی کامل پروگرام ہے، تو اس بین الاقوامی تعلیم سے تمام قومیں مستفید نہیں ہوں گی، بلکہ وہ قومیں مستفید ہوں گی جو معتدل مزاج ہیں۔ خطِ استوا سے جنوب وشمال میں دونوں خطوں کی طرف سردی سخت ہے، وہاں کے معتدل مزاج نہیں ہیں اور خطِ استوا پر تو گرمی زیادہ ہے، مگر خطِ استوا کی دونوں جانبوں میں قریب قریب شرقاً وغرباً اعتدال ہے؛ اس لیے وہاں کے رہنے والے معتدل مزاجی کی وجہ سے قرآن کی تعلیم سے فائدہ اٹھائیں گے۔ تو اس میں اشارہ ہے کہ قرآن کی تعلیم مشرقاً ومغرباً زیادہ پھیلے گی؛ چناں چہ ایسا ہی ہے۔[2](فهذا هو وجه التقييد برب المشرق والمغرب.) "**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**" هذه نعرة[3] الانقلاب مثل نعره الله أكبر ونعره انقلاب زنده باد، لأن معنى الإله مشتمل على انحصار ثلاثة أمور في الله تعالى كما في قوله تعالى: "**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ.مَلِكِ النَّاسِ.إِلَهِ النَّاسِ** " معنى الإله محبوب. معنى الإله في قوله "**إِلَهِ النَّاسِ** "هو المحبوب وفي قوله "**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**" هو في هذه السورة بمعنى الله ورب الناس ملك الناس إله الناس، هذه الثلاثة شرح صحيح لله. أي الرب والملك والمحبوب هو لاغيره، یعنی اللہ کے سوانہ کوئی مربی ہے نہ بادشاہ نہ محبوب اور تمام دنیا میں یہ انقلاب کر دیا جائے گا۔ پس قرآن کا ماننے والا اللہ کے سوا کسی کو اپنا مربی، بادشاہ اور محبوب ہرگز نہیں سمجھ سکتا۔ [4]"**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**" یعنی جو لوگ اس انقلاب کے مخالف ہیں، وہ آپ کو بھڑکائیں گے تاکہ آپ اپنا کام چھوڑ کر لڑنا جھگڑنا شروع کریں اور یہ کام نامکمل رہ جائے۔[5] **وَاصْبِرْ** یعنی اپنے کام پر ڈٹے رہو[6] "**وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**" ہجرِ جمیل

---

[1]- يعني يلزم أن لا يأتي في البال خيال للملوك الآخرين، فلما يكون ذلك لايسلم ملكا إلا الله ، والمقصد الصحيح من القرآ، لا يأتي إلا بالانقطاع الكامل عما سوى الله.

[2]- القرآن فيه برنامج عالمي للتعليم بعد البرنامج القومي، ويستفيد منه الأقوام التي في مزاجها اعتدال، وهؤلاء يسكنون على درجة الاعتدال من خط الاستواء، فلأجل الاعتدال في المزاج، هم سيستفيدون من القرآن فإلى ذلك إشارة في رب المشرق والمغرب.

[3]- في أصل المخطوط هكذا، ولكن غلب على هذه اللفظة طابع العجمة كما في مواضيع أخرى كثيرة أشرت إليها، فإن اللفظ المستخدم في اللغة العربية لما يسمى بالإنكليزية Slogan هو "الهُتاف" وليس ب "نعرة". وهذا لمراعاة أهل الهند.

[4]- يعني ليس سوى الله مرب أو ملك أو محبوب، فتكون الثورة في جميع العالم، فلا يمكن لمن يعتقد القرآن حقا أن يعد أحدًا مربيه أو الملك أو المحبوب بعد الله.

[5]- يعني أن من يخالف الثورة من الناس يثيرونك حتى تهجر أمرك وتخاصم معهم لئلا يكتمل أمرك.

[6]- يعني استقم على أمرك.

کے معنیٰ ہیں کہ ان سے مقابلہ مت کرو، یہ تعلیم ہے عدمِ تشدد کی، لیکن گاندھی کا عدمِ تشدد نہیں کہ جو عمر بھر ختم ہی نہ ہو، بلکہ جب تک عدمِ تشدد کی ضرورت ہو۔ جب لڑائی کا وقت آجائے گا تو عدمِ تشدد ختم کر دیا جائے گا۔ غرض یہ وقتِ تعلیم کا ہے اور مکہ معظمہ مرکزِ تعلیم ہے اور تعلیم کے زمانے میں تشدد تعلیم میں مضر ہے۔ اس سے تعلیم میں حرج[١] واقع ہوتا ہے۔ اس واسطے تعلیم مکمل ہونے تک یعنی مکی زندگی تک عدمِ تشدد سے کام لو، جب وقت آئے گا تو لڑائی کا حکم دے دیا جائے گا، یعنی تعلیم مکمل ہونے کے بعد۔[٢] "**وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ**" أي لاتلفت إلى مجازات المكذبين، بل كِلْهُ إليّ فأجزيهم إذا جاء وقته. "**وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا**" أي وقت جزائهم أي وقت جزائهم ليس ببعيد بل سجيئ عنقريب في الدنيا، وقيد المكذبين بـ "**أُولِي النَّعْمَةِ**" إشارة إلى سبب تكذيبهم، أعني خوف زوال المال، لأنه يعلم أن قانون القرآن يسوي بين الغريب والأمير[٣]، فهو يظن أن يكون الفقراء شركاء في ماله ويذهب كبرياءه فيكذب القرآن. "**إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا**" أي في الدنيا وجزاء الآخرة سيجيء. اعلم أن أكثر المفسرين لايذكرون جزاء الدنيا قط، بل كلما جاء ذكر الجزاء يجعلونه في يوم الآخرة، فبسببه صار الناس جريئين على مخالفة القانون، والحال أن الجزاء واقع في الدنيا والآخرة كليهما، وفي فلسفة الشاه ولي الله أن الجزاء يبتدئ بمجرد تمام الفعل في الدنيا(*یعنی اِدھر عمل ختم ہوا، اُدھر جزا شروع ہوئی۔*) نعم تكميل الجزاء يكون يوم القيامة، وإذا اعتقد الناس به لايجترؤن على مخالفة القانون، هذا قصور العلماء أنهم جرّؤا الناس على خلاف القانون بعدم ذكر جزاء دنيوي "**وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا**" المراد بالعذاب الأليم هو محكومية الغير(**یعنی دشمن غالب آجائے گا اور مال و اولاد کو تباہ کرے گا۔**) ذكر الله تعالى في التوراة في وعده بهم لو خالفتم بما وعدتم بي، لأفعلن بكم كذا، ثم إذا خالفتم لأفعلن بكم كذا، ثم إذا خالفتم لأفعلن بكم كذا، وقال أيضًا إذا خالفتم لأستعملن عليكم أعداءكم فيعذبكم يسوءكم سوء العذاب بسلب المال والأولاد، والمسلمون أيضًا مبتلون بهذا العذاب اليوم بسبب مخالفتهم قانون الله يعذبهم عدوهم عذابًا أليمًا يقع عليهم العذاب الأليم. "**يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ**"

---

[١]- في الأصل "هرج" وهو من خطأ الناسخ، فإن الهرج يطلق في العربية على الكثرة في الشيء والفتنة والاختلاط، يقال أصبح القوم في هرج ومرج وشدة القتل وكثرته وشيء تراه في النوم وليس بصادق.(إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، **المعجم الوسيط**، باب الهاء. مادة هرج.

[٢]- معنى الهجر الجميل أن لاتقابل معهم وهذا تعليم عدم التشدد ، وليس المراد عدم تشدد الغاندي الذي يدوم، بل المراد ضرورة عدم التشدد، فإذا جاء وقت الحرب لايبقى عدم التشدد.هذا زمن التعليم في مكة المكرمة والتشدد في التعليم في زمن التعليم مضرمما يؤدي إلى الحرج في التعليم،فاعملوا على عدم التشدد حتى نهاية العهد المكي، فيكون إذن الحرب على وقت معين على اكتمال التعليم.

[٣]- في الأصل هكذا:الغريب والأمير، ولكن المناسب "الفقير والغني"جريًا على سنن العربية، فإن إطلاق الغريب على صاحب الفقر والأمير على صاحب الثروة ليس بمألوف في العربية، فإنه إطلاق عجمي لاسيما في اللغة الأردية.

أي أهل الأرض "**وَالْجِبَالُ**" أي أهل الجبال "**وَكَانَتِ الْجِبَالُ**" السلطنات[1] التي كانت مستحكمة كالجبال "**كَثِيبًا مَهِيلًا**" هذا هو يوم الانقلاب (*یعنی اس دن تمام دنیا ہلا دی جائے گی اور بڑی سلطنتیں جو پہاڑوں کی طرح مضبوط تھیں، ان کو پاش پاش کر دیا جائے گا۔*) "**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا**" أي كما أخذنا فرعون في الدنيا وأهلكناه ثم أدخلناه في جهنم بمخالفة موسى، كذلك فأخذكم بمخالفة النبي عليه السلام في الدنيا أخذًا وبيلًا، ثم ندخلكم في جهنم كما قال "**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**" يعني يوم القيامة يكون انقلاب الإنسانية كلها من آدم إلى القيامة، فهو انقلاب أعظم، وأما الانقلاب الذي يقع في الدنيا، فهو أنموذج انقلاب القيامة، فأنتم إن لم تقدروا على أن تسلموا من انقلاب دنيوي إذا كفرتم بالقرآن فكيف يمكن سلامتكم من الانقلاب الذي هو أعظم من انقلاب دنيوي، لأن ذريعة السلامة من انقلابين هو تسليم قانون القرآن وأنتم تكفرون به، فلايمكن السلامة منهما. هذه تذكرة *یعنی یہ قانونِ قرآن تمام دنیا کے انقلاب کا پروگرام ہے، یہ انقلاب ہو کر رہے گا۔*"**فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**" أي يتبع هذا القانون ويسلم من الانقلاب. "**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**."

اعلم أن فرائض جماعة النبي عليه السلام الخاصة(أعني الذين يعدهم بالتعليم في الليل و هي الخواص الثلاثة: التعليم وتحصيل المال بالتجارة وغيرها والقتال في سبيل الله، والتعليم هو فرض المرضى، أعني الذين لايقدرون على الكسب والقتال كما يدل عليه قوله تعالى "**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ** " والتعليم هو النصيحة[2]، فحاصل الآية أن الحكم المذكور في قوله قم الليل الخ مخصوص بك وبطائفة معك لأن الليل في العرب يكون طويلًا زيادة طول فيمكن العمل به. "**وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**" يعني يجعل الليل طويلًا في ملك وقصيرًا في ملك[3]، وفي بعض البلاد يكون الليل أطول وقانون القانون القرآن لايختص بقطعة العرب، بل هو قانون عالم گیر [الدستور العولمي]، فلا يمكن العمل بقيام الليل على مقدار مذكور في كل البلاد من

١- المراد الدول الكبيرة والإمبراطوريات المهيبة.

٢- وهذه الأمور الثلاثة ليست بسهلة [في الأصل بسهل، والأنسب "بسهلة]. الناس يفعلون هذه الأمور لكن لأنفسهم ونفعهم الذاتي، وهؤلاء(یعنی حضور کی خاص جماعت) يفعلونها لا لأنفسهم، بل للقرآن، فليست بسهلة.

٣- الأنسب "في دولة" أو "في بلد."

الجماعة الخاصة مع أداء الفرائض الثلاثة الآتية كما قال "**عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ** " لايمكن العمل به في أقطار العالم كله "**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**" أي توجه إليكم بالرحمة ونسخ حكمه بعد سنة وقال الآن "**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** " وذكر وجه نسخه بقوله "**عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى**" أي الذين لايقدرون على اكتساب المال والقتال، بل يؤدّون فرض التعليم فقط وتعليم القرآن أيضًا ليس بسهل، "**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ الله**" أي يحصلون المال بالتجارة، لا لأنفسهم بل يُدخلونه بعد التحصيل في بيت المال(يعنى شاهى خزانه كما سيجيء) "**وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله**" فمع أداء هذه الفرائض الثلاثة لايمكن العمل بالقيام المذكور "**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**" لكن لاتتركوا أنفسكم مهملة........ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ يعنى ***رات کا قرآن پڑھنا اگر کم کر دیا گیا ہے تو نفس کو قابو سے نہ نکلنے دینا، بلکہ اور اعمال کی پابندی اس پر عائد کرنا تا کہ ٹھیک رہے*** مثل الصلاة والزكاة. قال مولانا قاسم[١] الصوم تتمة الزكاة والحج تتمة الصلاة، لأن الفرض من الزكاة إطعام المساكين والفقراء، وهو كل وقت ضروري، يجب على كل واحد إذا رأى مسكينًا جائعًا أن يطعمه، وفي الصوم يكون أحساس الجوع، فإذا أحس مصيبة الجوع يطعم الجائع، فإحساس مصيبة الجوع يحرضه على الإطعام، والصلاة موضوعة لحصول قرب الله تعالى، وفي الحج يكمل هذا الأمر لأن بيت الله هو موضع تجلي الله تعالى، فزيارته ذريعة تحصيله، فهذا هو السر في الاكتفاء على ذكر الثلاثة من أركان الإسلام في قوله تعالى "**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**"[٢] لأن الإخلاص في العبادة هو ترجمة قوله عليه السلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو أول أركان الإسلام، ثم ذكر بعد الصلاة والزكاة ولم يذكر الصوم والحج كما ذكرت وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا أي اكسبوا المال بالتجارة ثم أدخلوه في بيت المال(يعنى شاہی خزانے میں) **وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ** من خير من أعمال الخير سوى ما ذكر "**تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**" ***یعنی کام میں غلطی معلوم ہونے پر اس کا اقرار کرو اور اسے ترک کر دو، اس پر ضد نہ کرو، ورنہ ترقی رک جائے گی۔***[٣]

قوله وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ قال الشاه ولي الله هو مِن قام السوق ***یعنی بازار اپنے پاؤں پر کھڑا ہو گیا، یعنی اس میں ہر قسم کا سودا خریدار کو آسانی سے مل سکتا ہے، تو اقامتِ صلاۃ کے معنٰی یہ ہیں کہ ایسا ہی نماز کے بازار کو خدا کے***

---

[١]- يشير الشيخ السندي بمثل هذه المقولة إلى أقوال الآخرين ولكن العثور على الإحالة الصحيحة يكون صعبًا جدًا، فإن هذا العمل يحتاج إلى الدراسة المستوعبة جدًا للحصول على البغية.

[٢]- البينة ٩٨: ٥.

[٣]- يعني أقروا بالخطأ واتركوه،وإلا يقف الترقية.

قرب کے سوداگروں کے لیے آسان بنادو، کہ ہر انسان نماز کو آسانی سے پڑھ سکے، تو اذان وجماعت وغیرہ کا اہتمام و انتظام نماز کی آسانی کے سامان ہیں۔[1]

فائدة: اعلم أن المبشرين (مبلغين) من النصارى اعترضوا على طريق النبي عليه السلام؛ قالوا إن حياته المكية على طريق النبوة، وحياته المدنية فهي على طريق السلاطين، اعني كثرة الأزواج والمحاربة مع الأقوام وجمع الخزائن وغيره، فعلم أنه لم يكن نبيًا حقًا، بل كان ابن الوقت(**یعنی جیسا موقع دیکھا، ویسا ہی رنگ اختیار کر لیا؛ مکہ میں قابو نہیں چلا تو پیغمبری رنگ اختیار کر لیا اور مدینہ میں کام چل گیا تو بادشاہی رنگ اختیار کر لیا۔**) الحاصل لم يكن عنده دستور العمل(**پروگرام**)، **بلکہ جیسا دیکھا ویسا ہی کر لیا کما هو شأن أبناء الوقت.(وقت پر وقت کے مناسب قانون بنالیتے تھے۔)**

الجواب: أولًا أنه لم يقع التغير في طريق معيشته عليه السلام بعد حصول السلطنة أيضًا، بل كان على طريق مكة كما فصله مولانا قاسم في **قبله نما**، وكثرة الأزواج كانت لتعليم الدين، فهن كن معلمات الدين، فلهذا كن أمهات المؤمنين، والمحاربة أيضًا كانت لضرورة دينه، وأما ثانيًا أن قولهم أنه لم يكن عنده دستور من أول الأمر فهو غلط، بل كان عنده من ابتداء الأمر دستور مرتب(أي پروگرام)، والدليل أنه أخبر في حياته المكية بالقتال في المستقبل كما في سورة العلق والمدثر والمزمل، وهذه السور الثلاثة مكية، فلو لم يكن عنده دستور العمل فكيف أخبر بمكة بقتال سيكون، فالمحاربات الواقعة بمدينة وقعت وفق دستور العمل لا كيف ما اتفق، والله أعلم. سورة المزمل مكية ونزل آخرها بعد سنة واحدة فيه ذكر القتال.

---

[1]– يعني أقيموا الصلاة مشتق من قال السوق يعني كل مشتر يمكن له الشراء بالسهولة، فمعنى إقام الصلاة اجعلوا سوق الصلاة سهلا لطالبي قرب الله حتى يصلي كل واحد بالسهولة، فالأذان والجماعة وغيره سلعة لسهولة الصلاة.

٥–٢

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

"يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ" جاء في بعض الأحاديث في بدء الوحي لما رجع النبي ﷺ من حراء كان على بدنه رعدة على حسب العادة[١] فجعل الناس تفسير اسم النبي ﷺ الذي سماه الله به القرآن المزمل بتلك الواقعة بعني التفّ بثوبه فقيل له المزمل أو المدثر فعرفنا من هذا أن التفاسير المكتوبة عندنا من الرجال عامتهم من الرجال الذين لم يتدبروا في القرآن، وفي علوم القرآن منعوا الناس عن استعمال العقل فالرجل من المسلمين قام العقل سليم الإيمان يقدر أن يفهم جميع القوانين العربية التي وضعها أرباب العلم ويعرف الكتب الدينية التي هي محفوظة عند المتدينين لكن ليس لهذا الرجل حق في أن يتدبر القرآن لما يراه وبما يفهمه.

تلك البدعة كانت من الملوك شياطينهم ثم اتخذها الناس سنة، فهل يجوز عند العاقل أن النبي ﷺ يأتي بيته ويطلب شيئًا يتلفف له لدفع مرض غشية أو حالة طرأت عليه والقرآن يجعل تلك الحالة عنوانًا لرسوله، كأنه أمر عظيم لازم أن يعرف جميع أهل الدنيا. وفي التفسير عامة الأسانيد مستندة إلى الكذابين وأحسنها ما اشتمل على رجل سيء الحفظ. هذا عندهم أحسن الأسانيد والرواية من الثقات بالإثبات نادرة غاية الندرة، والناس منذ زمان تركوا التفقه في أسانيد الأحاديث حتى جعلوا قاعدة يكتبونها في مبدأ كتبهم المحدثون أثبتوا أسانيد الأحاديث في كتبهم فهم أغنونا عنها. هذا جهالة بينة تكتب وتنشر، وتلك الكتب تشتهر في الأعصار ولاينكر تلك الكلمة أحد. ظهر لك جهل أكثر المصنفين بعلم الإسناد لأن المحدثين لايذكرون الإسناد وإلا ليكونوا بريئين عن العهدة، فالعهدة على الراوي إن صدق كانت صادقة وليس عندي إلا هكذا. هذا كان في عصر العلوم الحديثية ونبغ فيهم رجال واختصروا كتبهم وقالوا إنها صحيحة عندنا مثل كتب الإمام البخاري ومسلم. ليس معناه عند الأئمة أن الناس يقلدونهم في كل ما يقولون. إنهم سهلوا لأهل العلم البحث في صحة الحديث فكان واجبًا على كل عالم أن يبحث في أسانيد البخاري كلها، فإن قامت عنده حجة على ضعف بعض الأسانيد أو على سقوطها كان واجبًا عليه أن لايقلد البخاري في ذلك، وهكذا كان الأئمة بعد تصنيف

---

[١]– هذا الحديث جاء في أكثر كتب الحديث، فألفاظ صحيح البخاري: .... فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع.(**صحيح البخاري**، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: ٣.)

تلك الكتب إلى قريب من ٣٠٠. كل من قرأ شرح صحيح الإمام البخاري لابن حجر[١] وشرح مسلم للإمام النووي[٢] يعرف أن في كتابيهما مئات من الأحاديث تكلم عليه نقاد من المحدثين مثل الدار قطني وغيرهم وهؤلاء الشراح يجيبون عن تلك الاعتراضات عامة، ويثبتون ما أثبته هؤلاء الأئمة بكل قوتهم وجهدهم ومع ذلك يعترفون بأن كثيرا من الأحاديث التي أثير حولها الشبهات، لاجواب لها للناقد، فتقليد هؤلاء الأئمة مثل الأعمى والأصم ليس من الدين في شيء كما أن تقليد أئمة الفقه ينكرها عليهم كثير من أهل العلم إلى زماننا هذا، فبسبب شيوع التقليد للمحدثين وعدم البحث عن الأسانيد حصلت للكذابين قوة. هم يذكرون اسم رجل كبير من العلماء ويسندون إليه ما شاؤوا والناس لاينظرون إلا إلى اسم ذلك الكبير فيؤمنون بتلك الكلمات. هذا المرض لايزول من المسلمين إلا إذا أنشأت كل أمة من المسلمين في بلادهم مدارك علمية كلية يصل بها طائفة من العلماء إلى درجة التحقيق، وإذا غفلوا عن ذلك، يبقون مبتلين بذلك المرض الذي وعد الله في القرآن. "**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**" وأقول بعد تجربتي: كل علم يحتاج إليه طالب التحقيق في فهم القرآن محفوظ بحمد الله عند المسلمين، ميسر لمن أراد الاستفادة منه لو لم يرحم الله لنا في هذا كان فهم القرآن متعسرًا في الأزمنة المتأخرة قطعًا فكان الآية تكون مختصة ببعض الأيام فقط، وليس الأمر كذلك بل القرآن ميسر إلى يوم القيامة لمن أراد أن يتذكر.

(جملة معترضة)

نحمد ربنا بميل قلوبنا أن الله سبحانه يسّر لأهل الهند ببعثة الإمام ولي الله الدهلوي وآله وأولاده ثم اتباعه فهمَ القرآن الكريم كما كان زمن النزول وفهمَ أحاديث النبي ﷺ بالتفقه في أسانيدها ومتونها، فالرجل من أتباعه يقدر الآن أن يعلل بعض الأحاديث المقبولة عند المسلمين تحت القواعد العلمية المتقنة باتباع هؤلاء وكذلك ما يتعلق بالكتاب والسنة من الفقه والتصوف كلها، سهلها لنا بتوسط تلك العصبة الكريمة جزاهم الله خير الجزاء.

١- هو شهاب الدين أحمد بن علي الشافعي العسقلاني محدث وعالم كبير، ولد سنة ٧٧٣هـ ، رحل إلى مختلف الأمصاروشرح صحيح البخاري باسم فتح الباري.قد صنف في ترجمته السخاوي كتابا.(لينظر: شمس الدين محمدبن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**(بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩ء).

٢- هو أبو زكريا يحيي بن شرف النووي الشافعي (٦٣١هـ -٦٧٦هـ) محدث كبير وفقيه من أبرز الفقهاء الشافعية، صنف تصانيف شتى، منها رياض الصالحين وشرح صحيح مسلم وغيرها.(لينظر لترجمته: عبد الغني الدقر، **الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين**(دمشق: دار القلم، ١٩٩٤ء).

نرجع إلى تفسير كلمة المزمل، ليس معناها الملتفّ بثوبه، بل معناها المتحمل حملًا كبيرًا[١]، وهو هداية العالمين بالقرآن العظيم والقيام به وفقهه. والرجل إذا حمل حملًا وقام وفقه، يقال ازدمل ويكون هذا دليلًا على قوته. هذه السورة نزلت بعد سورة "**نون والقلم**" وكان فيها أن القرآن ذكر للعالمين، فهو تحمل أداء فرضه وقد كتبنا في المقدمة أن النبي ﷺ كان له بعثتان: بعثة إلى قومه بعثة إلى العالمين. الآن نقول شرع النبي ﷺ في أداء فرض البعثتين مرة واحدة ما أخر البعثة الثانية إلى أن بتكامل رجال من قومه ينصرونه في تحمل تلك البعثة العظيمة لو كان فعل كذلك ما كان له اعتراض لكنه لم يؤخر بل شرع بنفسه في أداء الفرضين على السواء ليس يصدق عليه أن تحمل حملًا كبيرًا ثم ثام وفقه هذا كان تفسيرا للكلمة باعتبار اللغة وعند من جزم أن أئمة اللغة المحققين فهم لو لم يندهش عقولهم بأن الحديث جاء فيه أن النبي ﷺ قال زملوني زملوني أو روي عن مثل ابن عباس سيد المفسرين أنه قال كذا كذا وهم المساكين لايعرفون أن الرواة كذابون[٢] لكن ليس عندهم جرأة على التقدم على إمام من أئمة المسلمين فلو لم يتأثر أئمة اللغة بهذا التفسير ما تخلف أحد عن تحقيق مثل هذه الكلمة. الآن نتكلم في فقه هذه الكلمة. الرجل إن أقام مع كونه متحملًا لتلك الأحمال التقليدية في السياسات الاجتماعية يقال له إمام الانقلاب والانقلاب له درجات والمطلق إنما يطلق على الانقلاب العالي، فإمام الانقلاب أولا أي شيء يعمله؟ يجمع الناس على فكره ودعوته ويحشرهم على ذلك بتأليف الجمعيات والأمم التابعة له كالجنود المجندة، ومعناه عندنا الحاشر الذي يجمع الناس على الانقلاب.

فصل

ثبت عن النبي ﷺ في **الموطأ** للمالك[٣] أن لي خمسة أسماء: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب.[٤] ثم الحديث تفسيره

١- يدل على هذا المعنى أصل معنى المادة. يقول ابن فارس في **معجم مقاييس اللغة**: الزاء والميم واللام أصلان: أحدهما يدل على حمل ثقل من الأثقال، والآخر صوت.فالأول الزاملة، وهو بعير يستظهر به الرجل، يحمل عليه متاعه. يقال ازدملت الشيء، إذا حملته. ويقال عيالات أزملة، أي كثيرة. وهذا من الباب، كأنهم كل أحمال، لا يضطلعون ولا يطيقون أنفسهم. (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، باب الميم والزاء وما يثلثهما، زمل.)

٢- هذا خطأ الشيخ فإن حديث زملوني من مرويات البخاري في كتاب بدء الوحي.

٣- في الأصل: موطأمالك.

٤- ألفاظ **الموطأ**: مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ ».(مالك بن أنس(١٧٩هـ)، **الموطأ**، ت، محمد مصطفى الأعظمي، أسماء النبي صلى الله عليه و سلم،

أن هذه الأسماء الخمسة هي التي نزلت في القرآن، محمد وأحمد في القرآن والعاقب معناه الذي ليس بعده نبي فسره به الزهري[١] وقال سفيان العاقب آخر الأنبياء وهذا في القرآن خاتم النبيين والماحي الخ ترجمته عندي المدثر ونفسره بعد إن شاء الله، ولم يبق إلا الحاشر فجعلناه تفسير المزمل[٢] ونعرف من التاريخ أن جميع الأنبياء من أولي العزم كانوا يرجون ذلك المنصب الانقلاب العمومي في جميع الإنسانية لإقامة حكم الله في أرضه وخص الله خاتم الأنبياء محمد بتلك المنزلة. أليس يصدق عليه أن الناس كلهم يجتمعون في تأسيس هذا الانقلاب على آثار قدم النبي ﷺ فإن من أراد الانقلاب العمومي وترك اتباع قدم النبي ﷺ فنحن قادرون على إثبات أنه لايفوز أبدًا ونحن جازمون بأن الناس لو اتبعوا قدم النبي ﷺ لفازوا بتلك المرتبة العالية التي تقاصر عنها أكابر الرسل فمعنى هذا الحديث عندنا الذي يحشر الناس للانقلاب تحت قدمه ولما جعلنا معنى المزمل هو إمام الانقلاب الكبير أفلا يكون الحاشر ترجمة المزمل؟

النبي ﷺ يريد أن يعمل في البعثين كليهما سواء فعلمه الله تعالى تقسيم الأوقات لكلا الأمرين: تعليم قومه وتخريج الأئمة من قومه ليكونوا خلفائه في الأقطار ويخص ذلك بالليل. وعامة الناس الوارد والصادر لايبحث إلا عن مقصد الانقلاب العمومي فيجعل لذلك وقت النهار، ففي البعثة الثانية ليس إلا إعلان المقصد فقط، وذلك يكون بتفهيم كل رجل على حسب ذهنه. أما في البعثة الأولى فيكون البحث في البرنامج الصحيح الذي يبنى عليه المقصد العظيم فلا يظهر فيه خلل إلا آخر أمره. هؤلاء الرجال لازم أن يكونوا متفقين راغبين في تكميل هذا العلم بتحمل المشقات التي تأتي عليهم، فهذا الوقت كان نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه على حسب الضرورة والنشاط وما كان عنوان الدرس إلا القرآن العظيم ثم إلى ذلك قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا إلى ترتيلا.

رقم: ٨٤٤/٣٦٧٦. ونقل الأعظمي عن الزرقاني في بيان معاني كلمات هذا الحديث أن معنى العاقب آخر الأنبياء. (المصدر نفسه.)

١- يقول الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي:" قال السيوطي في **التنوير**: زاد مسلم وغيره من طريق ابن عيينة "والعاقب الذي ليس بعده نبي" وهو مدرج من تفسير الزهري، فروى الطبراني من طريق معمر عن الزهري، فذكر الحديث إلى قوله: والعاقب، قال معمر/ قلت للزهري: ما العاقب؟ قال: الذي ليس بعده نبي. قال الحافظ: قوله: ليس بعد نبي، ظاهر الإدراج، لكن وقع في رواية سفيان بن عيينة عند الترمذي وغيره بلفظ: الذي ليس بعده نبي."(محمد زكريا الكاندهلوي، **أوجز المسالك إلى موطأ مالك**، ت، تقي الدين الندوي (بيروت: دار القلم، ٢٠٠٣ء)، ١٧: ٦٢.

٢- عامة الشراح يحملون اللفظ على معناه الظاهري. يقول الشيخ زكريا نقلا عن ابن عبد البر: قال ابن عبد البر: أي قدامي و أمامي أنهم يجتمعون إليه وينضمون حوله، ويكون أمامه يوم القيامة ووراءه.(المرجع نفسه، ١٧: ٦٢.) فمعنى اللفظ يتعلق بعالم الآخرة، والشيخ السندي حمله على معنى الانقلاب كما هو دأبه في فكرته العامة و في هذا التفسير، فإنه يستخدم الألفاظ في السياق الخاص.

فصل في معنى الترتيل

لانعرف ابتداء الزمان الذي حدثت فيه بدعة أن القرآن يقرأ بألفاظه بدون فهم المعنى ويكفي هذا في أداء فرضه. الإمام الشافعي له كتاب **كتاب الرسالة** هو يقول فيه بوجوب تعلم لغة العرب لجميع المسلمين يقدر ما يفهمون به معنى التكبير والقرآن والتشهد[1]، أفلا يلزم منه أنه لايجوز صلوة من ترك الواجب، والإمام أبو حنيفة وأصحابه معروفون بأنهم يجوزون لكل من لم يقدر على فهم القرآن أن يقرأ باللغة التي يعرفها، وأكثر الأئمة يخالفونهم فيه ويقيمون القيامة أنهم يجوزون قراءة الترجمة في الصلاة، أفلا يعلم هؤلاء أن المراد من القرآن هو الفهم والتدبر، وإذا لم يقدر الرجل على فهم ترجمة اللسان العربي وذلك لقصور العرب في عدم تعليمهم للداخلين في الإسلام ترجمة القرآن فالإمام أبو حنيفة يقول إذا كانت العرب مقصرين في ذلك فالعجم لايتركون حظهم من فهم القرآن، وليقرؤوا معنى القرآن بلسانهم وتجوز صلاتهم.

حكاية هذا الخلاف الذي بين أبي حنيفة ناشئة عن سوء الفهم. الإمام ما ذكر فيه عدم القدرة لأنه واضح عند كل رجل يعقل. إذا كان رجل يقرأ بالعربي ويفهم معناه لايأمره أجهل الناس من المسلمين أن يترك سبيل المؤمنين واللفظ المنزل من الله. إنما يجوز ذلك حسب الضرورة إذا لم يقدر الرجل على فهم معاني الألفاظ القرآنية، فأبو حنيفة لم يذكر هذا القيد لوضوحه، وصرح به أبو يوسف ومحمد لأن الزمان قد تبدل ولايفهم الناس كلام أبي حنيفة فهذا الاختلاف ليس باختلاف عندي في الحقيقة فالثلاثة متفقون على جواز صلاة من لم يقدر على فهم اللفظ العربي وقرأ ترجمته بلغته. فهؤلاء الثلاثة والشافعي كلهم يوجبون فهم المعنى وما أتى بعدهم من له دعوى الاستقلال اجتهاده الفقهي و رد فتواهم، واتفق المسلمون على اتباعه. إذا تقرر هذا فمعنى الترتيل عندنا هو تثبيت معاني القرآن والقلب مع تثبيت ألفاظه، وإذا كان لسان الرجل قاصرًا عن أداء اللفظ مثل العربي الصحيح فهذا معفوّ له ولايعفى عن الغفلة عن معناه. النبي ﷺ وكذا جميع الأنبياء والكاملون من الناس يكون لهم حالات يتجلى لهم ما في قلوب أصحابهم، وليس باختيار منهم لكن فيهم استعداد ذلك موجود وإذا وهب الله لهم تلك الحالة يعرفون حالة أصحابهم.[2]

---

[1]- عبارة **الرسالة**: فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يَشْهَد به أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، ويتلوَ به كتابَ الله، وينطق بالذكر فيما افتُرِض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح، والتشهد، وغيرِ ذلك.(أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي(٢٠٤هـ)، **الرسالة**، ت، أحمد شاكر(مصر: مكتبة الحلبي، ١٩٤٠ء)،٤٧.)

[2]- عند عامة أهل السنة، إن قراءة القرآن بدون فهم المعنى جائز ولكن من المشروع التدبر في معانيه بمراجعة كتب التفسير.

التعليم قسمان: ١- الحكماء المشاؤون يعلمون بالنظر والرؤية يبدؤون من البديهيات عند المخاطب ويترتبون منها قياسات تنتج بالبداهة، فمن هذا الطريق يرتقون في تلقين المقاصد.

٢-طريق الحكماء الإشرافية هم يحصرون في قلوبهم وخيالهم المعاني التي يريدون إلقاءها إلى التلاميذ ثم يتصرفون في قلوبهم لغلبة قوتهم الوهمية، فينقش ذلك الفكر بعينه في قلوب التلاميذ، وهم يكونون ساعين بهذا الطريق عن الريب ولايحتاجون إلى الاستدلال وقلوبهم تشهد بصحة ذلك الطريق. الأول يستعمل في المتبدئين والثاني في الكاملين، وعند الصوفية من المسلمين. الثاني معلوم مشهور لكن الطوائف من علماء المسلمين يتنفر من لفظ التصوف، وليس هو إلا فلسفة إشراقية، فمن كان له رغبة في تحصيل الفلسفة فليتوجه إليهم لا على أنه من العلوم المنقولة من النبي ﷺ وإذا كان الرجل كاملا في هذه الفلسفة فهو يقدر على فهم كثير من معاني القرآن والحديث مما لايصل إليه فهم الفقهاء والمتكلمين. الأنبياء عليهم السلام لهم طريق مخصوص في تلقين المعاني ونحن لانعرف من سنة الأنبياء إلا ما نعرف من سنة نبينا ﷺ ورأينا الصوفية يتعاملون بتلك السنة فظننا أن الأنبياء السابقين كانوا يعملون أيضًا بمثل ذلك.

طريقة الأنبياء : يقومون مواجهين لله مستقبلى القلبة[١] التي قرر الله لهم أنهم إذا توجهوا إليها يحصل لهم التوجه إلى الله. أما حكمًا فكل من اتبع طريقهم سواء سواء، وأما حقيقة فللكاملين منهم خاصةً قال النبي ﷺ إذا صلى أحدكم فإن ربه بينه وبين القبلة. هذا التجلي إنما يظهر للكاملين فإذا استغرقوا في التوجه إلى الله، وأصحابهم يأتون في تلك الحالة، فرضنا أن منهم أيضًا كاملون ينظرون إلى التجلي الذي للنبي ﷺ في حالة الصلوة، فكل كلمة يسمعونها من النبي ﷺ يحصل لهم أنهم سمعوها من الله رأسًا، ويقع في قلوبهم من معاني تلك الكلمة ما استقر في قلب النبي ﷺ وهم يكونون جازمين كأنهم سمعوها من الله وفهموها منه، فهؤلاء يبعثون الأقوام لهدايتهم إلى القرآن، فلو كانت النبوة لم تختتم بعد النبي ﷺ كان كثير منهم أنبياء، والآن اسم النبوة مرفوع عنهم، وأما النور الذي يكون عند الأنبياء فحاصل لهم فتعليمهم في الصلاة يفضي بالطالب إلى تلك الدرجة، فهذا كله داخل عندنا في أمر الله لنبيه وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا. قال لهم النبي ﷺ أترون قبلتي ها هنا أني أراكم من خلفي. الفقهاء الذين ليس لهم نور المكاشفة تخبطوا في تفسير الكلمة، ليس لهم حق أن يحرفوا الكلمة عن موضعها، بل أولى لهم أن يسكتوا عن تفسيرها ويعترفوا بجهلهم، فالنبي ﷺ إذا رأى أن المقتدين لم يفهموا هذه الكلمة، لم تستقر في قلوبهم يكرر هذه الآية ويوجه قوته القلبية إلى هذا الرجل بخصوصه وهذا داخل في أمر الله. "**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**" هو القرآن وإنشاء الانقلاب حسب مقتضاه بواسطة الأميين. هذا هو وجه ثقله، والأمر كان في زمن النبي ﷺ أن كل من اشتغل بتحصيل الصناعة وكان له فكر ورؤية استغرق في تحصيل لذات الدنيا، لأن قيصر وكسرى كانوا متملكين على الأرض المتمدنة واستحوذ عليهم الشيطان ظلموا الضعفاء ورتبوا

١- في الأصل مواجهًا لله، مستقبل القبلة.

لأنفسهم ولمن يتصل بهم مثل حياة الجنة في الدنيا وخانوا في ذلك وخسروا، أفسدوا أهل الأرض كلهم، لا يهُمّ الرجلَ إلا تحصيل غذاه ونحن الآن في زمن ارتقاء أو إدبار منذ مئة سنة في حالة كمثلهم كمثل حالاتهم.

وليقرأ الإنسان هنا من باب إقامة الارتفاق وإصلاح الرسوم من حجة الله ما كان وصل إليه فساد قيصر وكسرى، فكان الغرض من الانقلاب هو رفع ظلم كسرى وقيصر ومن والاهم، فالجماعات المكتسبة للعلم والصناعة أكثرها أميين، وكانوا في الصحة والقوة يجند منهم الجنود المقاتلة وكانت لقريش منهم صلاحية تنظيم العرب كلها، فإذا قامت قريش لإحياء إمامة إبراهيم على الدنيا وهو ليس ببعيد عن أذهانهم، سهل الانقلاب. أما رؤساء قريش الحاكمون عليهم وأصحاب الثروات منهم يميلون بالطبع إلى كسرى وقيصر ولايقدرون أن يسمعوا كلمة الانقلاب، فإذا قدر النبي ﷺ أن ينظم جماعة لإقامة الانقلاب من قريش وغلبوا على أعدائهم من قريش فتنظيم العرب بعده لدفع ظلم كسرى وقيصر ليس ببعيد، وأما تثقيب العرب بالقرآن وتنظيف قريش من المعارضين للانقلاب ثم جمع تفرق قبائل العرب على مقصد وحيد[١] يفادون على ذلك بأنفسهم وأموالهم، ليس بسهل. هذا معنى قوله "**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**" حر بلاد الحجاز يمنع الدماغ عن التفكر، فلأهل الحجاز وقت صالح للتفكر، ليس بسهل في جميع أقطار الأرض مثله إلا بالتكلفات فلذلك اختير الليل للتفكر فمن حضر في الليل لقراءة القرآن، علم أن له رغبة قومية وهو قادر على منع المقتضيات الطبيعية المانعة عن التفكر، وإذا كان الرجل يقظان في الليل لم يغلب النوم يتفكر فكرًا صحيحًا لأنه خال عن معيشات الأسواق وطلبات البيوت. هذا معنى قوله "**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**". التعليم العمومي الذي يستوي فيه الحاضر والباد والعرب والعجم ليس هو إلا أن الدنيا محتاجة إلى الانقلاب، لأن طائفة من الناس اغتصبوا حقوق الإنسانية وتفهيم ذلك كل فرد حسب ذهنية وقته وقت النهار "**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**" مقصد هذا التعليم والانتظام ما هو؟ إثبات الحكم لله وحده لاشريك له، كتب الله في الأرض في الحنيفية ليست إلا التوراة والقرآن، وهما متفقان في أصول الدين والحكم، فإنشاء السلطنة العامة تحت حكم القرآن وقانونه هو مقصد ذلك الانقلاب لايكون المرجع إلا حكم الرب وحكم معين معلوم عند الناس فالاجتهاد لإقامة سلطنته تحت هذا القانون هو إقامة حكم الله في أرضه وعدم قبول شيء من القوانين يكون له ذلك الموضع من القرآن، هو يكون مراد التوحيد الذي هو أساس الحنيفية. "**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ** إلى **وكيلا**" فالشرق والغرب لايكون فيه الحكم إلا لله. لاتتعلقون بحكم أحد سواه، بل تنقطعون عن كل ما سواه، يكون اعتمادكم على الله وحده لاشريك له في تكميل هذا النظام، فالمخالفون لهذا الفكر في العرب وقريش، و ليس نصب العداوة والخصام والقتال مقصودًا في هذا الانقلاب. هذه الأمور كلها

---

[١]- هناك بياض في المخطوط، وقمت بإضافة لفظ "مقصد وحيد" قياسًا لسد فراغ المتن.

متوجهة إلى من تملك المشرق والمغرب من كسرى وقيصر، فهؤلاء فراعنة النبي ﷺ، وأما العرب وقريش فيقاتلون إذا اشتدت إليه الحاجة وبقدر الضرورة، وهذا لايتبين في بدأ الأمر أنهم مستحقون للقتال بل اللازم التفهيم بجميع أنواع التفهيم، لأنهم أميون ليس طريق تفكرهم واحدًا، فأي شيء يكون سببًا لفهم ذلك الرجل ربما يحصل ذلك للأستاذ بالصدقة فتفهيمهم غير موقت بوقت ونصب العداوة والقتال إنما يكون بقدر الحاجة وأخطأ عندنا من فحص في العرب مثل فرعون لموسى، لأن ذلك لايكون إلا بسلطنة وتمكن تام، وهو غير حاصل في الحجاز لأحد منهم، حياتهم حياة القبائل، فإذا قيل لرجل أنه فرعون قريش أو فرعون هذه الأمة، فإنما أطلق عليه هذه الكلمة مجازًا لا حقيقة، فمن يخالفك من قريش "**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**" ولاتتعجل في نصب العداوة معهم وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا. إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا المراد بالمكذبين عندنا حقيقة هو كسرى وقيصر ومن على طريقهم ومجازًا من يسير بسيرهم من قريش ولايتحمل ذلك الانقلاب هؤلاء ملحقون بهم "**إن لدينا**" إلى "**مهيلا**" هذا الآية إنذار لهم بما يحدث لهم يوم القيامة، ونحن نتكلم على تفسير يوم القيامة على طريق الإمام ولي الله في فصل مختص به والآن نذكر كلمة منه.

كلما يأتي على الإنسان من بعد يوم القيامة، أصله يكون في هذه الدار في هذه الحياة الدنيا، فإذا أنذر الرجل بأهوال يوم القيامة، فلينظر إلى بذور تلك الأهوال وليتبرأ منها لأن في تلك الحالة لايمكن الرجوع أبدًا إلا بما يقتضيها تلك الحياة. الرجل الباغي على الحاكم إذا أخذ ينكل بأنكال ويدخل في سجن كالجحيم، ولايكون له طعام يلتذ به، بل يكون بملأ بطنه بأدنى أنواع الطعام مع ما اشتمل عليه الحجر والمدر وعدم الطبخ بالمصالح التي تصلحها، بل الحكم من حكام السجن بأشد ما يكون. هذا هو المعروف في حياتنا الدنيا فلينظر الإنسان في قلبه أليس مسلم هو ملك ربه على نفسه، فإذا اطمأن خاطره بأن هذا الحكم من ربه لايجوز له البغي عليه وإلا يجازى بمثل ما يجازى به البغاة، وفي يوم القيامة يكون العذاب أشد. هذا يتبين بتفصيل يوم القيامة، لكن ليس عذاب تلك الشرارة مختصًا بيوم القيامة، بل يأتي له المجازاة في الدنيا، لكن هذا لايعمل بجميع الأفراد. من مات قبل غلبة الانقلابيين يكون مستثنى من هذا العذاب. أما من أدركه يوم الانقلاب، فبعذاب لايكون شيء مثله يتصور أعلى منه. إلى هذا إشارة في قوله "**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا .... وَبِيلًا**" هذا إشارة إلى مجازاة في الدنيا. فرعون جوزي بذلك فإن أدركتم أنتم ذلك اليوم يوم الانقلاب. هذا اليوم "**يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**" فيكون كأن السماء انفطرت له فكيف تتقون ذلك اليوم إن كفرتم لم تؤمنوا كان وعده مفعولا. هذا في الدنيا. من الأسف أن المفسرين نشأوا من غلبة المسلمين على أكثر الممالك وتنظيم حياة المسلمين على الأحكام الإسلامية، فلا يفهمون معنى يوم الانقلاب ويؤلون كل ذلك إلى يوم القيامة لو كانوا أدركوا في شيء من يوم الانقلاب ما فعلوا ذلك فليسئلوا عن انقلاب الإسلام أكاسرة الإيران هل بقي لهم شيء في الدنيا.

في الهند عندنا بقايا الفارسيين فليجلس الرجل إليهم ويسئلهم عما أتى عليهم من المصائب ثم لْيقرأ كتب التاريخ في انقلاب چنگيز كيف ضاقت عليهم الأرض بما رحبت كان العذاب من السماء لايمكن الفرار منه. نحن نشأنا في الهند بعد الانقلاب الذي جاء إلى الهند بقوة الإنكليزية وتعرفنا أحوال ذلك الانقلاب بواسطة واحدة يقشعر منه جلودنا. إذا أردنا أن نحدث بذلك ونرى بعد ذلك رجالًا من المسلمين عارفين بأحكام الدين متدينين يوصوننا أن الإنكليز وحكومتهم علينا، ونحن نعرفهم حقيقتهم فإنهم لايعرفون الهند. هكذا نرى المفسرين الذين نشأوا في خلاف المسلمين لايعرفون شيئا من الانقلاب، وإذا جاء شيء من ذلك يحملون كله على يوم القيامة كأنهم فرغوا المسلمين عن فهم ثلث القرآن ويلتقطون آيات الأحكام المتعلقة بالصلاة وغيرها ويحكون أن هذه فقط يجب على المسلمين معرفته من القرآن. إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ هذه المجازاة في الدنيا وفي الآخرة متحتمة على الإنسان والقرآن يذكرهم فمن شاء ذكره. يقبل حكم ربه وينكر جميع من عداه وينجو بذلك من ذلك العذاب في الدنيا والآخرة. "**فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**" هذا التعليم إلى سنة واحدة كان لازمًا لخواص المؤمنين فأدركوا حقيقة هذا النصاب كيف يصل الرجل بالسهولة إلى فهم معنى القرآن فإذا أدركوه رفع عنهم وجوبه؛ لأن أمامة الانقلاب لاتكون إلا لجماعة مخصوصة ممن أراد تلك الإمامة يلتزم هذا النوع من التعليم والتعلم فنزلت الآية الآخرة بعد سنة فرخص لهم في أن يتقيدوا بذلك بل يفعلون ذلك حسب شرهم، فبين الله في ابتداء الآية أن هذا الحكم لايصلح بطبيعة أن يوجب على الناس إذا كان بعض البلاد يطول فيها الليالي قدراً زائدًا، فقيام نصف الليل أو ثلثيه كالمحال لكل رجل مؤمن. هذا معنى قوله "**وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**" "**عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ**" إحصاءه غير ممكن لأن حكم القرآن نافذ في جميع أقطار الأرض فأقطار يكون فيها الليل كأشهر هل يتصور إقامة هذا الحكم في أهلها، يعني كان المقصد تفهيم المسئلة فقط نموذج منها فَتَابَ عَلَيْكُمْ رخص لكم فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ طريق فهم القرآن علمتم فبالليل تحصلونه أو بالنهار، فهو موكول إلى تيسركم.

العذر الأول مختص ببعض البلاد التي تطول فيها الليالي وأما نسخه في بلاد مكة، فله أسباب أخر "**عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**" تجّار لأن تنظيم المملكة لايكون بالعلم فقط بل يلزم أن يشتغل كل أحد بالمكاسب المشروعة إلا لعذر؛ فالذين يسافرون للتجارة هل يقدرون على إقامة ذلك الغرض. التجارة ليس معناها الاشتراء من دكان والبيع في دكان آخر، بل تحصيل محصولات مملكة والإتيان بهم إلى مملكتهم، بل تبديلها محصولات مملكتهم وهؤلاء يحتاجون إلى الأسفار بالضرورة ولايقدرون على إقامة هذا الصلاة لأن الأسفار مع القوافل لاتسترهم مجالًا "**وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله**" لإقامة حكم القرآن في أي مملكة شئتم المقاتلة لازمة. من يعرف اجتماعيات الناس فإذا كان قوم أو حزب أو عائلة أو رجل متمكنًا في حكومة مملكة بأصول ما وأردتم تبديل تلك الأصول يمكن ذلك بدون مقاتلة لايمكن وقوعه في الدنيا باعتبار الفطرة الإنسانية من خالف

ذلك هو رجل ذوأمانٍ. المعنى إذا أردتم أن تقيموا حكم الله في الأرض فجماعة منكم تصير مضطرة في المقاتلة في سبيل الله، فهل يمكن منهم إقامة هذه الصلاة فتبين بذلك أن كل بلد من بلاد الله إن كان ليله طويلا يكون رجال مرضى وآخرون تجار وآخرون يقاتلون فلايصلح هذا الحكم أن يجعل لازمًا في أي بلد كان من بلاد المسلمين. إنما كانت هذه المسئلة مخصوصة إلى وقت معين "**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**" تدبروا في إقامة الحكومة الإلهية تحت هذا القانون كيف ما تيسر لكم في الليل والنهار بالاجتماع أو الانفراد "**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**" هذا نبحث عنه في موضع آخر. الصلاة و الزكاة ما نسبتهما إلى الدين لكن المهم هنا معنى أن قراءة ما تيسر من القرآن وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أمور منفصلة بعضها عن بعض.

"**وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**". هذا غير الزكوة، وهو ما يحتاج إليه الحكومة من النفقات. هذا يرد إليهم بعد الفتوحات أضعافًا مضاعفةً أي إلى جماعتهم، وكما كان إقراض هذا متعلقًا بأمر الحكومة، فكذلك فهمنا من فاقرأوا ما تيسر منه أنه يفكر في إقامة حكومة تحت القرآن. استفدنا من تلك الآيات فائدة يحتاج إليها العصريون. حدثت جماعة مبتدعة فينا بعد غلبة النصارى على بلادنا تقول إن القتال في الإسلام ليس إلا للمدافعة وما شرع القتال إلا بعد الهجرة، وهذه النظرية باطلة عندنا والهجوم والدفاع معناه تقدم إحدى الطائفتين على الأخرى أيهما يكون أنفع. هذا موكول إلى من يتولى زمام الحرب في الميدان، وأما المصلحة الشرعية فهو أن القتال في سبيل الله يجوز أو لايجوز، وشريعتنا تجوّز هذا، ويكون تبديلًا في سيرة النبي ﷺ بعد بلوغ منزلة الملوك في المدينة. تلك كلمة خبيثة أتت بها المبشرون.

النبي ﷺ نص على مقاصده من أوله إلى آخره سواء بسواء ما غير برنامجه تحت اختلاف الحالات لايختلف الناس أن المسلمين في وقت نزول سورة المزمل كانت لهم قوة قاهرة يجوز أن يقولوا إنا نقاتل الأعداء بل كانوا في حالة لايصلون في المسجد أيضًا جهرًا، وفي تلك الحالة نزل "**عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى**" وبعده لايبقى لهم حجة في القرآن توافق دعواهم. هذا الذي علمتم من القرآن وتعين لكم التمرين في الأعمال دون بعض، معناه ما بقي ذلك من أمور القرآن تعملون فيها باجتهادكم بمثل ذلك. عندنا هذا معنى قوله "**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ**" معناه عندنا هذه المنزلة التي تحصلونها ليس الدرجة العالية من هذا الفعل؛ لأنكم اليوم لاتجعلون متعلق آمالكم إلا قومكم، والرتبة العالية تحصل لكم إذا حصلت لكم الاستقامة في هذه الأمور في إدارة الأقوام المختلفة، يعني فابتغوا الزيادة في تلك الدرجة واعلموا أن اليوم في الحالة الحاضرة تقصير ما ولذلك نحتاج إلى الاستغفار، فمن مات منهم قبل الوصول إلى الدرجة العالية إذا كان معترفًا بالتقصير وكان طالبًا لحالة عالية، فإن يغفر لهم هذا إذ ليس ذلك بفضلهم ويوصلهم إلى درجة إخوانهم.

٦

سورة الأعلى

بسم الله الرحمان الرحيم

"**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**". التسبيح في أي صيغة يكون، يجيء في أول سورة لإزالة شبهة تكون بذات الله تعالى، ويكون حاصل معناه أن لاتنسبوا هذه الشبهة إلى ذاته تعالى، لأنه منزه عنها[١]، وهو في المقام أن الله تعالى يعطي الناس العلم الأعلى بواسطة رجل واحد، أعني النبي، ولايعطيه كل واحد بلا واسطة الرسول، والحال أن هذا سهل بالنسبة إلى الأول، فلعله لايقدر هذا حتى اختار طريقًا فيه ضيق، فقال اختيار هذا الطريق ليس بعجزه تعالى من الطريق، بل هو[٢] قادر على كل طريق، بل اختاره لأنه أحسن الطريق كلها لإعطاء العلم إياكم، أي لايمكن أن يكون طريق ما أحسن منه لإعطاء العلم إياكم، فاختياره لفائدتكم لا لفائدة الله، بل الطرق كلها مساوية بالنسبة إلى ذاته تعالى، فربك الأعلى الذي يعطيك العلم الأعلى، هو منزه عن نسبة هذه النسبة إليه.[٣] ولكل نوع(الذي هو قطعة ما- ایک ٹکڑا) من الأنواع خواص لازمة له لاتنفك عنه أصلًا، ولايوجد خواص نوع في نوع آخر وإن انفك خواص نوع منه تفوت حكمة خلق هذا النوع. يعنی جس غرض ومقصد کے لیے وہ نوع پیدا

١- في الأصل "منزه منها"، والصواب "عنها"، فإن صلة التنزيه يكون بعن. (من الباحث)

٢- الضمير ليس في الأصل، ولكن لابد منه بغية سلاسة المتن.(من الباحث)

٣- *اس بات کا تسلیم کرنا ضروری ہے کہ انواع کو جنس جامع ہے اور اس جنس کے خواص بھی تمام انواع میں پائے جاتے ہیں؛ کیوں کہ وہ اس کے افراد ہیں اور پھر ہر نوع کے خواص جدا جدا ہیں، پس جنس میں ایک وحدت پیدا ہو گئی۔ اسی طرح کئی جنسوں کو شامل ہے وہ جنس جو ان سے عالی ہے اور یہ اجناس اس کی انواع ہیں اور ان سب میں اس جنسِ عالی کے خواص پائے جاتے ہیں اور ان سے اپنے خواص علاحدہ علاحدہ بھی ان میں موجود ہیں۔ اس طرح جنسِ عالی سے جو اوپر جنس ہے وہ کئی جنسوں کو جامع ہے اور وہ جنسیں اس کی انواع ہیں اور اس کے خواص سب میں پائے جاتے ہیں۔ ھذا القیاس آخر الاَجناس. اور آخری جنس کے ضمن میں سب جمع ہو کر تمام عالم کا ایک مرکب ڈھانچہ بن گیا اور اس میں ایک وحدت آ گئی۔*(من الضروري أن نسلم أن الجنس يجمع الأنواع وجميع خصائصه توجد في الأنواع لأنها أفراده، ثم لكل نوع خصائصه على حدة، فهكذا وجدت في الجنس وحدة، وكذلك يشمل شتى الأجناس الجنس الذي هو عال عنها وهذه الأجناس أنواعه لها خصائص الجنس العالي بالإضافة إلى خصائصها على حدة، وكذلك الجنس الذي فوق الجنس العالي يجمع شتى الأجناس وتلك الأجناس أنواعه مع خصائصه وهكذا القياس إلى آخر الأجناس، ففي ضمن آخر الأجناس وجد هيكل العالم مركبا متصفا بوحدة،) إذا عرفت هذا فاعلم أن معنى الذي خلق أنه تعالى خلق ذلك العالم المركب. *یعنی اس ڈھانچہ کو پیدا کیا جو ایک وحدت کے ساتھ متصف تھا۔*(من المفسر)

كيا گيا تھا، وہ مقصد فوت ہو جائے گا پس وہ نوع عبث ہو جائے گا- الحاصل خواص كل نوع لاتنفك عنه، وهذه المسئلة مسلمة عند الحكماء. "**الَّذِي خَلَقَ**" تلك الوحدة المركبة "**فَسَوَّى**" أي وضع في كل نوع خواصه التي تتم بها حكمة خلقه.

فائدة

اعلم أن مسئلة الحكمة أن كل شيء يترقى (مثلًا إذا غرسنا حبة شجرة فهي تنبت فلا تستقر على حالة واحدة، بل تنمو وكذا الطفل) ولايستقر على حالة واحدة، لكن لترقي كل شيء حد ونهاية لايتجاوزه، وكذا لكل نوع حد وانتهاء للترقية.

"**وَالَّذِي قَدَّرَ**" حدًا وانتهاء ترقي كل نوع. "**فَهَدَى**" أي هذا كل نوع بحسب فطرته وطبعه، أي منتهى ترقيه، أي وضع في فطرته وطبيعته قوة انجذاب إلى منتهى ترقيه(*يعنی طبعی طور پر اس کو اس سے کشش ہوتی ہے۔*) مثلًا خلق أنواعًا من الحيوانات ووضع في كل نوع خواصه التي تتم بها حكمة خلقه لكي لا بد لها من إمداد بأسباب خارجة للتكميل فقدر لكل نوع من الترقي. **وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى** لأنواع الحيوان الذي لايمكن بقاءها بدونه، "**فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى**" فتكتفي باليابس وقت عدم وجود الرطب. "**سَنُقْرِئُكَ**" هكذا لابد للإنسان من الكلأ، فكيف ظنك بالله الذي أخرج المرعى للحيوانات، فلا يخرج المرعى للإنسان الذي هو أفضل من الحيوانات كلها، يعني هذا لايمكن منه لكن لما كان الإنسان أعلى من الحيوانات يكون مرعاه أيضًا أعلى(*اس کا گھاس بھی اعلی ہو گا۔*) وهو العلم الأعلى فقال لايمكن أن نخرج المرعى للحيوانات ولانخرجه للإنسان بل سنقرئك العلم الأعلى الذي هو مرعى الإنسان، وموضعه حظيرة القدس[١] "**فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى**" اعلم أنه لاشك في أنه يقل شيء من العلف(گھاس) بعد الجفاف من كيفه وإن لم يقل من كمه الحاصل لايبقى على حالته الأولى بعد الجفاف، كذلك علم النبي عليه السلام لايبقى بعده على حالته التي كان عليها وقت وجود النبي عليه السلام، بل يقل لامحالة بعده باعتبار الكيف لاباعتبار الكم، هذا هو المراد من الاستثناء لا أنه منتهى ألفاظه. **فَلَا تَنْسَى** أي لاتقل كيفيته ما دمت حيًا. "**إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**" أن يقل بعدك باعتبار الكيف، بل حالة علم النبي التي كانت في حظيرة القدس لاتبقى عند النبي عليه السلام، بل يقل منه شيء، كيف وكذا حالته التي كانت عند النبي لاتبقى بعده، بل يقل منه شيء لامحالة مثل العلف بعد الجفاف لكي تكتفي الحيوانات باليابس عند عدم الرطب، كذلك تكتفي بالعلم الذي بقي بعد النبي عليه السلام وإن قل منه شيء. "**إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ**" استعداد الناس الموجود وقت النبي ﷺ "**وَمَا يَخْفَى**"

---

[١]- فكما لايمكن تكميل الحيوانات إلا بالمرعى فكذلك لايمكن تكميل بني نوع الإنسان ووصولهم إلى نهاية ترقيهم إلا بالعلوم النازلة من حظيرة القدس، يعني أن الحيوانات التي تكون في دماغ الإنسان وقلبه؛ لا بد لتكميلها من العلوم. (من المفسر)

يعني الحد الذي يبلغ به استعدادهم وما نزل العلم مناسبًا له. "**وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى**" اعلم أن التعليم له طريقان: أحدهما أن يسعى بالتعليم أن يوجد في كل فرد من خواص نوعه مثلًا أن يوجد في كل إنسان خواص نوع الإنسان، وهذا الطريق سهل لأن كل فرد يأخذ خواص نوعه بالسهولة.

الثاني أن يسعى بالتعليم في أن يوجد في أفراد نوع أشياء خارجة من خواص نوعه مثلًا في الإنسان، فيه خواص الحيوانية فيسعى في أن يوجد فيه خواص الملائكة على وجه يكون خواص الحيوانية معلومة بالكلية، وهذا الطريق مشكل، والمراد بقوله "**لِلْيُسْرَى**" في قوله "**وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى**" هو الطريق الذي ييسّر لك التعليم على الطريق الأول.

"**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى**" تعليم القرآن ليس لكل فرد من نوع الإنسان، بل الصنف خاص منه أعني الذين وجد فيهم خواص الإنسانية ومقتضاها على وجه الاعتدال، وإن الذين ليسوا كذلك فلا يجب عليك تعليمهم (*الحاصل خاص لوگوں کو تعلیم دے کر ایک پارٹی قائم کر دے جو قانونِ قرآن کو تمام دنیا میں پھیلا دیں۔*)[١] "**سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى**" الخشية هو الخوف من حيث المحبة ی *عنی محبوب یہ نہیں کہتا کہ اگر تم نے ایسا کیا تو میں تم سے ناراض ہو جاؤں گا، بلکہ وہ خود ہی ڈرتا ہے کہ ایسا نہ ہو کہ وہ ناراض ہو جائے۔* والخوف هو الذي يكون من حيث الحكومة والسلطنة(*جس کو خدا کی محبت ہو گی، وہ قرآن پڑھ لے گا اور سمجھ لے گا، کیوں کہ جس کو خدا کی محبت ہو گی، وہ دوسروں کی بات سننا بھی گوارا نہیں کرے گا، بلکہ یہی چاہے گا کہ خدا کا قانون ہی رائج ہو اور یہی غرض ہے قرآن کی کہ اللہ کے علاوہ کسی کو حاکم نہ مانے جائے۔*) [٢]

"**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**" التزكي جعل الظاهر والباطن مساويًا[٣]، بين به طريق العلم بمن تعلم القرآن تعلمًا صحيحًا يعني بعد التعليم يقول إني تعلمت القرآن كما ينبغي فكيف يعلم أنه صادق أو

١- ويقال هذا الصنف حزب الله، فتعليم القرآن لهذا الصنف فقط لا لأفراد نوع الإنسان كلهم، وهذا الصنف يعرض تعليم القرآن على الناس كلهم، فمن قبل فاز، ومن لايقبله يجعله هذا الصنف مغلوبًا ومقهورًا ويكسر قوته الخلافية، فاندفع بهذا التقرير الاعتراض الوارد في هذا المقام، تقريره أن أفراد الإنسان كلها مخلوقه تعالى، وتعليم القرآن أيضًا من الله، فينبغي أن يستفيد منه الكل على السوية. وحاصل الجواب تسليم أن الأفراد كلهم مخلوقه تعالى، لكن لانسلم أن تعليم القرآن للكل، بل لصنف واحد منهم لو كان للكل منهم يستفيد منه الكل على السوية، لورد الاعتراض المذكور لكنه خاص لصنف، فلا اعتراض على عدم استفادة الكل. أما بقي انتخاب ذلك الصنف، فهو يكون مثل امتحان الداخلة في المدارس.(في استخدام لفظ "الداخلة" لمسة من العجمة، فاللفظ المناسب للمقام هو الالتحاق.)

٢- من كان له محبة للقرآن فسيقرأ القرآن ويفهمه ولا يستمع إلى الآخرين، بل يريد أن يكون قانون الله هو الغالب وهذا هو الغرض من القرآن بأن لا يعد أحد حاكما إلا الله.

٣- ومعنى قوله يزكيهم أي يجعل باطنهم مثل ظاهرهم.

كاذب فانظر إلى باطنه، هل جعله مثل الظاهر أم لا؟ فإن كان باطنه مثل ظاهره(*اندر باہر دونوں برابر ہیں۔*) فهو تعلم القرآن(*اور وہ کام یاب ہو گیا۔*)

"**وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**" يعني الذي جعل باطنه مثل ظاهره يكون حاله أنه يذكر اسم ربه فيستغرق في محبة الله ويمحو من قلبه غيره، فكيف يمكن منه أن يسلم قول غيره تعالى، وهو المقصود من تعليم القرآن، فهو تعلمه حق التعلم. "**وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى**" أي لم يجعل باطنه مثل ظاهره وإن تعلم القرآن ظاهرًا، فلا يفيده تعليمه. الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (جزاء بما فيه من بدمزاجى[١]) بسببه لم يجعل باطنه مثل ظاهره، فلا بد من إحراق مادة بدمزاجى منعته من جعل الباطن مثل ظاهره، فمن يريد أن يتقي من الحرق بالنار الكبرى فليجعل باطنه مثل ظاهره "**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**". اعلم أن تعليم القرآن لتحصيل الدنيا والآخرة كليهما، لأن أحد جزائي الإنسان الحيوانية فلا بد لها من الضروريات، فمن زعم أنه للدنيا فقط أو زعم أنه للآخرة فقط، فهذان الزعمان كلاهما باطلان، لأن الحيوانية والملكية كليهما موجودتان في الإنسان، فلا بد من ضرورياتهما، فتعليم القرآن لكليهما، ففي الآيات تذكر الآخرة فقط تكون المراد مع الدنيا كما في قوله تعالى "**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**" الذين ينظرون إلى تلك الآيات التي ذكر فيها الآخرة فقط، فيظهر أن تعليمه للآخرة فقط وهو غلط، فحصر تعليمه في الدنيا أو في الآخرة كلاهما داخل في الطريق العسرى الذي يخالف الطريق المذكور في قوله "**وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى**" وتعليمه بكليهما فهو الطريق اليسرى لأن في حصره للدنيا غلبة الحيوانية وفناء الملكية، وفي حصره للآخرة غلبة الملكية وفناء الحيوانية، فكونه أعسر أظهر. "**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**". اعلم أن التوراة المعروف في هذا الزمان ببائبل مركبة من صحف كثيرة من صحف الأنبياء الكثيرة، فمجموع تلك الصحف يسمى اليوم بالتوراة وبائبل، وفي ابتداء التوراة كتاب الخلق، فيه بيان خلق آدم وغيره بطريق التمهيد، والمقصود فيه بيان حالات إبراهيم وأولاده(*اور آدم علیہ السلام اور ان کے بعد کے پیغمبروں کی پیدائش کا ذکر صرف ابراہیم علیہ السلام کا نسب نامہ بتانے کی غرض سے ہے، تاکہ آدم علیہ السلام سے لے کر ان تک کا نسب نامہ معلوم ہو جائے۔*)[٢] وأما المقصود بالذات في كتاب الخلق فهو تفصيل حالات إبراهيم وأولاده، هذه هي صحيفة إبراهيم، ثم بعد كتاب الخلق كتاب الخروج، أي خروج موسى من مصر، فمن كتاب الخروج أربعة صحف متصلة هي صحف موسى وأصل كتاب موسى الذي أعطاه الله تعالى مكتوبًا في الألواح، هو عشرة أحكام فقط، فيقال لتلك الأحكام العشرة كتاب موسى، وهذه الصحف الأربعة بمنزلة شرح الكتاب (*جو موسیٰ علیہ السلام نے*

١- هكذا في الأصل ويريد به خشونة الطبع وسوء الخلق.

٢- وذكر ولادة آدم والأنبياء بعده إنما لغرض بيان نسب إبراهيم حتى يُعلم النسب من آدم إلى إبراهيم.

لکھوائی تھی) كما أن القرآن كتاب النبي عليه السلام هو القرآن، وكتب الأحاديث شرح النبي عليه السلام فالمراد بـ "**صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**" هذه الصحف الخمسة في التوراة، وما قيل إن صحف إبراهيم وموسى ضاعت (*یعنی کھو گئے ہیں*) فهو مبني على عدم العلم بحقيقة الحال، ثم بعد موسى ضم صحف باقي الأنبياء مع تلك الخمسة[١]، فيقال بجموع الكل اليوم التوراة وبائبل، ولم يكن بعد إبراهيم عليه السلام إلى زمان يوسف عليه السلام إلا صحيفة إبراهيم التي ذكرها آنفًا كما يدل عليه قول يوسف عليه السلام "**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**" ثم بعد ذلك صحف موسى الأربعة المذكورة (***یعنی حضرت ابراہیم علیہ السلام سے لے کر یوسف علیہ السلام تک صرف صحیفۂ ابراہیم ہی کا علم اور ابراہیم ہی کی ملت*** *جو اس صحیفہ میں تھی، دنیا میں رہے، کوئی نئی ملت نہیں آئی۔ اس کے بعد موسیٰ علیہ السلام کے صحف ہیں۔*)[٢] وإذا علمت هذا فاعلم أن معنى الصحف في قوله "**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى**" أن سورة الأعلى بمنزلة المتن والخلاصة، وصحف إبراهيم وموسى بمنزلة شرحه وتفسيره، فعلم من هذا أن ما في القرآن هو بعينه ما في صحف إبراهيم وصحف موسى ليس فيه شيء غير ما فيها.

فائدة

اعلم أن موضوع القرآن إشاعة ملة إبراهيم في الدنيا كلها، لأن الله تعالى جعل إبراهيم إمامًا للناس كلهم كما في قوله قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا لكن إمامة إبراهيم لم تتم في زمن إبراهيم وبعث موسى أيضًا لإشاعة ملة إبراهيم في الدنيا كلها لكنه لم يفز فيه (*کیوں کہ ان کو شاگرد نالائق ملے۔*) وبعث النبي عليه السلام أيضًا لإشاعة ملة إبراهيم في الدنيا فهو فاز فيه، والمراد بقوله "**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**" المراد بالهدى ودين الحق هو دين إبراهيم وملته. فالحاصل أنه بعث النبي عليه السلام بملة إبراهيم ليغلب ملة إبراهيم في الدنيا على الأديان كلها، ففاز النبي عليه السلام فيه. ثم هذا المقصد في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان كما هو مشروح في إزالة الخفاء، فالقرآن ليس بملة جديدة بل هو ملة إبراهيم.

---

[١]- *اور یہ پانچوں صحیفے موسیٰ علیہ السلام نے لکھوائے تھے۔*(وهذه الصحف الخمسة أملاها موسى عليه السلام) يعني صحف إبراهيم الأربعة الباقية.

[٢]- يعني بقي في الدنيا علم صحيفة إبراهيم من إبراهيم إلى يوسف ولم تأت ملة جديدة، وبعد ذلك صحف موسى عليه السلام.

٧-١

سورة الغاشية

بسم الله الرحمان الرحيم

فائدة

قاعدة الجزاء أن يكون كل إنسان حسب ذهنه وخياله (*یعنی ہر انسان جس شکل کو اپنے خیال اور ذہن میں پسند کرتا ہے، اس کو اسی شکل میں مثبت جزا ملے گی اور جس شکل سے اپنے ذہن اور خیال میں نفرت رکھتا ہے، اسی شکل میں اس کو جہنم میں سزا ملے گی؛ مثلا نفسِ کھانا تو ایک طبعی امر ہے، لیکن اس کی شکلیں مختلف ہیں، کسی کے ذہن میں حلوہ تو کسی کے ذہن میں گوشت اور اسی طرح دیہاتی اور شہری آدمی کی ذہنیتیں مختلف ہوتی ہیں۔ دیہاتی گڑ کے چاولوں سے زیادہ مانوس ہوتا ہے اور شہری زردے سے، تو ہر ایک کو اس کے ذہن کے مطابق جزا ملے گی، جیسا کہ حدیث میں ہے کہ ایک کھیتی پیشہ اللہ سے بیل ویل وغیرہ طلب کرے گا۔*)[١]وهكذا ينتهي المقصود من الجزاء، أعني السرور والحزن لايحصل إلا بهذا الطريق.

إذا عرفت هذا فاعلم أن ذهنية أهل العرب بعينها ما هو مذكور في هذه السورة بقوله: "**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ**" الخ *یعنی اگر کوئی شخص عرب میں مال دار اور آسودہ حال ہو جاوے تو اس کی ذہنیت بالکل یہی ہے کہ ایک عمدہ باغ ہو اور اس میں چشمہ جاری ہو، اس میں بڑے بڑے اونچے تخت وپلنگ ہوں اور عمدہ عمدہ قالین اس میں بچھے ہوئے ہوں، تکیے لگے ہوئے ہوں اور آبخورے رکھے گئے ہوں۔*[٢]

فائدة

خص المفسرون ما ذكر في سورة الغاشية وكذا في غيرها بالآخرة، وهذا التخصيص ليس بصحيح، بل هو يعم الدنيا والآخرة، نحن لاننكر كونه في الآخرة بل ننكر تخصيصه بالآخرة.

إذا عرفت هذا فاعلم أن المراد بالغاشية في قوله "**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**" هو انقلاب الحجاز الذي أهل الحجاز كلهم يعني الانقلاب الذي يقع بتعليم القرآن في الحجاز في حياة النبي ﷺ عليه السلام أولا في الحجاز ثم في باقي العرب، ويكون الناس فيه قسمين: قسم يخالف الانقلاب ويسعى في مخالفته حتى لايفوز الانقلاب وقسم يؤيده، فيفوز هذا القسم ولم يفز القسم الأول مع سعيه الشديد في

١- يعني كل ما يتخيله الإنسان في ذهنه من الشيءيكون جزاءه حسبه، وما يتنفر عنه في ذهنه يكون جزاءه في جهنم حسبه، مثلا إن الأكل أمر طبيعي لكن أشكاله مختلفة بعضم يحب الحلوة وبعضهم اللحم،وكذلك يكون الفرق بين أهل الأرياف وأهل الأمصار، أهل الأرياف يستأنس بالأرز المصنوع بالسكر الأحمروأهل المصر بالأرز الأصفيرفيكون جزاء كل واحد حسب ذهنه، كما ورد في حديث أن الفلاح يطلب من الله الثيران.

٢- يعني إذا كان أحد من العرب ذا ثروة فيكون ذهنه أن يكون عنده حديقة فيه نهروسرر مرفوعة ونمارق مصفوفة .

مخالفته. "**الْغَاشِيَةِ**" الانقلاب الحجازي وما حول الحجاز من العرب للحجاز، ثم بين حال مخالفي هذا الانقلاب بقوله وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ أي يوم هذا الانقلاب "**خَاشِعَةٌ**" ذليلة "**عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ**" يعني أنها ذليلة مع العمل الشديد الذي صارت به "**نَاصِبَةٌ**" في مخالفة الانقلاب حتى لايقع لكن لم يفوزوا في محنتها، فصارت ذليلة "**تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً**"، لأن الناس يخرجونهم من الأمصار بعد الانقلاب إلى الصحارى، فيصلون شدة حر الحجاز، لأنه ليس في صحارى الحجاز ظل الأشجار "**تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ**" في صحارى الحجاز، لأنه ليس فيها ماء بارد. "**لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ**" أي من ثمرة ضريع (يعنی تھر کا پھل) يقال ثمرة الضريع اليوم في العرب برثومي وفي هندوستان ناگ پھل(آم کی طرح ہوتا ہے، یعنی اس کا پھل)لأنه ليس في صحارى الحجاز إلا الضريع وذكر مآل ناصري انقلاب بقوله "**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**" يعني تحصل لناصر الانقلاب في الحجاز بعد الانقلاب جنات عالية *(چوں کہ عرب کی ذہنیت کے اعتبار سے ان کو یہی چیزیں مرغوب تھیں، توان کو انقلاب کے بعد اس کا موقع ملے گا، کوئی طائف میں باغ وچشمہ وغیرہ بنائے گا، کوئی نمدہ سریر وغیرہ۔) تو پہلے بطور پیش گوئی کے مکہ معظمہ میں فرمایا کہ حجاز میں انقلاب ہو گا اور حامیانِ انقلاب کو ان کی ذہنیت کے مطابق بطور جزا جنات وغیرہ دنیا میں بھی اور آخرت میں بھی ملیں گے اور انقلاب کے مخالفین کو جس چیز سے نفرت ہے، یعنی تھر سے اس کی شکل میں سزا دنیا و آخرت دونوں میں ملے گی۔*[1]ففي وقت نزول هذه السورة كان هذا بطريق الإخبار بالمستقبل والآن هي واقعة قد مضت.

فائدة: انقلاب دو طرح سے ہوتا ہے: ایک طبعی دوسرا فکری، انقلابِ طبعی کی صورت یہ ہوا کرتی ہے کہ جس ملک میں وہ ہونا ہوتا ہے اس میں زراعت وغیرہ خوب اچھے پیمانہ پر ہوتی ہے۔ جب زراعت پیشہ لوگ خوب کماتے ہیں تو ان سے تاجر لوگ لوٹنا شروع کرتے ہیں، خرید وفروخت میں، کچھ بھاؤ میں، کچھ سود وغیرہ میں اور پھر لوٹتے ہیں رشوت وظلم اور تعدی وغیرہ سے، تو وہ بے چارے باوجود کمانے کے اور محنت کرنے کے جب بھوکے مرنے لگتے ہیں تو وہ مخالفت میں کھڑے ہوتے ہیں اور لڑنے مرنے پر آمادہ ہو جاتے ہیں تو اس ملک میں انقلاب پیدا کر دیتے ہیں۔ اور انقلاب فکری یہ ہے کہ تعلیم کے ذریعہ سے لوگوں کے دماغ میں ایسی فکر پیدا کر دی جائے کہ اس

---

[1] - كان العرب يحبون هذه الأشياءفيكون لهم أن يتمتعوا بها،فقيل أولا هذه الانقلاب يكون في مكةوأهل الانقلاب يكون لهم هذه النعم في الدنيا والآخرةومخالفوا الانقلاب يعذبون.

کے خلاف بات کو وہ سننا بھی گوارانہ کر سکیں تو ایسی فکر ان کے دماغ میں پیدا ہونے کے بعد وہ انقلاب کر دیتے ہیں۔[١]

إذا عرفت هذا فاعلم أن الله تعالى يخبر بقوله "**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** " أن هذا الانقلاب في الحجاز لايكون طبيعيا، بل يكون فكريًا بتعليم القرآن حتى يعلم أن في القرآن قوة الانقلاب، لأن قطعة الحجاز ليس فيها أسباب الانقلاب الطبعي من الزراعة وغيره، بل ليس فيها إلا اسماء فوقها والأرض تحتها والإبل والجبال (*یعنی حجاز میں اس کے سوا کچھ نہیں کہ اوپر دیکھو تو آسمان نظر آئے اور نیچے دیکھو تو زمین نظر آئے اور اِدھر اُدھر دیکھو تو انسان نظر آئیں یا پہاڑ*). الحاصل أن الانقلاب يقع لامحالة، وله صورتان: الطبعي والفكري فانتفى الأول لعدم أسبابه في الحجاز، فلا محالة يكون فكريًا، فيقع بتعليم القرآن. إذا علمت هذا فَذَكِّرْ أي علِّم الذين فيهم مادة قبول تعليم القرآن "**إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ**" فلا تذكرهم لعدم مادة القبول فيهم فتعليمهم عبث، وحاصله ما هو حاصل قوله "**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى**" فقوله إلا من تولى وكفر استثناء من قوله فذكر (*یعنی ان کے دماغ میں یہ فکر پیدا کر دے کہ ملتِ ابراہیمی کے سوا کسی بات کو مت سنو، فقط ملتِ ابراہیمی ہی ذریعہ ہے فوزِ دارین کا* "**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ**" *یعنی آپ کا کام فقط تذکیر ہے، یعنی قرآن کی تعلیم* " **لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ** " *آپ ان پر داروغہ نہیں ہیں، یعنی آپ کے پاس جبر وغیرہ اسباب ہی نہیں ہیں، نہ فوج ہے نہ طاقت ہے، وغیرہ وغیرہ، تو آپ کا کام صرف تذکیر میں تعلیمِ قرآن ہے، پس اس تعلیم کے بعد انقلاب خود بخود ہو جائے گا؛ یعنی آپ تعلیمِ قرآن سے ایک ایسے لوگوں کی سوسائٹی پیدا کر دیں گے، جن کے دماغ میں یہ فکر پیدا کر دیں گے کہ ملتِ ابراہیمی کے سوا دوسری کوئی بات مت مانو، تو وہ سوسائٹی انقلاب پیدا کر دے گی؛ چناں چہ ایسا ہی ہوا کہ آپ نے ایک سوسائٹی پیدا کی۔ انھوں نے حجاز اور ماحولِ حجاز یعنی تمام قطعۂ عرب میں انقلاب پیدا کیا۔ یہ تو آپ کے سامنے ہوا، لیکن وہ سوسائٹی ایسی پیدا ہوئی کہ انھوں نے آپ کے بعد تمام دنیا میں انقلاب کر دیا، قیصر و کسریٰ کی سلطنتیں الٹ دیں۔ یہ قرآن ہی انقلاب تھا۔ غرض فرمایا کہ آپ کا فرض صرف تعلیمِ*

---

[١]- الانقلاب أو الثورة على نوعين: طبعي وفكري،الطبعي عبارة عن سمو مقام الزراعة في الدولة التي يكون فيها ذلك الانقلاب، فالناس يعملون في الزراعة ويكسبون كثيرًاثم يسرق منهم التجارفيقع اللاصطدام بين الفريقين فيحصل الانقلاب وأما الانقلاب الفكري فعبارة عن التبدل الفكري الدماغي في الناس بالتعليم فيحصل الانقلاب.

قرآن ہے، اس کے سوا آپ کے پاس کوئی اور طاقت ہی نہیں ہے، مگر آپ بے فکری سے اس کی تعلیم دیں، کیوں کہ خود قرآن میں یہ طاقت ہے کہ یہ انقلاب کر دے گا، چناں چہ ایسا ہی ہوا۔[١]

فائدة

فعلم من التقرير المذكور أن قوة الانقلاب موجودة في القرآن[٢]، وفي هذا الزمان أيضا يقع به الانقلاب لكن علماء الزمان غافلون عن قوة القرآن فلا يتوجهون إليه.

فائدة

قال مولانا عبيد الله معنى التذكرة **بیدار کردن، یعنی جن لوگوں کے دماغ میں قوت وصلاحیت ہے، لیکن وہ کچھ خوابیدہ سے ہو رہے ہیں، ان کو بیدار کر دو، یعنی قرآن کی تعلیم کے ذریعے سے ان کو بیدار کرو اور جن کے دماغوں میں صلاحیت نہیں، ان کو تعلیم فضول ہے۔**[٣] "أعني **مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ**" فلا تعلمهم فيعذبهم العذاب الأكبر وقت الانقلاب في الدنيا "**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ**" في الآخرة ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ، فنفديه في الآخرة.

فائدة

مولانا محمد قاسمؒ [٤] نے قبلہ نما میں دو تین مقام میں حضور ﷺ کے متعلق نہایت بہترین مضمون لکھا ہے، جس کا حاصل یہ ہے کہ آپ کے انقلاب کے اسباب دو تھے: ایک تو اخلاق جو کسی فردِ بشر میں آج تک نہیں پائے گئے۔ یہ اخلاق تو تسخیر الناس کا ذریعہ تھے، کیوں کہ آپ کے پاس مال وغیرہ کوئی ذریعہ تسخیر کا نہیں، تو لوگوں کی تسخیر تو اخلاقِ حمیدہ سے ہوئی، سوسائٹی تو اخلاق کے ذریعے پیدا کی، لیکن صرف سوسائٹی کا وجود انقلاب کے لیے کافی نہیں ہو سکتا۔ دوسرا کمال آپ کا علم تھا، یعنی قرآن شریف جس میں اس سوسائٹی کے لیے ایک دستور العمل انقلاب کے لیے دیا گیا، جو ایسا دستور العمل طاقتِ بشری سے خارج تھا، اس کے ذریعے انقلاب ہوا؛ غرض انقلاب کا ذریعہ قرآن

١- لست عليهم بمصيطر يعني ليست عندك أسباب الجبر والإكراه ولاالعسكر ولاالطاقة وغيرها، إنما أمرك التذكير بالقرآن، فبعد تعليم هذا الكتاب يحصل الانقلاب تلقائيا،يعني أنك ستنشئ مجتمعًايكون متثبتا على ملة إبراهيم فينشئ ذلك المجتمع انقلابا، فهكذا وقع. النبي أنشأ مجتمعا أنشأ الانقلاب في قطعة العرب، ثم هذا الانقلاب انتشر في الدنيا فانكسرت الامبراطوريات مثل قيصر وكسرى، وكان هذا انقلابا قرآنيا، فالحاصل أن الله قال إن واجبك هو تعليم القرآن ، وليست عندك طاقة دونه فعليك أن تعلم القرآن بدون الفكرلأن القرآن فيه مقدرة الانقلاب، فحصل الأمر كذلك.

٢- في الأصل: أن في القرآن قوة الانقلاب موجود، والأنسب :أن قوة انقلاب موجودة في القرآن.

٣- معني التذكرة الإيقاظ يعني أيقظ الذين في أذهانهم قوة الاستيقاظ بتعليم القرآن وأما ليست عندهم هذه المقدرة فاتركهم.

٤- هو العلامة المحقق محمد قاسم بن اسد علي النانوتوي ، ولد سنة ١٢٤٨هـ ببلدة نانوتة وقرأ جميع الكتب على يدي الشيخ مملوك علي النانوتوي، وكان الشيخ جامعا بين العلم والعمل، وهو الذي أنشأ مدرسة شهيرة دارالعلوم بديوبند وله مصنفات دقيقة.(الحسني، المصدر السابق، ٧: ١٠٦٧.)

تھا۔ بعض لوگ یہ سمجھتے ہیں کہ یہ انقلاب حضور ﷺ کا ذاتی خصوصیت تھی، لیکن یہ غلط ہے۔ یہ قرآن کی خصوصیت تھی، گو حضور ﷺ کے اخلاق بے مثل تھے، لیکن انقلاب کے لیے کافی نہ تھے، انقلاب بغیر قرآن کے ناممکن تھا اور اگر انقلاب حضور ﷺ کی ذاتی خصوصیت ہوتی، تو حضور ﷺ کے بعد تمام دنیا کا انقلاب نہ ہوتا، کیوں کہ حضور ﷺ تو صرف عرب ہی کا انقلاب کر گئے تھے، مگر بعد میں تمام صحابہ نے دنیا میں انقلاب کیا۔ ان کے پاس قرآن کے سوا کیا تھا؟ تو معلوم ہوا کہ انقلابی طاقت قرآن ہی کی تھی۔[١]

فائدة

لو سلم أن القرآن ليس كلام الله، بل هو نتيجة فكره عليه السلام، لكن عجز بالإتيان بمثل قانون (پروگرام) الإنس والجان، فلا شك في هذه الصورة أيضًا في كون القرآن معجزة للنبي عليه السلام، فتثبت به نبوته أيضًا.

فائدة

اعلم أن في قوله: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ثبوت الدعويين: إحداهما أن الحجاز ليس فيه أسباب الانقلاب الطبعي (*یعنی سرمایہ داری وغیرہ کے اسباب*) لأن الإنسان إذا رأى يمينًا وشمالًا وقدمًا وخلفًا، لا يرى إلا الإبل أو الجبال، وإذا يرى تحته، يرى الأرض، وإذا يرى فوقه يرى السماء. الثانية أن في الحجاز صلاحية تمركز الانقلاب العقلي والفكري، وأشار إلى هذا بلفظ كيف في المقامات الأربعة؛ لأن أرض الحجاز فيها صلاحية أن يجمع الناس فيها من الجوانب لسطوحها، وفيها ميادين واسعة مثل منى وعرفات وغيرها، وفي الإبل ذرائع المعشية بقدر الضرورة كما مر، والجبال حوله من الجوانب الأربعة مثل الحصن لايمكن إتيان العدو بالسهولة، وفي سكانه استعداد قبولية علوم الوحي، لأنهم يقرون بالنبوة الإبراهيمة والإسماعيلية، وقائلون بنزول علوم الوحي من السماء مع رفعته.[٢]

---

[١]– إن مولانا قاسم كتب مقالا جميلا في أكثر من موضع واحد من الكتاب قبلة نما، وحاصله أن انقلابه كان له سببان:الأول الأخلاق لم توجد في بشر حتى الآن وكانت ذريعة تسخير الناس بدون المال والجاه، فالمجتمع حصل بالأخلاق، ولكن وجود المجتمع لايكفي للانقلاب، وأما الكمال الثاني فكان علمه يعني القرآن الذي أعطي فيه برنامج الانقلاب الذي كان فوق المقدرة البشرية، فذريعة الانقلاب كان هو القرآن،وبعض الناس يظنون أن هذا كانت خاصية ذاتية للنبي، فهذا ليس بصحيح ، إن خلقه وإن كان عظيما بلا مثيل فلكن لم تكن كافية للانقلاب، الانقلاب لم يمكن بدون القرآن ولو كان الانقلاب خاصية النبي الذاتية لم يحصل انقلاب الدنيا بعده، فإن قد أوجد انقلاب العرب فقط والصحابة بعده أوجدثورة الدنيا، ولم يكن لديهم سوى القرآ،، فعلم أن الطاقة الحقيقية للانقلاب هي كانت طاقة القرآن.

[٢]– اعلم أن السماء لغة ما علاك، ثم اختلف الناس في تعيين السماء، فقال بعض يعني عوام الناس ما نرى فوقنا(برنگ نیل گونی) هو السماء، فقال بعض الحكماء أن السيارات هي السماء، وإنما تسير بالاستقلال، وقال بعضهم السماء الجرم الذي ركزت فيه السيارات، وهو يسير بها. الحاصل الكل قائل بوجوده إن اختلفوا في تعيينه. إذا

" **وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**" فيه إشارة إلى صلاحية الحجاز للمركزية بين الأقوامي؛ لأنها قابلة للقيام عليها لكونها مسطحة وكون الجبال حولها مانعة للدخول في الحجاز، فالدخول فيها ليس بسهل بسببها.

قوله: "**إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**" فيه إشارة إلى أن خلق الإبل وقع على وجه أنها تكفي للضروريات المعيشة؛ لحمها للأكل ولبنها للشرب وجلدها للنعال وغيرها ووبرها للثياب وغير ذلك. قوله: وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ

وقوله: "**إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ**" وقوله:" **لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**" جملتان معترضتان بين الاستثناء والمستثنى منه.

علمت هذا فاعلم أن الأرض موطن الجزئيات المحسوسة وموطن الكلي فوق السماء، وفي الأرض وجود الكلي انتزاعي غير محسوس، ويمكن وقوع الخطاء في الانتزاع، والكلي في موطنه مثل الجزئي محسوس مشخص، فهو جزئي في موطنه. الحاصل الكليات جزئيات محسوسة من موطنها مثل الجزئيات في موطنها، فيمكن رؤية الكل محسوسًا ومشخصًا في موطنه، ولايتطرق إليه الخطاء فيه لمن يراه في موطنه فالأنبياء يرون الكليات في موطنها مثل الجزئيات في الأرض فلا يقع الخطاء في علومهم.

٧–٢

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

"**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**" عامة المفسرين جعلوها من حالات القيامة. طائفة تدخل جهنم وطائفة تدخل الجنة، وأن القرآن العظيم ذكر بعض أوصاف مساكنها[١]، ونحن نجعل الانقلاب الذي جاء به القرآن العظيم مثل قيام القيامة ومثل مجيء الساعة، ومن مات في ذلك الانقلاب، فإن كان من الصالحين يدخل الجنة، وإن كان غير ذلك يدخل النار، وقد تقرر عندنا في حكمة الإمام ولي الله أن ما يأتي على الإنسان من حالات بعد الموت، تكون تشبه لملكاتٍ فيهم والتشبه إنما يكون بما اعتادته القوة الخيالية لهم، فإذا دخلوا الجنة أو جهنم يجدون هنالك الثواب والعقاب بمثل المرافق التي اعتادوها في دار الدنيا. على هذا الطريق نفسر تلك السورة.

"**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**" الحالة التي تغشى العرب كلها من الانقلاب، فيجعل كل القوم على القسمين، لايترك لهم مساغًا لصنف ثالث: ١– الأول إما أن يكون من الانقلابيين الفائزين. ٢– وإما أن يكون من المرتجعين المخزولين، فمن فاز بالانقلاب القرآني[٢] يصل إلى أعلى مرافق الحياة حسب التصور العربي، ومن خاب في ذلك الانقلاب لايكون له مقام في البُلدان والقرى، بل يلتحقون بالحيوانات في الصحارى، وإذا مات هؤلاء، يجدون بعد الموت أيضًا شيئًا مثل ما وجدوها في حياتهم بعد الانقلاب. الصورة تكون متحدة لكن الحقائق على حسب اختلاف الدارين تكون مختلفة اختلافًا بينًا. بهذه الصورة إذا فسرنا هذه السورة، كأننا لم نرد شيئًا مما كتبه المفسرون. هل أضفنا إليه أشياء طبيعية، لابأس بها في أصول حكمة الشيخ، فالحالة الغاشية على العرب إذا غشيتهم، فهل تعرف ما يكون عليه حالات الناس؟ الطائفة التي خالفت القرآن وسعت في إقامة قانون على ضده خابت، فإن بقيت لها حياة التحقت بالصحارى، هذا : "**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ**" أذلة "**عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ**" عملوا بكل اجتهاد على ضد القرآن فخابوا وصاروا أذلة في الصورة. حياتهم في الصحراء تكون كأنهم يصلون نارًا حاميةً، يسقون من عين آنية لايكون لهم شراب من ماء بارد ولايكون لهم طعام إلا من ضريع مما تأكله إبلهم. هذه حالتهم في حياتهم الدنيا، فإذا انتقلوا إلى الدار الآخرة، هم يجدون عذابًا بمثل تلك الصورة طائفة أخرى الذين فازوا في انقلاب القرآن.

---

[١]– في ن م: مساكنها، وفي ن إ: ساكنيها. ثم هناك في ن م عبارة سقطت من ن إ وهي: وعندنا في ذلك ملاحظة غريبة.

[٢]– في ن إ سقطت "فمن فاز".

"**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ**" الخ على وجوههم آثار النعمة موجودة فرحين. لسعيها راضية كل ما عملوا بالقرآن كان موافقًا لفطرتهم " **فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ**" إلى "**مبثوثة**" هذه حكاية أشراف الحجاز في تمدنهم ومعاشهم اليوم، [١]لو ذهبنا إلى بيت واحد منهم لوجدنا فيه سررًا مرفوعة وأكوابًا موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة، فإذا انضم مع ذلك جنة عالية "**فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ**" وحكم السيد نافذ في تلك الجنة، لاتسمع فيها لاغية تحت صورة الحال مطابقة. تم تصوير الحال. هذا هو الذي يرجوه العرب إذا فازوا في الدنيا من مرافق الحياة والذين فازوا بانقلاب القرآن، كانوا راضين لسعيهم لأنها موافقة لوجدانهم وفازوا في الحياة الدنيا بما يرونه أعلى الحياة. الناس، يعرفون أن العرب بعد ما فتحوا الشام والعراق ونظموا بعد ذلك معيشتهم في الحجاز، هل كانوا على صورة غير هذه، وهذا كله حاصل لهم بسبب انقلاب القرآن.

فصل

الانقلاب نقول به نحن في العرب هل له فيه مواد موجودة ليس فيه شيء منها؟ الانقلاب يأتي في بلاد الثروة[٢] التي تكون باعثة للانقلاب طبيعيًا هل هو موجود؟ جوابه ظاهر، ليس منها شيء. إن شئتم أن تعلموا كيفية الحجاز باعتبار الأسباب المادية فاقرؤا "**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**" لاتجدون في الحجاز إلا الإبل والسماء والأرض والجبال، فالبواعث للانقلاب المحلي غير موجودة، فمن أين أتت القوة الانقلابية؟ أتت بالقرآن، حدثت بالقرآن فقط. القرآن يجمع العالمين لايقسم قومًا عن قوم وأسباب الانقلاب العالمي متهيأة في الأرض بسبب الغلبة على كسرى وعلى قيصر، فالقرآن يدعو العرب أن يصيروا مركزًا لإدارة ذلك الانقلاب، ويسهل لهم الوصول إلى تلك المرتبة، وقوله: "**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ**" [٣] عندنا إشارة إلى هذا. ذكر بالقرآن أيقظ قواهم الفطرية، أوجد فيهم قوة التفكير حتى يقتدوا على الإدارة مع مواليهم التامة. هذا لم يكن إلا بتذكير النبي عليه بالقرآن، فمنصب النبي في هذا

---

[١]- حمل أمر الآخرة الخالص على أمر دنيوي، ليس له مبرر في النقل ولافي العقل، ومثل هذه الأمور مما يؤدي إلى الفساد في التأويل وحمل المصطلحات الدينية الثابت مفهومها سلفًا وخلفًا على مثل هذه الأمور يفتح مجال التأويلات الباطنية التي جرت الويلات إلى عكر دار الأمة. ومن العجب للشيخ السندي –سامحه الله– كيف تأثر بالوضع الراهن في عصره حتى ذهب إلى تفكيك هيكل معنى النص مما توارثت عليه الأمة؛ فكما جاء جاك دريدا بمنهج تفكيك الميتافيزيقا الدينية والأفلاطونية في الغرب، هل يمكن لنا أن نعبر الأعلام مثل الشيخ السندي بأنهم المفكّكون الإسلاميون؟

[٢]- هذه العبارة في ن م، ليست في ن إ: تنتقل من قوم أخرين يكونون فقراء، ففي الحجاز الثروة التي تكون باعثة للانقلاب، طبيعيًا هل هو موجود؟

[٣]- في ن إ نقلت الآية فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى، وهذا خطأ لأن الآية من سورة الأعلى.

الانقلاب ليس إلا "**إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ**"باصطلاحنا اليومي Organization Organizer [1]بمعنى التنظيم والمنظم. لست أنت عليهم بمسيطر تجبرهم على شيء "**إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ**" الاستثناء راجع إلى ذكر وقد قدمنا أنه لايجب على النبي تعليم من تولى وكفر "**فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ**" هؤلاء إذا تولوا عن العلم وعن الانقلاب، يعذبهم الله إما بعذاب من غير أيدي المؤمنين بأسباب القدرة بمثل الطوفان والغرق والحرق، وإما بأيدي المؤمنين ثم يتصل بعد موتهم عذاب في جهنم فيكون هذا العذاب الأكبر ثم "**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**" فلايقدرون أن يفروا عنا أو يكون لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

---

[1]- المصطلح الإنكليزي ليس بمذكور في ن إ.

٨

سورة الروم

بسم الله الرحمان الرحيم

الم ٣١ من ابتداء البعثة إلى ٣١ في خلافة عمر وقع تسلط الإسلام على ملك الشام وفتح بيت المقدس وغيره، وظهر مصداق قوله: "**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**" لأنه كانت في الدنيا سلطنتان عظيمتان حينئذ: إحداهما سلطنة أهل إيران كما يدل عليه قوله: "**وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**" عنقريب، والوقف لازم على قوله: "**سَيَغْلِبُونَ**"، وقوله: "**فِي بِضْعِ سِنِينَ**" لايتعلق بقوله: "**سَيَغْلِبُونَ**" بل هو يتعلق بما بعده، أعني قوله: "**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**" وهو من باب تنازع الفعلين[١]، فالعبارة هكذا: لله الأمر من قبل في بضع سنين ولله الأمر من بعد في بضع سنين، فالمراد من قوله لله الأمر من قبل في بضع سنين فتح الروم على الإيران، ومن قوله ولله الأمر من بعد في بضع سنين فتح أهل الإسلام على أهل الروم، وقع فتح أهل الإسلام على أهل الروم في سنة ٣١من ابتداء البعثة في خلافة عمر بهذا الفتح كان على أهل الدنيا كلها(*کیوں کہ تمام دنیا میں دو ہی بڑی سلطنتیں تھیں: ایران وروم؛ روم ایران پر غالب آ گئے اور مسلمان روم پر، تو مسلمان تمام دنیا پر غالب آ گئے* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ کی پیش گوئی پوری ہو گئی-م ٤٠ و- مجموع ٣١ و ٤٠ — ٧١ وهو الإشارة إلى خلافة[٢] معاوية رضي الله عنه، لأن في ابتداء البعثة إلى زمن معاوية يكون ٧٠. *غرض ایک سال پہلے بعثت کا ہے اور امیر معاویہؓ نے تو اپنا دار الخلافہ ملکِ شام یعنی دمشق میں قریب بیت المقدس کے بنالیا تھا۔ پس امیرِ معاویہؓ کے زمانے میں اسلامی سلطنت کا ملکِ شام میں پورا استقرار ہو گیا تھا، غلبہ تو ملکِ شام میں خلافتِ عمر میں ہوا اور اس کا استقرار کامل طور پر امیرِ معاویہؓ کے زمانہ میں ہوا اور سورۃ الروم میں یہی پیش گوئی ہے۔)*

١- [التنازع] أن يتقدم فعلان متصرفان، أو اسمان يشبهانهما، أو فعل متصرف واسم يشبهه، ويتأخر عنهما معمول غير سببي مرفوع، وهو مطلوب لكل منهما من حيث المعنى.(جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ت، يوسف الشيخ محمد البقاعي(بيروت: دار الفكر، س ن)، ٢: ١٦٧.هذا التعريف لتنازع الفعلين لايستقيم هنا، فإن الأمر هنا يتعلق بالجار والمجرور، ثم هذا التأليف النحوي للمصنف فيه نوع من الخزازة لايخفى.

٢- في **حجة الله البالغة** في الفتن وقال رسول الله ﷺ تَدُورُ رحَى الإسلامِ لخمسٍ وثلاثين، أو سِتٍّ وثلاثينَ فإن يهلِكُوا فسبيلُ من هلَكَ، وإن يَقُم لهم دينُهم يَقُم لهم سبعينَ عاماً" قال: قلتُ: أَمِمَّا تقِيَ أو مِمَّا مضَى؟ قال: "مِمَّا مضى"، فعدد ألم يوافق هذا الحديث، فأي حرج في أخذ ما ذكر فيه على وجه الاحتمال يعني يمكن أن يكون المراد بألم الإشارة إلى ما ذكر.

فتحت مكة بعد سنة عشرين من ابتداء البعثة، فتحققت حينئذ الخلافة وأجريت الحدود بعدها ..... وأما قبل فتح مكة لم تكن الخلافة تحققت كاملة بعد فتح مكة . صح مصداق قوله تعالى: "**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**"، فصار النبي عليه السلام بعد فتح مكة خليفة الله تعالى وبقيت خلافته عليه السلام إلى سنتين ونصف، ثم بعد ذلك صار أبو بكر خليفة لكن لاخليفة الله تعالى بل خليفة رسول الله إلى سنتين ونصف، وصار مجموع خلافة رسول الله وخلافة أبي بكر خمسة سنين، وهو المراد ٥ لأن عددها خمسة، وهو المراد من قوله عليه السلام ''قرني'' في قوله: خير القرون قرني يعني زمان أبي بكر داخل في زمان النبي عليه السلام، لأن خلافة أبي بكر كانت على نهج خلافة النبي عليه السلام على وجه الكمال لا فرق بينهما مثقال ذرة في أمر المساواة في كونهما بين الاقوامي)*یعنی حضور ﷺ کی خلافت کے زمانہ میں جو شخص اسلام میں داخل ہوتا تھا تو اس کو اوروں کے برابر درجہ دیتے تھے۔ حبشی، ایرانی، عربی اور غیر عربی میں کوئی امتیاز نہیں تھا، بلکہ جس ملک کا آدمی مسلمان ہوتا ہے، اس کو اس ملک کا بادشاہ بنادیتے ہیں۔ حضرت ابو بکرؓ کی خلافت میں بھی اس رنگ میں ذرہ فرق نہیں آیا، اس لیے ان کا زمانہ بھی حضور ﷺ کے زمانہ میں داخل ہے، تو ان کی خلافت گویا حضور ﷺ ہی کی خلافت ہے۔*

فائده

یہ رائے ہے مولانا عبید اللہ سندھیؒ[1] کی اور شاہ ولی اللہ صاحبؒ ابو بکرؓ کے زمانہ کو عمرؓ کے زمانہ کے ساتھ ملاتے ہیں اور فرماتے ہیں کہ إن المراد من قوله عليه السلام "ثم الذين يلونهم" الأول خلافة أبي بكر وعمر كليهما ي ١٠ المراد به خلافة عمر، وهو المراد من قوله عليه السلام ثم الذين يلونهم الأول عند مولانا عبيد الله*(کیوں کہ حضرت عمر رضی اللہ عنہ کے زمانے میں کسی قدر قومِ عرب کا تغلب اوروں پر ظاہر ہو گیا تھا، گو وہ قانونی رنگ میں نہیں تھا اور نہ ہی اس کو قانونی شکل دی گئی تھی، مگر تاہم لوگوں کی نظروں میں عرب کا کسی قدر تفوق نمایاں تھا، لہذا وہ حضور اور ابو بکر کے زمانے سے کسی قدر اترا ہوا تھا۔)*[2]والمراد بقوله ثم الذين يلونهم الثاني خلافة عثمان*(وہ زمانۂ عمر سے بھی کسی قدر اترا ہوا تھا، اس لیے کہ ان کی خلافت کا ابتدائی حصہ تو بالکل ہی خلافتِ عمری کے مطابق تھا، لیکن ان کی خلافت کے آخری حصہ میں نیم قومیت کا رنگ آ گیا تھا، گو اس کو باقاعدہ قانونی شکل نہیں دی گئی تھی، مگر اندر ہی اندر قومیت کا رنگ آ گیا تھا اور امیر معاویہ کے زمانہ میں اس کو قانونی شکل میں لایا گیا تھا۔*

١- في مثل هذه المواضع يأتي في البال أن المستملئ قد أدرج في **إلهام الرحمان** ما سنح له من شرح وتفسير لأفكار مولانا السندي. وهذا الأمر يقوي موقف الذين يقولون بأن تلامذته قد أدرجوا من قبل أنفسهم في تفسيره ما ليس من فكرة الشيخ السندي. والله أعلم.

٢- لأنه في زمن عمر رضي الله عنه قد ظهر إلى حد ما تغلب العرب على الآخرين وإن لم يكن في الزي القانوني، ولكن تفوق العرب عند الناس كان قد وجدولم يكن كذلك في عهد النبي وأبي بكر

ع ۰۷ مجموعہ ۱۰۵ یہ اشارہ ہے ولید بن عبد الملک کی خلافت تک، کیوں کہ خلافت سن بعثت سے ۱۰۵ تک ہے۔ بنو امیہ کی سلطنت کا اس میں انتہائی عروج تھا، قومیت کی بنیاد تو عثمان نے ڈالی اور اس کو امیرِ معاویہ نے قانونی شکل پہنائی اور اس کی تکمیل اور انتہائی عروج ولید کی سلطنت میں ہوا۔ ص ۹۰ مجموعہ ۱۹۵، اس میں اشارہ خلافتِ ہارون الرشید کی طرف جو سن بعثت سے ۱۹۵ پر ختم ہوتی ہے، اس میں انتہائی عروج تھا سلطنت بنی عباسیہ کا، جس کی بنیاد علی کرم اللہ وجہہ نے ڈالی تھی؛ غرض امیر معاویہ نے بنو امیہ کی عروج کی بناڈالی، اس کا انتہائی عروج ولید کے زمانہ میں ہوا اور علی کرم اللہ وجہہ نے بنو ہاشم کے عروج کی کوشش کی۔ اس کا انتہائی عروج بنو عباسیہ کے دور میں ہارون کی خلافت میں ہوا اور ہارون تک بارہ خلفا ختم ہوتے ہیں، جن کے اسما یہ ہیں: ابو بکر، عمر، عثمان، علی، معاویہ، عبد الملک، ولید، سلیمان، ہشام، منصور، مہدی، ہارون الرشید)[1]

فائدہ

زکریا علیہ السلام نے دعا کیوں مانگی تھی؟ صرف اس لیے کہ میرے بعد میرے کام کو سنبھالنا والا کوئی وارث ہونا چاہیے تو کیا رسول اللہ ﷺ کو یہ فکر نہیں ہو گی کہ میرے بعد میرا کوئی خلیفہ میرے کام کو سنبھالنے والا ہو؟ یقیناً تھی۔ اس فکر کا جواب ہے اس آیت میں: "وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا" یعنی جو کام آپ کو سپرد کیا گیا ہے، وہ ہماری طرف سے نہیں ہے، بلکہ وہ خدا نے آپ کے سپرد کیا ہے اور آپ خدا کا کام کر رہے ہیں اور وہ بھولتا ہے نہیں، پھر آپ یہ فکر کیوں کر رہے ہیں کہ میرے بعد یہ کام کیوں کر چلے گا، بلکہ اس کی فکر تو خود اس کو ہو گی، جس نے تمھیں یہ کام سپرد کیا ہے، وہ خود اس کو آگے چلانے کی فکر کرے گا، اس لیے سورۂ مریم کے شروع میں ان الفاظ میں آپ کے بعد کام کرنے والے خلفا کی طرف اشارہ کر دیا۔ [2]

---

[1]- يعني لون تفوق العرب كان قليلا في عهد عثمان بالنسبة إلى عهد عمر، فإن أول جزء خلافته كان على لون خلافة عمر وأما في الجزء الثاني فقد ظهر فيه لون القومية،والذي تشكل قانونيا في عهد الأمير معاوية، وع ٧٠ مجموعة ١٠٥ إشارة إلى الوليد بن عبد الملك فإن الخلافة من سنة البعثة إلى ١٠٥هـ، وكانت على قمته في زمن بني أمية، وعثمان وضع حجر القومية وشكلها قانونيا الأمير معاوية وجاءت على آخر قمتها في عهد الوليد، ص ٩٠ مجموعة ١٩٥ فيه إشارة إلى خلافة هارون الرشيد والتي تنتهي على ١٩٥هـ،ووضع حجرها علي كرم الله وجهه،الغرض وضع حجر الأساس لخلافة بني أمية الأمير معاوية والتي وصلت قمتها في عهد الوليد، وعلي كرم الله وجهه وضع حجر خلافة بني هاشم والتي وصلت قمتها في عهد هارون الرشيد وإليه تنتهي سلسلة اثنا عشر خليفة أسماءهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام والمنصور والمهدي وهارون الرشيد.

[2]- لم دعا زكريا ربه؟ لأن يكون وارثا بعدي يحمل أمري، فهكذا هل لم يمكن أن يكون لرسول الله محمد فكر؟ بلى إنه كان، في هذه الأية إجابة عنه: وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ

فائدہ: پہلے چار خلیفوں کی خلافت راشدہ تھی اور بین الا قوامی تھی اور باقی آٹھ خلفا کی خلافت بین الا قوامی نہیں تھی، بلکہ قومی تھی، مگر باوجود قومی ہونے کے انھیں اس قدر عقل تھی کہ انھوں نے اپنی قوم کو تفوق دینے کے باوجود ماتحت قوموں کو راضی کیا اور بغاوت نہیں کرنے دی، جیسے شروع میں انگریزوں نے اہلِ ہندوستان کو ایسا خوش کیا کہ اپنے بادشاہوں پر بھی مسلمان ان کو ترجیح دیتے تھے، لیکن آج وہی انگریز ہیں جن پر ہر طرف سے لعنت برس رہی ہے۔ اس کی وجہ یہ ہے کہ پہلے انگریز سمجھ دار تھے، انھوں نے عقل سے کام لیا اور اپنی قوم کو فائق رکھ کر اہلِ ہندوستان کو خوش رکھا اور آج کے انگریز عقل سے کام نہیں لے رہے۔ غرض ان آٹھ خلیفوں کی خلافت گو قومی تھی، بین الا قوامی نہیں، مگر تھی نہایت ہی شان دار اور انتہائی عروج پر قوم کو بغاوت کا موقع نہیں ملا۔[۱]

فائدہ: بارہ خلفا کی تعدادِ مذکور مولانا عبید اللہ صاحبؒ کی رائے ہے اور شاہ ولی اللہ صاحبؒ بارہ کو بنو امیہ ہی میں ختم کر دیتے ہیں۔[۲]

نَسِيًّا. يعي الأمر الذي كلفت به، ليس منا بل من الله تعالى الذي لاينسى، فلم تفكر أن أمري لايبقى بعدي، إن الذي فوضك هذا الأمر فهو مسؤول بهذا العمل فلذلك أشار في بداية سورة مريم إلى خلفائه.

[۱] - كانت خلافة الخلفاء الأربعة الأول خلافة راشدة وعالمية، وأما خلافة بقية الخلفاء الثمانية ليست عالمية بل قوميةولكن مع ذلك كانوا أولي الألباب بحيث اعتنوا برضا مأمورين كما فعل الإنكليز في البداية مع أهل الهندولمن اليوم هؤلاء الإنكليز ملعونين من كل جانب، وهؤلاء ليسوا بأكياس.

[۲] - تورات میں اللہ تعالیٰ کا وعدہ مذکور ہے کہ بنی اسماعیل سے بارہ خلیفے پیدا کرے گا۔

۹

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

"الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ" يعني الكتاب كتاب الله. [۱]

فائدہ

حضرت ابراہیمؑ کو دس احکام زبانی بتائے گئے تھے، کوئی چیز لکھی ہوئی ان کو نہیں دی گئی، موسیٰؑ تک یہی صورت رہی۔ موسیٰؑ تک وہ احکام کتاب کی شکل میں دیے گئے؛ یا تو لکھے لکھائے دیے یا کوہِ طور پر انھوں نے خدا کے حکم سے لکھ لیے۔ خدا کے حکم سے لکھ لینا خدا ہی کا لکھا ہوا سمجھا جاتا ہے کما فی قولہ تعالیٰ: ید الله فوق أيديهم. یعنی لکھتے وقت موسیٰؑ کا ہاتھ خدا ہی کا ہاتھ اور موسیٰؑ کے ہاتھ کو خدا ہی کا ہاتھ چلا رہا تھا۔ اور وہ دس احکام کتاب اللہ ہے اور متن ہے اور پانچ صحیفے موسیٰؑ کے ان دس احکام کی شرح ہے... اور موسیٰؑ کے بعد جو اور پیغمبر آئے، انھوں نے بھی اپنے اپنے زمانہ کے مطابق جو ان دس احکام کی شرح میں صحف لکھے ہیں، وہ بھی صحف موسیٰؑ کے ساتھ ملا دیے گئے ہیں؛ ان سب کے مجموعے کو تورات اور بائبل کہا جاتا ہے اور قرآن شریف میں بھی وہ دس احکام سورۂ بنی اسرائیل و سورۂ انعام میں موجود ہیں جو متن ہیں قرآنِ مجید کا اور قرآن کی تمام سورتیں ان احکام کی شرح ہیں، لہٰذا یہ سب سورتیں صحف ہیں، لیکن چوں کہ حضور ﷺ اور آپ کی جماعت امی تھے، اس وجہ سے وہ دس احکام، جو اصل کتاب اللہ ہے اور سُوَرِ قرآن جو اس کی شرح اور صحف ہیں دونوں مکتوب کی شکل میں آپ کو دیے گئے اور صحفِ

---

۱ - فائدہ: جب تک مسلمانوں کا اقوام عالم پر اقتدار و غلبہ قائم رہا، اس وقت تک تو کسی نے قرآن کے متعلق لب کشائی نہیں کی، لیکن مسلمانوں کے غلبہ جانے کے بعد یورپین کا جذبۂ انتقام بھڑک اٹھا اور قرآن پر تنقید کرنی شروع کی اور تنقید کا حاصل یہ ہے کہ قرآن بین الاقوامی کتاب نہیں ہے۔ اتفاقی طور پر حضور ﷺ کے قبضہ میں چند ناخواندہ لوگ آئے، انھوں نے انقلاب کر دیا۔ قرآن میں بین الاقوامی کی صلاحیت نہیں ہے، یہ ایک وقتی چیز تھی، اب یہ کام نہیں دے سکتا، اب یہ بے کار ہے۔ اس وقت جو مسلمان یورپ میں جاتا ہے، ان کی تنقیدیں سن کر اس کا یہ حال ہو جاتا ہے کہ وہ اگر بالکل ظاہری طور پر مرتد نہ ہو جائے، تو دل میں ضرور قرآن کے قانون کو بے کار سمجھتا ہے، گو ظاہر میں اپنے آپ کو مسلمان کہے۔ یورپین یہ کہتے ہیں کہ اس وقت جو کچھ ہم کر رہے ہیں ذریعۂ ترقی ہے اور بین الاقوامی قرآن بالکل بے کار ہے۔ ان کی تنقید کے دو طریقے ہیں: **۱**- جو علامہ مشرقی، مرزائیوں اور سرسید نے اختیار کیا ہے۔ علامہ مشرقی ذرا تیز ہے اور مرزائی اور سرسید ذرا نرم ہیں۔ اور حاصل یہ ہے کہ تسلیم کر لیا جائے کہ جو طریقہ وطرزِ عمل یورپین کا ہے، صحیح نہیں ہے، مگر قرآن بھی تو بتاتا ہے، جیسا کہ علامہ مشرقی نے کہا ہے کہ صحیح معنیٰ کر کے قرآن پر عامل انگریز ہیں۔ اس جواب کا حاصل یہ ہے، جیسا کہ کہا کرتے ہیں، ہاں صاحب جیسے ہمارے چچا جان بھی فرمایا کرتے تھے، تو اس پر انگریز ہنسیں گے اور کہیں گے کہ صاحب آگے آپ لوگ کہاں تھے؟ جب ہم نے سب کچھ کر کے دکھایا ہے تو اب کہتے ہیں کہ ہاں صاحب قرآن بھی یہی بتاتا ہے۔ **۲**- دوسرا جواب یہ ہے کہ قرآن اپنا ایک مستقبل پروگرام بین الاقوامی رکھتا ہے سیاسی

موسیٰؑ وغیرہ سب کا خلاصہ قرآنِ مجید میں لے لیا گیا ہے۔ تمام صحف میں جو ضروری اور کام کی چیزیں تھیں، وہ سب قرآنِ مجید میں موجود ہیں اور جو غیر ضروری چیزیں تھیں، قرآن میں ان کو نظر انداز کر دیا گیا ہے۔ ایک یورپین کا قول ہے کہ قرآنِ مجید میں یہ کمال ہے کہ بائبل میں جتنی کارآمد چیزیں تھیں، وہ سب قرآن میں ملتی ہیں اور جو کارآمد نہیں تھیں، وہ نہیں ملتیں۔ غرض بائبل کی باتیں وہی قرآن نے چھوڑی ہیں، جو غیر ضروری تھیں۔

حدیثِ رسول اللہ، قرآن کی شرح ہے جو قرآن کے لیے بمنزلہ صحف کے ہے۔

للمتقين أي لأنه تخرج بهدايته المتقون يعني الذين يقيمون في الدنيا كلها العدل والإنصاف ومعنى التقوى قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ" الخ مکہ معظمہ میں حضور ﷺ نے تیرہ سال کام کیا، گو وہاں سیاست قائم نہیں کی، مگر وہاں سیاسی جماعت مکمل طور پر تیار کر دی جو آگے چل کر گورنمنٹ بن جائے گی اور تمام دنیا کی تمام قوموں کو مغلوب کر دے گی، کیوں کہ دنیا میں دو قسم کی جماعت ہوں گی؛ سیاسی اور اہلِ حکمت اور آپ نے اسی جماعت کو سیاست اور حکمت دونوں کی باقاعدہ تعلیم دے دی ہے۔ "وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" پس ان کے سامنے نہ کوئی سیاسی جماعت ٹھہرے گی، نہ کوئی حکما کی جماعت ٹھہرے گی، بلکہ سب کی سیاست وحکمت کو پاش پاش کر دیں گے اور سب پر غالب آجائیں گے، پس معلوم ہوا کہ قرآن بین الاقوامی کتاب ہے۔

مکہ معظمہ میں مہاجرین و انصار دونوں کی جماعت تیار ہو چکی تھی؛ انصار بھی مکہ میں ہی تھے اور یہ سورت ہجرت کے بعد مدینہ منورہ میں نازل ہوئی، جس وقت اس جماعت نے سیاسی کام شروع کر دیا تھا جو قرآن کے بین الاقوامی ہونے کا ثبوت تھی۔

الفصل

اعلم أن متن القرآن هي الأحكام العشرة التي هي متن التوراة وهي المسمى بالكتاب وسور القرآن شرح لها، فالسور بمنزلة المصحف، ثم اعلم أن السور شرح لها حسب ذهنية الأقوام المختلفة، فالبقرة لإفهام اليهود تلك الأحكام فهي شرح لها لليهود وسورة آل عمران للنصارى وسورة النساء والمائدة للعرب وسورة الأنعام للمجوس.

فائدہ

ہندوستان میں دو مذہب پیدا ہوئے: برہمن ازم اور بدھ ازم؛ یہ ایسے ہی ہیں جیسے یہود و نصاریٰ اور بدھ ایک جیسے ہیں جیسے یہود و نصاریٰ سے مسلم ترقی یافتہ فرقہ ہے، اسی طرح برہموں اور بدھ سے مجوس ترقی یافتہ جماعت ہے۔ ایران سب اسی مذہب کا تھا اور ان کا مرکز عراق عجم تھا۔ اسلام سے پہلے یا عیسائیت حاکم تھی دنیا میں یا مجوسیت؛ اعلیٰ حکومت ان دو مذہبوں کے ہاتھ میں تھی۔ سورۂ اعراف ان تمام باقی ماندہ لوگوں کے لیے ہے جن کو ان مذاہب کی تبلیغ نہیں ہوئی۔

وسورة الأنفال والتوبة فيهما قانون الجهاد (یعنی جنگ کا قانون)يعني إن لم يسلم الناس هذه الأحكام يسلم منهم بالجبر.

فائدة

اعلم أن في هذه السور الثمانية أبوابًا مختلفة وفصولًا شتى، يعني في كل سورة من هذه السور أبواب وفصول، فالسور الكثيرة بعد هذه الثمانية شرح لأبواب هذه الثمانية ثم بعدها السور الكثيرة شرح لفصول هذه الثمانية، فبعض السور أبواب وبعضها فصول وبعد هذه الفصول عدة جملة بمنزلة العلوم المتعارفة أو الأصول الموضوعة، فهي تذكر في آخر القرآن على حدة.

علومِ متعارفہ: وہ ہیں جن کو عام انسان اپنی فطری عقل سے صحیح مانتے ہیں۔

اصولِ موضوعہ: وہ قاعدے ہیں جو عقل و فکر سے ترقی کرنے والی جماعتوں نے تسلیم کر لیے۔

فائدہ: سورۂ نساء میں عربوں کو گھر بنانا، یعنی نکاح وغیرہ کا طریقہ بتایا جائے گا؛ کیوں کہ گھر نکاح سے یعنی بیوی سے بنتا ہے اور سورۂ مائدہ میں مائدہ یعنی روٹی حاصل کرنے کا طریقہ بتایا جائے گا۔

فائدہ: مذہب میں سب سے پہلے خدا کا ماننا، اس کے بعد گھر بنانا یعنی نکاح کرنا، اس کے بعد روٹی کمانا ہے، لیکن آج یورپ میں سوشلسٹ لوگوں کا غلبہ ہے جو ترتیبِ مذکور کا بالکل عکس کرتے ہیں۔

عیسائیوں میں تین فرقے مذہبی تھے: ۱۔ رومن کیتھولک، اس کا مرکز روما (ایطالیہ) میں ہے۔ ۲۔ پروٹسٹنٹ، اس کا ایک مرکز جرمن میں تھا، دوسرا مرکز انگلینڈ میں ہے۔ ۳۔ یونانی عیسائی، اس کا مرکز استنبول میں تھا، مگر فتحِ قسطنطینیہ کے بعد اس کا مرکز ماسکو روس میں آگیا۔ اب یہ تینوں فرقے سوشلسٹ لوگوں کے مقابلے میں کم زور ہو گئے ہیں۔

سوشلسٹ معناه الاجتماعي، سوشل ازم معناه الاجتماعية. سب سے پہلے سوشل ازم کا مرکز انسان کو آج کے زمانہ میں روٹی پہونچانا ہے۔ حلال و حرام کا قانون ان کے نزدیک وہ ہوگا جو آج کا انسان خود قاعدہ بنائے، مثلاً یہ چیز میرے لیے جائز اور یہ چیز ناجائز، قانون سازی کا مرکز آج کی اسمبلی اور کونسل ہے۔ اس میں جو عقل مند جمع ہو کر قانون بنائیں گے، وہی قوم کے لیے حلال و حرام کا معیار ہوگا۔ اس روٹی حاصل کرنے کے مقابلہ میں نہ تو کوئی نکاح کا قانون مانا جا سکتا ہے اور نہ کوئی مذہبی عقیدہ۔ عقیدہ وہ ہوگا جس کو انسانی عقل خود اپنی سوچ بچار کے بعد قرار دے گی۔ یہ ہے وہ نیا انقلاب جو دنیا میں آرہا ہے۔ پرانی قانون عقلی ہوں یا نقلی سب اس کے مقابلے میں منسوخ سمجھے جائیں گے۔

روٹی کمانے کا طریقۂ قدیم بھی ان کے نزدیک آج قابلِ اعتبار نہیں۔ ان کے نزدیک آج انسان وہ ہے جو مشین کے ذریعے روٹی کماتے اور جو خود ہاتھ سے کام کر کے کھائے اس کو انسان نہیں سمجھتے، بلکہ حیوان سمجھتے ہیں؛ کیوں کہ مشین سے ایک آدمی دن میں سو آدمی کا کام کر سکتا ہے۔

مذہب میں سب سے پہلے خدا کا پہچاننا تھا، دوم نمبر وہ بھی مقید بچند قیود و سوم نمبر روٹی کھانا، وہ بھی بذریعۂ حلال، لیکن سوشلسٹ لوگوں کے نزدیک اس کا عکس ہے۔ نمبر اول روٹی، وہ بھی بلا قیدِ حلال و حرام، دوم نمبر نکاح، وہ بھی بلا قیود، جائز ہو یا ناجائز، سوم خدا شناسی ان کے ہاں کوئی چیز نہیں۔ غرض جو چاہے وہ کہا اور جس طرح چاہے زنا وغیرہ کرے، بالکل آزادی ہے۔

شاہ ولی اللہ صاحبؒ کا فلسفہ

اس کے اصول یہ ہیں: ۱- دنیا کی ترقی یافتہ قوموں کو دو حصوں میں تقسیم کرتے ہیں:

۱- حصۂ ابراہیمؑ کے بعد کی جماعتیں؛ یہود، نصاریٰ، مسلم، تورات کے اساسی اصول (جو قرآن نے انہی کو دہرایا ہے۔) ان جماعتوں کے اساسی اصول ہیں۔ انہی کو الکتاب کہا جاتا ہے۔

۲- جو قومیں ابراہیمؑ سے پہلے پیدا ہوئیں اور اب تک ان کا بقیہ موجود ہے۔ قرآن کی اصطلاح میں ان کو آدمؑ و نوحؑ کے اتباع کہنا چاہیے، وہ سب کے سب صابی ہیں، ان میں مجوس سب سے ممتاز قوم ہے۔ اس کے سوا نجومی اور طبیعت پرست؛ دو فرقے پہلی تمام مذہبی تحریکوں پر قابض ہو چکے ہیں۔ کہیں نجومیوں نے مذہبی حکومت اپنے ہاتھ میں لے لی ہے اور کہیں طبیبوں نے۔ یہ دونوں فرقے خدا کو مانتے ہیں، مگر خدا کے احکام ستاروں کے ذریعہ اخذ کرتے ہیں یا عناصر کو واسطہ بناتے ہیں۔ طبیب عناصر کے ذریعے سے لیتے ہیں۔ ان لوگوں کی عقلی افتاد ایک ہی طریقے پر واقع ہوئی ہے۔ اس کو ہم فلسفہ یا حکمت کہتے ہیں۔ شاہ ولی اللہ صاحبؒ اس پرانے فلسفے اور الکتاب کو منطبق کر سکتے ہیں۔ اس میں وہ متفرد ہیں۔ اگر اس حکمت کے مطابق قرآن شریف سمجھ لیا جائے تو اسے سوشلسٹ بھی قبول کرے گا اور تمام مذاہب بھی اس کی اطاعت کر سکتے ہیں۔ اگر یہ اس درجہ کی حکمت سے حل نہ کیا گیا، بلکہ مسلمانوں کی رسموں، عقیدتوں، قانون اور عبادتوں کو قرآن کا مصداق قرار دیا گیا تو سوشلسٹ اس کو باقی مذاہبِ قدیمہ کی طرح منسوخ کر دے گا۔ اس لڑائی میں اگر مذہبی جماعتیں مشین سے معریٰ ہو کر سوشلسٹ فوج کا مقابلہ کریں جو مشین سے ترقی کرتا ہے تو بظاہر اسی کی کامیابی کی توقع ہو سکتی ہے، البتہ اسی دنیا کے نظام میں اللہ تعالیٰ کی بعض مخفی حکمتیں کام کرتی ہیں، جسے انسان معین نہیں کر سکتا۔ اس کے غیبی فیصلے سے جو کچھ ظہور میں آ گے گا، اس پر کوئی حکم نہیں کیا جا سکتا۔ اسے خدا ہی اچھی طرح جانتا ہے۔

مستقل مضمون

قرآنِ کریم نے اہلِ کتاب، یعنی یہود و نصاریٰ، اور قیصر کی شاہنشاہی سے مقابلہ کرنے کے لیے جس قوم کو تیار کیا، وہ اسماعیل اور ابراہیمؑ کی اولاد ہے۔ تورات کے بنیادی احکام جیسے موسیٰؑ سے پہلے اولادِ ابراہیم میں زبانی یاد کیے جاتے تھے، اسی طرح ان لوگوں کو وہ اصولِ توارث کے ذریعہ سے ازبر یاد تھے۔ اس میں ایک جماعت فاسقین کی موجود تھی، جو اصول مانتے ہیں مگر عمل کے دشمن ہیں، ان کو سمجھایا جاسکتا ہے۔ ان کی ایک مثال نمونہ کے طور پر ان امیروں کی ہے جو لوگوں کی ماں بہن کے ساتھ زنا کرتے ہیں اور اس میں اپنی طبیعت میں کوئی رکاوٹ نہیں پاتے جیسے کہ ان کا فطری حق ہو؛ باوجود اس طرح زنا پر عمل کرنے کے وہ اس کے قبح کے قائل ہوتے ہیں۔ اس کو معلوم کرنے کی صورت یہ ہے کہ ان کی ماں بہن سے اگر کوئی زنا کرے تو وہ غصہ سے پھٹ پڑتے ہیں اور اس کو انتہائی سزا دیتے ہیں، اس کے باوجود وہ زبان سے زنا کے قبح کا اقرار نہیں کرتے۔ اس مثال سے سمجھنا چاہیے کہ اسماعیلی قوم میں ابراہیمیؑ اصول مسلم تھے، اگرچہ فاسقوں کا غلبہ تھا۔ اس قوم میں ایک طبقہ ایسا بھی ہے جو ان اصولوں کو سمجھ ہی نہیں سکتا، وہ ایسا ہے جیسا اندھا نور کو نہیں دیکھ سکتا اور بہرا سنتا نہیں، یہ ناقص الخلقت ہیں، ان کو اصول کا حامل نہیں مانتا۔

فصل

اسی اسماعیلی قوم میں نجومیوں کی حکمت اور کاہنوں کا مذہب بھی رواج پاچکا تھا، اس لیے یہ صابی حکمت سے بعید الذہن نہیں تھے۔ ان کا مکہ میں مرکز تھا اور اہلِ کتاب کی ایک قوم یہودی حجاز کے دوسرے شہر یثرب میں مرکز رکھتی تھی۔ ان کی صحبت سے قحطانی عرب بھی ابراہیمی عرب یا عدنانی عرب کی ذہنیت سے واقف ہوچکا تھا۔ یہ قحطانی عرب انصار کی شکل میں مدینہ کے مرکز کا باعث بنا۔ اس میں اسماعیلی عرب مکہ سے ہجرت کرکے آگئے۔ یہ مجموعہ قرآن کی تعلیم کا پہلا قابلِ تقلید نمونہ ہے۔ اس میں تورات کے احکام بھی واجب التسلیم رہیں گے اور صابی حکمت اور فلسفہ بھی اس کے تابع بن کر متبع رہے گا۔ یہ جیسا کہ قیصر کی حکمت میں انقلاب پیدا کرکے تورات کی حکومت پیدا کرسکتا ہے، اسی طرح کسریٰ کی حکومت میں انقلاب پیدا کرکے مجوسیت سے بہتر حکمت ابراہیمی اصول کے اندر رکھ کر اس ملک پر حاکم بنا سکتا ہے اور اس کا حاصل یہ رہے گا کہ قرآنِ کریم کی مرکزی جماعت جو مہاجرین اور انصار سے پیدا ہوئی، وہ تورات پر بھی عمل کرے گی اور حکمت پر بھی؛ وہ کسریٰ کی حکومت کو بھی اچھا نظام دے گی اور قیصر کی حکومت کو بھی اچھا نظام دے گی اور قیصر کی حکومت کو بھی۔ مسلمانوں کا یہ دور حضرت عثمان رضی اللہ عنہ کی شہادت پر ختم ہوجاتا ہے۔ شاہ ولی اللہ صاحبؒ اسی دور کی تاریخ علمی لکھتے ہیں۔ اس علمی تاریخ سے قطعِ نظر کرکے آج انسان قرآن کو سمجھ ہی نہیں سکتا۔ آج کا عرب ہمیں سمجھانا چاہتا ہے کہ جب تک عرب میں سے ایک بادشاہ مہدی پیدا نہیں ہوگا، اسلام دنیا میں نہیں چل سکتا اور ہمیں یہ بھی سمجھایا جاتا ہے کہ تورات اور قرآن کے اصلی احکام پر اس زمانہ میں عمل نہیں ہو

سکتاجب تک ایک نجات دلانے والا یعنی مسیح (مسیح کا ترجمہ منجی)، جس کا اہلِ کتاب انتظار کرتے کرتے آئے، پیدا نہیں ہو گا۔ ہم ان دونوں ہستیوں پر قرآن کا عمل موقوف نہیں مانتے۔ اگر قرآن کو شاہ صاحب کے طریقے پر حل کر لیا جائے اور اگر اس پر حل نہ ہو سکے تو پھر انتظار کرو۔

ہماری سمجھ میں اہلِ کتاب جس منجی کا انتظار کرتے تھے، وہ رسول اللہ ﷺ ہیں۔ انھوں نے جو نمونہ قرآن اور تورات پر عمل کرنے کا پیش کیا اور جس طرح انھوں نے اسے دنیا میں غالب کر دکھلایا، اس کی حقیقی تفسیر شاہ ولی اللہ صاحبؒ کی کتابوں میں مفصل ملتی ہے۔ اگر وہ چیز سمجھ میں آجائے تو خدا کی کتاب کسی انسان کی آمد کا انتظار نہیں کرے گی۔

بسم الله الرحمان الرحيم

اعلم أن أعلى طبقات الناس المفهمون وهم على أصناف كثيرة واستعدادات مختلفة، وإذا اقتضت الحكمة الإلاهية إلى قوله فهو النبي. منهم الكامل ومنهم الحكيم ومنهم الخليفة ومن ومنهم المؤيد بروح القدس ومنهم الهادي المزكي ومنهم الإمام ومنهم المنذر، وأعظم الأنبياء شأنًا إلى قوله كبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من حجة الله البالغة من باب حقيقة النبوة وخواصها.

لما انفرد كل قوم بملة إلى قوله ووقع منهم الجور فأهملوا كثيرا مما ينبغي، ولعنت كل ملة أختها وأنكر عليها وقاتلها واختفى الحق مست الحاجة إلا قوله مع الملوك الجبابرة .

وهذا الإمام الذي إلى قوله ودمغ سائر الأديان بملتهما ولله الحجة البالغة . الحاصل **یہ دونوں باب مطالعہ کے قابل ہیں۔**

الأولون من المهاجرين والأنصار إلى قوله والترك والسودان حجة الله باب الجهاد.

القرآن الكريم عمل عملا كبيرا وحصلت له النتيجة، فالنتيجة التي حصلت هو المراد من تفصيل القرآن.

الفوائد المتفرقة من بيان الأستاذ

١ – كانت دعوى النبي عليه السلام إحياء ملة إبراهيم على طريقة إسماعيل عليه السلام، وكان سبق له قيل ذلك نظير في إحياء ملة إبراهيم على طريقة إسرائيل بواسطة موسى عليه السلام، فالنبي عليه السلام يتتبع في خصوص شريعة موسى، وجاء ذلك في أوائل السور القرآنية.

٢ – تحدى النبي عليه السلام العالم بأن يأتوا بتعليم مثل تعليم التوراة والقرآن، فإن كان شيء أهدى منهما فالنبي يتبعه قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أتبعه. سورة القصص هذا كان تحدي العالم، أما تحدي العرب خاصة فكان بالقرآن وحده.

٣- رأينا الأمم الموجودة على وجه الأرض اليهود والنصارى من الحنفاء يتبعون التوراة وعند الصائبة (مجوس إيران طائفة منهم) كتاب زردشت وعند الهنود وهم طائفتان مثل اليهود والنصارى البراهمة منهم كاليهود يتبعون. السمنية بودوا كالنصارى . عندهم كلمات بودوا وأتباعه فليس عند هؤلاء كتاب مثل التوراة هم يعترفون بذلك. من الصابئة جماعة يعتمدون على النظريات العقلية. كان مركزهم اليونان والروم . هؤلاء إذا جمعوا قوما واحتاجوا إلى قانون فوق قانون البلدان ، يأخذون عن أهل الكتاب ويختارون منها ما يناسب آراءهم ثم إذا كانت أمة عامة فيستعينون إما بقوة ملك جابر (ديكتاتورة) وإما يرجعون إلى دينه من الأديان، فليس في الدين كتاب يضبط الشرائع المأخوذة عن الأنبياء مثل التوراة.

٤- ما كان دين إبراهيم مختصًا بقطعة أو بقوم، بل كان عامًا لجميع الإنسانية على وجه الأرض، وما نشأ بعد ذلك رجل يأتي بنظرية عمومية لجميع الناس مثل إبراهيم، وهذا معنى قوله تعالى: إني جاعلك للناس إمامًا.

٥- روح ملة إبراهيم إبطال ملوكية الناس في الاجتماعيات وإبطال ألوهية مخلوق من المخلوقات(هذا يسمى بالتوحيد، هو فكر يرجحه كل رجل سليم الإنسانية. الإنسان لايقدر أن ينخدع الإنسان بمثله، ويجب كل رجل مرجعه إلى التشاور ويكون له دخل في التشاور وهذا كان فطرة الإنسان. الطائفة العالية عالية الدماغ من الإنسانية أثبت أن ما وراء الجسمانية إله يستلزم هذه الكائنات بواسطة صفاته اللازمة، فالإنسان إذا تفكر في ألوهيته لازم أن يعتقد بمثل هذه العقيدة وينكر ألوهية كل شيء محسوس يدركه بحواسه، وبذلك يكون الإنسان حرًا عن عبادة الدجاجة وهذا عين الفطرة الإنسانية.

٦- لكن هذه دعوة إبراهيم ما وصلت إلى جميع أصناف الإنسانية في زمانه، فهو أراد أن ينشئ قوة إدارية لتعميم هذه الفكرة في الإنسانية عمومًا من ذريته فطلب من الله ولدا فأعطاه الله إسماعيل وإسحاق، وجعل لهما مسجدين مسجد القدس لإسحاق ومسجد مكة لإسماعيل، فكل رجل نشأ من ذرية إبراهيم أولي العزم يجب أن يكون إمامًا في نشر هذا الدين إلى جميع الإنسانية، كان موسى عليه السلام أيضا منهم، لكنه ما قدر على ذلك لأن قومه الذي يجعلهم كالجوارح لبث فكره في الدنيا ما طاوعته حق المطاوعة بعد الإطاعة. كان يريد أن يخرجهم من مصر ويرجعهم إلى القدس ، ويؤسس هناك في وطنه الأصلي إدارة تكميل مطلوبه لكنه وصل إلى

القدس وتم أمره في الطريق، ثم ما جاء بعد موسى في بني إسرائيل رجل يكون له همة مثل همة موسى.

٧- ثم جاء عيسى وأراد أن يقوم مقام موسى في تعميم هذه الدعوة لكن اليهود ما قبلوه، هو أسس بعد ذلك جمعية تبليغية فقط يبثون هذه الفكرة في جميع الأقوام، وحصل لهم بعد ذلك أن السلطة الرومية الشرقية تنصرت فقدروا على أشياء لم تكن اليهود قادرين عليها. وخلاصة اليهودية والنصرانية أن اليهودية أسست حركة قومية يهودية في بني إسرائيل لايتجاوزون عن دين إبراهيم، وعصت وبغت على كل رجل قام لنشر هذه الملة في غير بني إسرائيل. لما يئس عيسى منهم انفرد بجماعة لنشر فكر الحنيفية في العالم وأخذ الحواريين عهدًا على ذلك فانتظمت ملّتان: ملة مختصة ببني إسرائيل وملة مقصده في غير بني إسرائيل.

٨- إبراهيم كان جازما بوفاء الله وعده أن يخرج من أولاده رجلا يقيم هذا الدين في جميع أنحاء الأرض، وكان يتيقن أن يكون في أولاد بني إسرائيل ولذلك أسكنه في بر ليس فيه زراعة، لأن كل قوم يشتغلون بالرزاعة ينضم إلى الوطنية، وإذا انضمت إلى العقيدة الوطنية تنجمد، فإن الوطنية تجعل الناس منفردة وتطلب على النسلية، فإن كان من أولاد آبائهم طائفة أخرى تسكن في وطن غير وطنهم، وهكذا إذا كانت ملة مؤسسة على اعتقادات حقة، فإذا حازت حصة منها بوطن ذي ثروة عالية لايلتفتون إلى مصلحة أهل ملتهم الذين سكنوا في وطن غير وطنهم إذا كانت مصلحة الملة تنافي مصلحة وطنهم، فلما أسكن إبراهيم إسماعيل في البادية كأنه أراد أن ينشأ فيهم حب الوطنية ويكون الغالب عليهم مصلحة ملتهم، فكان يتفرس أن هذا الرجل لايخرج إلا من أولاد إبراهيم في مكة ويكون هو الفائز، وإن كان كثير منهم يسعون إلى هذا الفرض لكنهم لايفوزون لأنهم انغمسوا في نوع من التمدن لايقبل الناس الذين تمدنوا مثلهم فوقيتهم عليهم، وهذا كان هو السبب أن موسى لم يصل إلى مقصده، وإلا فإن موسى كان كامل الهمة.

٩- يئس عيسى عليه السلام من اليهود أن يكون لهم التفات إلى تعميم الدعوة، فتنبه أن إبراهيم كان تفرس في أولاد إسماعيل وتكون فراسته صادقة، فبشر برجل يأتي بعده، يتمم ما أراد هو إكماله وأوصى بذلك الحواريين، لكن الحواريين أيضًا خافوا من اليهود فما قدر على تصريح كان ينبغي له، بل أبهم الأمر؛ يقول آتي إليكم ثم يفسره إني أرسل إليكم الفارقليط، وهو مني، لأنه لايقول إلا عن الله وكل من قال عن الله فهو مني، هو يأتي يعلمكم أشياء، أنا الآن لا أقدر

على ذلك يقيم ملكوت الله على الأرض، لاشك في ذلك أن كل هذا كان ببشارة نبينا صلى الله عليه وسلم، لكن اليهود لايقدرون أن يتحملوا ذلك فمسخوها بالتأويلات الفاسدة، لكنهم لايقدرون أن يغيروا كلمات الله. كل رجل أتقن مطالعة التوراة والأناجيل يدرك الحق ويترك ما كتب هؤلاء الطغاة.

١٠- النبي عليه السلام هو الذي كان يرجوه إبراهيم وإسماعيل وكان بشر به عيسى، فيكون مقصد نبينا صلى الله عليه وسلم متعينا، إقامة حكومة قوية يتحد الأقوام منها على الحنيفية، ولايكون في الدنيا حكومة أخرى تقدر على معارضتهم، وهو فاز في مقصده إذا جمع معه مساعي الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، فهؤلاء الأربعة أكملوا ما كان المراد.

١١- القرآن العظيم بشر بفوزه بمثال محمد رسول الله ولايته نرى فيه روح ملة إبراهيم وهو عمل عملا لم يعمل في البشر أحد مثلا. والقرآن لاينسب ذلك إلى محمد وحده بل إليه وإلى أصحابه معه فلايمكن لأحد أن يتخذه إلها أو ملكا، فإذا تلونا القرآن على هذه الطريقة يكون مرمى أفكارنا تثبيت هذه الواقعة، ونكون أقرب إلى مقاصد القرآن، سبقنا إلى ذلك إمام من أئمة الدين أعني الإمام ولي الله، فلذلك اقتبست من كتابه في الابتداء عبارات تشير إلى ذلك، والآن ليست تلك النظرية نظريتنا بل نظرية الإمام ولي الله الدهلوي ونحن بحمد الله قادرون على أن نطبق التوراة والإنجيل ثم القرآن العظيم هذه الكتب كلها على ذلك.

١٢- ونضيف إلى ذلك أن الحكماء الذين اعتمدوا على نظريتهم العقلية ما جاءوا البرنامج الاجتماعيات الإنساني[١]ة مثل ذلك وهذا معنى تحدي القرآن فأتوا بمثله قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا.

٢ونضيف إلى ذلك إضافة أخرى أن الأديان الصائبة عند الفرس والهند والصين كلها يحومون[٢] حول هذا المقصد وأوجدوا فيهم رجالًا منفردين بالغين إلى أقصى مدارج الكمال ولكن ما قدروا على إنشاء دعوة اجتماعية تجمع عامة الناس كمثل دين إبراهيم، ولنا بحمد الله معرفة بكتب الهنود والإيران واليونان والصين لايتقدمون عليهم كثير تقدم أفكار ذوي الأفكار تؤيد البعض البعض، والفكر الحق قد يكون لفرد، أما الاجتماعيات فلا تكون من فرد أصلًا لايكون إلا إذا تضامّ البعض وأجمعوا.

١- هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: ما جاءوا بالبرامج الاجتماعية الإنسانية.

٢- اللفظ غير واضح في المخطوط ولعل المقصود: يحومون حول الخ، والمراد أن هذه الأديان تشترك فيه.

ونحن بحمد الله عارفون بتاريخ الهند في القرنين السابقين فليس في المسلمين حركة اجتماعية تريد التقدم إلا من الإمام ولي الله الدهلوي وأتباعه، والطبقة العالية من المتدينين المسلمين ثم على حنفية كالديوبنديين وعلى الأحرار كأهل الحديث وتلك الطائفة معترفة اليوم بإمامة ولي الله الدهلوي، خرجت مقالته من في مجلة الجامعة من الدهلي بتفصيل تلك المسئلة من الشيخ أسلم معلم الجامعة[١]. نتمكن من تصريف إمامة الإمام ولي الله فإن ذلك كما يؤثر في المسلمين يؤثر في الهنود لأن أساس فلسفة الشيخ يوافق فلسفة الهنود.

النبي ﷺ كان هاديا ومزكيا لقومه قريش فأول توجهه لم يكن إلا إلى تكميل قريش لأنهم كانت حصلت لهم في الجاهلية رئاسة دينية على جميع قبائل العرب بقدر تعظيمهم هذا البيت. العرب عامة كانوا يعظمون إبراهيم وأولاده ويعرفون بمزايا بني إسرائيل في علمهم وحكمهم لكنهم ما كانوا هم داخلين في قومهم والطائفة من أولاد إسماعيل سكنوا العرب وصاروا من العرب فكانت القبائل العربية إذا كانوا يعظمون إبراهيم ويعظمون مسجده فيحيلون إلى أولاد إسماعيل أعني قريش مثل ميلهم إلى أقوامهم ويعترفون بأن الله اختارهم للدين ولمثل ذلك. وقريش كانوا أهل التجارة. الطبقة الوسطى من الإنسانية يفهمون الملوك وحالاتهم ويعاملون معهم معاملة ترتضون عنهم، وكان لهم يد طولى في تاليف عامة الناس لتنفق بضاعتهم وكانوا مجتمعين حول هذا البيت الحرام قبل مبعث النبي عليه السلام بنحو مائة سنة وأما أولا فكانوا منتشرين في قبائل العرب وكانوا مكرمين عندهم مثل ما نكرم أولاد المشائخ الكبار. إذا كان فيهم شيء من الصلاحية فإن قام هؤلاء أولاد المشائخ بأمر يحتاج الناس إليه عامة يكون مطاوعة الناس لهم السهل بالنسبة مثل تلك المنزلة حصلت لقبائل قريش لما تفرفت في قبائل العرب لبيوت فحصلت لبيوت قريش زعامة قبائل العرب بوجه من الوجوه ليست زعامة ثم جمعهم قصيّ حول بيت الله فحصلت لقبيلة قريش زعامة قبائل العرب عامة، وكان بجنبهم في شمال العرب طوائف من اليهود سكنوا الحجاز، وكانت لهم في اقتصاديات الحجاز سطوة ظاهرة فكانوا بالطبع يميلون إلى قريش لأنهم تجار وهم كلهم ينسبون إلى إبراهيم فيجد اليهود في ولاتهم الاقتراب للنبي أيضًا.

هذه نبذة من حالات قريش قبل بعثة النبي ﷺ، ولما تعين النبي ﷺ لإقامة ملة حنيفية حسب الوعد فكان له على هذا الأمر شهادة من قبله ومن قومه هذا قبل أن يبعث ثم نزل إليه الوحي ما كان(٣٥/ ٥٢) من ابتداء عمره فهو ما كان يعرف النبوة وما كان يرجوها، ولكنه يريد إعلاء كلمة قريش على جميع الأرض بإحياء ملة جده إبراهيم قبلة لجيمع الدين هذا كله كان مقتضى فطرته وطبعته قبل الوحي. ولما تفضل الله عليه بالوحي سهل له تكميل ما أراده وكان برنامج النبي ﷺ لو سلم إليه أن يقدم إصلاح قومه قريش ومن والاه من القبائل في الحجاز أول شيء والله فإذا فرغ منه وحصل له قوة

١-

في قومه يرجع إلى تكميل برنامجه في من يتصله من الأقوام الأدنى فالأدنى حتى ينتهي إلى آخر أقطار الأرض.

فصل

الإمام ولي الله يجعل لطريقة هداية النبي ﷺ وتركيبه أصولًا وردها أن تحصيل خصائل أربع:

الأولى الطهارة الإنسان بفطرته يجعل بعض الأشياء نجسا، ويجتنب عنها مثل البول والغائط ، فإذا كان هذا الأمر أمرًا مستقرًا في قلب الرجل لايقدرعلى مخالفته وإن كانت لحظة دقيقة، قلنا حصلت له هذه الخصلة، وتكميل هذه الخصلة بعده سهل. كل كلام ، كل فكر ، كل عادة يكون لها تأثير صحيح مثل ما كان يتأثر بالبول والغائط يجعلها نجسًا، يجعل قلبه مستمرا عازما على إزالته على استمرار إزالته، وتلك الخصلة تكون ربع الدين.

الخلصة الثانية الإخبات، وحقيقته أن الإنسان كلما عظم رجلًا من آباءه وغيرهم من الملوك والمرشدين وغيرهم فيجد في قلبه عند حضورهم خضوعًا لهم، يريد أن كل شيء يأمر به هذا الرجل أطيعه في ذلك ويجب من قلبه أن يأمره بشيء ليقترب إليه بالطاعة، ويجد في تصور قربه لذة في قلبه، وهذه فطرة إنسانية، يجده[1] الرجل في نفسه بدون تعلم، فإذا كان الرجل مؤمنًا بالله بهدايته من قلبه أو بإرشاد أحد من الصالحين وحدث في قلبه مثل ذلك الخضوع وحب التقرب لله إلى درجة لايشترك معه فيها غيره، ويجعل إطاعة الآباء والمرشدين والملوك كلهم متفرعة على ذلك الخضوع، فإذا كان أبوه يأمر بأمر يعرف أنه يحبه الله، يتعجل في إطاعة أبيه لأنه وسيلة في تقربه إلى ربه، فإذا استقرت تلك الخصلة وصارت له ملكته، قلنا حصل له الإخبات لله، وحصل له الربع الثاني من الدين.

الثالثة السماحة؛ في قلب الإنسان حب أشياء كثيرة، مثلا يجب أن يأكل طيبًا ويلبس طيبًا ويكون مسكنه طيبًا، ويكون في اجتماع الناس عز، ويكون له عند الله تقرب، هذا كله تصوير لتكثير حاجات الإنسان. فإن كانت طبيعة الرجل أنه إذا أكل طعامًا طيبًا مستلذًا، غايته اللذة، وبعد فراغه من الأكل يتذكر تلك اللذة ولاينساها فيكون مانعًا له عند اشتغاله بتكميل حاجات أخرى، فإذا كان رجل على خلاف ذلك، إذا أكل طعامًا لذيذًا، يجد لذته في وقت أكله تامًا ويستوفيها، ويكون في ذلك لنفسه راحة. أما إذا فرغ من الأكل فكان نسيها، لايلتفت إليها هذا الرجل يكون مستحقًا لتكميل أخلاقه. والمثال الآخر : الرجل القوي ينكح أمرأة جميلة يحبها فيجد وقت المباشرة معها مثل ما يجدها الرجال، ليس في ذلك مقصرًا عن أحد لكنه إذا رجع مكتبة بعد الفراغ منها، وأخذ في مطالعة فكر علمي، لايتذكر من مباشرة نساءه شيئًا، وإذا جلس في مسجده وذكر ربه لايأتيه فكر من تلك الحاجات. هذا الخلق يعني وقت تلبسه باقتضاء الحاجات النفسانية يقتضيها تامًا وافرًا، وينساها بعد

---

[1]- الأنسب : يجدها، لكون لفظة الفطرة مرجعا للضمير.

فراغه منها بالكلية، ويكون طبيعته مثل الماء ، إذا أدخلنا فيه إضبعًا نجد فيه مساغًا، وإذا رفعناه عن الماء يسوي سطحه على الفور، كأنه لم يكن شيئًا، فهذا الخلق نسميه بالسماحة، هذا هو الربع الثالث من الدين على طريقة الإمام ولي الله.

الرابعة العدالة هذا أمر بين في اجتماع الناس لايجهلها أحد ممن له اعتناء بالاجتماعيات، فإذا كان الإنسان اجتماعيًا بالطبع والاجتماع لايستقر إلا بالعدل، فالعدالة تساوي الإنسانية وتلازمها. كل رجل أو كل بيت أو كل قبيلة أو كل قوم لايكون له حظ بالقدر الصالح من العدالة ليسوا من الإنسانية في شيء، والإمام ولي الله يجعل هذه الخصلة مرجع خصائل الثلاثة الأولى. فإذا كان عند رجل طهارة أو إخبات أو سماحة وليس له من العدالة نصيب فلا يعتبر شيء منها، وليس له من الدين ذرة وإن كان هذا الفرض كالمحال. إذا كان الرجل صاحب الخصائل الثلاثة يكون كاملًا في العدالة بالطبع، هذه الخصائل الأربعة يجعلها الشيخ مرجع مأمورات الشرع كلها، ويجعل أضدادها مرجع المنهيات ، وكتابه حجة الله البالغة شرح وافٍ لهذا المقصد.

وما بقي إلا شيء واحد يسميه الشيخ تعظيم شعائر الله، وتحصيل هذه الأخلاق وترك أضدادها وتعظيم شعائر الله خلاصة الدين الإلهي الذي أتى به النبي ﷺ عند الإمام ولي الله.

فصل في تعظيم شعائر الله

نشرح تعظيم شعائر الله بكلمات مختصرة. الحكماء الإلهيون أدركوا بإجامعهم أن هذا العالم مؤثره وموجبه ومبدعه وخالقه لايصل إليه الآن أفهام الناس إلا بالطرق الخصوصة، ولهم في ذلك اصطلاحات وطرائق اتفقت جماعة من الاجتماعيين منهم على إثبات تجليات الله سبحانه، فالإنسان كما ينظر بمنظرته شيئًا بعيدًا عن بصره ولايلتفت في تلك الحالة المنظرة إصلًا يجد في نفسه كأنه يرى هذا الشيء بعينه. إذا صار مخلوق من مخلوقات الله كالمنظرة لرؤية شأن من الشؤون الإلهية نسميه بالتجلي، وهذا البحث مستوفى في كتب الشيخ ولي الله، وكتاب **العقبات**[1] لحفيده أقرب مقدمة لتفهيم كلام الشيخ.

الأنبياء عليهم السلام كافة اعتمدوا في معرفة الحق على إثبات التجليات، والتجلي الإلهي الذي يكون مستويًا على العرش العظيم يسمونه بالرحمن، وهو آخر شيء يصل إليه الإنسان في ارتقائه واعتلائه في معرفة الرب، ثم لهذا التجلي الأعظم المستوي على العرش تجليات متنازلة في السموات والأرضين، فإذا تحقق عند الإنسان أن هذا الأمر تجلي إلهي، لزم عليه أن يعظمه بأقصى ما يكون عنده من التعظيم، وكل هذا التعظيم إنما يرجع إلى الله رأسًا لأن الواسطة مثل المنظرة لا التفات إليها فإذا كان

---

[1]- هذا كتاب نفيس للشاه إسماعيل الدهلوي، والذي يجمع بين مباحث التصوف والفلسفة والإلهيات.من الجدير بالذكر أن الكتاب يتطرق إلى مباحث تشتبك فيها أذهان المثقفين الجدد، وهي المباحث التي قد صاغه باللغة الأردية الشيخ مولانا مناظر أحسن الجيلاني.

عندنا التفات إلى هذه المنزلة التي نسميها تجليا في وقت عدم التفاتنا إليها ونسميها شعيرة من شعائر الله في وقت التفاتنا إليه، فتعظيم شعائر الله الذي تحقق عنده أعظم أجزاء الإيمان بالله كأنه يقربه إلى الله بدون واسطة ولايكون لإنسان فوق ذلك مرمى ومقصد. أما هذه الخصائل الأربعة فتجعل الإنسان كالملائكة المقربين عند الله. يختصر الإمام ولي الله تلك الحقائق بكلمتين : التطلع إلى الجبروت والتشبه بالملكوت. هذا هو غاية كمال الإنسان عند الإمام، وكل ذلك واجب على الإنسان باقتضاء اللطائف والقوى المقدسة الموجودة في جبلة الإنسان حب فطرته، فلا يكون تعليم الدين مثالًا إلا كرجل شابّ حصلنا له أسباب نكاحه على وجه يحبه الاجتماع ويكرمه، فلو لم يكن في هذا الشاب قوة الرجولية في جبلته، لم يحتج إلى شيء في أمر النكاح، فلو تركناه لتكميل شهوته على ما حصل من العلم بفطرته لربما عمل بأشياء شنيعة في اجتماع الناس، وما قدر بعد ذلك على إصلاح حاله، وإذا كان أبوه وأمه بمقتضيات الاجتماع ولهم تجارب في تحصيل طرق محسنة فأعانوا بذلك ولدهم الشاب لايكون إلا تكميل مقتضى الفطرة ، فإذا كان رجل مخلوق في فطرته قوة تحب التطلع إلى الجبروت وقوة تقتضي التشبه بالملكوت، فهل على الأنبياء والرسل تكميل مقتضى طبيعة لايكون إلى تكميل فطرة الإنسانية. استفادة الشاب بمشورة الوالدين في أمر النكاح واستفادة هذا الرجل بنصائح الأنبياء ليس أمرهما في نظر الحكيم إلا أمر واحد، وهذا البحث كافٍ تمهيدًا لفهم طريقة النبي ﷺ في هداية قومه وتزكيتهم ليجعلهم ذريتهم في بث الهداية إلى أقوام الأرض، ونحن بعد ذلك نجعل بعض الآيات لتكميل هداية قريش فقط، والبعض لبث الهداية إلى الأقوام.

العدالة أجملناها فيما مر ونريد إيضاحها في هذا الفصل، نقدم قبل ذلك كلمات :

١- الإنسان ما هو يعرفه طائفة من الحكماء (هو حيوان ناطق) معناه متفكر يقدر على تنظيم الأفكار وعلى تقسيمها على فنون وتعبير عنها بالكلام الفصيح يوجده من عند نفسه، وطائفة أخرى يعرفونه بأنه حيوان يستعمل الآلات. المعنى الأول شرحنا مقتضاه في الفصول السابقة الذي يرجع إلى التطلع إلى الجبروت و التشبه بالملكوت، وفي هذا الفصل نفصل التعريف الثاني.الإنسان محتاج مثل عامة الحيوانات في تحصيل غذائه إلى أشياء أوجدها القدرة الإلهية بدون دخل من هذا الإنسان في خلق هذه الأشياء. يشرب الماء، يأكل الفواكه، ليس في شيء دخل لقوته أو علمه. هو في ذلك مثل الحيوان ، ثم يرى شيئًا يجب تحصيله، لكن لاتصل إليه يده ولاقواه الطبيعية، فيتخذ بعض الأشياء المخلوقة لله ذريعة لتحصيل ذلك الأمر المطلوب. هذا هو استعمال الآلات يجد على رأس شجرة ثمرات لايصل

إليها يده ولايقدر على ارتقائه على الشجرة[١] فيأخذ حجرًا ويرميه إلى الثمر فيسقط، وهذا استعمال الآلات. ثم في بعض الأحيان يرجع إلى محل فيه نخلة على رأسها التمرات، لكن لايوجد حجر فيقطع غصنًا من شجرة بقوته الطبيعية، ويأخذ هذا الخشب بيده ويضرب بالطرف الآخر لتمرات فيسقط إليه غذائه. هذا استعمال الآلات فيكون له كل يوم حسب حاجاته نشاط في تجديد الآلات. كلما احتاج إلى شيء ولم يقدر أن يصل إليه. إذا أصرّ في فكره لتحصيل آلته يهتدي إليها ولو بعد زمان ولو بعد مشقات طبيعية، فبهذا الطريق كلما كان الرجل ذا الآلات الكثيرة كان غنيًا، ومن لم يجد آلة كان فقيرًا. الشيء يحصل بالقوة الطبيعية للحيوان مثل الفيل والأسد يصرفان قوة عظيمة، والإنسان ضعيف بالنسبة إليهما، لكن بإيجاده الآلات يستفيد بصرف أدنى قوة أكثر مما يستفيده الفيل والأسد. هذا كأنه تحصيل للمنفعة من الأمور الطبيعية برفق بالنسبة إلى الحيوانات باستعمال الآلات وبواسطتها تحصيل الأشياء بالقوة القليلة يسميها الإمام ولي الله بالارتفاق، فالإنسان بقوتها الحيوانية المتأثرة بنظرياته الملكية نسميه العقل، والحواس التي في الحيوانات هي بعينها في الإنسان. إذا جاء إلى تلك الحواس نور من الملكية وتميزت عن الحيوانات العامة نسميه بالعقل هو إمام القوى الحيوانية، وبهذه القوة ينشط لإيجاد الآلات المقللة للقوة والوقت والمسافة والناس والرجل المسكين بالطبع يكون تابعا للرجل الغني يستعمل الغني قوة المسكين لاستعمال آلاته ويجعله شريكًا في الانتفاع، فإن كان قويًا يصير ملكا، وإن كان قوة طبيعية متشابهة مع المساكين يكون رجلًا عاميا(٥٩/ ٣٨) يأخذ بالمشورة ويرأس الجماعة. هذا كان تمثيلًا للارتفاقات. الارتفاق الأول لايخلو عنه إنسان أينما كان. الباب الثاني آداب المعاش. الثالث تدبير المنزل. الرابع فن المعاملات. الخامس السياسة المدنية. السادس سياسة المدن. وهذه سياسة المدن تكون مختلفة يسميها الإمام بالخلافة، ولايقصر الإنسان حتى ينظم خلافة كبرى لايقدر جماعة من الناس على مخالفتهم. هذا هو تكميل استعمال الآلات.

فصل

الشيخ يجعل هذا من اقتضاء الفطرة الإنسانية. لاشيء يلزمون عن خارج. قال لو أن إنسانًا نشأ ببادية نائية عن البلدان ولم يتعلم من أحد رسمًا، كان له لاجرم حاجات من الجوع والعطش والغلمة، واشتاق لامحالة إلى امرأة، ولابد عند صحة مزاجهما أن يتولد بينهما أولاد وينظم أهل أبيات(٦٠/ ٣٨) وينشأ

١- لعل التعبير الأنسب: على التسلق على الشجرة.

فيهم معاملات ينتظم الارتفاق الأول عن آخره. ثم إذا كثروا لابد أن يكون فيهم أهل أخلاق فاضلة تقع فيهم وقائع توجب سائر الارتفاقات الخ. فإنشاء الملوكية في قوم تحت نظام العدالة، وإنشاء الخلافة في أقوام بالعدل هو مقتضى النوع الأنساني، فالإنسان هو الجامع بين التطلع إلى الجبروت والتشبه بالملكوت تكميل الارتفاقات. فالنبي كما يعلمهم التوجه إلى الله وتعظيم شعائر الله ويعلم الأخلاق الفاضلة التي لاترجع منافعها إلى أنفسهم خاصةً، بل ترجع إلى النوع الإنساني علته، وهم لاينتفعون من تلك الفوائد إلا كمثل فرد من أفراد الجماعة، فهذه أخلاق الملائكة، كذلك يعلمهم النبي الارتفاقات كيف ينتفعون بما خلق الله في الدنيا والآخرة بقوة قليلة ويحصلون الفوائد الكثيرة بالمرة ليتعجب الملائكة من أعمالهم، فأحد هذه الأشياء الثلاثة ليس منفصلًا عنها في شريعة من شرائع الأنبياء.

فائدة أخرى

الأشياء المترتبة إذا أثر فيها شيء واحد، يظهر آثارها في جميع الأشياء حسب استعدادها مثلا رتبنا قوارير وأقدنا شمعًا بمقابلة قارورة واحدة، فيظهر شعلتها في جميع القوارير حسب ألوان القوارير، فالصورة وإن اختلفت لكن الحكيم يحكم أن الشعلة هي التي كانت في القارورة الأولى تنتقل من هذا المثال إلى البدن الإنساني. أدنى أجزاء الإنسان هو ذلك البدن الذي يرفث في القبر بعد الموت أو يحترق. الجزء الثاني روح طبيعي كان في هذا البدن مساويًا حاملًا لجميع قواه. شكله شكل البدن لكنه هواء منجمد بقوة نورانية فكان تمثالًا لذلك البدن هو هو. في الحياة الدنيا كان مصداق الإنسان هذا البدن. أما بعد موته فلا يكون مصداق الإنسان إلا هذا الروح الطبيعي نسميه بالنسمة. وهذا الروح مشترك في جميع الحيوانات. الجزء الثالث النفس الناطقة هو شيء روحاني نوراني عكس من عكوس أمام الصورة الإنسانية الموجودة تحت العرش في الطبقة العالية من عالم المثال، فقرطاسه من عالم المثال، وصورته عكس من أمام النوع هو متحد مع النسمة، وامتياز النسمة عن الحيوانات بالصورة الإنسانية بتأييد هذه النفس الناطقة، ففي حياة الإنسان في الجنة وجهنم يكون مصاحبة لهذين الجزئين لازمة، فإذا كان ارتقاء الإنسان إلى موضع لايمكن للنسمة المرور عليها، لايكون مصداق الإنسان في تلك الطبقة إلا النفس الناطقة. الجزء الرابع روح ملكوتي أو روح إلهي. شيء واحد قرطاسها من الملائكة وينطبع عليه صورة الحق من التجلي الأعظم. هذه النفس تكون متحدة مع النفس الناطقة مثل اتحاد النفس الناطقة مع النسمة، فإذًا درجات عالية من الجنة تكون مصاحبة النفس الناطقة الروح الإلهي لازمة، لكن إذا جاء موطن لايمكن للنفس الناطقة الوصول إليه، لايكون مصداق الإنسان هنالك إلا الروح الإلهي والروح الملكوتي.

فصل

البدن والروح الطبعي والنسمة والنفس الناطقة والروح الملكوتي، هذه الأجزاء الأربعة للإنسان مترتبة ترتيبًا متناسقًا. كل شيء يكون في الروح الإلهي يظهر في النفس الناطقة موافقًا بمزاجه ويظهر في

النسمة موافقًا لطبيعته، ويظهر في البدن مناسبًا لاستعداده، فالصور وإن تبدلت لكن الأمر الحقيقي يكون واحدًا في النظر الحكيم، فالأنوار الإلهية تشرق على الروح الملكوتي وتنزل إلى درجاتها الثلاثة ، ثم بعد عملها في الجسم ترجع وتتصاعد حسب نزوله إلى الروح الإلهي. هذه فطرة إنسانية فطرها عليها فأحسن الارتفاقات ما كان بحيث يصعد روحه إلى الروح الإلهي وأفسدها ما كان لايستفيد منها إلا بدن الإنسان لايقبله النسمة أيضًا، وما قبلته النسمة ولم يقبله النفس الناطقة يكون أحسن من الأول، وما قبله النفس الناطقة ولم يقبله النفس الملكوتي يكون أحسن منه وما قبله الروح الملكوتي هو يدوم بدامه، ويكون اللذة والسرور فيه تامًا لايمكن فوقه، فإذا كان الإنسان في اتفاقاته الطبيعية مهذبًا بالأخلاق الأربعة ويكون النفس الناطقة معظمًا لشعائر الله تعالى ملكت الإنسانية، فإذا قلنا إن النبي ﷺ كان هاديًا مزكيًا لقومه، معناه يهديهم إلى الارتفاقات الصالحة ويجعلهم متخلقين بالأخلاق الأربعة ناظرًا إلى الله بواسطة شعائر الله، فإذا تكامل(٤٠) النبي في قومه بإنشاء هدايته وتزكيته ويأمرهم بجمع الأقوام كلها على هذا التعليم والتهذيب وسهل لهم الطريق بالمشي في هداية كل قوم بما يتيسر عليهم، كان مقيمًا للخلافة وأتم الخلافة هو الذي أقامها نبينا ﷺ وأتمها الله على أيدي أصحابه أبي بكر وعمر وجعل الأرض المقدسة التي وعدها الله لإبراهيم متنورة بأنوار الحنيفية وجعل المساجد الثلاثة مسجدين لإبراهيم ومسجد مراكز لهذا التعليم وأخضع كسرى وقيصر بالتدين بهذا الدين، أما بقبول هدايته فيكون فردًا من الاجتماعية الإسلامية أو بقبول حكمه بأداء الجزية وتعظيم شعائره، فكان هذا مثلًا مقدسًا للإنسانية وبارك الله في عزمه في خمس مأة سنة حكم في تلك الخلافة قومه وحكم خمس مأة أخرى أقوام قبلوا دينه بخلوصهم، فكانت دليلا ساطعًا على أن النبي ﷺ لم يرد حكومة قومه إلا إذا كانوا مقيمين للدين فشرائع دين النبي ﷺ كما كانت معمولة في زمن قومه كانت معمولة بعينها في خلافة أقوام آخرين نص القرآن العظيم على هذا في سورة الجمعة: "**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ**" الخ... "**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا**"الخ...هؤلاء أقوام دخلوا في الإسلام من الفرس والروم والهند والترك أقاموا إمبراطوريات لإقامة دين الله في أطراف الأرض فإذا تبدل نظام الإنسانية بارتقائهم في الارتفاقات لازم أن يبدل صورة الحكومة موافقًا لاجتماعياتهم فيعد الألف إذا تغير الناس عن الألف الأول ما قدر زعماء المسلمين عامة على تبديل منهجهم وحفظ رفعتهم وعظمتهم، لكنا بحمد الله لما تفقهنا في الدين على طريقة الإمام ولي الله الدهلوي أيقضنا أن القصور كله منا، والله ورسوله بريئان منه.

١٠

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

"**وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ.**" في الكتب الشرعية الإلهامية أصول موضوعة مشتركة بينها وعلوم متعارفة. تلك المسائل العظيمة يبحث عنها في قصار المفصل. إذا فهمنا ذلك في تلك السور المخصوصة بها، فإعادة تلك المسائل في السور الطويلة لايحتاج إلى بحث جديد، مثلًا الذين آمنوا وعملوا الصالحات تكرر في عامة السور مرارًا، ومعناه المراد في القرآن اصطلاحي خاص بحث عنه في سورة والعصر، فالذي لاينبه على مثل هذه الارتباطات يغلط كثيرًا في تعيين المقاصد القرآنية، لأنه هو يعين في كل موضع. معنى تلك الكلمات حسب ما يقتضيه ذهنه بالنظر إلى هذه السورة الخاصة، والإثم في ذلك أن الناس ما فهموا أن القرآن كتاب علمي غاية فكرهم بالنسبة إلى القرآن أن القرآن كتاب اعتقادي، يعني أن المراد الطائفة من أصحاب الأديان يعتقد عقائد خاصة فالقرآن مبني على بيان تلك العقائد فقط. كثير من الأشياء يحتاج إليه أرباب الفهم إلى الاستدلال عليها، ويرى القارئ أن القرآن لايبحث عن دليله فيضعف يقينه بكونه كتابًا علميًا لكنه إذا تفرس بهذا الطريق من البيان أن القرآن العظيم لما بحث عن تلك المسئلة في موضع خاص وأتم البحث بما يحتاج إليه الناظر فلايعيد استدلاله في كل موضع يحتاج إلى بيانه تلك الحقيقة. والمانع الثاني الذي خفى عن كثير من الناس في الحكمة القرآنية اعتمادهم على ما وصل إليه مشايخهم من التحقيقات العلمية ويكون فيه مداخلة كثيرة للسياسيات المتبدلة في تاريخ الإسلام، فهؤلاء طلبة العلم يعتقدون أن ما علمه مشايخهم من الحقائق هي بعينها لازم أن توجد في القرآن وإذا يئسوا من ذلك يضعف اعتقادهم في القرآن بأنه كتاب علمي. نتيجة بحثهم تكون أن القرآن كتاب خطابي مناسب لأهل ذلك العصر من بادية العرب. أما نحن فوصلنا إلى تحقيقات عالية وهذه كلها باجتهاد مشايخنا فالأشعري يذكر أئمة الأشاعرة والحنفي يذكر أئمة الماتريدية وكذلك الشيعة والمعتزلة كلهم يجزمون بأن ما أخذوا من أئمة مذاهبهم هي الحقيقة الحقة، وأما القرآن فذكر كلاما مناسبا للأميين من العرب كأنه كتاب الدعاية عندهم للاجتماع، وهذا المعنى أخذه من الطوائف المبشرين من النصارى وغيرهم وهم يجذمون بالنبيﷺ كان حاذقًا في التنظيم فقط. أما المسائل العلمية والسياسية الاجتماعية فليس في القرآن إلا شيء قليل وهم يثبتون في ذلك أيضًا أغلاطًا، فطلبة المسلمين الذين يتعلمون في الغرب أكثرهم يتأثرون بدعاية المبشرين، فإذا وجدوا شواهد كلام المبشرين عند مشايخهم يجذمون بحقية الدعاية ويحكمون بجهل المسلمين عامة، وعندنا مثل هذه النقائص التي حدثت في الاجتماع الإسلامي مبناها ليس إلا عدم اعتناء الحكماء من المسلمين بكتاب الله مجردًا عن التفاسير المكتوبة في الأعصار المظلمة للمسلمين، ونحن بحمد ربنا باتصالنا للإمام ولي الله، فإنه الفاتح لهذا النوع من فهم القرآن وعلى أساسه اتبعه أولاده وأتباعه فتخلصوا من تلك المخزيات التي تعتدي على علماء

المسلمين وليس معنى كلامنا أنهم أتموا الأمر إلى آخر ما ينبغي، لا بل هم فتحوا الطريق وحققوا حقائق كثيرة طيبة، لكن الزمان يتبدل والقرآن لامنتهى عجائبه. تم التمهيد. الآن نشرع في تفسير سورة العصر.

والعصر صيغة القسم وقد تقرر في الشرع الإسلامي أن القسم والحلف لايجوز إلا باسم الله. جاء في بعض الأحاديث الصحيحة من حلف بغير الله فقد أشرك وإن كان المراد في الحديث أدنى مراتب الشرك لكنه أدخله تحت الشرك ونراه في القرآن، وحله أن المراد من القسم في العرفيات العامة والذهنيات المشتركة هو إبداء شهادة على المقصد، والأدلة الدالة على المطلوب تكون على القسمين: ١- قسم إذا فصلناه بمقدماته يستفيد منه السامع المفكر، ٢- وقسم إذا فصلناه يكون محلا لإشارة شكوك، وإذا أجملناه فالإنسان يستفيد منه بالعرف الذي استقر في عامة أذهان الإنسانية ولاشك في أن استعمال كل قسم من الأدلة ينبغي أن يكون في محله. إذا رأينا الإنسان ليطمئن خاطره بمسئلة بعد تمثيلنا بمثال خاص وتصل تلك المسئلة بعد ذلك إلى ذهنه على صورة التحقيق لأن اعتقاده في ذلك المثال كان قويًا وإذا بسطنا الأدلة يكون هذا الرجل محل إشارة شكوك كثيرة، ففي حقه إيراد مثال مخصوص وإجمال الكلام أولى وأنفع، وإذا عرضنا تلك المسئلة بعينها على رجل يستفيد من بسط الأدلة فنحن في تفصيل الأدلة في ذلك الموضع لايكون هذا النوع من تقسيم البيان إلا مثلا على البلاغة فإن هذا الذي نأتي به على سبيل التمثيل نذكره بكلمة القسم. هذا هو طريق بيان القرآن وأما الشرع الإسلامي فلا يجيز الإتيان بالقسم إلا إذا لم يكن عند الرجل بينة على دعواه، فحاصل القسم في ذلك الموضع أن المدعي يشهد الحق سبحانه على صدقه فإن كان كاذبًا فهو يجازيه، فهذه الشهادة مقبولة من المسلمين المتديين بالإسلام. لايجوز لأحد أن يعتقد أن غير الله سبحانه أي مخلوق كان من المخلوقات يعلم من الغيب الذي يتعلق بتصديق تلك القضية ويقدر أن يجازيه على كذبه، ففي هذه الصورة من حلف بغير الله أشركه مع الله في أنه يعلم الغيب وأنه قادر على المجازاة.

فالقسم في القرآن على منهج مخصوص، و وقوع الحلف باسم غير الله منهج آخر، فهما لايتعارضان. والعصر معناه العصر يشهد، فاختلف المفسرون في تعيين معنى العصر فالمراد منه لأنهم يعتقدون أن القسم يكون بأمر شريف عظيم فكل منهم عين عصرًا يجب أن يكون أشرف العصور وهذا خطاء بين ليس معنى هذا القسم أنه لشرفه يقسم به وإن كان هذا كلان مشركًا لكنهم لايلتفتون إلى هذه المناقضات ورفعناهم يعرفون كل شيء تحت آية من كتاب الله وإن كان أغلط الأغاليط وأكذب الأحاديث. وطائفة من المسلمين لابد أن يكرموها فالعصر ليس معناه وقت ذو شرف بل معناه الدهر والزمان لكن بوصف الانقضاء فيكون معناه الزمان المنقضي ونقول بعبارة أخرى إن التاريخ يشهد فالاستدلال بالتاريخ من أهم الاستدلالات العلمية لكن هؤلاء لعدم تدبرهم في القرآن ملؤوا تفاسيرهم بمضاحك الصبيان، فالمعنى أن التاريخ شاهد على أن الإنسان كان دائما في الخسارة. الاجتماع الإنساني ما فاز أبدًا في زمان من الأزمنة المتقدمة الذي حفظنا تاريخه إلا إذا كانوا ملتزمين لأربع فضائل: الإيمان

إلا الذين آمنوا. الآن لايرجوا منا أن نفسر الإيمان على طريق الأشاعرة والمعتزلة والشيع،ة بل نفسره على ما تواتر في كتب الأديان السابقة وينطبق على جميع الأديان فيكون من العلوم المتعارفة أو الأصول الموضوعة.

الجملة المعترضة

قال مولانا محمد قاسم الديوبندي إذا أردتم عملًا أي عمل، لابد أن يكون لكم نية قبل ذلك، فإذا كان لرجل نية جامعة أن يعمل بجميع ما أمر الله به، فهذه النية الجامعة هو الإيمان فأهل الكتاب مثل التوراة والقرآن قررت لهم أصول معينة إذا اعترفوا بها واعتقدوها يطلق عليهم اسم الإيمان ومن لم يكن من أهل الكتاب فما وصل إليه من العلم الصحيح الأعلى الذي يقدر أن ينسبه إلى الله التسليم لتلك العلوم والعمل لمقتضاها وإرادة العمل بمقتضاها في الاجتماع الإنساني هو الإيمان، فالتاريخ يشهد لنا أن كل رجل ليس له إيمان ما فاز في الدنيا أبدًا. لانظن بالمخاطبين أنهم يغلطون في فهم كلامنا أن البحث في الإنسان الاجتماعي لا الانفرادي وقد حقق الإمام ولي الله أن موضوع جميع شرائع الله هو الإنسانية العامة وتختلف الشرائع باختلاف أصناف النوع الإنساني فإذا لم يكن للإنسان عقائد صحيحة يسلمها الاجتماع الإنساني ويجعلها مطمح نظره، هل يكون له فوز؟ وإن كل رجل يعرف الاجتماعية يحكم عندنا بالبداهة أنه لايمكن ذلك تعيين لازم في فوز السياسة الاجتماعية.

"**وعملوا الصالحات.**" كل حركة من البدن الإنساني موافقة لإيمانه وتكميل له عمل صالح، فصلاحيته لأعمال ليست باعتبار الصورة بل باعتبار المعنى والنية التي تبعثه على ذلك العمل. نرى الصلوة لله من أعظم الأعمال الصالحة عند جميع المتدينين بل عند جميع العقلاء وإن كان بعضهم نظرًا إلى بعض الصلوة المشروعة عند المتدينين. أما الاعتراض بالمبدأ الحق والعزم على التقرب منه الذي هو ترجمة الصلوة بلسان أهل النظر، فلايختلف فيه رجل عنده عقل. هذه الصلوة إذا صلاها رجل رياء للناس يكون من أقبح الأعمال. نص القرآن عليه "**فويل للمصلين** " وقتل الإنسان من أقبح الأعمال الإنسانية لكن إذا كان لإعلاء كلمة الحق ورفع الظلم عن الضعفاء يكون من أحسن الأعمال وقد تقرر أن صلاحية الأعمال لاتكون إلا بالنظر إلا معانيها ونيتها. فهل يأتي لنا شاهد من التاريخ أن الرجل إذا لم يجتهد غاية جهده في تمشية إيمانه فاز؟ فلا يمكن نقل شيء منه في التاريخ فيكون العمل بمقتضى الإيمان من لوازم الفوز ومن تركها فقد خاب وخسر. "**وتواصوا بالحق**" إذا حصل لرجل إيمان صحيح وعزم على الاجتهاد التام بمقتضاه، لايفوز في المجتمع الإنساني إلا إذا جمع معه رجالًا إيمانهم مثل إيمانه ويجتهدون لتكميل ذلك على مسلكه وتلك المحنة لجمع الرجال ليس له حد محدود، فأي مقدار اجتمعوا يجعلون مناط اجتماعهم هو ذلك الإيمان والعمل لا شيء غيرهما فإذا رأوا من واحد منهم تقصيرًا في ذلك يجب عليهم أن يوصوا باتباع الأمر المشترك، وهذا هو الحق فإذا تفاخروا في ذلك فهل يمكن الفوز؟ لايشهد واقعة من واقعات التاريخ للرجال الاجتماعيين أنهم فازوا بترك هذا التواصي.

"**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**" معنى الصبر عندنا عدم تزلزل القدم عن موضعه بسبب عروض المشقات والمصائب في التقدم لتكميل إيمانهم بالعمل الصال.ح يجوز للرجل العامل أن يسكن في حالة ما ولايتقدم إذا لم يجد قوته تقدر على دفع الموانع عن الطريق. أما ارتجاعه عن ذلك الموضع بسبب هجوم المصائب فلايجوز أبدًا في صورة ما؛ إما يقتل في ذلك الموضع وإما ينتظر إذا وجد فرجة تقدم، أما الرجوع إلى الوراء فلايجوز بحال ما وإن جوز رجل هذا الرجوع أيضًا ففوزه ليس بلازم ولايفوز إنسان إلا بالصبر على تلك الحالة، فهذه الجماعة إذا رأوا في رجل منهم تزلزلًا في استقامة وإرادة الرجوع إلى الوراء وما منعوه عن ذلك هل يمكن فوزهم؟شواهد التاريخ تنكر ذلك فكان حاصل السورة أن تاريخ الإنسانية شاهد على أن الإنسان في حركاته الاجتماعية ما فاز إلا بالتزامه الأمور الأربعة: اثنان منها راجعان إلى كل فرد، إذا لم نجد في رجل هاتين الفضيلتين لايكون له حق التداخل في ذلك الاجتماع واثنان راجعان إلى الجماعة من حيث الاجتماع ومثله. هذه نسميها أصلًا من الأصول الموضوعة. أينما جاءت في القرآن كلمة الذين آمنوا وعملوا الصالحات لايراد منها إلا جماعة حازوا على الأمور الأربعة فمن يريد تفسير القرآن ليس له حق أن يفسر تلك الكلمة بمعنى يعرفه من اللغة وبما حصله من العقلية بل يجب عليه أن يحمله على ما تقرر في تلك السورة.

١١

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

فيها بيان أن العذاب لايأتي على الإنسان إلا وهو يكون تبديل صورة شيء من أعماله، وهذا يكون بأسباب خارجية معدة للتبديل وهذه قاعدة كلية، والقرآن يذكر في مواضع كثيرة مجازاة رجال وأصناف وأقوام بعذاب من النار بعذاب في جهنم ولايتكلم على بيان الحكمة في ذلك، لأنه راجع إلى ذلك الأصل الذي قرره في هذه السورة أي سورة الهمزة، ونحن لم نقدر على فهم هذه المسئلة إلا بعد ما حصل لنا نوع من الإحاطة لحكمة الإمام ولي الله. (تم التمهيد.)

"**ويل لكل همزة**" الخ صنف من الناس غاية همهم جمع المال لا ليصرفوه في قضاء حاجاتهم، بل ليكتنزوه ويجدون في ذلك لذة ولذلك يعدونه مرارًا مثل العاشق يرى وجه المحبوب. هذه الطائفة لها ذهنية خاصة يحسبون أن جميع الحاجات تقضي بسبب وجود الأموال فيحتقرون كل من ليس له مال، فلايكون حديثهم إلا الهمز واللمز على رجال لم يجمعوا المال، ولايتفكهون إلا باللمز والهمز، والرجل الذي ليس عنده مال، يسفّهونه ويطعنون عليه وإن كان حكيمًا أو نبيًا. إن الرجل الذي ليس له مال ويقول إني أعمل كذا وكذا، وهم يفتخرون في أنفسهم أن عندنا أموالًا وكل شيء مهيء لنا إذا أردناه إن لم يكن عندنا شيء فلاني فمعناه إنا لانريده. أما إذا أردنا فهو عندنا، فمعنى قوله "**يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ**" عندنا أنه يكنيه لقضاء جميع الحاجات. هذا الخلق الفاسد لايتحمله الإنسانية أبدًا لأن كل فرد من الإنسان لو جرى على هذا المسلك لمات الكل في يوم.

الاجتماعية هي اقتضاء الفطرة الإنسانية، فإذا أفسدها أحد يخرج منها نار. هؤلاء أعمالهم إفساد للإنسانية فهي تبدل بصورة النار "**كلا**" ليس فكر أن المال يكفي لجميع حاجاتهم صحيحًا. هذا الخلق الذي يجتمع في قلوبهم يتبدل نارًا فهل يمكن إطفاء تلك النار بالأموال. فكرهم هذا باطل وهذا الخلق الباطل يوصله إلى الحطمة. ومعناها "**نار الله الموقدة الخ**" فيكون مثال هذه النار مثال الحمى. فساد الأخلاط بسب فساد الأغذية يكون باعثًا لتقلب النار على البدن الإنساني ويكون منبعها معدة الإنسان. هكذا فساد الأخلاق الإنسانية يكون سببًا لفساد القوى القلبية وتنشأ منها نار أولا يظهر على القلب، يطلع منها ثم يحرق البدن فيكون مثل الحمى. ورد في الأحاديث الصحيحة الحمى من فيح جهنم، يشير إلى تشابه بينهما، وهذه النار التي تطلع على قلوبهم تستديم إلى زمان بقاء فساد القوى القلبية، هذا معنى قوله "**إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ**" تبدل تلك الأعمال وفساد القوى القلبية بالنار يكون بعد معدات تحصل له كما أن فساد الأخلاط يفضي إلى الحمى إذا مشى الإنسان في الشمس أو عمل مجهدًا. كذلك هذا الإنسان إذا وصل إلى طبقة من جهنم، وهنا نار مجتمعة في عمد ممدودة. العمود

الممدود في زماننا معروف مستعمل في النار مجموع في النار ويكون مجموع فيه نار مخصوصة، فإذا أمر الإنسان بقرب ذلك العمود تتأثر قواه القلبية فتنقلب نارًا مثل تأثر الأخلاط. هذا الفن ممتنع. ثم رد الشيخ قوله بامتناع التدوين وبين أن الله تعالى وهب له القدرة على ذلك.

١٢
سورة الكوثر
بسم الله الرحمن الرحيم

"**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**" الخ معناه في اللغة الخير الكثير وفسره القرآن بالحكمة. **ومن يؤت الحكمة** الخ والقرآن هو نصيب الحكمة، من حصل عليه كأنه حصلت له الحكمة "**يسين والقرآن الحكيم**" فتلخص من هذا الترتيب أن معنى الكوثر هو القرآن العظيم، وهذا تقرر عندنا أن النبي ﷺ ما كان يرجو أن يلقى إليه الوحي. إنما كان صمم العزم على إحياء الحنيفية ملة إبراهيم وعلى جعل حكمه غالبًا على جميع الأحكام الدنيا بحسب اتحاده في العلم والعمل، وكان جازمًا بنجاحه وفلاحه في الآخر لأن عزمة إبراهيم وإسماعيل كانت مستقرة في قلبه، لايوازيهما رجل من رجال الدنيا وهما أسسوا هذا المسجد وهذا المقام لأولادهما، فإن قام رجل من أولاده لإحياء طريقتهما نظرا إلى عزمتهما، لابد أن له من أن يكون فائزًا. هذا القدر كان محققا مجزومًا به في قلب النبي وكان قبله طائفة من قومه على هذا المسلك، كان يقتدي بهم في أمور لاتكون منكرة على رأيه، يعني لم يكن مقلدًا لهم، بل كان ينظر فيما وصلت إليه أفكارهم، ينظر النقد فإن اطمئن خاطره بصحة أفكارهم وأعمالهم كان يتبع طريقهم، وأما إن كان هو يرجو أن يكون نبيًا ويلقى إليه كتاب من الله، فهذا ما خطر بباله قدر ذرة في طول عمره حتى فاجأه الله بالحق، فاندهشت طبيعته منه لأنه لم يكن ينتظر ذلك ولو كان منتظرًا لما تأثر ولما اندهش بالرعب والدهشة ولما قال دثروني، زملوني[١] فالقرآن إنما أعطاه الله كلَه بفضله. هذ١ معنى قوله: "**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر**" هذا العلم الذي استفاض من النبي ﷺ أقوام من العالمين. هذا فيضان العلم يتمثل يوم القيامة في المحشر وفي الجنة بصورة الحوض والنهر فأخبر بذلك النبي ﷺ أنه أوتي كوثرًا وكان المراد منه القرآن. قال الإمام ولي الله في **حجة الله** في ذكر شيء من الوقائع الحشرية، قال وهناك أمور متمثلة تتساوى النفوس في مشاهدتها كما لهداية المبسوطة ببعثة الله النبي ﷺ حوضًا.[٢] "**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**" تفريعه على الآية السابقة يدلنا على أن العلم أعطيناك نحن وأنت تنظم جماعة لإحيائه ومغالبة على الباطل.

فصل

كيف تتشكل الجماعة وكيف تتحد الأفراد بالصلابة والقوة؟ مرجع هذا إلى أمرين: الاتحاد في الفكر. الاشتراك في الأحوال الكافية لحاجاتهم فمعنى قوله "**فصل لربك**" علمهم القرآن الصلوة كما أمر به في سورة المزمل وهذا الطريق يوصل إلى الاتحاد في الفكر إلى غاية لايرجى فوقها. الإنسان يأخذ العلم

---

[١]- هناك يمكن إيراد السؤال بأن الشيخ قد نفى هذا المعنى المعروف للادثار و الازدمال في تفسير سورة المزمل والمدثر كما مر، فكيف يأخذ بهذا المعنى هناك؟

[٢]- لينظر: الشاه ولي الله الدهلوي، **حجة الله البالغة**، ١: ٨١.

عن شيخ ويحبه مثل حبه لأبيه ويعظمه مثل تعظيمه لأبيه فإذا اشترك رجل آخر معه في الأخذ عن الشيخ ويستويان، يحصل لهما اتحاد في الفكر، لكن دائمًا يفوق الشيخ. فإذا أراد الشيخ أن يفرقهم، هو يقدر على ذلك، وإذا كان تعليم الشيخ مفضيًا إلى اتحاد الفكر والشيخ يكون مرفوعًا من البين، يصير هذا الفكر مسلكًا لأهل الفكر، هم بأنفسهم مسؤولون عند ربهم عن هذا الفكر، لايمكن إيجاد الاختلاف فيهم، فالتعليم الذي يكون في الصلوة لله، يؤدي إلى مثل هذا الاتحاد، ويرتفع الأستاد من البين ويكون بالقدر الذي حفظه وأحصاه مالكًا لفكره قابضًا عليه ويكون مسؤوليته عند ربه رأسًا. محل هذه الأشياء ظاهرة في طريقة النبي ﷺ في الصلوة وكان مأمورًا بأن يرتل القرآن، ويقرءه بالتلبث لابالتعجيل حتى يقدر الناس على الإحاطة بمعانيه، فإذا صلى النبي ﷺ لربه وذكر فيها عظمته وعلوه، يفضي هذا الذكر إلى رفع الوسائط من بين الرب وعبده، وإذا قرأ القرآن ليفهم عنه الناس، يكون الناس حاوين على حكمة عالية. هذا الطريق لاطريق أعلى منه في إنشاء اتحاد الفكر. "**وَانْحَرْ**" هو ذبح الإبل ليأكله الناس الذين يأتون للصلوة معه ولفهم القرآن عنه، فلايكون طعام النبي ﷺ خاصًا لنفسه ولأهل بيته، بل يشترك فيه جميع ممن اشتغل عليه بطلب العلم. هذا أساس الاشتراكية في الأموال المكتفية لحاجاتهم ويكون التكفل لحاجاتهم راجعًا إلى أولي الأمر، فالنبي ﷺ يعلمهم القرآن ويتكفل لهم جميع ما احتاجوا إليه في معاشهم ويكون هذا بذرًا لتأسيس جماعة، فإذا تهيأت تلك الجماعة لتبليغ هذا الذكر في العالمين ويغلب أمره على جميع الأديان، ثم ما أمر به النبي ﷺ ثم في هذه السورة كانت الآية الأولى تشير إلى موهبة الله نبيه بالعلم والحكمة والثانية تشير إلى ما يجب على النبي ﷺ لتكميل هذا العلم، فإذا تمّ الأمر، تكون النتيجة واضحة. "**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**" يعني أنت تكون فائزًا و عدوك لايتم أمره، وبعد موت أعدائك لايكون الناس خلفائهم عنهم، فكأنه لا أولاد لهم وأما أنت فمن تعلم منك القرآن وقام لإقامته يكون أمره سواء في حياتك وبعد وفاتك كأنك لك أولاد كثيرة. قال النبي ﷺ إنما أنا لكم بمنزلة الوالد[١] وسمى الله تعالى أزواجه أمهات المؤمنين واستنبط منه شيخنا محمد قاسم أن النبي ﷺ أب لهم.

فصل

هذا الذي ذكرنا من تأسيس الجماعة على الاتحاد في الفكر والاشتراك في الأموال تلك الحكمة أوجبت في كل دين إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة وذلك هو الدين القيم الذي لاينسخ أبدًا.

صورة الصلوة وصورة أداء الزكوة تختلف على حسب اختلاف الأقوام والأعصار والأسنة، وأما روح الصلوة واتحاد الجماعة على إقامة أمر الله الواحد الحق فلايختلف أبدًا، فمن كان تاركًا للصلوة فإما

---

[١]- أبو داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند الحاجة، رقم: ٨.

إن كان لايؤمن بالله الواحد الحق، فهذا رجل ناقص الإنسانية مثل الأعمى والأصم، وأما رجل يريد الاتحاد في الفكر على إقامة الأمر الحق فهذا رجل جاهل بالاجتماع الطبيعية الفطرية للإنسانية.

كان سنة الله دائمًا حتى خلت صلوة قوم عن روحها يأتي الله برجل آخر ينسخ هذا الدين ويسن لهم الصلوة بنحو روحها يكون حيًا، وأما صورة الصلوة بدون المعنى فليس لها قيمة عند الحق، فالمسلمون أيضًا يبتلون بمثل الأمم السابقة ينسون ذكر الله في الصلوة ولاتتجدد فيهم نبوة أخرى، بل يبعث الله رجالًا يوصلون القرآن إلى قلوبهم، قلوب طائفة من المؤمنين فيكون السبب لإقامة صلاتهم واجتماعهم على إقامة أمر الدين، فكل ما كانوا أعقل وأبصر بعواقب الأمور، يفوزون بقيام الدين، وأما إذا كان رجال ليس لهم نظرٌ إلى صور الأعمال فيخسرون مرارًا ولايرجع الملامة في ذلك إلى الدين الحق أبدًا. إنما قصروا بأنفسهم في فهم القرآن ومقاصد الحكمة منه وأقام الله تعالى فينا حكيمًا (نشكره عليه) يفهمنا الحكمة القرآنية فنحن نعترف بظلمنا أنفسنا لم نقدر على إنشاء جماعة حكيمة على أساس الشيخ ولي الله، ونرجو الله أن يوفقنا إلى ذلك. هذا يتعلق بالصلوة وكذلك الزكوة، ليس معناها الاقتصاد على صورة مخصوصة كانت كافية في زمن من الأزمان، بل روح الزكوة أن لا يبيت رجل جائعًا يعلمه المسلمون فلزم على أرباب الأموال أن يتفقدوا في أقاربهم وجيرانهم، هل أحد يحتاج إلى شيء من المعاش فلايحوجونه إلى السؤال، بل يقضون حاجاتهم مثل قضاء حاجات أنفسهم لايأكلون إلا إذا علموا أن كلهم فرغوا من الأكل. هذا المعنى هو الذي نريده من الاشتراك في الأموال. إذا ملك رجل مالًا فما يحتاج إليه هو وأهله ومن يتعلق به إلى أقصى ما يتمنون من ذلك، لهم حق التقدم في ذلك، فإذا بقي عندهم شيء بعد قضاء حوائجهم حسب ما يعملون، فيجب عليه إيصاله إلى من قرب من الأقرب فالأقرب إذا كان هو محتاج إليه، فإذا انتشر هذا الروح في جماعة من المسلمين، فكل رجل منهم يكون مستريح البال في قضاء حوائجه ولايكون ذلك مانعًا إياه عن أداء فرضه، بل هو يصرف جميع همته إلى أداء ما وجب عليه من اجتماع المسلمين، لأن الأموال الزائدة في بيوتهم كالأموال الموقوفة، يشترك في منافعها كل المسلمين وتفقد هؤلاء على أرباب الأموال ولذلك منع المسلمون عن السؤال في كل حال إلا بالاضطرار، فإذا لم يكن في يوم في بيت رجل طعام ولم يأته شيء من بيوت المسلمين، وجب عليه أن يصبر ويكون كالصائم ويدعو ربه والله سبحانه يلهم في قلب أولي رجل بالصلاح وإن كان بعيدًا عنه أنه يأتي إلي بهدية أو مثلها، وسيرة جماعة المسلمين في أوائل زمانهم طيبة محمودة معلومة. هذا روح الزكوة، وأما نصابها الذي قرر في كتب الفقه، فمعناه أن الحكومة الإسلامية تتكفل نفقة من احتاج من المسلمين، وإذا أدى المسلمون إلى الحكومة بقدر ذلك، فالحكومة تنوب من المسلمين في أداء هذا الفرض، فإن لم يكن هذا المقدار عند الحكومة فهي تزيد في ذلك من خمس الغنائم والفيء، وإن يكن عنها شيء من ذلك فهي تستحق أن تضرب على المسلمين خراجًا زائدًا عن نصاب الزكوة بعد تشاورهم وأداء الحساب إليهم أن ما أنفقت الحكومة على المساكين، مقداره كذا وما حصل للحكومة من أرباب

الأموال، مقداره كذا وليس عند الحكومة شيء يجبر به هذا النقص، فما تشيرون إيها المسلمون؟ فما زاد على النصاب يجب عليهم بإيجابهم على أنفسهم وتقدير هذا الواجب يتجدد في كل سنة حسب الضرورات فإذا التزم المسلمون أولي الأمر منهم والعامة بتكفل معاش من احتاج من المسلمين صلح أمرهم وأدوا زكوة أموالهم وإلا ففي الآية الثالثة "**إن شانئك هو الأبتر**" القصد منها بيان فوز المسلمين إذا افتقروا في العلم على القرآن ونظموا اجتماعهم باتحاد الفكر باجتماعهم في الصلوات والناس كلهم مجمعون على أن الصلوة لايقرأ فيها شيء سوى القرآن، فإذا جعلوا الصلوة منشأ اتحاد فكرهم فكأنهم جعلوا القرآن حاكمًا عليهم في جميع أمورهم ومن كان عندهم فضل أموالهم، يواسون به من ليس عنده بدون إيجاب وتقدير وترفع وتذليل يكون الخسران على أعدائهم منحصرًا فيهم، لأن أدنى الفوز هو النجاة من الخسران. هذا القدر من العمل يكفل لعدم إتيان الخسران إليهم.

١٣

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

"**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**" القسم عندنا معناه الشهادة بالتمثيل، مثال مطابق مثالًا لايكون أقرب إلى تفهيم المعنى للمبتدئين والأميين، فإذا أدركوا وبعد ذلك إن احتاجوا إلى التفصيل يدركون ذلك بسهولة فالقسم عندنا لايفيد إلا درجة ابتدائية من العلم وكل الدرجات التكميلية يكون مبنيًا على الدرجة الابتدائية فإذا قدرنا في تعليم الدرجة الابتدائية على الصحة والسهولة فتحنا أبواب التكميل باجتهادهم، والمثال الصحيح التام بمثل المعنى بالسهولة والصحة فإذا عبرناه بالقسم وهو طريق التأكيد في لغة العرب نبهناه على صحته وسهولته.فهذه السورة تؤسس أساسًا هو كالأصول الموضوعة في تعليم القرآن والإيمان بالله إذا لم يكن في أحد فالقرآن لابعده إنسانًا وإذا لم يقترن الإيمان بالله بالإيمان بالدار الآخرة لايعد كاملًا وصحيحًا فالناس إذا قرؤوا القرآن ورأوا أن معيار الإنسانية هو الإيمان بالله والإيمان بالآخرة، وكثير من الصور الإنسانية خالية عنهما فيحتاجون إلى تنبيه يفهمون به لزومهما للإنسانية ولو بالدرجة الابتدائية لأن تكميل الدرجات إنما يكون بعد فهم الإنسانية بكمالها فهذا لايكون إلا في آخر الدرجات فالتنبيه على بعض الحقائق بالأمثلة ضروري في الدرجات الابتدائية بحكم ما لايدرك كله لايترك كله.

فصل

وحاصل بيان هذه السورة يرجع إلى تقويم الحقيقة الإنسانية من أركانها، واقتضاء تلك الأركان الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر فمن سلم الإنسانية على هذا المثال الذي نذكره، لابد له من أن يسلم أن هذا من لوازم الإنسانية وأما البحث بتلك الأركان كاملًا، فيحتاج إلى درجة أخرى والأقسام الأربعة شهادة على "**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**" والتقويم معناه التركيب، فهذه الشهادات الأربعة كأنها إشارة إلى الأركان الأربعة لهذا التركيب، فالتين إشارة إلى الجسم الإنساني أي شيء صغير ومنافعه كثيرة ليس مثل الجبال ولامثل الفيول ونفعه أكمل منهما، فكان مثل التين ثمرة صغيرة لكن منافعه: منافع الأغذية والأدوية فيه كثيرة. الزيتون معروف باشتماله على الزيت، دهن نفيس يستعمل في الأكل والتسريج وهو سارٍ في أجزاء الزيتون في كل جزء منه، فالنسمة الإنسانية الجزء الثاني من الإنسانية سريانها في بدن الإنسان مثل سريان الزيت في الزيتون، وتلك النسمة شيء مبارك مثل زيت الزيتون.

جملة معترضة

الشخص الأكبر وهو عندنا اسم العالم كله مرتب على عوالم مختلفة، فالعالم الأول منها نسميه بالعالم الملكوتي والثاني منها حول الأول نسميه بالعالم الروحاني، والثالث منها حوله نسميه بعالم المثال والرابع حوله نسميه بعالم الجسمانيات. هؤلاء العوالم متوازية فإذا قضى الله شيئًا في العالم الإلهي، يكون هذا القضاء نازلًا إلى العوالم كلها على حسب استعدادها مثل ما نجعل نحن تحت الورقة الناقلة إلى أربعة

أوراق نكتب على الورق الفوقاني الأول شيئا منتقل إلى الأوراق الباقية حسب استعدادها تحت مقدمة واحدة من المعترضة.

الجملة الثانية من هذه المعترضة

إذا قضى الله في العالم الإلهي بإنسان ينتقل إلى العالم الروحاني، ثم إلى العالم المثال، ثم إلى العالم الجسماني فصورته في عالم الأجسام نسميها بالبدن، وصورته في عالم المثال نسميها بالجن، وهذا يكون قرين الإنسان، وصورته في العالم الروحاني نسميها النفس الناطقة، وصورته في عالم الملكوت نسميها روحًا ملكوتيًا تحت المقدمة الثانية من المعترضة ونرجع إلى التفسير.

سراية النسمة في بدن الإنسان مثل سراية الزيت في الزيتون وهذه النسمة تكون خليفة القرين الذي سميناه بالجن، فالجن موجود مستقل في عالم المثال وكثرة الجِنة تكون مثل كثرة أفراد الإنسان في عالم الإنسانية وإذا انتقل أثر هذه الجن إلى قوة جسمية مخلوفة في البدن وامتزج معه فتلك القوة نسميها بالنسمة و هي خليفة الجن في بدن الإنسان والقرين دائمًا يمده.

نبحث ههنا عن المقدمتين: المقدمة الأولى وطور سينين. الله سبحانه وتعالى تجلى في قلب إمام النوع الإنساني الذي نسميه بالإنسان الكبير والنفس الناطقة كل إنسان تكون عكسًا من عكوس ذلك الإمام. الفيوض التي حصلت لإمام النوع بعد قيام التجلي تنقسم إلى نوعين: الحكومة فيكون منبعها القوة العازمة المستقرة في القلب والمحبة. والفناء والاضمحلال في الحب للتجلي ويكون منبعها القوة المدركة المتعلقة بالدماغ.

المقدمة الثانية أنبياء الله نسبتهم مع الله أن يكون نسبة الحكومة، يكونون إمام التشريع الإلهي، قلوبهم عالية على جميع من عداهم، فإذا اتصلوا بالتجلي الإلهي يكونون سبب إيصال حكم الله إلى جميع الناس وإمامهم موسى عليه السلام والطائفة الثانية من الأنبياء يكون مرجعهم إلى المحبة والخلة وإمامهم إبراهيم. تمت المقدمة الثانية.

نبحث عن الأمر الثالث. طور سينين إشارة إلى اشتمال النفس الناطقة الإنسانية على آثار التجلي ظهر لموسى في الطور. "**والبلد الأمين.**" إشارة إلى اشتمال الجزء الروحي الملكوتي في الإنسان الذي ينضم إلى النفس الناطقة ويصيران كشيء واحد إلى اشتمال هذا الجزء على آثار الخلة الإلهية التي من آثار البيت الذي بناه إبراهيم خليل الله، فإذا قلنا إن هذه الأقسام الأربعة إشارة إلى عناصر الإنسانية، والتين إلى البدن، والزيتون إلى النسمة، وطور سينين إلى اشتمال النفس الناطقة بآثار التجلي الإلهي. "**وهذا البلد الأمين**" إلى اشتمال الروح الملكوتي عند عامة أهل النظر وإشارتنا على أن البدن يشتمل على شيئين والروح على شيئين بتركيب هذه العناصر الأربعة يخرج الإنسان إلى عالم الوجود. إذا عرف وراعى الإنسان بترتب أجزاء الإنسان وعرف ترتب أجزاء العالم أولًا يحكم بأنه على أحسن تقويم. العالم كله ترتيبه حسن لايختلف فيه أحد إذا كان في الإنسان رعاية ذلك الترتيب بمعيار صغير يحكم عليه

بأنه على أحسن التقويم. هذه مقدمة واحدة ننبه عليها في التعليم الابتدائي بالأمثلة. "**ثم رددناه أسفل السافلين**". المركب محتاج إلى أجزائه فإذا كانت أجزاءه خلاصة العالم كله فكأنه محتاج إلى كل أجزاء العالم ولايكون مخلوق لا من الملائكة ولا من الجن ولا من الحيوانات إلا محتاجًا إلى جزء من أجزاء العالم وإذا عرفنا أن المحتاج أسفل من المحتاج إليه فإذا كان مخلوق من مخلوقات الله محتاجًا إلى جزء من أجزاء العالم، كان كل مخلوق من السافلين، ثم رأينا الإنسان محتاجًا إلى جميع أجزاء العالم، فلايكون أسفل سافلين ولتفهم قول سعدي لبيان تلك الحقيقة: آنانكه غنى تر اند محتاج تر اند. فهذا الرد إلى أسفل السافلين هو اقتضاء طبيعته وفطرته فإن توجه إنسان بقوته المخلوقة فيه إلى تحصيل ما احتاج إليه من أجزاء العالم، أتعب نفسه ولم يحصل له مقدار يعتد به إلا بطريق مخصوص يفوز بالمطلب. هذه الأوصاف الروحانية والملكوتية كانت لها تعلق ما بالتجلي الإلهي، فالتوجه إلى التجلي الإلهي بواسطتها وما يترشح عليه من التجلي يجعله إيمانه ويعمل على تكميله فقط (ويهم لتكميله فقط) يحصل له جميع أجزاء العالم بدون تعب، لأن أمر التجلي نافذ في كل جزء جزء منه فقط، فالخروج من حالة أسفل ليس له سبيل إلا الإيمان بالله والعمل بالصالحات إلى آخر ما جاء في سورة العصر. فهذا معنى قوله "**إلا الذين آمنوا**". الأجر معناه تبديل صورة عمله والارتقاء في هذه الأجزاء الروحانية والملكوتية لاينتهي إلى حد فأعماله يكون لها أجر غير متناهٍ إذا كان مؤمنًا بالله ويكون في أسفل سافلين ولايخرج من هذه الحالة إذا لم يؤمن، فلما كان الخروج من حالة أسفل سافلين من مقتضى الصورة الإنسانية وفطرتها، كان الإيمان بالله ألزم شيء لها، ومقتضى فطرتها. يظهر بذلك ما أراده القرآن. الرجل الذي لايؤمن بالله ليس من الإنسانية في شيء وهو يجهل نفسه ويجهل مقتضى نفسه فكيف يكون إنسانًا هو حيوان في صورة الإنسان. "**فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ**" الدين معناه الإنصاف. يوم الدين يوم الإنصاف الإلهي. خلق الله الإنسانية وكل أحد فيه أنانية تدعي حقوقًا لنفسه. إذا كان إنسان ذا عقل، ذا تجربة، ذا اجتماع والإنسان في اجتماعه يجمع طبقات مختلفة غاية الاختلاف يظلمهم بعضهم بعضًا، والله بفطرة الإنسان علمه التحاكم إلى القضاة لفصل الخصومات، وبذلك تنتظم اجتماعيتهم وترتقي، والإنسان يعرف بطبيعته أن هذا الإنسان ليس تامًا في إيصال الحقوق وبعض الناس يكون مظلومًا ولايقدر على أن يأتي إلى القضاة وبعض القضاة يظلمون بأخذ الرشوة أو لعناد مع بعضهم وبعض القضاة لايفهمون حقيقة الأمر وإن اجتهدوا كل الاجتهاد لتلبيس المتخاصمين وإن كانوا يريدون إيصال الحق لكن لايقدرون على ذلك، وإذا كانت الإنسانية ورجوعها إلى إمامهم يجمعهم في مستوى واحد فلايترافع القضايا إلا إلى الله الحق من كان مظلومًا، لأن اجتماعهم هذا يقتضي استوائهم في الحقوق، فما كان من اعوجاج في حياتهم الدنيا، لازم أن يصلح ذلك. هذه مقتضى الصورة النوعية الإنسانية. إذا تقرر هذا فلاينكر بيوم الدين إنسان ويجعل إقراره بيوم الدين من اقتضاء تكميل الصورة النوعية، فإذا كان الإنسان الاجتماعي يعترف بطول الحياة الإنسانية ويعترف بمروره من طبقات إلى طبقات أخرى لاشتمالها على الأجزاء المختلفة لازم إلحاق كل

عنصر بمقره، وهذا يقتضي مرور الإنسانية من جميع الطبقات فيعترف هذا الإنسان أن الإنسانية تقتضي تسوية حقوق أفرادها فيما بينهم. هذا الذي تكلمنا يقرر للمتعلمين في الدرجة العالية. أما في الدرجات الابتدائية نأتي بمثال يشير إلى ذلك، وهل الإنسان إذا كان مظلومًا لايقتضي المرافعة إلى القاضي الأعلى، فإذا كان هذا مقتضى الإنسانية وترون في الاجتماع يبقى ويدوم الظلم في الإنسانية، أفينكر يوم الدين الذي يكون فيه المرافعة إلى الله الحق، أليس هو يستحق الحكم على الحاكمين. **وهو أحكم الحاكمين فما يكذبك بعد بالدين**. إذا فهمت أجزاء حقيقتك وعلمت أن تحصيل ضرورياتك لايمكن بدون الاعتماد على الله فليس من الضروريات المرافعة لدفع الظلم، فأي شيء يكون باعثًا لك على تكذيبك بيوم الدين يوم الإنصاف رد كل مظلمة. **"أليس الله بأحكم الحاكمين"** فالإنسان لايكون إنسانًا إلا إذا كان مؤمنًا بالله واليوم الآخر.

١٦

سورة العاديات[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

أكثر المفسرين يزعمون أن القسم إنما يأتي بالأشياء المتبركة المعظمة فاختلف آرائهم في تفسير السورة. قال بعضهم إنها قسم بخيل الغزاة، والسورة مكية فاستشكلت عليهم فأوّلها البعض بأن الأية إشارة إلى أن الغزاة يكونون فيما بعد. وقال البعض إنها أهل العرفات وخيلهم وهذا لاينطبق فإن المغيرات صبحًا لاتكون في أهل العرفات وعندنا ليس المراد الأشياء المبتركة المقدسة بل خيول المنتبهين المغبرين الذين يعرفها العرب بطبيعتهم ويعرف خاصيتها فالرجال إذا أرادوا أن يغيروا، لايغيرون على من يقرب منهم، بل يركبون الخيل ويمشون طول الليل و وقت الصباح يكون وقت الإغارة، فتلك الخيول شاهدات على كون الإنسان كنودًا لربه، لأنه أولا يكون منها العدو ويؤثر على نفوسهم على أنفاسهم ذلك العدو ويخرج منها صورة الضبح، والطريق يكون فيه الجبال، فنعالها يخرج النار، لكنهم يستمرون في العدو مع كون الطريق وعرًا حتى يصلون وقت الصباح إلى محل الإغارة، فيشتدون ويثيرون النقع يسترون بذلك صورة راكبهم فيهجمن وسط جمع الأعداء. تلك الأعمال من الخيول إنما تصدر لأن راكبها هيأ لها ما يأكل ويشرب، ليس للراكب إحسان إلا هذا، والخيل يجازي ذلك الإنسان بتلك المشقات التي تعتري عليها، فلينظر الإنسان إلى ما أنعم الله عليه وإلى ما يعمل هو لله ويقيسه بمحنة هذه الخيول تشهد

١- في هذه السورة بيان أمور تشخيص مرض الكنودية. بيانه في قوله **إن الإنسان لربه لكنود**. هذا جواب القسم. الشاهد عليه بيانه في قوله والعاديات ضبحًا الخ هذا المقسم به وإنه على ذلك لشهيد. قال شاه ولي الله في ترجمته:وهر آئينه آدمى برناسپاس خود مطلع است. قال شاه عبد القادر في ترجمة : اور وه ىه كام سامنے ديكهتا ہے-كل مؤمن فعلى المؤمن أن لايدخل فيه غيره تعالى. وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم. سورة الصافات: وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .سورة الشعراء. مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ. سورة ق. لما كان القلب بيت الله فعلى المؤمن أن لايدخل فيه غيره تعالى. اعلم المحبة أقسام يحب الإنسان ابنه وغيره لكن المحبة المفرطة التي يعبر عنها بالعشق لاتكون إلا بالواحد لاتسع مدة العمران لفلان معشوقين فعلى المؤمن أن لايدخل في قلبه المحبة المفرطة إلا لله تعالى لأنه هو المحبوب الحقيقي وفي الدرجة الثانية بعد محبة الله تعالى محبة النبي ﷺ فهو أحب من ما سوى الله تعالى. قال عليه السلام لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده. (البخاري ج١، ص ٧) لأنه ذريعة الوصول إلى الله مثلا من تضمن لمجنون لوصال ليلى فهو أحب إليه من والده يدل عليه عدم تسليم قوله عند الدعاء لأخراج محبة ليلى من قلبه وهو لايجترئ على عدم تسليم قول الذي تضمن له لوصال ليلى فإدخال أحد في القلب (بيت الله) شرك مثل وضع الأصنام في بيت الله مثل قريش مكة. إذا علمت هذا فاعلم أن الذي دخل في قلبه محنة المال المفرطة كيف يتوجه إلى شكره تعالى لأن محبوبه مال أجله في علمه وليس كل وقت في تحصيله مثل طلب مجنون لليلى فلا محالة يكون كنودًا لربه.

الخيول إن الإنسان في لربه لكنود، وهذا نظرًا إلى هذا القسم والمثال الذي هو كالدليل لكون الإنسان لربه لكنود. هل يقدر الإنسان أن ينكر ذلك، أي إنسان كان فإنه لذلك لشهيد بعد أن ينظر لحال الخيول.

هذا نموذج ظهور المطلب على طريق القسم. إيضاح هذا المقصد بتلك الدرجة يعترف الإنسان بصحة مشكل غايته الإشكال وإن جئنا بألف دليل لكن بعد استشهاد بتلك الأمثلة هو يشهد على نفسه ولايقدر على الإنكار. "**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**" هل كونه كنودًا لربه كان بسبب عدم قدرة الإنسان على أداء حق الرب. ليس ذلك بل هو أنه رأى منفعة مالية يشتد في تحصيله. وإنه لحب الخير يشتد فكونه كنودًا لربه كان جرمًا يعتمده. ثم هل يعترف بكونه شديد الحب للخير حتى يتم عليه الحجة بالبداهة عند عامة الناس لايعترف بذلك يأتي بالمعاذير "**أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ**" أي يظهر هذا الأمر كل واحد أنه كان كنودًا مع حبه للخير لشدة يعني في وقت البعث يفهمه عامة الناس فليعرف الإنسان أن ربهم يومئذٍ لخير. يوم ينكرون ويخفون يعرف. جعل المفسرون كلمة **يومئذٍ** يوم القيامة عجيب كأن الله أيضًا يحتاج إلى أن يقوم من القبور فتلك السورة أصل من أصول الفطرة الإنسانية. هذا مختص بمن يعترف بربوبية الرب ويظهر للناس أنه متدينين فصورة التدين لاقيمة لها إذا لم يكن فيها روح.

١٥

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

"**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**" الخ الإنسان إذا اشتغل بالأعمال لتحصيل مقصد، فعادة عامة الإنسان أنهم يكثرون الأعمال ولاينظرون إلى معناها وحسنها، فالرجل المشتغل مثلًا بالشرعيات يقرأ كتبًا كثيرة أو يصلي النوافل كثيرًا وغيرها. هذا أمر منكر عند الله، ليس بمحبوب إذا كان خاليًا عن تحصيل ملكة الإحسان أو تحصيل علم اليقين. "**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**" أي التكاثر في الأعمال بابتغاء ظاهر صورتها. "**حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**" يعني حصل لكم الموت إلى آخر الموت وبعد الموت ينكشف عليكم أن الذي عملتم لاينفعكم كثيرًا بل كان لازمًا أن تحصلوا شيئًا من اليقين بمسائل تتعلق بالفطرة الإنسانية فترون أن تلك الأعمال تنتج نتائج تكون كالنار، فإن كنتم اشتغلتم في حياتكم بتحصيل مثل ذلك اليقين كان أنفع لكم. "**كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ**" فالجحيم ليس إلا نتيجة أعمالكم وصورة من صورها، فكنتم ترونها في حياتكم الدنيا بنظركم ورؤيتكم تحت الستر تحت الحجاب والموت كان دافعًا لذلك الحجاب، هذا معنى قوله "**لترونها عين اليقين. ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم**" فسره بعض أهل بيت النبوة بالقرآن والنبي يعني طريق تحصيل اليقين كانت حاصلة لكم لو قرأتم القرآن باتباع نبيكم، فزتم بالمقصد أنكم قرأتم الكثير وتمسكتم بالألفاظ كأنكم لاتستفيدون بذلك النعم التي[١] أنعم الله عليكم. لو كان ذلك، لكنتم تدبرتم في المعاني والانقلابات التي أتت على الإنسانية، كان استفادتكم شيئًا آخر فنفعكم في الحياة الأخروية كثير نفع. جاء في بعض الروايات الصحيحة أن أصحاب النبي كانوا معه في المدينة وأكلوا طعامًا يحتاجون إليه وشربوا الماء البارد فقال النبي هذا من النعيم الذي تسئلون عنه.[٢] عندنا معنى هذا الحديث أن الاستفادة من صحبة النبي كانت واجبًا عليكم متحتمة وأن لم يحصل لكم مثل ذلك الطعام والشراب، فإذا حصل لكم ذلك أيضًا فالتقصير في الاستفادة يسئل عنه باستيفاء حق هذه النعم. النعمة الشراب والطعام يعني هذه النعمة كانت توجب عليكم أن تستفيدوا من صحبة النبي بالاجتهاد البليغ. مثل ذلك طالب العلم إذا كان فارغًا من حوائج المعاش من جهة إرادة المدرسة ثم هو قصر في طلب العلم يسئل عن النفقات التي أنفقها، لِمَ أضاعها، فليس الغرض هنا الإشارة إلى قيمة النفقات، بل التنبيه في قصوره في تحصيل العلم تقصيرًا بينا، فهذه السورة أيضًا تشير إلى أصل من أصول التعليم.

---

[١]- في الأصل الذي، والصواب التي.

[٢]- مثل هذه الآثار قد أخرجها ابن كثير في تفسيره. لينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر كثير، **تفسير القرآن العظيم**(بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ء)، ٨: ٤٧٥.

١٦

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

"**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ.وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**" الرجل المنكر يوم الجزاء إذا كان يدعّ اليتيم ولايحضّ على طعام المسكين، فهذا الفعل وإن كان منكرًا لكن له وجه أنه لايعترف بدار الآخرة، فكيف يصرف ما اكتسبه في الدنيا إلى رجال لاتأتي منهم إليه فائدة؟ مثل هذا الفكر يدل على شدة غباوة هذا الرجل لكن في الجملة يعذر يعني هو بالقصد لايجرح الإنسانية. تقيسون مع هذا حال رجل يُظهر أنه مؤمن بالله وباليوم الآخر، بل هو يعمل أعمالًا حسب ذلك الإيمان وهو يصلي فإذا كان هذا الرجل يمنع عن الماعون، الأشياء التي تستعمل وترد لايكون باستعمالها نقصان راجع إليه، فهذا الرجل جعل الإيمان والصلوة لاينفعان الإنسان في الاجتماعية بأدنى نفع، وهذا ليس مراد الله ورسوله، فالصلوة لازم معها الإنفاق على رجال لايكونون على مسلكه لابأس بذلك لكن حسب الاشتراك في الاجتماعية هو مقتضى الصلوة ولذلك حارب أبو بكر من فرّق بين الصلوة والزكوة، فالرجل الذي يصلي كأنه متدين إلى غاية الدرجة ويمنع الماعون يدخل فيهم. هذا معنى قوله "**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ .الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ.وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ.**" وهذا الاعتراض إنما هو لبيان الحقيقة أن الصلوة لايقتضي ذلك إلا أن هؤلاء غافلون عن صلاتهم؛ لذلك يعملون مثل تلك الأعمال. هم لايصلون إلا لرياء الناس وإلا فحقيقة الصلوة لايمكن أن تنفكّ عن الزكوة وعن الإنفاق. حاصل هذه السورة أن غير المتدين المكذب بيوم الدين إذا لم ينفق، يكون الاعتراض عليه مرة واحدة والمتدين المصلي إذا لم ينفق يعترض عليه إلى حد لايمكن تصوره في هذه الدنيا.

١٧

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

"**قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ الخ**" هذه سورة الإنذار بالحرب والسورة مكية. انتظمت في مكة جماعتان: جماعة مؤمنة بالقرآن أقامت حكومة اجتماعية فيما بينها لايعملون عملًا إلا تحت أمر إمامهم. هذا هو معنى الحكومة لكن ليس معها العسكرية ولذلك سميناها حكومة اجتماعية، مثل ذلك جربناها في اتباع مشايخ الطريقة في بلادنا يتبعون مشايخهم مثل الحكومة يؤدون الخراج ويرفعون الخصومات كلها إلى المشايخ ويتبعونهم في كل ما أمروهم به، والحكومة العسكرية عليهم للإنكليز موجودة، فمثل تلك الحكومة الاجتماعية كانت منتظمة في مكة لجماعة المسلمين وكانت القبائل حول مكة مثل أسلم وغفار وجهينة أيضًا داخلة في تلك الحكومة. الإمام ولي الله أشار إلى انتظام الحكومة في **فتح الرحمن** في آخر سورة الرعد وفصلها في **فيوض الحرمين** ونحن إذا دخلنا في سياسات العصر عرفنا أن سوسيلزم مطمح نظره إقامة حكومة مثل الحكومة تأسفًا على كثير من المصفين المسلمين أنهم لايعرفون مثل تلك الحكومة ولايعترفون بها فرأيناهم محرومين عن فهم كثير من الحكمة في الأحكام الشرعية، وهم وصلوا إلى درجة عالية في زمان خلافة كبرى للمسلمين فالمسلمون يقلدونهم وليس عندهم إلا نظرية الحكومة العسكرية فكانت سببًا عظيمًا في تأخيرهم المسلمين في اجتماعياتهم. أنا بحمد الله صحبت مشايخ الطريقة الذين ينظمون أتباعهم في إقامة أمر الجهاد فانتظمت منهم حكومة اجتماعية بدون شعور منهم ثم اشتغلت بحمكة الشاه ولي الله فحصل لي علم بمزية هذا النوع من الحكومة أيضًا، لكن أعترف جهرًا أني ما أدركت حقيقة تلك الحكومة وفوائدها إلا بعد ما اطلعت على كتب سوسياليست، فالآن بحمد الله أنا قادر على تبديل صورة الاجتماعية الإسلامية موافقًا على ما قرره أهل النظر في ذلك العصر ويكون حكم القرآن محفوظًا فيها مئة في مئة. وأرد تقليدات السلاطين والعلماء الذين حكموا في الإسلام من مأة السنين وهذا ليس ببركة. إني ما أخذت أصل هذا العلم إلا من رجل حكيم إمام في الإسلام، وأعرف من طبيعتي لو وصلت إلى تلك الحقيقة بواسطة رجل ينكر الإسلام ويرد عليه، ما كنت بعد ذلك قادرًا على تطبيق الإسلام على تلك النظرية. فهذه الجماعة المؤمنة المنتظمة في مكة المعظمة بجنسها جماعة منظمة، وأخرى عدو لها معاندة لكل ما يستحسنها الجماعة المؤمنة، اسم تلك الجماعة في القرآن الكافرون. هم إذا رجعوا إلى وجدانهم وتأملوا في تلك الجماعة المؤمنة، وجدوها موافقة لطبيعتهم، لكن ثروتهم وسلطانهم التي حصلت لهم بتقاليد الأوضاع القديمة، لم تكن محفوظة في النظام الجديد، وهم قد اعتادوا حياة يجدون

الموت ألذّ إليهم من التغيير في حياتهم، فلذلك عاندوا الجماعة المؤمنة [١]، فالقرآن العظيم سماهم بالكافرين كأنهم يسترون ما عندهم من العلم فمعنى هذه السورة الآن ليس بيني وبينكم اتحاد. "**لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**" فكما أن الاتحاد بيننا وبينكم منتفٍ في الحال كذلك نحن عازمون مصممون على عدم الاتحاد في المستقبل. هذا معنى قوله "**وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ**" فبيننا وبينكم الاشتراك لايمكن فنقطع علاقات المواصلات "**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**" هذا قطع المواصلات كان إنذارًا بالحرب. قوم واحد ساكنون في بلدة واحدة، مباديهم مختلفة نشأ فيهم حزبان مباديهم مختلفة لايمكن الجمع بينهما وليفهم بعد ذلك ماذا يكون. السورة مشعرة بالإنذار وفسروها على عكس ذلك و جعلوها منسوخة بأحكام الجهاد، فيعرف بذلك ذهنية تلك الأكابر كيف كانوا يفهمون الجهاد وتدبروا في تطبيق آيات القرآن بعضها ببعض، وكثير من الجاهلين يتوقعون الإسلام بتفسيرهم هذا يكون حاكمًا على الأرض كلها، وهذا ليس إلا مثل ما كانت اليهود، ابتلوا بالأماني.[٢]

١- قد استخدمت في تفسير هذه السورة صيغ المضارع تعبيرًا عما مضى أكثر من مرة، ولكنها لم تكن تناسب لتصوير الأمر، فبدلتها بالماضي لتكون العبارة ملائمة للغرض المقصود، فمثلا كان في الأصل هناك يعاندون.

٢- لم يقل جمهور المفسرين بنسخ الآية الأخيرة من هذه السورة. قد ذكر الشوكاني هذا الموقف بصيغة التمريض، وذكر موقفًا آخر بأنها ليست بمنسوخة لأنها من قبيل الأخبار، والأخبار لايدخلها النسخ. (لينظر: محمد بن علي الشوكاني اليمني، **فتح القدير**(بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ)، ٥: ٦٢١.)

١٨

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

"**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**" اقتران السورتين في ترتيب المصحف يشير إلى أن هذا الإنذار كان فتح مكة. بعد هذا الإنذار استمر المسلمون في الأعمال حتى جاءهم الله بالفتح، وفتح مكة كان فتح الجماعة المؤمنة على الكافرة في سياستهم لأن مكة المعظمة كان كدار السلطنة، فسياسة الكفار صارت منهزمة بعد فتح مكة ودخل العرب في الإسلام فآخر آية "**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**" يشير إلى قرب وفاة النبي ﷺ فكأنه تم ما كان بعث لأجله. هذا يكون مثل الحديث ألا إن في الجسد مضغة[١] الخ فالحجاز كان قلب العرب وجعلها النبي ﷺ مستقر الإسلام وبعد ذلك عمل أصحابه الذين تعلموا الطريق منه ليثبت للناس أن سبب النجاح هو تعليم النبي ﷺ القرآن والعمل به، لا ذاته المكرمة، فأصحابه كانوا يعملون على تعليمه وعلى طريقه، فكانوا يقدرون على بسط الهداية التي كانت في القلب إلى تمام الجسد. ونزيد مرة أخرى حكاية كلمة الشيخ ولي الله أن الأولين من المهاجرين والأنصار كانوا سبب دخول قريش ومن حولهم في الإسلام، هذه الدرجة كلها مخصوصة بذات النبي ﷺ. تعليم المهاجرين والأنصار وتأليفهم حتى فتحوا مكة، فدخلت قريش في الإسلام ومن والاها من قبائل العرب، هذا الأمر كله كان بسعي النبي ﷺ إنما بعث لإقامة هذا الأمر. قال الشيخ ثم فتح الله على أيدي هؤلاء العراق والشام ثم فتح الله على أيدي هؤلاء الفرس والروم، ثم فتح الله على أيدي هؤلاء الهند والترك والسودان، فالنفع الذي يترتب على ذلك يتزيد حينًا فحينًا وصار بمنزلة الأوقاف والرباطات والصدقات الجارية. كان في كلام الشيخ كلمة الجهاد بدلناها ذلك.والباقي على حروفه.

١- **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم: ٥٢؛ **صحيح مسلم**، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال و ترك الشبهات، رقم: ١٥٩٩.

١٩

سورة اللهب

بسم الله الرحمن الرحيم

تأملنا في ترتيب هذه السور في المصحف، فحصل لنا فكر نريد أن نبينه. تفسير الآيات في ضمنها يأتي الفتح السياسي إذا حصل لجماعة على جماعة، فإن بقي للمنهزمين قوة اقتصادية قائمة على حالها، فهم يقدرون على مقاومة الفاتحين مرة ثانية. أما إذا بطل اقتصادهم أيضًا وتبدلت اجتماعياتهم،لايقدرون على أن يقوموا بمخالفة الفاتحين إلا بالمشقات الطويلة العريضة، فالمسلمون كما غلبوا على مركز سياسات الكافرين في مكة وفتحوها وكان ذلك في سورة النصر، كذلك هم غلبوا على اقتصاديات المشركين واجتماعيتهم وهو المراد من سورة اللهب. أبو لهب كان رجلا اجتماعيًا اقتصاديًا. **"مَا أَغْنَى عَنْهُ"** الخ اقتصادياته بطلت والاقتصاديات تنشأ تحت الاجتماعية. **"سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ"**. تشير إلى إبطال اجتماعيتهم أيضًا. النبي ﷺ أنذر قريشًا وقام على الصفا وقال لهم لو أني أحدثكم أن جندًا تأتي من وراء هذا الجبل، الجبل الذي مقابل الصفا، ما تقولون بي؟ قال كلهم صدقت فأخبرهم أنه يأتي لهم عذاب شديد.[١] تلك ألفاظ مروية، وفهمنا منها أن النبي ﷺ يأتي لهم بجند من وراء هذا الجبل، وكان النبي ﷺ انكشفت عليه واقعة الفتح، فأنكر ذلك أبو لهب، فنزلت تلك السورة، ففهم منها أبو لهب ما كان من رؤساء العسكر، وكان صاحب المال وصاحب الأولاد وكان له نوع سياسة في تنظيم المسجد الحرام، فالذي نزل ردًا عليه، كان له إعلام بأن تتفرس أنك تفخر على العسكر، ولا حق لك في ذلك، فإنه يجرّك إلى ما تصير أنت. هذا الاقتصاد والاجتماع الذي تفتخر به يكون مفتوحًا أيضًا مستهلكًا، فليس في ذلك سب مقابل سبه. أبولهب من عائلة النبي ﷺ وعمه، فتسمية ذلك لايحصل منه ضرر، ولوكان هو من غير عائلته، فظن أن التسمية ما نزل بها القرآن، فإن ذلك يكون سبب تنفر أولاد ذلك الرجل وعائلته وقومه أبد الدهر، لكن لما كان هو عم النبي ﷺ فلايخاف منه شيء بل يكون فيه إظهار أن النبي ﷺ لايريد إلا نصرة الحق لا نصرة نفسه وبنيه. رفيقنا الشيخ عبد الحميد[٢] أراد أن يجعل أبا لهب فرعون هذه الأمة، وبسبب ذلك صرح باسمه عنده وعندنا لانسبة لأبي لهب بفرعون بوجه ما. فراعنة النبي ﷺ كسرى وقيصر وإن كان في قومه رجل على طريقتهم، فأبوجهل يستحق مجازًا أن يسمى فرعون هذه الأمة، لأنه سيد هذا الوادي وأبو الحكم، فرأينا عجيبًا أن النبي ﷺ يأخذ البيعة من

---

[١]- لينظر: محمد بن رزق بن طرهوني، **صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية**(القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٤هـ)، ٢: ٩٧.

[٢]- لعل المراد منه الأستاذ المحقق في علوم القرآن و التفسير الشيخ عبد الحميد الفراهي صاحب تفسير نظام القرآن، والذي أطنب في بيان عداوة أبي لهب للنبي في تفسير سورة اللهب. (لينظر: عبد الحميد الفراهي، **تفسير نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان**(أعظم كره الهند: الدائرة الحميدية، ٢٠٠٨ء)، ٥٧٩ ومابعد.

قريش يوم فتح مكة ويقوم على الصفا، المقام الذي قام عليه بالإنذار وحفظ من دعاء النبي على الصفا. الحمد لله الذي صدقنا وعده و نصر عبده وهزم الأحزاب وحده، فعلمنا أن إتيان هذه العسكر من وراء هذا الجبل كان موعودًا له ﷺ . إذا تدبر الرجل في سيرة النبي ﷺ أحسن التدبر، لايجد يد النبي ﷺ لها مدخل كبير، كأنه يد الله يفعل ما يشاء وهو علّم النبي كيف يعمل.

٢٠

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

"**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**" القوم إذا انكسرت اقتصادياته واجتماعياته، لايقدر على أن يقوم مرة ثانية في مدة متقاربة بالسهولة. أما بعد جهد جهيد ومرور الدهور، مقدّر أن القوم إذا كانت فلسفته العقلية التي كان بناء الاجتماع والاقتصاد ما بطلت وبقيت على حالها، فهي تعلّم أولادها تلك النظريات، فيحصل له بعد زمان الاجتماع والاقتصاد ويقوم لانتصاره وأخذ ثأره من أعدائه. أما إذا بطلت فلسفتهم العقلية أيضًا وغلبت فلسفة الفاتحين على فلسفتهم وغيرت ذهنيتهم، فلايرجى منهم القيام مرة ثانية، فالإسلام وتعليم القرآن كما فتحا قوة الكافرين السياسية ثم فتحا قوتهم الاقتصادية والاجتماعية، كذلك فَتحا على فكرهم أيضًا وغلب على ذهنيتهم فلسفة الإسلام والقرآن.

وهذه السور الثلاث: الإخلاص والمعوذتين عندي بيان فلسفة الإسلام، وإذا كان فتح الإسلام على ذهنية أهل الكفر تامًا، ما بقيت حاجة إلى نزول الأحكام من الله بعد ذلك. في ترتيب المصحف جعلت هذه الثلاث في آخر المصحف.

الحركة الفكرية الإنسانية–الفلسفة ما معناها– فعين مركز أو نظم الأفكار المختلفة هو له كالدائرة فيذهب التعارض الذي يرى في ظاهر الأفكار ويقر محله كنقطة واحدة بعد أن تعينت كالدائرة الواحدة، فالأفكار الإسلامية مركزها هو توحيد الرب فقط، وهذا معنى سورة الإخلاص، فبيان التوحيد مثل ذلك كأنه لايوجد في كتب الديانات كلها وإن كانت آية الكرسي أكثر إيضاحًا للطبقة الراقية من المتدينين. أما هذه السورة فمراعاتها لذهن أوساط الناس وبيان التوحيد كأنه لانظير له.[1] هذا هو مركز الأفكار الإسلامية. فرغنا بذلك من تعيين جزء من أجزاء الفلسفة.

---

[1]- يقول الشيخ السندي في كتابه **قرآنی شعورِ انقلاب** إن في هذه السورة البليغة رد على أربعة أنواع الضلال، وهي : الثنوية (التي كانت عند الفرس القدامى والشفاعة المطلقة والابنية والوثنية، فبهذا الاعتبار يمكن أن نقول إن هذه السورة كما أنها تراعي لذهن أوساط الناس فإنها أيضًا تثبت أمر التوحيد على المستوى العالي. (لينظر: عبيد الله السندي، **قرآنی شعورِ انقلاب**، جمعه و رتبه، بشير أحمد لدهيانوي و خدا بخش، راجعه، عبد الغني القاسمي (لاهور: مكي دار الكتب، ١٩٩٩ء)، ٢٧١.

٢١

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

"**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**" الخ هذه السورة من أشكل السور كانت على تنسيق آياتها. قرأت تفسير الفتح العزيز للإمام عبد العزيز الدهلوي وما شفاني، ثم رأيت شيخ شيخنا محمد قاسم النانوتوي. إنه سئل عن تفسير المعوذتين فكتب جوابه ولما قرأتها انشرح صدري.[١]

بعد ما فرغنا من تنسيق الآيات نقول على طريقتنا أنه محيط دائرة مركزها سورة الإخلاص والتوحيد وتنظم حولها جميع المخلوقات.

حكمة أخرى

الأشياء ننظر إليها بوجهين نستفيد منها فائدة أو نحفظ أنفسنا من ضررها، فالحكيم لاينظر إلا إلى أقل الأشياء لايتعدى فكره من أقل الأشياء فالتحفظ من الضرر هو ما أعظم الفوائد عند الحكيم، لأن الفوائد التي ترتجى منها إن لم تحصل فلايحصل ضرر فكانت كالمندوب والمستحب فنجمع المخلوقات كلها حول توحيد الرب باعتبار التحفظ من شرورهم.

"**الفلق**" معناه الشق والشق معناه الخلق. البدر يشق الظلمة والحب يشق الأرض، فمعناه قل أعوذ برب المخلوقات كلها من شر ما خلق أي خلق، أي خلق للشر في خلقته مثل الحيّات هي تحصل غذائها يكون فيه موت الإنسان فكل شيء يكون بطبيعته ضارًا لنا نستعيذ من شرها بالله. مثلًا إن الإنسان في تكميل حياته يحتاج إلى التحفظ من الشرور، فإذا قسنا الإنسان على ذلك الإحاطة بالمضرات فالنبات إذا خرج من الأرض أول شيء يضره الحيوان الذي يأكل الخضروات فمقتضى طبيعة ذلك الحيوان شر للنبات فلذلك يجعل حول النبات حظيرة تمنعه عن الحيوانات ثم هذا النبات يحتاج إلى تحصيل الغذاء من أجزاء الأرض والماء وغير ذلك فإذا منع من ذلك يكون فيه موت النبات. قد علم الناس العالمون بالنباتات أن ضوء القمر أيضًا ينفع النبات ويحصل له نوعًا من الأغذية.

---

[١]- ذكر الشيخ السندي في كتابه **قرآنى شعورِ انقلاب** أن الشيخ النانوتوي قد أوضح مطالب هذه السورة في ضوء تمثيل الشجرة الصغيرة التي تحيط بها أخطار مختلفة مثل الحيوانات التي تأكل أوراق الأشجار ووفقدان الغذاء المناسب لها والآفات الطبيعية مثل الرعد والبرق ونحوهما، وهكذا الإنسان محاط بأخطار مختلفة في حياته، وليس السبيل من النجاة منها إلا تفويض الأمر إلى الله تعالى، فإن مشيئته سارٍ في جميع أجزاء الكون، وهو وحده جدير بأن يصون الإنسان من كل شر. ثم إن المنافع التي يمكن للإنسان تحصيلها، إنما هي بيد الله تعالى، فمآل الأمر أن النفع والضرر كليهما بيد الله تعالى وأن تدبيره وتأثيره يجريان في كل شيء، وهو المهيمن على كل شيء، وإذا يستقر هذا الأمر في ذهن الإنسان، إنه يضطر إلى التسليم والانقياد له تعالى، وهذه هو موضوع السورة. (لينظر: السندي، **قرآنى شعورِ انقلاب**، ٢٧٢، ٢٧٣.)

"**وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**" معناه من شر قمر إذا غرب يشير إلى ذلك يعني منع الغذاء عن النباتات في شرها نستعيذ برب الفلق ثم النبات ينزل عليه الثلج والبرد من السماء فيكون سبب موته فتحفّظه من ذلك أيضًا لازم، ومثال ذلك في الإنسان الدعايات من الجماعات التي تحلل عقائد إيمانية فهذا معنى قوله تعالى : "**وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**" فإن اعتبرناها مثل البرد والثلج التي تأتي على النبات فالتحفظ منها كان لازمًا، كأنها إشارة إلى جميع المضرات التي تأتي من الخارج، ثم يكون من الشرور التي تلحق النبات، رجل له عداوة لصاحب النبات. أما النبات نفسه فلاتعلق له بذلك الرجل انتقامًا من مالك النبات يستأصل النبات فإلى مثل تلك الشرور إشارة في قوله: "**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**" فإذا حصل للنبات تحفظ من تلك الشرور الأربعة يكمل حياته فالإنسان في فكر الإنسان نوع تنظيم المخلوقات حول توجيه الحق، فهذه الدائرة العظيمة للفلسفة الإسلامية.

٢٢

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

"**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**" هذه دائرة في وسط هذه الدائرة حول ذلك المركز. هذه الاجتماعية الإنسانية فقط التي هي موضوع الشرائع الإلهية عامة والإسلام يكمل جميع الشرائع بجمعها تحت نظام واحد، ففي درجة الكمال لايبحث عن الاجتماعية إلا الإسلام وتعليم القرآن، فالإنسانية في اجتماعياتها تدول حول مراكز ثلاثة:

١– الأول: مركز الربوبية الذي يصدر من الآباء فكثير من الناس لايتجاوزون ما وجدوا عليه آبائهم وليس ذلك إلا أنهم رأوا منهم التربية.

٢– المركز الثاني الاجتماعية الإنسانية الملوكية، فالناس كثير منهم يختلفون في جماعات وأحزاب ولايكون مرجع للتحزب واللاجتماع إلا ملك منهم أو سلسلة الملوك منهم.

٣– المركز الثالث الاجتماعية الإنسانية الألوهية معناها عندنا المحبوبية الجذابة الموصلة إلى درجة العشق أو فوق ذلك وكثير من أهل العم وأهل الأخلاق العالية أحبوا فكرا وعشقًا فمن رأوه مصدر ذلك الفكر عبدوهم فالقرآن العظيم بإرشاده وهدايته يثبت لعامة الناس أن ربوبية الناس ليست منحصرة في الآباء بل هي منتهية إلى الرب رب الناس كلهم لأن آبائهم كانوا محتاجين للتربية وكذلك أثبت بالدلائل الواضحة والبينات أن الحكم والملوكية لايصلحان إلا للإله الحق، فالملوك أيضًا يحتاجون إلى ملك، فرب الناس هو ملك الناس وكذلك أثبت بدلائله أن الحب البالغ إلى درجة العشق كل شيء رأيتم أنه يستحق إذا تأملتم وتبصرتم رأيتم كل ذلك يرجع إلى اللإله الحق إله الناس، فهو يتجلى بتجليات مختلفة يغلط بعض الناس في فهم التجلي فقط فرب الناس ملك الناس إله الناس هو الإله الواحد الحق الصمد لكن ترجع في إثبات هذا التوحيد وتأثر ذهنيًا إلى تحفظ الشرور التي تنشأ في أنفسنا فالإنسان يعرف نفسه أنه واحد ويأتي فيه أفكار باطلة بالنسبة إلى الربوبية مرة وبالنسبة إلى الملوكية مرة آخرى وبالنسبة إلى الألوهية في بعض الأوقات فالإنسان في توجهه إلى تلك المراكز الثلاثة لايكون إلا إنسانًا واحدًا والقوة الفاسدة التي هي موجودة في قلب الإنسان وفي نفس الإنسان وإن كانت تتظاهر بمظاهر مختلفة

لكنها واحدة وقد أثبت القرآن العظيم أن الربوبية تستلزم الملوكية والملوكية تستلزم الألوهية، فلا شك في توحيد اللإله الحق.[١]

"**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**" كل إنسان له قرين في عالم المثال. إما يكون مائلًا إلى الشيطان وإما يكون مائلًا إلى الملائكة فهذا الحق إن كان شيطانًا يفسد أفكارنا وإذا حصل لنا في بعض الأوقات التخلص منه نجد في قلبنا البرد والاطمئنان بما علمه القرآن من كون الإله الحق هو رب الناس ملك الناس إله الناس فهذا البرد والاطمينان هو مقتضى فطرتنا وهذا الانتشار والاضطراب يحصل من ذلك القرين الشيطان الذي هو من الجن، والناس يميلون بطبعهم إليه، فهو يوسوس في صدورنا لايأتي لنا بدليل وبرهان، وإنما يأتي تشكيك ووهم، فهذا هو الوسواس مركز الوسوسة، وإذا جمعنا خاطرنا يبعد عنا، فهذا الشر الذي هو حادث في أنفسنا هو انتشار الفكر وعدم اجتماع الخاطر على الأمر الحق، فمن هذا المرض نعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس، والاستخلاص من هذا المرض تامًا لايكون إلا إذا اعتمدنا أن ربنا وملكنا وإلهنا واحد. هذا هو تعليم الفلسفة القرآنية المخصوصة بالاجتماع الإنسانية. إذا غلبت هذه الفلسفة أيضًا على جماعة الفلسفة الكافرة وتبدلت ذهنيتهم موافقة لتعليم القرآن، فلايكون فتح الإسلام فتحًا تامًا مكملًا.

كلمة واحدة استدراك

في عمد ممددة النار التي تطلع على الأفئدة هي تكون من فساد الأخلاط وتستمر حتى يذهب فساط الأخلاط بالكلية وكل شيء خرج من يحفظ عليهم في عمد ممددة، فليس ينقطع عذابهم بخروج النار مرة بل كلما خرجت جمعته عليهم.

كلمة واحدة استدراك

كلمة استدراك في سورة الناس. القرآن العظيم أثبت أن رب الناس ملك الناس هو الرب الواحد الحق نستعيذ به من جميع الوساوس الخطرات التي تأتيها في ربوبية الحق أو في ملوكيته أو في الألوهية يكون ذلك انتشار الخواطر وتشويش الأفكار من جماعة من الجن والناس. إمامهم يكون القرين الذي خلق مع كل رجل في عالم المثال. هذا الجن إن كان غلب عليه قوة الملائكة الملأ السافل يلتحق بالملائكة، وإذا غلب عليه مخالفة الملائكة فهو الشيطان وشيطان كل رجل قرينه الذي يخالف الملكية فالإنسان إذا كان مدني الطبع يجمع حوله جماعة من البشر يوافقونه في الرأي، كذلك هذا القرين يجمع حوله جماعة من الجنة والناس يعملون

---

[١]– هذا التقسيم يرجع إلى فكرة الشاه ولي الله الاجتماعية عن الارتفاقات التي استوفى البحث عنها في كتابه **حجة الله البالغة**. (لينظر: الشاه ولي الله، **حجة الله البالغة**، ١: ٨٢ ومابعد.)

عمله في انتشار الأفكار في قلب هذا الرجل، فهذا الذي هو إمام هو الوسواس. كل ما تمكن الناس من جميع خواطره الموافقة، فطرته ميلانة إلى الملكية، يحدث في قلبه برد وثلج واطمئنان في تلك الحالة، يغيب تأثير الوسواس عن قلب هذا الرجل مثل ما تزول الظلمة عند طلوع الشمس، وهذا معنى قوله تعالى: الخناس فالاستعاذة من هذا الشر راجعة إلى الفطرة الإنسانية. الإنسان المجبول على الطهارة يزيل عن نفسه وبدنه الأنجاس والأوراث بدون تعليم من الخار،ج كذلك الرجل سليم الفطرة يتباعد عن شر هذا الوسواس بكل قوته وإذا كان ضعيفًا بمقابلته، يستعيذ بالله فيذهب عنه أثره، فهذا دليل على أن الإنسانية في حفاظتها الفكرية تدور حول الرب الواحد الكريم، فتنظيم هذا الفكر هو الفلسفة الإلهية وإذا غلبت فلسفة القرآن على ذهنية الناس يتم إيمانهم بالقرآن ويكون فتح الإسلام قد بلغ كماله.

٢٣

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

"**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** " في حكمة الإمام ولي الله أعلى ما يصل إليه الإنسان بفكره هو التجلي الأعظم الذي ظهر على النفس الكلية التي هي نفس واحدة. تدبير جميع العالم أو الشخص الأكبر مثل تدبير النفس الناطقة المختصة بكل فرد فرد من الناس لبدنه، فهذا التجلي الأعظم الأول ثم لهذا التجلي تجلٍ على القوة العازمة للشخص الأكبر والمحل المختص بتلك العقدة يسمى بالعرش. نسبته إلى الشخص الأكبر نسبة المضغة القلبية إلى الشخص الأصغر في التمركز كالواحد منها للعقدة العازمة، فالتجلي على العرش في الحقيقة عكس التجلي على النفس الكلية، لكنه هذا أيضًا يسمى بالتجلي الأعظم لأن جميع الأفاعيل التي تصدر من الشخص الأكبر تنسب أولا إلى العرش العظيم، فهذا التجلي صار قبلته، تجتمع كل القوى العاملة من الملائكة العظام وهم على قسمين: قسم نورية محضة وقسم عنصرية لكن أرواحها لها نسبة مخصوصة بالتجلي القائم على العرش، لاتحصل تلك النسبة إلا لمن وصل إلى درجتهم وبهم يلتحق الكاملون من البشر الأنبياء الكرام وأتباعهم. تلك الجماعة المؤتلفة من ثلاث أصناف تسمى بالملأ الأعلى. كل ما ينزل من التجلي الإلهي القائم على العرش العظيم إليهم ينزل أولًا وبواستطهم يصل إلى الآخرين في قلب كالواحد عكس للتجلي الأعظم القائم على العرش، له مناسبة لفطرته وأعماله فتجعلون هؤلاء مثل الكوالك ثم يجتمع الملأ الأعلى في الأوقات فمحل اجتماعهم يسمى بحظيرة القدس، ففي حظيرة القدس بسبب اجتماع التجليات المتكثرة ينشأ وحداني يستتر تحته التجليات المختصة بقلب كل فرد فرد، فهذا النوع الوحداني يصير مظهر عكس التجلي الأعظم القائم على العرش فكان نزل إليهم من عرشه، فكل شيء يصدر من حظيرة القدس، يكون حكم الله حقيقة وهو مجتمع الشرائع كلها. حظيرة القدس فيها درجتان: الدرجة الأعلى إنما يبحث فيها عن الاجتماعيات الإنسانية فقط.الدرجة الثانية يبحث فيها عن كائنات العالم سوى الإنسانية، ثم تحت حظيرة القدس أئمة الأنواع في رأس عالم المثال، ففي تلك الأئمة الإمام للنوع الإنساني، يكون كالمركز والتجلي القائم على العرش يكون بجميع تفاصيلها ينطبع في قلب إمام النوع الإنساني فمن هذا التجلي يبدأ معرفة كل إنسان بربه، لأن معاد كل فرد من النفوس الناطقة وصوله إلى إمام النوع الإنساني لأن كلا منهم نشأ من ذلك الإمام، فالنفس الناطقة الشخصية عكس واحد لإمام النوع الإنساني فيكون مثله مثل شعاع الشمس فمعاده ليس إلا الرجوع إلى إمام النوع الإنساني. وإذا وصل في حظيرة القدس إلى إمام النوع فقد تم سفره ويدركه بفطرته التجلي القائم بقلب إمام النوع الإنساني.

فصل

الأمور الإنسانية تنشأ من حظيرة القدس بأمر التجلي الإلهي القائم فيها وموافقة الملأ الأعلى على ذلك الأمر فكأنه اقتضاء لملأ الأعلى، والرب إنما حكم به إجابة لدعوتهم ويكون مصدرها إمام النوع الإنساني فتنشأ الأحكام فتنزل الأحكام في السموات والأرض ويكون لها تأثيرات خصوصية ولما تمّ الأمر يعرج في السماء حتى يصل حظيرة القدس. نحن لانعرف الأمور من مبدأها لأن حياتنا حادثة من زمان معلوم، وقبل ذلك ما جرى في الشخص الأكبر لانحيط به، فلذلك نبتدأ من الوسط. الله سبحانه أمر أمرًا بعد دعوة الملأ الأعلى بذلك الأمر. هذا الأمر يكون متوجهًا إلى إمام النوع الإنساني، ويصدر من تجلٍ قائم في قلبه ومع هذا الإمام خدام من الملائكة مثل الحواس والأعضاء والجوارح لنا، فهم يأمرون بذلك الأمر وينزل من سماء إلى سماء حتى يصل إلى الأرض فيؤثر على قلب أزكى رجل في ذلك العصر أولًا يأمر هو ويعلم الناس يأخذون به، وطائفة تخالفه وبالتدريج يغلب الأمر ويحيط بتلك القطعة الإنسانية التي كانت مرادة مخاطبة فلما تمّ ما أراد الله تعالى يرجع حاصلًا. هذا الأمر كله يعرج إلى السماء بالطريق الذي نزل أولا حتى يصل إلى حظيرة القدس فيعرض على التجلي القائم في قلب إمام النوع الإنساني فتنشأ إرادة جديدة من الله مراعيًا تلك الواقعات كلها كان حاصلات الأمر الأول صارت معدة لنزول القضاء الثاني، وهذه الدورة نسميها دورة واحدة من ابتداء نزول الأمر إلى انتهاء رجوعه إلى الله. نحن لانحيط بالدورات التي تقدمتنا والتي تأتي بعدنا فرض الإنسان ليس إلا تعميل ما اقتضته دورته تكميله. [1]

---

[1]- إن مسئلة الوجود من أعظم مسائل الفلسفة والتي ما زالت موضوع الكلام عند الفلاسفة منذ التاريخ اليوناني القديم، وأما الشيخ الشاه ولي الله فقال في هذه الصدد: لما ننظر إلى الموجودات نرى فيها حيثيتين: الاشتراك والامتياز، يعني أن الموجودات يشترك بعضها بعضا في الأوصاف المختلفة، مثلا إن أفراد الإنسان يشتركون في الإنسانية، وبعد ذلك يتميزون فيما بينهم في الميزات، وكذلك إن الأمر المشترك في الأجسام الحية أنها حية، ونفس الأمر في الموجودات كافة فإنها تشترك في الوجود، والوجود هي الصفة المشتركة في الممكن والواجب، والمراد من الوجود كون الشيء موجودًا وهذا الوجود يحوي الأشياء كلها، وما كان خارجًا من إحاطة الوجود يكون معدومًا، فالأشياء بدون الوجود أمور اعتبارية محضة، ومن ثم قال بعض الصوفية إن الله عبارة عن الموجودات، يعني أنه أظهر نفسه في الموجودات وهؤلاء الصوفية يسمون بالوجودية العينية. والنسبة بهذا الواحد كنسبة الوحدة مع باقي الأعداد، مثلا الواحد يكون قبل الاثنين ويكون داخلا في جميع الأعداد حتى يبقى في النهاية هو وحده. وهناك طائفة أخرى من الصوفية يقال لها الورائية والذين يعتقدون أن الوجود الذي يشترك في جميع الموجودات، هو الذي يضمن بقاءها وقيامها، وهو في ذاته عكس الوجود الأعلى، فالمراد من الورائية أنهم يعدون ذات الإله ما وراء الكون. إن فلسفة ابن عربي امتزاج لهاتين الفلسفتين، فإنه تارة يقول عن الموجودات بأنها عين الذات وتارة يعدون ذات الإله وراء الكون. يقول الشيخ الشاه ولي الله إن الحقيقة في حد ذاتها أمر واحد ولكن ظهورها يكون في صورتين: لما تتجلى في الزي الأصيل لوجودها نقول لها الجوهر، ولما تتجلى في صورة لباس الوجود الآخر فإننا نقول إنه عرض. فالحاصل أن الإنسان وصل بعد تفكر طويل إلى نتيجة أن النفس

الفصل الثاني

هذه نبذة من الحكمة الإلهية هذبها واتبعها الإمام ولي الله. ليس مرادنا أنه أوجد هذه الفكرة وهذه الحكمة، بل هو مقتضى الفطرة الإنسانية ومنتهى أنظار الكاملين منها، فهذا من خصوصيات بيان الشيخ و إلا فالأئمة الذين أخذ عنهم الشيخ بالواسطة أو بدون الواسطة كثيرون وكلامهم محفوظ منقول إلينا، وأهل طريقتهم يبينون لنا مقاصد الشيخ لكن لانراها كافية لفهم المقاصد القرآنية وتطبيق الشرائع الإلهية ثم تطبيق الأحاديث النبوية ثم تطبيق معارف الكاملين من الأمة المحمدية. الآن نشرع في تفسير السورة.

أقرب الدورات دورة ألف شهر بالتخمين، ويكون ذلك عندنا مأة سنة بحسابنا لأن شهر رمضان وشهر ذي الحجة مخصوصان بأشياء خاصة، فالأمور العامة إنما تكون في السنة في عشرة أشهر، فمأة سنة تكون كألف سنة. ينطبق بهذا ما ورد في بعض الروايات أن يجدد هذا الدين على راس مأة سنة. **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ليلة القدر يكون ليلة التخمين والتقدير من جهة الملأ الأعلى للدورة الآتية وينزل قضاء الله تعالى، فيكون نافذ الأبد في تلك الدورة لايمنعها مانع، فمعنى الآية عندنا أن نزول القرآن ابتداء دورة خاصة ففي تلك الدورة يكون الحكم النافذ والغالب القاهر ما نزل في مبدأ الدورة، فالقرآن العظيم لما أنزله الله في ليلة القدر، يكون أمره نافذًا قطعيًا وحسن ترتيب المصحف يظهر من تعقيب هذه السورة.

الكلية هي منبع جميع الموجودات وجميع الأشياء تنبثق منها وتنتشر، وعند الشاه ولي الله قد صدرت هذه النفس الكلية من ذات الإله بطريق الإبداع، يعني أن النسبة بين النفس الكلية وبين الذات الإلهي هي نسبة الإبداع وليست نسبة الخلق، ومعنى الإبداع إيجاد شيء من العدم، وبألفاظ أخرى تخليق شيء بدون المادة. والظاهر أن ذات الحق بعيد عن هذا العالم. فما هو طريق الإبداع؟ يقول الشاه ولي الله إن النسبة التي تتحقق بين المبدِع والمبدَع بمنأى عن الفهم بتمثيل شيء من العالم المادي، والتحقيق أن المراد من الإبداع نسبة معلوم حقيقتها مجهول كيفيتها والعقل يعجز عن إدراكها. وخلاصة الكلام السابق أنه توجد وحدة بين ذات البارئ والنفس الكلية (أي المبدِع والمبدَع) ولكن ليست هذه الوحدة وحدة حقيقية، وإن العقل الإنساني يمكن وصوله إلى النفس الكلية (الوجود المنبسط) ولكنه عاجز عن ما وراء ذلك، وإنه عاجز عن إدراك النسبة التي توجد بين النفس الكلية وذات الحق، والتي تعبر عن الإبداع، ولاهو قادر على إقامة التمييز بينهما، فنتيجة ذلك أن المبدِع والمبدَع يعدان تارةً بمثابة شيء واحد. (لينظر: غلام حسين جلباني، **شاه ولی الله کی تعلیم**(*لاہور: سندھ ساگر اکیڈمی*، ٢٠١٧ء)،

ذكر بعض الاختلافات

اقرأ سورة العلق كانت أول ما أنزل من القرآن، وفي هذه السورة ضمير راجع إلى الغائب وهو القرآن فتعقيب اقرأ معناه نزول القرآن ابتدائه في ليلة القدر. أهل العلم عينوا التاريخ الذي نزل فيه القرآن فحكموا بأنه رمضان وأنه يوم الفرقان يوم بدر. لنا ملاحظة مخالفة لهم.

المسئلة الأولى عندنا الأشهر المباركة تكون بعد أيامها. ليلة عرفة بعد اليوم التاسع، ومثل هذا عندنا ليالي رمضان. لما رأوا هلال رمضان، فالتراويح في أول ليلة ليست عندنا مسنونة، بل عليهم أن يصوموا يومها، ثم يصلوا التراويح، ويقوموا ليلها. ويظهر ذلك من عمل نبينا ﷺ في اعتكافه في العشرة الأخيرة في رمضان، كان يدخل معتكفه بعد صلاة الصبح الحادي والعشرين، لابعد صلاة المغرب التي تأتي بعد ليلة العشرين وكان يخرج من معتكفه بعد صلوة الصبح من يوم العيد، لابعد رؤية هلال شوال على الفور بعد المغرب،[١] وينحل بذلك مسئلة مشكلة في تعيين ليلة القدر في أحاديث مسلم وأبي داؤد. التابعي يسئل الصحابي في تلك الرواية أنتم أعلم منا بعد الليالي فالحادي والعشرون أي ليلة، فبين الصحابي الراوي للحديث الليلة التي بعد صوم الحادي والعشرين. هذا نذكر بمعنى الرواية لابألفاظها ويستشكلونه أهل العلم ويؤولونه بتأويلات بعيدة.

المسئلة الثانية: نزول الوحي على الأنبياء بعد صيامهم واعتكافهم. أمر الله تعالى موسى عليه السلام بالصيام. النبي ﷺ كان مأمورًا لكننا نظن أنه بفطرته صام ذلك رمضان كله. كان يخلو بغار حراء ويعتكف، والاعتكاف الصوم معه لازم، كانوا يعرفونه من بقايا شرائع إسماعيل ويمكن أن يكون شرع في صيامه بعد عشرين من شعبان. فتم ميقات ربه أربعين ليلة وفي أخر ليلة من رمضان الذي يكون بعد الثلاثين، ونحن نعده من ليالي شوال. نزل الوحي ومن صباح ذلك اليوم سن لنا العيد عيد نزول القرآن الكريم. هذه المسئلة أكملتها باجتهادي وتفكيري الكثير لكن تنبهت أولأ بمطالعة كلام السيد أحمد خان مؤسس عليكره.[٢]

١- عند جمهور العلماء من أراد الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان، إنه يدخل معتَكَفه قبل غروب الشمس من ليلة إحدى وعشرين، وهناك قول ثانٍ أخذه الشيخ السندي وهو أن بداية وقت الاعتكاف بعد صلاة الفجر للواحد والعشرين من رمضان. هذه رواية عن الإمام أحمد ومن المختارات الفقهية لابن القيم من القدماء وابن باز من علماء الماضي القريب في المملكة السعودية. وبهذا القول أخذ علماء اللجنة الدائمة، ولكلتا الطائفتين أدلة ومستندات. (لينظر: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج** (الأزهر: المطبعة المصرية، ١٩٢٩ء)، ٨: ٦٨.؛ أحمد بن عبدالرزاق الدويش، **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء** (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦ء)، ١٠: ٤١١.

٢- لم أجد أين قال سير سيد. هو السيد أحمد بن المتقي الدهلوي المعروف بسيد أحمد خان، هو من مشاهير الشرق وكان يتمتع بموهلات عظيمة، والناس فيه على طبقتين، طبقة يبجله كثيرا وأخرى تنقص من شأنه، قد أنشأ

"**وما أدراك ما ليلة القدر**" لأن هذه الأمور لايعرفها أصحاب الشرائع. محل اجتماع الملائكة محل تقرر الشرائع تعيين الدورات فيها إنما يعرفه الحكيم الرباني لاعامة الحاملين للشرائع "**ليلة القدر خير من ألف شهر**" تكون محل عمله، وتقرر عند أهل العلم إذا أردنا أن نتمم أمرًا، يكون له جزآن: الأول تقرير البرنامج والأمر العلمي تفصيل بكل ما يتعلق بتفاصيل العمل.الثاني العمل وتنظيم الإدراة بإتقان وتثبت، فإذا اجتمع الأمران تكامل الأمر المطلوب، ثم تقرر عندهم الجزء الأول خير من الجزء الثاني. إذا تقرر البرنامج فقط قطعنا أكثر من نصف العمل وما بقي إلا النصف الناقص الأقل من النصف، فلما تقرر الدورة في تلك الليلة كان خيرًا من ألف شهر. "**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**" الخ نزول الملائكة عندنا إنما يكون على رؤية عكوس التجلي فالملائكة العظام يكونون موجودين في مقامهم الأعلى، فإذا ظهر تجليهم في السماء الدنيا، قلنا إنهم نزلوا إلى السماء الدنيا وهكذا نزولهم إلى الأرض يكون بمظاهر العالم المثالي، وقد عرف في السنة أن النبي ﷺ ما رأى جبريل بصورته الأصلية إلا مرتين.

ونزول الروح المرادفة تجلي إمام النوع الثاني. هذا هو الروح الأعظم فالملائكة يكونون معه كالخدام له ففي تلك الليلة لايكون فقط تقرر البرنامج العلمي بل زائدًا على ذلك. إصلاح العلل الثلاث للعملية وجعلها موافقًا لإتمام الأمر المطلوب أيضًا يتم في تلك الليلة بنزول الروح فيكون سببًا لتغيير ذهنية الناس. يظهر أثره في الأزكى فالأزكى العلل الثلاث.

والملائكة ينزلون فيصلحون الأرض والجبال والبحار والسحاب كلها لإتمام ذلك الأمر إذا دعا نبي من الأنبياء اللهَ لإنشاء السحاب بدعوته فقط تجتمع مثل الجبال وإذا دعا أن يرتفع السحاب على الفور ينكشف فجعلها راجعة إلى تأثير تلك القوى بتأثير النبي. هذا يكون عمل الملائكة في تلك الليلة.

"**من كل أمر**" يهيؤون سلامة الأمر المطلوب لايناقضه شيء من الأسباب الأرضية.

"**حتى مطلع الفجر**." ذلك العمل تقرر الشريعة لتلك الدورة مفصلًا وإصلاح جميع القوى العاملة في السماء والأرضين موافقة له يتم في تلك الليلة، فلايمكن نجاح شيء يخالفه في تلك الدورة. بقي الكلام على ألف شهر. قد ذكرنا أن ذلك يساوي مأة ألف عندنا تلك المأة دور القرآن. "**قاف والقرآن والمجيد**". عندنا قاف مأة سنة وفي آخر هذه السورة. فذكر بالقرآن من يخاف فمأة سنة إذا كان مبدأها من المبعث تتم بعد السابعة والثمانين من الهجرة، وهذا كان في عهد الوليد أبي عبد الملك جعل عمر أبي عبد العزيز عاجلًا على المدينة وهو الذي ابتدأ بتدوين الحديث وجمع الفقهاء بعد المشورة على المدينة. العمل بالحديث هذا نسميه ابتداء دورة السنة في الدور الأول. ما كان الناس يقرأون إلا القرآن وحديث النبي وسنته وسنة الخلفاء الراشدين والفتاوى من أهل ذلك العصر، والقضاء من القضاة كلها كانت

جامعة علي كره وكان يريد بث التعليم الجديد في المسلمين.له كتب مثل آثار الصناديد ومجلة تهذيب الأخلاق وغير ذلك.

درجة واحدة بالنسبة إلى القرآن، فكل شيء تعين عند المجتهد أنه يوافق القرآن أو يشرحه أو يعين له مبادئ فيأخذ به سواء كان قضاء من القضاة أو فتوى من المفتين أو السنة الماضية من النبي وخلفاءه أو حديث من أحاديث النبي ﷺ. ليس شيء منها ينظر إليه كأنه اصل للإسلام ما كانوا ينظرون إلا للقرآن العظيم، وهذا الذي نراه مشروحًا في كتب السنة أن أبا بكر إذا ورد شيء نظر في كتاب الله فإن لم يجد فيه سئل عن النسة، فإن لم يجد فيها فاستشار مع أصحابه تعين هذا الترتيب إنما من صنائع الدور الثاني. رواة تلك الأخبار هم الذين دونوا الحديث في المدينة وذهنيتهم غير ذهنية الدور الأول قال النبيﷺ حين احتضر ايتوني بدواة اكتب لكم كتابًا لاتضلون بعدي فقال عمر حسبنا كتاب الله.[١] عمر هذا الذي كان رأيه موافقًا للوحي وموافقًا للمصالح العامة. النبي علية السلام مرة أمر أبا هريرة إلا يبشر كل من يشهد لاإله إلا الله بالجنة. ضرب عمر أبا هريرة ورده والنبي ﷺ يقره على فعله.[٢] النبي ﷺ خطب خطبة في حجة الوداع وأمرهم بشيء إن تمسكتم به لن تضلوا. القرآن فقط ثبت ذلك من حديث مسلم من رواية جابر ليس فيه ذكر السنة ولا ذكر أهل البيت. كل هذه الأمور من صنائع الدور الثاني. اشتبه للرواة ولم يفهموا فرفضوها[٣] إلى الدور الأول، فهذا الدور الأول دور القرآن، خمسون سنة منه كانت في ارتقاء وازدياد، ثم ظهر الحزم على ذلك الدور بالتدريج، والناس شرعوا يضمّون إلى القرآن أشياء غير ذلك، فلما انتهى دور خمسين سنة أيضًا، قام المجددون لإصلاح ما ضمّوا إلى القرآن في نصف الدور الآخر وقرّروا له قواعد كل شيء كان العمل به في زمن عمر ضمن الاتفاق، والارتقاء يكون مقدمًا على جميع المعارضات وأسسوا معها قواعد ثم فثم وباتباع تلك الطريقة شرعوا في تدوين الأحاديث والآثار، فكان عندهم إذا كان شيء نطق به القرآن صراحة لاينظر فيه إلى شيء ويعمل به وإذا لم يجدوا في القرآن فليعملوا بسنة النبي ﷺ التي تقررت زمن الشيخين، فإذا لم يجدوا فيه شيئًا فلينظروا إلى ما تقرر زمن عثمان، وإذا لم يكن عندهم من ذلك فليختاروا قول من كان أقرب إلى ذلك القرن بعد الفتنة، فاختار جماعة قول أبي مسعود لأنه توفي زمن عثمان، واختارت جماعة قول ابن عمر لأنه تجنب الفتنه كلها، وعلى قريب من ذلك أسسوا الفقه برياسة الأمير عمر ابن عبدالعزيز في المدينة. فقه أهل المدينة كان له التقدم، والدرجة الثانية منه حصلت لأهل العراق الذين اتبعوا ابن مسعود لأنهم صاحبوا عليا الخليفة الراشد بعد ابن مسعود ولم يكن عند أهل المدينة علم بفقه علي بعد خروجه من المدينة، ففقه أهل المدينة يوجد في **موطأ الإمام مالك** وفقه أهل العراق يوجد في جامع سفيان الثوري، والناس بعد ذلك تابعون لذلك الفقه. الأئمة منهم يجعلون ذريعة لفهم القرآن، والعامة منهم يكتفون به مثل اكتفائهم بالقرآن

١- **صحيح البخاري**، كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عني، رقم: ٥٦٦٩.

٢- لينظر: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، رقم: ٥٢.

٣- هذه اللفظة اشتبهت علي في المخطوط.

فجميع العلوم التي تكامل بها المسلمون يرجع إلى الدور الثاني والدور الثاني يرجع إلى الدور الأول وأما يرجع إلى الدور الأول رأسًا فجميع ما استفاد المسلمون من العلم من البركات والثمرات للعلوم التي انتشرت في الألف اشتهر الأول.

٢٤

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

"**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا الخ**" أهل الكتاب كانوا ينتظرون سيما اليهود والنصارى والمشركون في مكة ينتظرون خروج ولد من أولاد إسماعيل، وهم تركوا العمل على شرائعهم وكانوا ينتظرون ذلك المبعوث، فالملة الحنيفية اشتاقت إلى خروج هذا الرجل وإذا خرج هو وعمل بما كانوا يأملون منه من الأماني، تقوم عليهم البينة فإن خالفوه يكونون تاركين بما قضوا به على أنفسهم، وهذه البينة يحتاج إليها أهل الكتاب والمشركون كلهم وهو رسول معه كتاب. "**رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً**" الصحف المطهرة عندنا السورة القرآنية، كل سورة كأنها صحيفة مستقلة. "**فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**" التي كتبت فيها والأحكام التي ذكرت فيها كلها مقتضى الفطرة الإنسانية التي تتبدل، فتلك كتب قيمة فتح بذلك أمر الدين. معنى هذه السورة عندنا أن الناس لاينتظرون رجلًا بعد ذلك يخرج ويقيم لهم الدين الذي كان منتظرًا هو هذا، فإن اختلف أهل الكتاب وما قبلوا فلايكون ذلك سببًا في التردد في قبول ذلك الرسول لأنهم صارت لهم عادة التفرق بعد قيام البينة عليهم. "**وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الخ**" تفرقهم في دينهم واختلافهم ما كان إلا بعد قيام البينة عليهم وهذا الاختلاف مثل اختلافهم في دينهم وخلاصة الدين الحنيفي لايمكن منها حذف ثلاث أشياء:

١. عبادة الله وحده لاشريك له.

٢. إقامة الصلوة.

٣. إيتاء الزكوة.

الأمر الأول عبادة الله ومعناها عدم الانقياد لشرع غير شرع إبراهيم، فحذف شيء من هذه الثلاثة لايمكن من الملة الحنيفية. وهذا الرسول ما يأمرهم إلا بتلك الثلاثة وهم يختلفون فيها، وهذا التفرق يكون للحق. هذا معنى قوله "**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**" ... دين القيمة. وبعد بعثة الرسول ونزول القرآن، صار الأمر معينًا. من آمن به كان على الحق ومن كفر كان على الباطل. وضح الأمر وضوح الليل والنهار لايرجى بعد ذلك خروج رجل يقيم الدين أكمل منه حتى ينتظرونه فليس النجاة إلا بالعمل بما في القرآن الذي أتى به النبي. هذا معنى قوله إن الذين كفروا إلى آخر السورة فالقرآن هو الفصل بين الحق والباطل بعد نزوله إلى يوم القيامة.

٢٥

سورة الزلزال

بسم الله الرحمن الرحيم

"**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا**". مسئلة القيامة نذكر في فصل مستقل إن شاء الله تعالى. وابتداء ذلك اليوم يكون من زلزلة الأرض. من حسن ترتيب المصحف أخذنا لطيفة. القرآن كان فاصلًا بين الحق والباطل تبين ذلك في البينة فيكون حكم القرآن نافذًا في الأرض إلى يوم زلزالها وفي آخر السورة. "**فمن يعمل الخ**" معنى ذلك عندنا سقوط حكم القرآن بعد تلك الزلزلة وقيام المحشر أيضًا لايكون الفصل في ذلك اليوم إلا بعمل خير أو بعمل شر. من يكون خير البرية يرى خيرا ومن يكون من شر البرية يرى شرًا. وخير البرية وشر البرية عينه القرآن ويحكم بحكم القرآن.

٢٦

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

"**القارعة**" من أسماء القيامة الكبرى على طريقة الإمام ولي الله في الحكمة الإلهية. صورة إمام كل نوع، أما نوع الإنسان فصورته في وسط حظيرة القدس[١] وصورة الأنواع الأُخَر من الحيوانات والأشجار والمعدنيات تحت حظيرة القدس في رأس عالم المثال. هذه الصُور كلها تحت إمام صورة النوع الإنساني ويأتي يوم تلك الصور كلها تمحى في صورة أمام النوع الإنساني فيبطل النظام الموجود بين العناصر والأشجار والحيوانات. أما العناصر فصورها راجعة إلى صورة الماء فلايؤثر فيها صورة إمام النوع الإنساني، فإذا انجذبت كل صورة إلى صورة إمام النوع الإنساني، فمعناها انضمام التجليات القائمة في أئمة الصور القيومية لها إلى التجلي القائم في قلب إمام النوع الإنساني، فلما اجتمعت القوة القيومية كلها يبطل نظام كل حيوان وشجر ومعدن، فبطلان هذا النظام تصدع وتقرع ببعض فبالقرع والصدعة الكبيرة تبطل صور المعدنيات الجبال والنباتات والحيوانات وترجع مدارها إلى قيومية الماء. أما الإنسان فبدنه الأرضي يكون منفكًا عنه وأما النسمات والأرواح كما كانت قائمة بعد موتها في البرزخ في أيام القبر وكانت شخصيتها بارزة على نوعيتها الآن تتبدل فتكون نوعيتها بارزة على شخصيتها بذلك تنجذب إلى النوع الإنساني وإمام النوع الإنساني ينزل عكس تجليها إلى موطن في عالم المثال يكون قيام النوع الإنساني بتمامه ممكنًا فيها. هذا هو المحشر في هذه السورة ذكر أوصاف منها. وابتدأت الحركة إلى المحشر إلى الاجتماع وفساد العالم الجسماني هو الذي نسميه بالقيامة. ذكر في هذه السورة أوصاف اليوم الذي تبتدئ فيه تلك الحركة، فالجبال تترك صورتها الجبالية المعدنية وترجع مادتها بعد تلطفها بالتدريج إلى الماء. هذا معنى "**كالعهن المنفوش**". الجبال تذاب فتكون كالماء ثم تؤثر فيها الحرارة فتصعد منها بخارات فتكون كالسحاب وينظر من بعيد كالعهن المنفوش، ثم تتبدل حتى تنتهي إلى الماء الأصل. هذا هو ابتداء التغيرات فيها. وذكر الوصف الثاني منه "**يكون الناس كالفراش المبثوث**" فتلك نسم الأفراد الإنسانية بدون بدنها الأرضي تنجذب إلى تجلي إمام النوع الإنساني، مثل انجذاب الفراش إلى النار أو إلى النور.

١- إن مسئلة حظيرة القدس لها موضع خاص في فكرة الشاه ولي الله الدهلوي. إن نزول جميع الفيوض الإلهية لصالح الإنسان يكون بواسطة حظيرة القدس، وهي منبع جميع الأمور المهمة (مثل بعثة الأنبياء وقيام الملل وغير ذلك.) والمقام الروحاني الذي تجتمع فيه الملائكة المقربون وأرواح الكاملين، فنتيجة لذلك تنشأ نورانية عظيمة تكون بمثابة حلقة للروح مثل حلقة القمر، ومجموع كلها يسمى بحظيرة القدس، ولها أسماء أخرى مثل الملأ الأعلى والرفيق الأعلى والندي الأعلى، وهذا الروح هو ما نسميه الإنسان الأكبر أو إمام النوع الإنساني. ومنبع جميع الأرواح الإنسانية روح واحد، وهذا الروح الأعظم في صورة الإنسان، وكذلك هناك إمام على حدة لجميع أنواع الحيوان. (لينظر: جلباني، **شاه ولى اللہ كى تعليم**، ٣٢٥ وما بعد.)

تلك القيامة لابد أن تأتي لأن ذلك مقتضى نظام أئمة الأنواع. كل شيء يظهر في الأفراد يكون مركزه الحركة في إمام النوع، فإبطال نظام تحت نظام أكمل منه ليس ببدعة في التدبير. ذكر تلك القيامة يأتي في الكتب الإلهية كلها بألفاظ مختلفة لأنها كيفية من كيفيات معاد.

النوع الثاني. الآن البسط والتفصيل الذي جاء به القرآن لم يأت به نبي من الأنبياء، والغرض منه تثبيت نظام النوع الإنساني تحت تجليات الإلهية النازلة من العرش، وهذا القدر من الإلهيات يدركه عامة البشر، فالدين الذي يجمع الأديان ويكون آخرها، له اتصال بابتداء المعاد الإنساني، لأن نزول التجلي الأعلى الذي قام به هذا الدين لايرجى، فلم يبق إلا الرجوع إلى المعاد. هذا الاتصال الذي يكون بين انتهاء هذا الدين وبين ابتداء الحركة المعادية فوق عالم الأجسام، إذا رأيناها لم نر فيه شيئًا يفصل أحدها عن الآخر، فينزل في هذا الدين إشارات إلى استدامة الدين حتى يتبدل الحركة المعادية، وهذا لازم على من انكشف عليه تلك المعرفة أن يبينها، ولايفهمها إلا من يصل بانكشافها إلى رؤية تلك الحالة، فالعلماء الذين لم يصلوا إلى تلك الدرجة إذا تكلموا فيها يقع التخبط. القرآن العظيم لم يبين مقدار الوقت الذي بين هذا من ابتداء هذا الدين إلى ابتداء هذا اليوم يوم القيامة، بل نص على أنه لايعلمه إلا علام الغيوب، لكن الناس لايتركون التخمين والقياس على خلاف حكم كتاب الله، فهذا يوم إن انكشف على أحد موته، فالحقيقة أنه لايقدر أن بهذا العلم، فما كانت معرفته وكشفه إلى بالنظر إلى جهة وحيثية خاصة ويجعلها الله بالنظر إلى حيثية أخرى لها أمدًا طويلًا، فيظهر غلط صاحب هذا الكشف، فكذلك القرآن العظيم منع كل واحد أن يجزم بتعيين مدة إتيان هذا اليوم، لكن يحكي منه كيفياته كثيرًا لأنها مظهر الأعمال الباطنة الإنسانية الاجتماعية، فهذا يتعلق بالإحسان والخلق بتكميل تعليم الأخلاق وهو المقصد من بعثة النبي ﷺ فيذكر الله في آخر هذه السورة كيفياتها. الإنسان له معرفة بربه وخضوع له في قلبه، يختلف في كل فرد عن الأفراد الأخرين، فحساب كل واحد في ذلك اليوم إنما يكون بمقدار المعرفة التي حصلت له وبقدر ما استوجبت تلك المعرفة الانقياد لله، فهذا هو الميزان؛ إذا كان معرفة وخضوع لربه، وأعماله موافقة له، ثقلت موازينه بالقدر الذي كان يعرف، وإذا لم تكن أعماله حسب تلك المعرفة، خفت موازينه، فلابد أن يبقى في مستشفى حتى يحصل فيه قوة تقيم التوافق بين الأعمال والنية، فتلك هي النار الحامية التي حكي عنها هو يحتاج أن يغير بعض الكيفيات منه كما يحتاج الدرهم المصوغ على هيئة غير صالحة تذاب وتصاغ مرة أخرى على هيئة صالحة، فهذا المثال لاينطبق على فهم الإنسان إلا بقليل للفهم فقط.

تتمة لتلك المباحث القيامة والساعة تستعملان على معنى غير الذي قررناه. هذا يحتاج إليه كل رجل تدبر في القرآن لأن الناس إذا سئلوا النبي ﷺ متى هو؟ يجيب عنها عسى أن يكون قريبًا وقد ثبت عند الحكماء الربانيين أن انضمام التجليات في أئمة الصور إلى التجلى القائم في قلب إمام النوع الإنساني تكونت تحت معدات تظهر بالتدريج في عالم الأجسام، وهم أدركوا أن ذلك بعيد لأنها تحتاج

إلى أن يبطل من دماغ الإنسان عدد السنين والحساب وكل من يعرف أحوال الإنسان، يعرف أنه بعيد عن تلك الكيفية. هذا ذوق الحكماء لايكلف به عامة الناس. أما عامتهم أيضًا يعرفون أن القرب الذي يترشح من بيان الآيات القرآنية لاينطبق مع هذا البعد الذي وقع اليوم نحن في القرن الرابع عشر وكثير من علماء التفسير النظري لا الكشفي والمتكلمون لا الحكماء جزموا مرارًا بأن القيامة تأتي بعد مأة سنة أو بعد خمس مأة سنة، وحكموا بأن مدة هذه الأمة لاتتجاوز عن ألف حتى احتاج إلى الرد على ذلك، مثل السيوطي جامع الروايات بدون تدبر فيها. وهذا إشكال دائمًا يشوش أفكار العلماء والذي اقتنع أكثرهم إن من مات فقد قامت قيامته، صحيح لاشك فيه. وهذا معنى القرب لأن الفصل الذي بين كل رجل رجل وبين القيامة ليس إلا موت الرجل وموت كل رجل قريب منه ليس ببعيد، وبهذا المعنى صار معنى قوله: "**عسى أن يكون قريبًا**. **عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون**". موجهًا عندهم ولنا في ذلك ملاحظة غريبة لايتوجه إليها كثير أهل العلم هي: مبعث النبي انقلاب كبير في الإنسانية وما عرفنا معنى الانقلاب إلا بعد دخولنا في السياسيات الأروباوية فالانقلاب الآن صار موضوعًا ذات أهمية كبيرة كبرى والاجتماعية الإنسانية بطبيعتها تحتاج إلى انقلابات عظيمة. الصورة نفهمها من الانقلاب يفهمها كل إنسان بالسهولة. يغلب جماعة من الناس على أكثر الناس ويعملون فيهم بغير الحق الذي يعرفونه حتى ظلمهم إلى درجة لاتتحملها الإنسانية بطبيعتها، فتبطل تلك الاجتماعية ويبطل سلطان الظالمين ويقع الانتشار في النظام، فيأتي الله بقوم من المغلوبين المظلومين الضعفاء يقيمون نظام الإنسانية على أحسن ما يمكن في تلك الحالة وهذا نسميه بالانقلاب والقرآن العظيم مملوء على الانقلاب الذي أتى على تلك الأرض المقدسة التي جعلها في التوراة لإبراهيم وأولاده، والأرض المقدسة عندنا معناه يكون مركز حركة الاجتماع، وكل انقلاب يأتي في المركز لازم أن يأتي في الأطراف ولو بعد زمان، والانقلاب الذي جاء به الله علي يد نبينا، هو مبشربه في التوراة والإنجيل وهو انقلاب عظيم عالمي، فإذا جعلنا الدعوة القرآنية بشارة بهذه الانقلاب للضعفاء والمساكين وإنذارًا لكسرى وقيصر الحاكمين على الاجتماعية الإنسانية بقواعد لايتحملها الإنسانية ونحن جازمون بأن الحجاز أيضًا كانت متأثرة بدعاية كسرى وقيصر، وكان عقلائها يترددون في الانضمام إلى أحدهما، فالنبي ﷺ كان مأمورًا بتبليغ الناس بأن هذا الانقلاب لابد أن يأتي، وكان مأمورًا بتنظيم هيئة منفذة لذلك اللانقلاب وجازمًا بفلاح هذه الحركة التي ابتدأت بنزول القرآن والناس كانوا يسئلون من هذا الوعد، وهذا الانقلاب هو يسمى بالقيامة في لغة عامة الأديان فالتي يقول عنها عسى أن يكون قريبًا ويعلم القرآن أن الساعة آتية لاريب فيها، معناه عندنا ذلك الانقلاب ونجاحه وقيام الخلافة إلاهية وغلبة هذه على جميع ملوك الأرض. هذا قريب ليس مثل القيامة الحقيقية البعيدة عن الناس.

فصل

أئمة الانقلاب الذين يأتون بالحق والأئمة الذين قاموا بالباطل حتى جاء هذا الحق، حالتهم في معادهم ليس مثل حالة عامة الناس، مثلا فرعون كان إمامًا لإقامة الباطل وجاء الله بالانقلاب وأغرقه في البحر، فمات فالآن هو يجعل في برزخ في مثل عامة الناس ويكون تأثير العقاب عليه خفيفًا، بل هذا لايجوز في الحكمة فيدخل في جهنم. قال الله "**أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**"[١]، وهكذا انبياء الله يكونون في الجنة وفي السماء، وهذا متفق عليه بين الناس ومن دون هؤلاء الأئمة رجال يقتلون في الانقلاب ويسمون بالشهداء، فأرواحهم أيضًا تجعل في جوف طير خضر ويدخلون الجنة، ثم لمقتضى يوم المحشر، هؤلاء الأئمة أيضًا يجمعون إلى المحشر من منازلهم سواء كانوا في الجنة أو كانوا في جهنم، ثم يقضى بينهم بمقتضى الإنسانية العامة، وبعد ذلك يدخلون مثل الناس في منازلهم مرة ثانية. هذا حقهم الطبيعي. أما الدخول الأول فكان لمصلحة خاصة، وتلك المسئلة غفل عنها أكثر من كتب في القبر والحشر، وهذا لايخالف نصًا من النصوص بل يكون جمعًا بينها، ونقدر على استنباط ذلك من بعض إيماءات كلام الشيخ، لكن بهذا التفصيل الذي ذكرنا، ما وجدنا في كلام أحد من أهل العلم. بمثل تلك الأمثلة نبين أن العلم لايتكامل إلا بتلاحق الأفكار ويكون ممزوجًا في الشرح وعدتنا إلى إمامة ولي الله الدهلوي القرآن العظيم. إذا ذكر أئمة الظلم وذكر أنهم غلبوا في الانقلاب فينتقل منها إلى بيان حالتهم في جهنم ليتفكر الناس بقياس حالتهم مع حالة هؤلاء ولما كان هذا عندنا صحيحًا لأنهم لما أخذوا في الانقلاب لايُترَكون مهملين بل يدخلون في جهنم، فهذا الموت الذي يعقد بهم في الانقلاب يقربهم إلى المحشر، فإن أراد واحد أن يفهم أن المراد بالقرب هو قرب العذاب، فعلى طريقتها أيضًا يكون صحيحًا، لأن أئمة الظلم أولا يؤخذون في الدنيا، ثم على الفور يدخلون جهنم ويعذبون، وبهذا الطريق سهل علينا تفسير جميع آيات القرآن التي تتعلق بالقيامة إن كان أنها لايعلمها إلا علام الغيوب فمعناه القيامة الحقيقية وإن كان معناه قربه، إما بالعذاب الدنيوي وإما بالعذاب الأخروي، فالمراد منها الانقلاب الذي أتى به النبي ﷺ بالقرآن.

فصل

موت رجل يسمى بالقيامة وكذلك موت قوم أيضًا بالقيامة. نبينا كان مبعوثًا إلى الناس كافة، لكن بعثته كانت مترتبة في الدرجات، فالبعثة الأولى إلى قومه الأميين وقريش وبعثته الثانية إلى آخرين، فالنبي كما ذكر أن من مات فقد قامت قيامته، كذلك يذكر قيام القيامة الثانية على قومه وتسلب منهم الحكم، وهذا يكون قريبًا من خمس مأة سنة وهكذا وقع في أمر خلافة قريش فإنها قامت خمس مأة سنة تامة للأرض، ثم ظهرت علامات الضعف وجاءت القيامة. عندي أحاديث المهدي من أشراط تلك

[١]- نوح: ٢٥.

الساعة وتلك القيامة وقد مضى المهدي العباسي وكان مطمح النظر في أحاديث النبي ﷺ لأنه يذكر في تلك الأحاديث أن بني هاشم يكون فيهم كذا وكذا وهذا بمقابلة بني أمية لاغير. أما جعل خلافة رجل من ذريته وتلك النكرة لايتحملها تعليم القرآن، وكل ما جاء في ذلك عندنا هو موضوع ومصنوع وأحاديث نزول المسيح عندنا معللة ليس فيها من الصحيح وهي روايات إسرائيلة تخبط فيها بعض الناس. أنا جازم بأن القرآن لينكر أن يأتي بعده شيء أعظم منه إلى يوم المحشر يوم ينزل الرب. أحاديث الدجال يأجوج ومأجوج أنما كانت تتعلق ببني إسرائيل وبعض أهل العلم اعتبروا زوال بني إسماعيل على زوال بني إسرائيل وجعلوا فيهم أيضًا دجال ويأجوج ومأجوج، ثم اشتبه على الناس أمرهم، فجعلوا ما ورد في بني إسرائيل مفصلًا معًا في بني إسماعيل والأمر عندنا ليس كذلك.

بنو إسرائيل وقعت فيهم واقعة عظيمة، وهي خروج بيت المقدس من أيديهم إلى أيدي بني إسماعيل، وتلك الواقعة لها أهمية كبيرة في التوراة والإنجيل، فيذكرون الواقعة ويشمئزون فيها. أشار الله في القرآن إلى تلك الواقعة في قوله: "**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**"[1] لما وقع عليهم لما أخرج بيت المقدس من أيديهم، فهذا كان قولًا محققًا عندهم في التوراة والإنجيل، هم يجزمون بوقوعه أخرجنا لهم راكبًا دابة من الأرض، بل رجل واحد يركب دابةً يكلمهم ويغلب، يعطونه المفاتيح. إن الناس ما كانوا يؤمنون أن بني إسماعيل يغلبون بتلك الخلافة ويخرج الأمير من أولاد يعقوب عندنا. هذا وقع بسفر عمر إلى فتح القدس وتسليم المفاتيح بالمكالمة. إنا ذكرنا هذه الأشياء لأنها عندنا من آثار القيامة التي قامت على قريش فقط.

جنكيز وهلاكو حملوا على العرب مثل ما حمل يأجوج ومأجوج على بني إسرائيل في رؤيا قد رأها ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه.[2] تلك الرؤيا كان تعبيرها أن أقوامًا مثل يأجوج مأجوج يهاجمون على العرب. وهذا وقع بعد خمس مأة سنة حكمت قريش على الأرض فكان من آثار القيامة. أما النبي ﷺ فلم يكن نبي قريش والعرب خاصة فقط، فإذا ماتت قريش تنتقل القوة الإسلامية إلى آخرين يقدمون بالقرآن الكريم.

لطيفة

سئلت شيخنا عن معنى الحديث الأئمة من قريش والشيخ كان راغبًا إلى انتصار الخلافة العثمانية مثل شيخه فقال: إذا لم يكن في قريش صلاحية فماذا تمت. فالإسلام يدوم في أقوام حتى تأتي القيامة الحقيقية والقرآن العظيم هو كان في تثبيت الإسلام في الأرض، وإنما يحتاج إلى رجال يقرؤون ويتدبرون ويجتمعون لنصرته. أما رجل واحد فهذه سنة اليهود والنصارى انتقلت منهم إلى المسلمين. إن

---

[1]- النمل: ٨٢.

[2]- **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم: ٣٣٤٦.

النبي ﷺ رأى في منامه أن عيسى بن مريم يطوف بهذا البيت ويطوف خلفه المسيح الدجال[1]، هذه الرواية حق وحديث صحيح، ولكنه يحتاج إلى التفسير، وقد غلط الناس في التفسير وأخذوا فكر اليهود والنصارى بأن المسيح يأتي، والحقيقة أن المسيح المبشر به قد أتى وهو نبينا ﷺ، لكن كفرة اليهود والنصارى ما آمنوا بالنبيﷺ وجعلوا يتنظرون المسيح، فللعلماء الذين أخذوا من أهل الكتاب من الصحابة والتابعين، تأثروا بدعايتهم، وعبروا هذه الروايات بإتيان المسيح بعد نزوله إلى البيت. عندنا هذا بناء باطل على باطل، والتأويل الذي يظهر لنا- والله أعلم- بمراد نبيه أن هذا البيت يخدمه رجال روحانيون مثل المسيح ابن مريم وعندنا مثال الشيخ عبدالقادر الجيلاني رجال كثيرون، منهم الشيخ أحمد السرهندي الهندي، ومنهم الإمام ولي الله الدهلوي. كلهم مصداق هذه الرؤيا. والملوك الفاجرة الذين يستعينون بالدعاية الدينية لتثبيت ملكهم على قاعدتهم العائلية لا على الطريق القرآني، هم أيضًا يخدمون هذا الدين، والبيت في الرؤيا هذا الدين. هم يفتحون البلاد باسم الإسلام وليس مرادهم ترويج حكم الإسلام في تلك البلاد، بل تثبيت الملك في عائلتهم على طريقتهم القومية ويأتي الربانيون من الحكماء والمتكلمين والصوفية والفقهاء، فيجعلون اجتماعية تلك البلاد اجتماعية إسلامية، وهم يعلّمون القرآن لأقوام المملكة ولايترضون بالملوك وحكمهم. هؤلاء عندنا هم مصداق الرؤيا للمسيح الدجال، وكان ذلك الأمر في بني إسرائيل على منهج آخر وفي الرؤيا ليست المشابهة في كل الأمور بهم مرادًا. عندنا هذا يكون أغلب حال الإسلام في حكومة الحج وليس مرادنا أن العجم كلهم يكونون هكذا. فيهم يكون صالحون راشدون لايريدون إلا نصرة نبيه وإن كان في نظام الحكومة يرجعون إلى حكم العائلية مثل قريش وبني أمية وبني عباس. هذا الأمر فيهم أيضًا موجود. أما ماعدا هذا فهم يتبعون دين النبي ﷺ بخلوص قلبهم وظاهرهم مثل السلطان صلاح الدين وكان قبله السلطان قطب الدين زنكي ومثل السلطان عمر فاتح ومثل السلاطين الكثيرين من بلادنا. أولهم محمود الغزنوي، آخر هم السلطان عالمكير وهكذا فكرنا أن أمر الإسلام يدوم بقيام جماعة من المسلمين يتدبرون القرآن ويدعون أقوام العالم إلى ذلك.

وتلك الأيام نداولها بين الناس. ينزع من قوم ويعطيها الآخرين. هذا التفصيل مسئلة القيامة الحكم لله والاجتماعية للأقوام وليس الفتح للأمر وحده دائمًا، الفتح للجماعة وإذا ادعى لنفسه إلا فهو موت

---

[1]- هذا الحديث يوجد في البخاري ومسلم ومسند أحمد وغير ذلك من المواضيع، وألفاظ البخاري من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلا مربوعا، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار، والدجال في آيات أراهن الله إياه: {فلا تكن في مرية من لقائه} [السجدة: ٢٣]، قال أنس، وأبو بكرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تحرس الملائكة المدينة من الدجال». (كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين [ص:١١٤] فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم: ٣٢٣٩.)

الاجتماع. الأستاذ يعتقد أن الغزنوي الهندي وقع أميرًا للأتراك. القوم يكون عليهم أمير وملك. أما الأقوام فليس عليهم إلا الهند ومن ادعى الأمارة على الأقوام فهو شيطان.

٢٧

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

"**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ**" الخ اليمن كانت فيها نصرانية، و كانت لها علاقة بإمبراطورية الروم، والروم كانت تريد أن تغلب على الأرض. عندنا للعرب مصالح كثيرة. كان عند العرب المقابلة للفرس وكانوا يحبون أن يتخذوا جنودًا من العرب، وكذلك الفرس كانت لهم مراكز وكان للفرس حكومة على شرق العرب، فاصطنع النصراني معبدًا أي الكنيسة في اليمن والعرب أهانوها، فالروم قاموا بعسكرهم ليهجموا على بيت الله، وكان أرباب الكنيسة يحبون أن يجعلوها مركزا للعرب ويبطلوا مركزية الكعبة، فمن هذا الطريق حدث لقريش منافرة على الروم، ثم لما تنصر بعض قريش، كان لهم وداد للروم، وكانوا يحبون أن يكون الحجاز داخلًا تحت حماية الروم، لكن الحنفاء منهم ما كانوا يرتضون بذلك، وبيت النبي منهم، فلما جاء هذا النصراني يهجم على مكة، فوصل إلى وادي المحسر واستقبلته قريش وتركوا مكة خالية وما كانوا يقدرون أن يعارضوه، ولكن كانوا يرجون من الله شيئًا يكون فيه النصر. من مزدلفة إلى مكة على طرفي الطريق جبال مسلسلة، فهم كانوا جالسين على قبل تلك الجبال، وكانوا يرجون من الله أن يكون شيئًا سببًا لقبلتهم. حكى الله من بعض أولاد بني آدم أنه قتل أخاه وكان لايعرف ما يفعل بالميت، فألهم غرابًا ففعل فعلًا مثل فعله، فقتل الغراب ثم دفنه في الأرض، فاهتدى بذلك ولد آدم ودفن جيفة أخيه في الأرض، ففي تقدم الإنسانية الحيوانات يجدونه بشيء من الفهم. لما كان العرب في اليأس وكانوا جازمين بأن هذا البيت لايفتح ويكون منيعًا لشيوع الحنيفية على الأرض بخروج رجل من بني إسرائيل، فكان من الضروري في تلك الحالة أن يلتجؤوا إلى الله بأن يهديهم طريق الصواب في تلك المخمصة. إلى هنا كل ما ذكرناه على سبيل الفطرة الطبيعية، وليس شيء مخالفًا بعد ذلك، والآن نذكر شيئًا خاصًا لنا ما أخذناه من أحد، فبعث الله في تلك الحالة طيورًا تعمل حجارة صغارًا من سجيل، فلما حاذوا رأس العسكر، هذه الهاجمة رمتهم بتلك الأحجار، كان تأثيرها مثل تأثير البرد، فلما لقي الفيل مثل هذا من الفوق، تحير واضطرب، وهو كان مركز عملياتهم بقوة هذا الفيل، وكانوا يهجمون على البيت فحدث الانتشار في صفوف المهاجمين وتأثر الفيل بذلك، ولما رأى العرب ذلك، اهتدوا مثل اهتداء ابن آدم وشرعوا يرمونهم من فوق الجبال من كل جانب بالحجارة وهم لما وصلوا إلى جمرة العقبة، فنيت قوتهم، وتلك الجمرات تخصصت بسبب الواقعات في تلك المهاجمة، وهؤلاء العرب رموهم بالحجارة تبعًا لأبابيل تبعًا للطيور. القرآن العظيم في بيانه يبتدئ بالعلة الأولى ويترك سلسلة العلل بينهما وبين المعلول ويترتب المعلول على العلة الأولى. كل ذلك مراعاة للأذهان الأميين. والراسخون في العلم لما علموا بالواقعة وعلموا بابتداء

العلة، وهم بالنظر إلى حوالي الأمور وقليل من التفرس، يقدرون على إكمال سلسلة العلل،[١] فكان فتحًا للحنيفية على النصرانية وفتحًا للحجازية على الرومية وفي تلك السنة ولد نبينا ﷺ فكان مباركًا يرجى منه الخير الكثير. هذا الذي شاع بين عامة أهل مكة. إن رمي الجمار تذكار لرمي إبراهيم الشيطان لما أراد ذبح إسماعيل واعترى الشيطان في الطريق لمنعه. هذا عندنا لأن ذبح إسماعيل إنما كان على المروة لا في منى عندنا، هذا تذكار من محاربة أصحاب الفيل، ومعنى هذا إذا هجم على الإنسان عدو بما عنده من شيء موجود، ولو كان حجرًا ملقى على الأرض تعليمًا لاستعمال هذه الآلات التي لم يتوجه إليهما أهل الصنائع والحكومات يستعين بها المسلمون في دفع أعدائهم، فأقاموا سنة رمي الحجارات قوميًا لهم وأبقاه الإسلام على حاله، لأن عامة المسلمين لاينتفعون إلا بمثل تلك الأشياء الحقيرة، والفضل في ذلك إنما يكون للتنظيم، فإذا انتظم جمع واستعانوا بما عندهم من القوة وصابروا في ذلك تكون لهم غلبة على المهاجمين على أوطانهم.

رفيقنا الشيخ الفراهي يثبت أن رمي الحجارة إنما كان من العرب والطيور إنما تبعت تلك العسكر لأكل الجيف. فكره مثل هذا نحن نقبل أن العرب رموهم بالحجارة، لكن الطيور ورميهم بالحجارة الصغيرة، لها أهمية كبرى عندنا في تلك الواقعة. على تنظيم هذه الواقعات لاتخرج عن ذهنية عامة المسلمين بعيدًا. هم يجعلون موت هذا العسكر على سبيل خرق العادة برمي الحجارة من الطيور. نحن نضم إلى رمي الحجارة رمي العرب إذ كان ثابتًا في أشعارهم وينتظم الأمر على أحسن ما يمكن.

١- جمهور المفسرين على أن العرب لهم يكن لهم نصيب في هزيمة أصحاب الفيل، وكانت الحجارة المرمية من الطيور هي السبب الأسمى لهلاكهم، وهذا الأمر كانت معجزة لحفظ بيت الله. ولعل أول من انفرد بمثل هذا التفسير الذي ذهب إليه الشيخ السندي أيضًا لهذه السورة، هو المعلم الهندي الشيخ عبد الحميد الفراهي(م ١٩٣٠ء)، والذي ذهب إلى أن العرب لم يتخلوا عن بيت الله، بل نافحوا عنه، وقاتلوا جيش أبرهة بما استطاعوا وبما تيسر لهم، وهو أنهم رموهم بحجارة من سجيل، ولكن رميهم هذا لم يكن ليدفع ذلك الجيش الجرار، فأرسل الله الجيش الجرار، فأرسل الله عليهم حاصبًا أهلكم، كما أهلك به الأمم الطاغية الأخرى، وكانت تلك آية عظيمة من آيات الله. وقد شبه رمي العرب جيش أبرهة بالحجارة ورمي الله إياهم بالحاصب في الوقت نفسه بما وقع في غزوة بدر إذ أخذ رسول الله ﷺ حفنة من التراب فرماها على الكفار. (ليراجع: عبد الحميد الفراهي، **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، تفسير سورة الفيل (أعظم كره: الدائرة الحميدية، ٢٠٠٨ء)، ٤١٧ ومابعد.)

٢٨

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

"**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**" الخ في اليمن حضارة راقية، وفي سوريا كانت خلافة داؤد وسليمان أحسن الحكومات على دين الحنيفية وكان بين اليمن والشام طريق التجارة مفتوحة من الزمن القديم، وبذلك كانت ثروة اليمن وسوريا كليهما، ثم بطلت كل شيء، بطلت حضارة اليمن، وانقرضت خلافة بني إسرائيل من سوريا، فسُدّ طريق الاتصال بين المملكتين في التجارات، فقريش لما كانوا بتلك التجارة في الصيف كأنهم أحبوا طريق الارتقاء في الإنسانية الاجتماعية أميتت من زمان. هذا الأمر العظيم هل كانت قريش في صلاحية لهذا؟ الجواب ظاهر. ليس عندهم كثير من الثروة وليس عندهم قوة إيجاد الأمن في الطريق الذي بعدمه كان الانقطاع حدث بين الشام واليمن، وليس عندهم قوة إلا شيء واحد، وهو أنهم يعرفون بخدام هذا البيت. بذلك يربح تجارتهم ويحصل لهم الأمن في الطريق ويكونون في بلدهم وبيتهم أحرارًا. ليس عليهم حكومة لأحد، فالله رب هذا البيت فنظرًا للحالات التي اشتملت على قريش، لايجوز لهم التمتع بحركة سياسية والاجتهاد في نجاحها إلا ما اشتمل على تمركز هذا البيت وعبادة رب هذا البيت فقط، فمن كان يدعوهم إلى الدخول في إمبراطورية الروم والفرس يدعوهم إلى طريق غير طبعي. القوم لايتم كماله المكتوب له إلا إذا كان نشأته على طريق طبعي، فبالنظر إلى ذلك لازم لهم أن يتقيدوا بالدين الحنيفي الذي عرف به هذا البيت ولايسلمون على أنفسهم حكومة غير حكم رب هذا البيت الذي هيأ لهم الأسباب في حالة فقرهم، وهذا يكون دعوة إلى إخلاصهم في الدعوة القرآنية.

٢٩

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

"**وَالضُّحَى الخ**" معنى القسم قد ذكرناه أنه شهادة على المدعى كالدليل الذي يتجلى به المطلوب. النبي ما أنزل عليه القرآن دفعته الأولى، وقد حبس عنه الوحي إلى أيام تكلم الناس في حق النبي ﷺ أنه صار مهجورًا، والنبي كان يشتاق من نفسه إلى علوم الوحي وانكشافاته لذلك، ويأتي في بعض الروايات أنه كما يصعد على جبل ويريد أن يلقي نفسه منه[١] فكان يرى جبريل يقول له أنك على الحق، وبعد مضي زمان على ذلك السكوت جاء الوحي. "**والضحى الخ**" هذه أول سورة في الدفعة الثانية، فذكر الله الشهادة بالضحى وبعده بالليل على أن ربك ما ودعك وما قلى كما كان يأتي في قلبك أو كما كان الناس يقولون. طريق الدلالة أن النور والحرارة التي تكون في وقت الضحى تجدونه مثل زمان نزول الوحي، فهل يحكم رجل رأى بعد الضحى ليلًا أن الشمس لايطلع بعده، بل معنى الليل أنه يأتي بعده يوم جديد، فكيف صار الظنون أن الوحي قد انقطع. إذا رأينا تلك الشهادة وقسناها على حاله يظهر بطلان تلك الأوهام. "**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى**" الحالة الآخرة من الوحي تكون قوية بالنسبة إلى الحالة الأولى. المفسرون دخل فيهم الزهاد فكل ما وجدوا لتثبيت فكرهم ما غفلوا عنها، وفسروا القرآن كأنه نزل لتعليم الزهد عن الدنيا وهم لايعرفون أن القرآن إنما نزل لإقامة الخلافة على العالم ففسروا "**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى**" بالضعف والمسكنة في الدنيا. الشيخ ولي الله فسر تلك الآية في **التفهيمات** فقال الحالة الآخرة خير لك من الأولى، ومعنى ذلك إنما جاء التأخير يتحدث في قلبك تشوق التحمل القرآن ليكون قوة التحمل زادت فيك، هل أنت راضٍ فقط بملاقاة جبريل لك كل يوم، أم أنت تريد إقامة ما زودته في قلبك من إعلاء الكلمة الحنيفية على جميع أقطار الأرض، فأي شيء واجب فبهذا التأخير وإيجاد التشوق والتحمل وبسط قوة التفكر، نريد أن نعطيك ما ترضى. هذا معنى قوله: " **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**" الناس كيف صارت ظنونهم في حقك بتأخير جبريل وكيف

---

[١]- قد جاء في المواضيع المختلفة من **صحيح البخاري** الحديث في هذا المعنى، وهذا من جبلة البشر و طبيعته كما جاء في القرآن عن موسى عليه السلام أنه خرج خائفًا يترقب، وليس هذا ينافي شأن المعصوم، كما أورد بعض المشككين الجدد الشبهات حول هذا الحديث. هذا على سبيل التسليم لثبوت هذه الألفاظ عن عائشة رضي الله عنها والتي روت هذه القصة، ولكن قد تكلم علماء الحديث أن هذه الألفاظ هي من زيادات الزهري، فيقول الحافظ ابن حجر "ثم إن القائل " فيما بَلَغَنا " هو الزهري ، ومعنى الكلام : أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة . وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً ، وقال الكرماني : هذا هو الظاهر."(أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**(بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ١٢: ٣٥٩.) وتكلم المحدثون الآخرون أيضًا على وثاقة هذه الزيادة.

تأثرت أنت بأفكارهم. ألا ترى إلى ما أنعم الله عليك وألا يرون هؤلاء معاملة الله معك. "**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى**" ووجدك وجعلك مكرمًا في عائلتك. ما كان مجلس في عبد المطلب إلا النبي ﷺ [١]... ولما توفاه الله وصار عمه كبير العائلة أبو طالب هو أكرمه فوق أولاده، ففي حالة اليتم ما جعله محوجًا إلى غير أكابر أهل بيته، وما جعله عندهم في الدرجة الثانية. هذا معنى الإيواء وهذا مثل ما قال لموسى. "**ولتصنع على عيني**." "**ووجدك ضالًا ال**"خ هذا الذي كنت تحبه وترضى به أن تكون الحنيفية في الدنيا عالية خلا لبعض أفراد قومك الذين تنصروا فيحبون الروم والذين تصابوا صار يحبون الفرس، والذين هم مشركون يحبون الفارس وأنت بخلافهم؛ كنت تحب أن تمشي على طريقة إبراهيم فقط وتكون الغلبة السياسية العالمية. كنت تحب أن تمشي على طريقة إبراهيم فقط، وتكون الغلبة السياسية العالمية لاتباع إبراهيم. كنت تحب ذلك ولكن لاتهتدي ببرنامج ذلك نقدر يومًا كذا. وفي يوم آخر ترده هذه الحيرة التي اعترت للنبي، عبر عنها بالضلال فبإنزاله إليك القرآن هداك الطريق.

أول هذه السورة اقرأ والثانية نون تكفيان لك لبرنامجك. كان يلزم عليك أن تتفكر فيها، لاتنتظر إلى شيء ينزل إليك كل يوم، معناه عندي أن طالب العلم إذا طالع مستقبل درسه، يحيط بأفكار أستاذه، فالنبي أيضًا لازم عليه أن يشتغل بمطالعة الحالات التي تحدث بعدما ينشر تلك السور التي أنزل الله إليك. "**وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ**" أنت كنت ذا عائلة كبيرة، ذا شرف وعظمة، وليست لها من الثروة ما يناسب شأنها، ففي تلك الحالة إذا كان تربية الرجل في العائلة يحدث في قلبه حب وجعل المال موقوفًا عليه كثير من الارتقاء والترقي، أما أنت فكنت عائلا يعني كأنك أنت مسؤول عن حاجات العائلة، فإنك إن كنت صغيرًا في السن، لكن العائلة تعظمك وتجد في نفسك لوقدرت على مال لأغنيته مع إحاطة مثل تلك الأحوال لنفسك جعل نفسًا غنيًا. قال النبي ﷺ الغنى غنى النفس،[٢] وقال لو كان لي مثل هذا الجبال ...[٣] ما وجد بخيلًا، وهذا غنى النفس التي جبل عليه النبي ﷺ مع مخالفة النفس الحالة الطبيعية، إذا نظر وتفكر الرجل البصير، ما يهيئ أمره، بل يعتقد أنه يصير عظيمًا لابد، فهذه الحالة الطبيعية التي أتت عليك من ابتداء عمرك إلى هذا اليوم، لو تفكر فيه الناس، ما أساؤوا بتلك الظن، ولو التفتَّ أنت ما ضاق صدرك.

---

[١]- العبارة ناقصة في المخطوط هناك، ويظهر مفادها أن النبي ﷺ كان في كنف جده عبد المطلب أولا ثم كفله عمه أبو طالب.

[٢]- قال النبي ﷺ : لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ. أخرج هذا الحديث في كتب الحديث المختلفة. (ليراجع: **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، رقم: ٦٤٤٦؛ **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، رقم: ١٠٥١ / ١٢٠؛ **سنن الترمذي**، أبواب الزهد، باب ما جاء أن الغنى غنى النفس، رقم: ٢٣٧٣؛ سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب القناعة، ٤١٣٧.)

[٣]- اللفظة هناك غير قابلة للقراءة.

قال كثير من المفسرين "**فأغنى**" أي بالنكاح بخديجة. نحن معتقدون ببركة هذا النكاح ونعرف عظمة خدمة خديجة لدين الإسلام، لكن لانجد غناها سببًا لغنى النبي ﷺ، بل النبي ﷺ بعد نكاحه أفقرها لأنها جعلت كل مالها تصرف في سبيل المؤمنين، فلو كان هذا محل غناه، ما أنفق منه أبدًا، فالذين كتبوا مثل تلك الكلمات، ما عرفوا النبي ﷺ وما فهموه وما فهموا دينه وأخطأوا في ذلك غفر الله لهم. الرجل القوي إذا قاس ذلك على نفسه يجد نفسه يشمئز من ذلك الغنى الذي يحصل بسبب النساء إذا لم يكن هذا المقصد كما يظهر من عناية الله به من أيام كما ذكر الله في الحكمة في تأخير هذا الوحي حتى ساءت الظنون يبين الله ذلك.

"**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ.**" النبي أمي وأمته أمية. إذا تلقنوا كلمات كثيرة، ولم يقدروا على إحصائها وحفظها، ضاعت عنهم، وأولى الطريق للحفظ أن ينشأ جماعة يتعلمون القرآن. كل ما نزل من القرآن شيء، لايحفظه النبي ﷺ وحده، بل الجماعة المتصاعدة في الكثرة تشترك معه في الحفظ، فلايخاف على ضياع القرآن بشيء، وتلك الجماعة كيف تنشأ في الحالة الابتدائية ضعفاء الناس يجمعهم النبي ﷺ من ليس بالغًا إلى درجة الرجولية، فليختر منهم اليتيم ويواسيه وهو بادئ المواسات ينضم إليك، ومعنى أدنى المواسات هو عدم قهره لأن الناس صارت عادتهم إذا رأوا فردًا لاوارث له يجعلونه ذليلًا ويقهرونه، وأنت إذا تركت قهره، ينظم إليك ومن الرجال من رأيته سائلًا، الرجل لايعمل هذا الفعل إلا بالضرورة والمشقة، فإذا جاء إليك سائل فلاتنهره، بل تلتفت باللطف والمواسات بما أمكن، ينضمون إليك، فتلك الجماعة يكون لها خصوصية معك، تجتمعون عندك، لايلزم عليك في ذلك مصارف كثيرة، بل إنما هو حسن الأخلاق وبسط الوجه، فإذا اجتمعوا عندك فعلمهم القرآن، وهذا معنى قوله: "**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**" ونعمة ربك هو القرآن وإذا حدثت به مع هؤلاء الضعفاء يحفظونه ويندر قلبهم به فلذلك العمل كان التأخير.

٣٠

سورة الانشراح

بسم الله الرحمن الرحيم

"**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ.**" العلم الصحيح إذا أدرك الرجل حقيقته وانبعثت معه همة الرجل[١]، ولايجد في قلبه مشكلة في إتمام ذلك الأمر إلا يجد طريقًا لحلها أيضًا معه، يعني أنه لايخاف من شيء يضاده، بل يجزم وطبيعته توفقه في هذا الجزم أنه قادر على تحصيله وتكميله، ويكون في ذلك الفلاح يقينًا، فيقال حصل له شرح الصدر في ذلك العلم. جاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ شرح صدره في صغره الملائكةُ، وأخرجوا منها شيئًا يقال له حظ الشيطان، وهكذا جاء في وقت المعراج أنهم شرحوا صدره، فنحن لاننكر تلك الواقعات،[٢] ولانجعلها تفسيرًا لتلك الآية. قال موسى : "**رب اشرح لي صدري**" فمعناه[٣] أنهم يشقون صدره وقلبه. ثم إن موسى عليه السلام دعا لذلك، والنبي حصل له بدون الدعاء، ومن حسن ترتيب المصحف نأخذ شيئًا. النبي ﷺ كان مقصده عظيمًا، وأمره الله في سورة الضحى أن يجمع إليه ضعفاء الناس، اليتيم وسائره وكان غير مناسب لمدعاه على ما تقتضيه طبيعة الرجال، هم يحبون أن يأتي إليهم أقوياء الناس لمواراتهم، لكن الله شرح صدر نبيه بائتمار ذلك الأمر، وجمعه ضعفاء الناس إلى نفسه، وجزم النبي ﷺ أن هذا يكون سبب نجاح الحركة وفلاحها، وكان كذلك، فالله يمنّ على نبيه. "**ألم نشرح**" نجعلك راغبًا في عمل تحته خير كثير، لكن في ظاهره هو أمر حقير، فلو لم يشرح الله صدر نبيه لذلك، ما أقامه كما كان حقه، وببركة هذا الشرح يذكرها له في سورة الانشراح.

"**وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ**" عندنا الوزر الذي انقض ظهر النبي هو عدم اجتماع رجال أولي الأفهام الأقوياء يوافقون على طريقة النبي ﷺ، فإذا رأى لايأتي أناس مثل هؤلاء والأمر عظيم، ولايجد في قلبه ميلًا إلى ترك هذا الأمر، فهذا له الوزر لايقدر أن تتحمله طبيعة النبي ﷺ، ثم لما توجه النبي ﷺ إلى الضعفاء تفكر المتفكرون[٤] الأقوياء الصلحاء الأتقياء أن هذا الرجل لو أراد قوة لنفسه ولعائلته، ما توجه إلى الضعفاء أبدًا، بل الرجل ليس عنده مقصد إلا إتمام هذا الأمر بيد أي رجل كان، فإذا عرفوا من سيرة النبي ﷺ تلك العلامة، توجه أهل الحق إلى الانضمام معه مثل أبي بكر وبواسطة كثير من أكابر قريش،

١- في ن م هناك: لإكماله.

٢- هذه الحادثة تسمى بحادث شق الصدر في روايات السيرة، وقد وقع ذلك ثلاث مرات: الأول في أيام طفولة النبي ﷺ حينما كان في رضاعة السيدة حليمة، وقد نزعت من قلبه علقة، وقد ورد هذا في **صحيح مسلم** (كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات، رقم: ٢٦١/ ١٦٢) وغيره، والمرة الثانية عند بعثته، وذكرت هذه المرة في كتب السيرة، والمرة الثالثة عند الإسراء والمعراج.

٣- في ن م : فجعلناه، فهذا خطأ الناسخ.

٤- في ن م: تنكر المتنكرون، وهذا خطأ الناسخ.

فهذا معنى "**وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ**" ولما جاء هؤلاء الأقوياء وجلسوا مع هؤلاء الضعفاء، عرف النبي ﷺ أن هذا نصر من الله فقط، وانشرح صدره على الايتمار بأوامر الله أكثر من الأول. "**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**" هذا أيضًا تتمة لوضع[١] الوزر الأمر العظيم، لايتم إلا بعد دعاية فاشية، فهذا الذي يريده عليه السلام يحتاج إلى رجال وأموال وإلى إدارات لبثِّ الدعوة في القبائل والأقوام، لكن الله جعل برحمته أعدائه الذين يخالفونه باعثًا في انتشار ذكره في الأقوام والقبائل، وهو في مقام يجتمع الناس إليه كل سنة، وفي موسم الحج يكون اجتماع عظيم ويكون سفر الناس إلى الحرم للاعتمار طول السنة. رؤية[٢] النبي وامتحانه أيضًا من ضميمة ذلك السفر، وإذا رأوه وصحبوه ورأوا جماعة ورأوا أعمالهم، يرتفع صيته ولامحنة في ذلك للنبي عليه السلام، فهذا من أعظم الانعامات عليه من الله ويزيد كل يوم ينشر الأقوام ذكره إلى أقوام آخرين.

"**فإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.**" هذا اليسر الذي حصل له بفضل الله وموهبته، لابد أن يكون له سبب في الظاهر أيضًا وهو تحمل النبي ﷺ المشاق في أدنى الأعمال؛ جمع اليتامى والمساكين وتعليمهم الدينَ، فأشار الله أن هذا العسر الذي تحملت أنت في أعمالك، كان سببًا لتحصيل ذلك اليسر الذي حصل لك بوضع الوزر ورفع الذكر. هذا كان في الماضي، ثم أعاد الله تلك الآية أيضًا للمستقبل. هكذا دائمًا يكون: تتحمل عسرًا فيكون سببًا لليسر. على قدر أهل العزم تأتي العزائم.

"**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ**" إذا فرغت معنا، اعمل دائمًا، فاجعل بعده عملًا أشكل وأثقل عليك منه محل همتك وعزمك لتكون في نصب. هذا معنى قوله: "**فإذا فرغت فانصب**"، ولابد في ذلك أن يكون الرجل متوجهًا إلى الله في إتمام مقصده؛ لأن الأمر الذي شرع منه فوق طاقته، فدائمًا يتوجه إلى الله ويرغب إليه، فإذا فرغت من قومك فاشتغل بقبائل العرب، وإذا فرغت من قبائل العرب، فانصب الجدال والقتال مع كسرى وقيصر بل جميع ملوك الأرض.

١- في ن م: لفظ "وضع" ساقط.

٢- اللفظ هكذا في ن إ و ن م، ولكن المفهوم فيه غموض، وقد أبقيته على حاله.

٣١

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

"سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧)" في حكمة الإمام ولي الله أن العالم كله مثل شخص واحد كبير، فالجسمانيات كلها الكواكب والسماوات والأرضون[1] مجموعتها كالبدن الإنساني لشخص واحد، فكما أن لكل شخص نفسًا ناطقة تدبر بدنه، هكذا لهذا الشخص الأكبر أيضًا نفس الكل، فجميع النفوس الناطقة تكون كالأجزاء لها، وكذلك نفوس الكواكب والأفلاك كلها متفرعة منها فوق هذه النفس، يعني نفس الكل التجلي الرحماني، وهذا التجلي أعلى ما يصل إليه كل مخلوق لله، والفيوض التي تظهر من هذا التجلي، أولها خلق أئمة الأنواع والفيض الثاني بعد ذلك خلق الأفراد للأنواع حسب استعداد المادة وتدبيرها، ومعنى التدبير استيفاء حقوق أئمة النوع في أفرادها، لأن المادة في بعض الحالات مختلفة عن قبول أحكام الأنواع، ففي تلك الحالة ما يمكن عليه من أحسن الحالات لتوفية أحكام أئمة الأنواع يتصرف الرب المتجلي على النفس الكل في المادة وترجيح بعض الصور على بعضها بوجه يوصل إلى أحسن ما يمكن، فهذا التدبير يشتغل به الرب المتجلي في كل آن. هو المعبر عنه في القرآن العظيم كل يوم هو شأن وإليه الإشارة في قول النبي ﷺ بيده الميزان يرفع القسط ويخفضه من هذا التدبير يتفرع فيض التشريع للإنسان.أفراد فطرتها أن تتجلى فيها إمام النوع الإنساني فكلما كان فرد من الأفراد أولى بالتجلي كان أقدم على أقرانه فتسهيل الأمر لكل فرد فرد أن يتجلى فيه الإمام أعلى ما يمكن هو التشريع والنوع الإنساني يقتضي بطبعه أن يفاض عليه العلم بواسطة رجل منهم. هذا الرجل يكون نبيًا. بيان حكمة التشريع أنه يرجع إلى تدبير النوع الإنساني فيكون فضل من الله الرب الأعلى.

مقصد هذه السورة **"سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى"** كل ما يعتري في قلبك من نسبة خلق شيء مما لايناسب الإنسانية منزهة عن ذلك، ليس مثل ذلك الأمر كله إلا فن اقتضاء التدبير الذي يحيط بالنوع الإنساني وكل إنسان بطبيعته لايحب إلا ذلك الأمر، هو مقتضى نوعه، فإذا كان مقتضى إمام النوع مقصد كل إنسان ومحبوبه، وذلك المقتضى يقتضي لذلك الأمر المكروه، فهذا ليس نسبة إلى الحق صحيحًا بل نسبة إلى طبيعة النوع الإنساني هو الصحيح، فيكون مثل هذا تفسير ما جاء في بعض الأحاديث حكاية عن الرب يوم المحشر، إنما هي أعمالكم أردها عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد شرًا غير ذلك فلايلومن إلا نفسه، فجميع المستكر هات التي تظهر للإنسان، ليس مصدرها

---

[1]- في كلتا النسختين: الأرضين، والصحيح الأرضون، فإن اللفظة في موضع الرفع.

إلا اقتضاء التدبير النوعي، والله سبحانه لايترك تدبيره وحكمة لاتباع هوى بعض الناس، فإن كان الناس ينكرون هذا، فلينكروا منشأ التدبير، يعني اقتضاء إمام النوع الإنساني، ويجردوا أنفسهم عن ذلك الاقتضاء، وهذا لايتأتى منهم، لأن كل فرد من الأفراد ولايجب إلا أن يكون من ذلك النوع.

"**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى.**" خلق الأنواع وسوى لهم مقتضاها. الأسباب تحت هذه الدرجة كلها تكون موافقة لتوفية كل نوع بخواصها، وهذا معنى قوله "**خلق فسوى.**" هذا باعتبار الخارج ويمكن أن يقال سُوّي الكل في الداخلية أيضًا مناسبًا بمقتضى النوع. لما خلق نوع الإنسان لمعنى مخصوص فأدنى الأعضاء والقوى لتوفية ذلك المعنى مستوى، فهذا تسوية النوع في داخليته فيكون الذي "**خلق فسوى**" شاملًا للأمرين.

"**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**" قدر المعنى المخصوص في النوع وقدر له طريقًا مخصوصًا في توفية مقصده، فهذا الذي قدر في النوع يكون تأثيره في أفراد النوع حتمًا لازمًا، فهدى الأفراد فسوى لهم الطريق لتوفية خواص النوع. هذا هو التشريع. الأمر مقدر لكل فرد الوصولُ إليه كماله، فتيسير ذلك الطريق حسب الاقتضاء النوعي يكون تشريعًا، فالتشريع ينشق من التقدير. تفصيل هذه المسئلة في باب انشقاق التكليف من التقدير من **حجة الله البالغة،** وهذا من خواص حكمة الإمام. قرأنا كتبًا كثيرة في حل هذه المسئلة من أئمة، ونجزم بأنهم يعرفون المسئلة بحقيقتها لكن بيانهم مشوش إلى الغاية غير مبني على مبادئ يترقى منها الطالب إلى المقصد. يقرأ الطالب الكتاب مرارًا ولايحصل منه شيئًا، وإن استقر مقصد المصنف في ذهن بعض الأزكياء فكأنهم أخذوها بالحدث لا بالفكر والرؤية، فهم بعد ذلك لايقدرون أن يفهموا أحدًا. لانقول إن الإمام ولي الله تفرد بحل هذه المسئلة، لكن نقول إنه وفق لبيانه بوجه يتضح لكل أحد ذي بصيرة مسلمًا كان أو غير مسلم، وبتلاحق الأفكار مع بيان الإمام صارت المسئلة مشروحة إلى الغاية. [1]

"**وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى**" نذكر في تفسيرها كلمة من كلمات الشيخ، فكما أن المستبصر إذا رأى نوعًا من أنواع الحيوان لايتعيش إلا بالحشيش، استيقن أن الله دبر له مرعى فيه حشيش كثير، فلذلك المستبصر في صنع الله يستيقن أنه لما كان اعتدال مزاج الإنسان بحسب ما تعطيه الصورة النوعية لايتم إلا بعلوم، وجب في حكمة الله ورحمة أن يهيئ في غيب قدسه رزق قوته العقلية، يخلص إليه أزكاهم، فيتلقاه من هنالك وينقاد له سائر الناس بمنزلة ما نرى في نوع النحل من يعُسُوب[2]

---

[1]- في ن م هناك قسط من العبارة ساقط من ن إ، وهو: شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم يذكر المسألة في المجامع العامة تجتمع فيها الهنود والنصارى والمسلمون خاصتهم وعامتهم، يخطب فيهم ويبين المسألة، كل أحد يفهم كأنه أدركه. كل ذلك ليس إلا باتباعه طريق ولي الله وأيضاحه بألفاظ مناسبة لأذهان المخاطبين.

[2]- في ن م: يعقوب، وهو خطأ. اليعسوب هو طائر أصغر من الجرادة، وقال صاحب **القاموس الوحيد** مبينًا معنى اللفظ بالأردية: *شہد کی مکھیوں کی رانی*۔وهذا معنى أنسب للسياق. (لينظر: وحيد الزمان قاسمي كيرانوي، **القاموس الوحيد،** تحت ي.)

يدبر سائر أفرادها، فهذا قوله "**وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى**" إلى "**فلاتَنْسَى**". لما كانت حكمة الله دبرت للحيوان إخراج المرعى في موسمه، ثم جعله غثاء أحوى في غير ذلك الموسم ليتعيش به الحيوان، أفلايكون ذلك الرب الأعلى يدبر للإنسان غذائه العقلي، فلذلك سنقرئك وتكون أنت أستاذًا وإمامًا تعلمهم، وهذا هو مقتضى نوعهم. "**فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ.**" ما شاء الله هو بحسبك الفطرة، والعلوم تتبدل إذا انتقلت من قرن إلى قرن لاتكون غضًا طريًا مثل أيام نزولها. "**إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى**" يعرف الأنواع وأئمتها ويعرف الأفراد ومقتضياتها، فيراعي كلتا المصلحتين.

فصل

لتعليم النوع الإنساني طريقتان: ١- الأول تقديم الملكية على البهيمية ولايراعى فيها مصلحة البهيمة. ٢- الثاني: رعاية الملكية والبهيمية كلتيهما، النوع الأول يسميه الشيخ بالتجاذب، والثاني يسميه الشيخ بالاصطلاح. بيان الطريقتين مستوفى في مقدمة **حجة الله البالغة**. التجاذب هو خلاف الفطرة وصعب سلوكه، والاصطلاح ملائم للفطرة ويتيسر سلوكه لكل صغير وكبير، فالأنبياء يبعثون لبيان الطريقة الثانية فقط، ويشيرون بالتلميحات إلى الطريقة الأولى، وأولياء الله قسمان:[١] قسم من أتباع الأنبياء و[٢]قسم يكملون الطريقة الأولى، ولعدم انضباط حدود الطريقتين عند أكثر أهل العلم، يشكل عليهم تطبيق معارف الإنبياء بمعارف بعض الأولياء، والإمام ولي الله حقق كل طريقة بكلام لايرجى فوقه، وهذا أيضًا من خواص ذلك الإمام. نحن نذكر ذلك لأن الناس يمرون على تلك المباحث كأنها سهلة لايتوجهون إليها، فلايفهمون الفرق بين الطريق اليسرى والعسرى، فسور من القرآن يمرون عليها بدون فهم واعتمادهم في القرآن على التفاسير المكتوبة تحت آيات قرآنية، والتفاسير لاتبحث إلا عن اللغة أو ما نقل من حديث وأثر أو ما يتعلق بنوع من التعلق من كلام الفقهاء ومن كلام أهل الكلام، ويزيدون عليها الإسرائيليات والحكايات الموضوعة، فمثل هذه التفاسير هل تنفع الناس في فهم مسائل الحكمة؟ وإذا بحث حكيم من الحكماء الربانيين في مسئلة تتعلق بكتاب الله، وأتى بكلام مستقل لازم على طلبة العلم أن يتوجهوا إليه بكل قوتهم لينفتح لهم طريق الفهم في كتاب الله. وأنا لا أدعو إلى كتب الإمام ولي الله إلا لذلك الغرض، وليس دعوتي تلك لكل أحد بل الذين مقصدهم فهم كتاب الله. هم إذا صرفوا أوقاتهم في فهم مسائل الحكمة في كتب الشيخ، ينفتح لهم طريق الفهم في كتاب الله. في **حجة الله البالغة** في مبحث السعادة يذكر الشيخ تينك الطريقتين فلازم أن يتوجه الرجل إلى استيعاب مطالعة هذا الباب. "**وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى**" قال الشيخ والثانية أئمتها المفهمون وذووا اصطلاح هم القائمون برياسة الدين والدنيا معًا، ودعوتهم هي المقبولة وسنتهم هي المتبعة، وينحصر فيها كمال أكثر الناس، ويتمكن منها الذكي والغبي والمشتغل والفارغ ولاحرج فيها وتكفي العبد في استقامة نفسه ودفع اعوجاجها ودفع الآلام المتوقعة في المعاد عنها. هذا كله مقتضى الطريقة التي سميناها باليسرى. "**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى**"

قد غلط بعض الناس في فهم دعوة الأنبياء أنه يجب عليهم هداية كل فرد من أفراد النوع، والذي نراه أنه باطل بداهةً. من الناس جماعة يتأهلون أن يسمعوا كلام الأنبياء ويستفيدوا منه. هؤلاء هم الذين يجب على الأنبياء أن يعلموهم، لكن تلك الطائفة مختلطة مع المعاندين المكذبين. لذلك يخاطب الأنبياء جميع الناس. فإذا تبين أن الرجل معاند مكذب لايريد الاهتداء، فالتوجه إليهم ليس بواجب على الأنبياء، بل هو تضييع للوقت، وعلاجهم إنما يكون بعد قيام الهيئة الاجتماعية للمؤمنين بحكومة البلاد، فإن تبع هؤلاء أوامر الحكومة وتركوا المنازعة مع الحكومة، يصيرون ذميين، وإن كان عنادهم إلى درجة يعارضون الحكومة أيضًا يقتلون، فالجهاد وإقامة الحكومة من لوازم دعوة الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام، وقبل ذلك لم الجهاد لازمًا، بل كان يأتي العذاب من الغيب ويهلك الكفار، فدعوى أن الأنبياء يلزم عليهم أن يهدوا كل من يبلغ إليهم تخييل باطل. هذا معنى قوله: "**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى**" ."**سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى**" الإنسان يتفكر وهذا من لوازم الإنسانية، وإن كان الإنسان خاليًا عن التفكر، فهذا حيوان في صورة الإنسان، وكل أحد إذا تفكر، ينظر في نجاة نفسه من مهالك الدنيا، وإذا كان الرجل ذكيًا وصحب الأئمة الأذكياء يتفكر في نجاته من مهالك الآخرة أيضًا، وفي هذا التفكر يبدوا للناس طريقتان : ١- طريقة نفعها راجع إلى نفسه وإلى من ينضم إليه من أهل بيته. ٢- وطريقة يكون نفعها راجعًا إلى عموم الناس أولا وفي ضمنه يحصل له أيضًا. والإنسان في ابتداء فكره لايصل إلى تعيين طريقة عمومية بالسهولة. أما الطريقة التي ترجع إلى نفسه وإلى أبناء عشيرته، فهذا يصل إليه كل متفكر بسهولة، وبعد ذلك يختلف هؤلاء إلى قسمين: ١- قسم يجعل هذا كافيًا لهم، لايريدون التحول منها إلى شيء أعلى، وهم أكثر الناس، والقرآن الكريم يحكي عنهم: "**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**" مثل ذلك. هؤلاء الناس هم قليل الفكر، والقسم الثاني منهم ينظر في أحوال الناس أخبار الدنيا، فيجزم بأن استقرار تلك الحالة لهم لايدوم. يخشى أن يأتي حركة عمومية فعمومية، فيغلب عليهم هؤلاء دائمًا يبحثون عن حركات عمومية فعمومية، وهكذا إلى فوق، وعندنا معنى يخشى هم هؤلاء الناس يعرفون قوة الحركة العمومية وتغلبها على الحركات الخصوصية. هم إذا وصلوا إلى حركة عمومية لعامة الناس ولايتفكرون في حركة أعلى من ذلك، تذهب عنهم الخشية إذا التزموا تلك الحركة العمومية. وهذا معنى قوله: "**سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى**" لأن الدعوة القرآنية هي للإنسان عامة. وكنا نحن نستشكل تفسير قوله: "**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**" فإن التجربة بخلاف ذلك، ونرى رجالًا عامة إذا ذكر الله عندهم يخشونه، وإذا ذكر عند العلماء والعقلاء لايبالون إلا بقدر الرسم. إذا رأوا أنهم يخالفون الأمر الإلهي هذا فيقيم العامة القيامة عليهم يظهرون التخشع لأمر الله، وإذا لم يخالفوا من اعتراض العامة، فذكر الله وعدمه سواء عندهم. هذا حكم عامة الناس. نعم قد رأينا رجالًا من العلماء يخشونه، والذي وضح لنا اليوم أن المراد من العلماء، العلماء بالاجتماعية الإنسانية والعلماء بالفطرة الإنسانية، فكل رجل منهم إذا عمل في نفسه عملًا يخالف الفطرة الإنسانية، يخشى من ربه بانتقام الفطرة، وكل رجل اعتمد على اجتماعية

ناقصة مخصوصة، يخاف من انقلاب الهيئة الاجتماعية العمومية. هؤلاء دائمًا يخافون ربهم انتقام الفطرة أو انقلاب الفطرة، والذين ليس لهم معرفة بتلك الحكمة، هم يفترون ببعض الأشياء الفاسدة ويذهب عنهم الخشية من الله، فالنبي عين له المخاطبون في الدعوة. كل رجل يرى منه أنه يعرف الفطرة الإنسانية ويقيس كل أحد على نفسه أو رجل له توجه إلى الاجتماعيات والسياسيات العالمية، فكل منهما سيذكر بدعوة نبينا ﷺ. "**وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى**" إلى "**وَلَا يَحْيَى**" في النبوات السابقة على إبراهيم كان أمثال هؤلاء الرجال يهلكون بنزول العذاب عليهم، فيدخلون النار الكبرى. الناس طائفة منهم يمكثون في قبورهم منتظرين وبعد الحشر يدخلون النار مثلا. عندنا المراد من هؤلاء صنف مخصوص من الناس الذين لم يؤمنوا بالحق وما جادلوا وما عاندوا الحق. أما الذين يعاندون الأنبياء ثم يهلكون بعذاب من الله، يدخلون على الفور جهنم، ثم يخرجون منها إلى المحشر ويجري عليهم الحساب ويدخلون مرة ثانية. وبعد إبراهيم عليه السلام كل رجل يقتل بأيدي المجاهدين، يدخل النار الكبرى على الفور مثل ما ذكرنا أولًا.

"**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**" باقتضاء الفطرة الإنسانية السليمة والأنبياء لايأمرون إلا بتوفية اقتضاء الفطرة السليمة والمراد منه التطهير، التطهير من الأنجاس والأوراث في اللباس في الجسم والمكان وكذلك ترك الخصلات الخبيثة التي يتنفر عنها الإنسان مثل ما يتنفر عن الأنجاس.

"**وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**" التوجه إلى الله هو اقتضاء الفطرة الإنسانية. يعرف بتفكره أنه ما أوجده إلا من خلق السماوات والأرض، فإن حاجاته كلها متوقفة على السماوات والأرض وهو يستفيد منهما بسهولة فيعرف بالوجدان أن خالقه وخالق هذه هو رب واحد فتوجه إلى الله، ولايكون مثل هذا التوجه توجهه إلى شيء فإذا هو صحب المتألهين سمع منهم أسماء الرب، ينتخب اسما واحدا يناسب فكره، فيذكر ربه دائمًا بذلك الاسم، وعندنا الاسم الإلهي الله، معناه الغاية في المحبوبية أو مثل ذلك. الأسماء الإلهية تبنى على صفة خاصة، فهذا الرجل دائمًا يجمع فكره إلى ربه يذكر اسم ربه، فهذا الاسم يكون له في دماغه صورة خيالية، ويحبه غاية المحبة، فيؤثر في جميع حالاته، فيكون مثله مثل الحطب تحيط به النار، فهذه الحالة تسمى بالصلوة عندنا، والصلوة التي نحن نصليها، ليس إلا طروقًا لتحصيل تلك الحالة في الاجتماعية.[1]

---

[1]- هناك قطعة من العبارة في ن م، وليست في ن إ، وهي: أنا تعلمت العلم في مدرسة ديوبند. مشايخنا كلهم كانوا من الحنفية، فصرت أنا حنفيًا بالطبع، ثم وفقني الله للمطالعة ورأيت مسالك الأئمة مثل إمامنا الإمام الأعظم والإمام الشافعي في زمن أخذ الحديث، فبعض الأوقات كنت أميل إلى الإمام الشافعي وإلى تقليده، ثم ظهرت لطيفة غيبية واستثبت على الحنفية، وكان ذلك عندي بتأثير معنوي من شيخنا مولانا سيد أحمد الديوبندي حين كنت آخذ منه سنن الإمام ابي داؤد، ثم بعد ذلك كان يظهر لي بعض الفوائد العامة في فقه الإمام أبي حنيفة أكثر. وكنت أعرف بمطالعة كلام مشايخنا على أن رعاية الحكمة والعلة في فقه الإمام ابي حنيفة أكثر. وهذا يوفق مزاجي.

نذكر مسئلة حكمية وصلنا إليها بعد أن قطعنا المدارج الكثيرة في الاجتماعيات هي هذه. رجل حكيم يعرف الاجتماعيات العالمية، ليس بمسلم يصل إلى يده أول مرة من القرآن الكريم معرى مجردًا من جميع الذهنيات الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والكلام والتصوف وغيرها، وهو يعرف العربية أو كان معه ترجمة ألفاظ كتاب الله باللغة التي هو يعرفها. نريد بذلك أن ليس عنده مسلم يعلمه شيئًا من أحكام الإسلام وأنه لم يقع بيده كتاب من الكتب التي صنفها المسلمون لشرح كتاب الله أو لتنظيم أحكامه، فهذا الحكيم يطالع في أوقات فرصة القرآن الكريم مرارًا حتى يفهم منه ما ظهر له من مراده، فهذا الحكيم يجد في كتاب أصولًا أساسية عامة للاجتماعيات العلمية والسياسة وينشرح صدره لقبولها ويؤمن بأن ذلك الكتاب لاريب فيه، ولانظير له في بابه، ففي القرآن العظيم بعض الأوامر الفرعية أيضًا هي عندنا أمثلة لفهم التشريعات. ليس هو استيفاء شريعة تا مة، بل هذا الأمر موكول إلى النبي ﷺ[1] وهذا الرجل يأخذ من الفروع الإسلامية بشيء غير تام. هذا الذي قلنا يقدر عليه كل رجل متفكر، ليس فيه شيء يشكل على أولي الألباب، وعلى هذا يحدث عندنا سؤال. إذا التزم هذا الحكيم الأوامر الفرعية القرآنية وأسلم لذلك واستمر على أدائها، هل يكون حكمه حكم المسلم الكامل أو لا؟ والذي نفهم من كلام الإمام مالك والشافعي ومن سلك مسلكهما من الأئمة المتأخرين، أنهم يجعلون مثل هذا الإسلام كلا إسلام ناقصًا مخدجًا. إذا سألهم الرجل كيف يصلي؟ يذكرون له كل ما أوجبه النبي ﷺ من التشريع الكامل، فإذا كان الرجل ترك شيئًا منها، فعندهم كأن الرجل ما صلى، فإذا أخذنا حكم هذا الحكيم من فقه هؤلاء، يظهر أن لاصلوة له ولاشيء من الأعمال أو أنه سجد أولًا وركع بعد، يقرأ جالسًا ويقوم قانتًا، فهذه الصلوة ليست بصلوة عند هؤلاء الأئمة، فكان الكتاب الإلهي لايجوز الاعتماد عليه مجردًا من انضمام الآخر.

فصل

الإمام أبو حنيفة يفرق في فقهه بين الفرض والواجب، فإذا أخذ الرجل أحكام الفروع من كتاب الله وما قصر في اجتهاده وما أساء، يكون عمله كاملًا مقبولًا عند الله. إذا كان لم يصل إليه شيء من التشريعات التي أوجبها النبي ﷺ والمسلمون، والإمام أبوحنيفة يجعل ما ثبت من التشريع الكامل من النبي ﷺ في درجة الواجب، إذا تركه أحد متعمدًا فهو مسيء، وإذا أدى الفرض تكون إساءته في الدرجة الثانية. أما إذا تركه لعذر، فلامؤاخذة عليه، فيجعل الإمام جميع ما شرعه النبي ﷺ واتفق عليه المسلمون في زمن الراشدة كله في الدرجة الثانية لم يجعله مساويًا لما ثبت في القرآن الكريم.

١– نزول الكتاب الإلهي باسم الكتاب

٢– بيان نبينا بعد ذلك يوجب هذا الفرق المسلم الذي أثبته الإمام أبوحنيفة.

[1]– وفي ن م: وعلى خلفائه.

ويمكن لنا أن نجعل دعوتنا الأمم إلى الإسلام منحصرة في الدعوة إلى كتاب الله وحده، فإذا دخلوا في المسلمين فبحكم اجتماعية المسلمين يأخذون أحكامهم لابد. أما إسلامهم فيكون تامًا إذا أظهروا الخضوع لكتاب الله. هذا الفرق كنت محتاجًا إليه في طريق تفكري، فلما وجدته في فقه الإمام أبي حنيفة أحببته حبًا بليغًا.

فصل

الإمام ولي الله في كتاب **حجة الله البالغة** يبين حكمة جميع ما ثبت عن النبي ﷺ ويقسمه على قسمين: ١- رعاية المصالح العامة في معاني التشريعات. ٢- رعاية التيسير ونحوه في صور التشريعات، فهو فصل كل حكم إلى مصلحة وإلى تشريع، فنسمي المصالح فروضًا ونسمي التشريعات واجبات وقد صرح أنه إذا لم يمكن الجمع بين صورة الحكم ومعناه، فالحكمة الشرعية تهمل الصورة للتشريع، وتلتزم المصلحة، فكأنه يجوز الشرع ترك الواجب ويأمر بالتزام الفرض. وكتابه هذا صار قدوة في التفريق بين الفروض والواجبات، ونحن نعتقد أن القرآن الكريم محيط بجميع المصالح الشرعية ويأتي بالشرائع على قدر الضرورة، ثم جاء شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم وصرح بتفسير كلمة الفرض والواجب بالمصلحة والتشريع في كتابه **مصابيح التراويح**، فتمم وأكمل ما لم يصرح به الإمام ولي الله بتعيين الفرض والواجب مع كونه بالغًا في البحث عن حقيقتهما، ثم راجعنا كتب الفقهاء الحنفية في أصولهم، وما رأيناهم يقدرون على الفرق بين الفرض والواجب، فنحن بحمد الله نعتقد في مشايخنا أنهم أعرف من كثير السابقين في الفقه الحنفي أيضًا، عرفنا بذلك سر بقاء الحنيفية عمدة إلى زمن طويل وهو إقامة الله فيهم مجددين في كل عصر. أما هذا التقليد البحت لأوراق الفقه فلايجدي نفعًا.

فصل

استنبط الفقهاء الحنفية من قوله: "**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى.وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**" إن تكبيرة الافتتاح خارجة عن الصلوة. مثلًا الطهارة يتوقف عليها الصلوة أخذًا من قوله: "**فَصَلَّى**" والآخرون لايسلمون لهم ذلك أخذًا من التشريعات، فيمكن الجمع في درجة المصالح والفرص هي خارجة وفي درجة الواجبات والتشريعات هي داخلة." **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**" بيان الفرق الثاني مقابل المفلحين. "**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**.**وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**." المفلح لايكون تاركًا للدنيا، بل إنما يقدم في ذهنيته مقتضيات الفطرة الإنسانية الطهارة ثم ذكر الله والصلوة على الحالات الطبيعية، مثل الأكل والشرب، ولهذا التقديم يصير مقدمًا في الدنيا ناجيًا في الآخرة، فكأنه قد أفلح حياته. أما ذلك إذا أخر هذا عن الأكل والشرب ومقتضيات الحيوة الدنيا، يصير مؤخرًا في الدنيا. الحيوة الإنسانية إذا انتظمت على فطرتها، لايقدم مثل هؤلاء الحيوانات على الإنسانية، وفي الآخرة ضرره أشد، فمقابل هؤلاء المفلحين الذين لم يلتفتوا إلى دعوة

القرآن، يؤخرون في الحيوة الدنيا إذا حصل الفلاح للمؤمنين وحكموا على الأرض والآخرة يكون حرمانه منها طويلًا عريضًا.

"**والأخرة خير وأبقى**" معناه أن الدنيا إن كان تركه كلها واجبًا لتحصيل الآخرة، ففي تلك الحالة أيضًا تكون الآخرة خيرًا وأبقى. لايخطر ببال الإنسان أنه خسر شيئًا، فإذا كانت الدعوة القرآنية تجمع بين المصلحتين الدنيا والآخرة، فالإعراض عنها يا يتأتى من أرباب العقول السليمة. "**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى**" هذا التعليم المختصر في تلك السورة الدعوة إلى تكميل الفطرة الإنسانية، هذا هو خلاصة تلك الصحيفة الطويلة العريضة التي تنسب إلى إبراهيم وموسى. والسفر الأول من أسفار التوراة الخمسة، سفر التكوين هو عندنا صحف إبراهيم، والأسفار الأربعة الباقية من سفر الخروج إلى سفر التثنية هي صحف موسى، فالأسفار الخمسة هي صحف إبراهيم وموسى هي أم الكتاب في الدين الحنيفي والقرآن العظيم أتى بخلاصتها في سورة قدر صفحة واحدة من كتاب الله ونحن نريد إظهار الشكر لله تعالى بإعادة تلك الكلمة. ما كنا ندرك تفسير هذه السورة إلا بعد ما أحطنا ب**حجة الله البالغة** وبعد ذلك نحن نتمكن أن نقرأ الأسفار الخمسة لأحبار اليهود والنصارى مثل ما نقرأ كتاب **الهداية** للفقهاء الحنفية أو **جامع الترمذي** لفقهاء أهل السنة.

٣٢

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

"لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)" الإنسان مفطور على أن يعمل بكل قوته واجتهاده في إتمام ما أدى إليه نظره من الحق، فإذا خالفه رجل أو قوم يعرفون الحق ولايسعون له بكل قوتهم، لايرجى لهم شيء من الخير، لأنهم غيروا الفطرة الإنسانية. في بعض الأوقات أسباب الفلاح تكون مستقلة، فالناس الذين لم يجتهدوا بالصدفة قد يستفيدون من هذا الفتح، وليس هذا قانونًا، وهم بعد ذلك يجازون بقدرما أخذوا من فوائد هذا الفتح، ويضيق عليهم، وهذا نسميه نحن انتقام الفطرة الإنسانية، ففي هذه السورة ذكر الله الشهادتين بصورة القسم وإضافة كلمة لا كأنها لتأكيد القسم، يعني أن هذا القسم بظهوره وصل إلى درجة لانذكره، ونفوض إلى المخاطبين فهموا ذلك القسم. هذا البلد لما كان النبي نازلًا فيه بعد البعثة، فتلك السنون ١٣ كيف كانت حياته صعبة ضيقة. إذا قسناها مع حياة الناس الآخرين، لانجد مثلها في المشقة. هذا خاتم النبيين افضل الرسل في بلده في بلاد لايكون أشد منه، فإن كان رجل يستثنى من تلك المشقات بسبب كمالاته، لكان نبيًا أولى بذلك. والقسم الثاني **"وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ"** الطفل وقت ولادته كيف يضيق عليه وكذلك يضيق على أمه، فالإنسان من مبدأ حياته كما هو مقتضى القسم الثاني إلى منتهى كمالاته كما هو مقتضى القسم الأول، مبتلى ببليات، فيكون القسمان شهادة على قوله: " **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ**" في صنف من الإنسانية أرباب الأموال، فيهم ذهنية باطلة، يحسبون أنهم إذا أنفقوا الأموال، يحصل لهم كل مدارج الكمال. هذا فكر باطل. المال ينفع الرجل في ارتقائه إلى مدارج، إذا تحمل محنة التفكر أولًا في أي موضع ينفعه؟ وهذا أيضًا نوع من المشقة، لايحصل تعيين المحل الصالح للإنفاق بسهولة لكل أحد، ثم مع ذلك المشقة راجعة إلى بدن الإنسان لازم تحمله، ففي تلك الحالة يمكن أن ينفعه المال. تجرد الإنسان من المشاق تغيير للفطرة الإنسانية، والذين يقولون نحن بدون تحمل المشقة نرتقي إلى الكمال. هذا الفكر يكون في أرباب الأموال، وأرباب الحكومات أرباب السيادة الاجتماعية مثل المشايخ والعلماء، إن لم يكن في كبارهم يكون في أولادهم وإذا استقر هذا الفكر في الطبقة العالية من قوم، يتقنوا أن موتهم قريب.[١] هؤلاء الذين يجوزون لأنفسهم دفع المشقة عنهم كأنهم حاكمون على أنفسهم ليس عليهم حاكم آخر لو سلموا الحكم إلى أحد فوقهم تركوا له حق أن يضيق عليهم فإذا نفوا عن أنفسهم التضييق كأنهم في سكرتهم ينفون حكم الحاكم عليهم هذا معنى قوله: " **أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**"

---

[١]- في ن م هناك بيت للشاعر الأردي الشهير مولانا الطاف حسين حالى مأخوذ من المجموعة **مسدس حالى**: *تن آسانیاں چاہیں اور آبرو بھی۔۔۔ قوم آج ڈوبے گی گر کل نہ ڈوبی.*

رجل آخر يصرف النفقات الكثيرة لتحصيل الراحة، فلا تحصل له. هو يصير مأيوسًا عن تحصيل الراحة في هذه الحياة الدنيا. هذا أيضًا غلط. إذا سلك رجل طريقًا يتحمل فيه المشقة الفكرية والعملية، ويكون سلوكه موافقًا للفطرة الإنسانية، ففي العاقبة يحصل له راحة تامة، مهد الله طريق تحصيل الراحة مع كون الإنسان مجبولًا على المشقة. "**يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا**" يعني لم يحصل من شيء فيرد الله عليه "**أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ**" أنه أخطأ الطريق "**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ**" فينظر بعينيه إن كان فيه بصيرة، ويسأله بلسانه إذا لم يقدر على حل المشكلات، وكان حصل له بهذا الطريق إما بنظره أو بسؤاله، طريقان واضحان كان يختار أيهما شاء، وصل إلى المطلوب.

الطريق الأول صعب يوصل إلى الدرجة الأولى، والطريق الثاني يوصل إلى الدرجة الثانية، ولايكون على الرجل بأس إذا حصل إحدى الطريقتين، لأننا هدينا الإنسان بمجموعه النجدين طريقًا واضحًا يرى منه بعيدًا، لأنه يرتقي على الجبل، فإن تفكر ونظر وسأل، كان لازمًا أن يصل إلى أحد النجدين لأن الإنسان لايخلو عنهما.

"**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ**" الخ فإن كان الإنسان لايريد أن يتحمل المصيبة في ابتداء الأمر، فلايرجى له الخير، فالاقتحام على العقبة لازم لسلوك طريقة النجد، فسر العقبة بقوله: "**فك رقبة**" الخ والإنسان إذا صار أسيرًا أو عبدًا أو مديونًا لايقدر على أداء الدين. رقاب هؤلاء بيد الغير. فك تلك الرقبة وتحصيل حرية هؤلاء، هو أعلى ما يمكن من أعمال الخير لأرباب الأموال ومن يكون على طريقتهم وبعد ذلك درجة ثانية.

"**إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ**" هذا هو الخير الثاني، فإن تكلف أحد للصعود على العقبة، ونفع الإنسانية بأمواله، فتلك المشقة تكون له سببًا للراحة، وتتم الراحة إذا كان عمله هذا سببًا لدخوله في جماعة تعمل الخير، والتين حكى الله عنها في سورة العصر.

هذا الرجل **إذا "اقتحم العقبة"** تأتي في قلبه الشجاعة، فلازم عليه أن يستمر على هذه الخصلة الخيرية التي حصلت له، والاستمرار على ذلك لايسهل إلا لمن يدخل في جماعة الذين إرادوا تضحية أنفسهم لدفع المشقة عن الإنسانية وجعلهم سالكين على مناهج الفطرة الإنسانية، فإذا انضم هذا الرجل في تلك الجماعة، تمت أسباب الراحة له. هذا معنى قوله "**ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا**" الخ نأخذ من تلك السورة فائدة لايتنبه لها الدعوة إلى الإيمان بالقرآن وإلى العمل به، طرقها مختلفة، يجب على إمام الدعوة أن يتفكر في فطرة الرجل المدعو. أي شيء يهمه في فكره ويهديه من ذلك الفكر إلى نوع من الخير، فإذا استقر هذا في قلبه وأحب ذلك الخير، فليدعه إلى الانضمام في جماعة المؤمنين ليكمل جذبته[١] ذلك في اجتماع الصالحين. بعد ذلك هو يتفكر في طرق الإيمان والواجبات الديني،ة وأما الفقهاء

١- اللفظ الأنسب في العربية: العاطفة.

والمتكلمون لايتركون أحدًا أن يدخل في الإسلام إلا بطريقهم، المتكلم يوجب عليه أن يعتقد بحقية فرقته، وهو لايدري شيئًا من ذلك. والفقيه يوجب عليه خمس صلوات في يوم وليلة ويجعلها شرطًا في دخوله في الإسلام. وهو لايفهم شيئًا من ذلك، وهو رجل متفكر صاحب المعاملات وصاحب التجارات والمزارع جمع أموالًا يحكم على طوائف من الناس. والفقيه والمتكلم يجعلانه كالصبي والمبتدئ، وهذا طريق غير فطري، فالأمر الذي يهم ذلك الرجل، فليبحث الحكيم معه في ذلك الأمر خاصة، ويبث عنده أن الإخلاص له من تلك المشكلات التي ابتلي بها وحيرته إلا إذا سلك طريقًا هذا وهذا وهذا، فهو يدرك تلك الحقيقة بتحقيقه؟ ثم يقول له هذا الذي استفدته فهو يتوجه بذلك الطريق إلى القرآن، فيدخل في اجتماع المؤمنين الذي يريدون نفي الظلم عن وجه الأرض ونفي كل شيء يناقض الفطرة الإنسانية، هو يدخل في تلك الجماعة بسهولة، فيلتزم واجبات الاجتماع مثل الصلوات الخمس ويتفكر في نفي الشكر الذي يناقض الفطرة الإنسانية. إما إذا كان مبدأ تلك الدعوة تلك الأعمال وهو لايلتفت إليها، ثم يقبل الإسلام، فهذا كله من سوء صنيعة أرباب الدعوة.

"**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**" السابقون يدخلون في الإسلام من جهة النظر والفكر أولًا والذي تشبثوا بالأعمال ولما تفكروا في الاهتداء الصحيح من تلك الأعمال، أفضى بهم ذلك الفكر إلى الدخول في الإسلام، فهم دون السابقين من أصحاب الميمنة. **والذين كفروا** الخ الذين لم يهتدوا في صرف أموالهم بالهدايات القرآنية ما حصل لهم شيء إلا الشوم. كانوا قدروا على الوصول إلى الحق مما وصلوا. هؤلاء أرباب الأموال، لهم أخلاق فاسدة توجب عليهم نارًا مؤصدة ذكرت في سورة الهمزة، فإذا لم يهتدوا بهداية القرآن يكون عليهم نار مؤصدة.

٣٣

سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

[١]الإنسان لِمَ يكلف بالأعمال الشرعية؟ واتقنا تلك المباحث ثم رجعنا إلى مباحث لطائف النفس الطبيعية، الإنسان يجبل عليها بفطرته، ورأينا أن غذاء تلك اللطائف ومبنى تكميلها الخواطر التي تحدث في القلوب، ورأينا أن الخواطر لها أسباب تؤثر تاثيرًا وجوبيًا، فتتأثر الجبلة الإنسانية من ذلك، فيحدث في قلبه كيفية خاصة. كل ذلك من الفطرة التي خلق الله الناس عليها وتلك المادة المحدثة في القلب تكون سببًا للتكليف بالأوامر والنواهي، وهذا كالتكميل لتلك الحالة، ولما فرغنا من تلك المباحث، ثم قرأنا السورتين، وجدناهما مشتملة على تبيين سر التكليف. الخواطر التي تأتي من الخارج، تحدث العزائم في القلوب، فهذا باب من أبواب أسرار التكليف، وفي آيات منها تبحث عن تلك الدرجة وبعد حدوث العزائم، تؤثر في الجوارح وتعين صورًا مخصوصة للأعمال. هذا باب ثانٍ من أبواب أسرار التكليف، فالسورة التالية تبحث عن تلك الدرجة، فكأننا وجدنا مطلوبنا من فهم تينك السورتين، وحصل لنا بعد ذلك أن مبادئ فهم القرآن الحكمة الإلهية التي تبحث عن الفطرة الإنسانية كان ضرورية، وأغفلها الناس فصاروا محرومين عن فهم كثير من الآيات القرآنية. وحدث لهم عذر في ترك البحث عن الآيات، عدم فهمهم معنى المحكمات ومعنى المتشابهات، وكل شيء استشكلوه جعلوه من المتشابهات وفرغوا من السعي لفهمه، وهذا أيضًا نوع من الضلال. تلك الطائفة يحرمون الناس علم القرآن ويجعلونه مشكلًا عليهم. تم التمهيد.

"**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**" هذه شهادات على كل إنسان صرف الخواطر الحادثة في قلبه بأسباب طبيعية لا دخل في قدرته في شيء من ذلك، فصرف تلك الخواطر إلى مقتضى الفطرة الإنسانية كان فائزًا أفلح في حياته، وإذا صرفها إلى خلاف فطرته، يكون قد خاب، وفطرته يدركها بنفسه، يقيسها في اجتماعه مع آبائه وإخوانه وجيرانه، فإذا أحب شيئًا أن يعاملوه على تلك الطريقة معه، فقد أدرك الفطرة.

---

[١]- في بداية تفسير هذه السورة هناك عبارة في ن م لاتوجد في ن إ، وهي: "تلك السورة والتي بعدها ما استفدنا فائدتهما من تفسير قط، فإن التفاسير لاتبحث إلا عن الألفاظ اللغوية أو تأتي بالحكايات والقصص التي تناسب بعض الآيات. الارتباط بين آيات السورة والوصول إلى نتيجة معينة من تلك السورة لا تهم أرباب التفاسير، والإنسان قد يتحير ما المقصود من تلك السورة؟ ونحن بحمد الله لما أحطنا بحكمة الإمام ولي الله نوعًا من الإحاطة فهمنا سر التكليف."

جاء في بعض الأحاديث أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك[١]، وتلك الكلمة كلمة الحكمة متوارثة في أرباب الملل والنحل كلها، لأن ذلك ذريعة إدراك الفطرة لإنسانية الميسرة لكل أحد، وهذا معنى قوله "**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**" الخ فالنفس الإنسانية سواها الرب. إنه يتأثر بأخذ الخواطر بالتأثرات الخارجية. لها حواس تدرك بتلك الحواس الكيفيات المتبادلة في الشخص الأكبر، وبإدراكه كيفية تحدث في قلبه خواطر، فالمؤثرات ذكرها الله في أول السورة، أعظمها الشمس، لو لم تطلع ما حدث في الأرض نبات ما فضلا عن الحيوان والإنسان. "**وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا**" نور الشمس يظهر في القمر، ويكون له تأثير مخصوص في حال غيبوبة الشمس في نمو النباتات، وإحداث الاعتدال في البلاد الحارة ليسهل على المتفكرين التفكر وأمثال ذلك. "**وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا**" الخ كما يكون التأثير من الشمس في الأرض، كذلك يحدث في الأرض حالة مخصوصة تؤثر في الإنسانية، فالليل والنهار من آثار الشمس، لكن لها مداخلة تامة في الفطرة، تقسيم الأعمال أو المعاش للنهار والسكون والاستراحة للّيل، لاينظر الإنسان في ذلك إلا إلى الليل والنهار، تعلقها بحدوث الشمس لايتوجه. العادات هو أساس تنظيم الفكر الإنساني، ويأخذها الإنسان من الليل والنهار، وينتظم منها الشهور والسنون، فهذا المخلوق في عالم النهار والليل من العادات وغير ذلك كلها يحدث في قلب الإنسان خواطر مختلفة. الإنسان الذكي يصل منهما إلى إيجاد علم الهيئة وعلم التاريخ، والغبي لايلتفت إلى شيء منها. "**والسماء وما بناها**" فالسماء التي ترى بهيئتها المخصوصة، حقيقتها ما هي؟ لانبحث عنها، والسماء مع الكواكب المبثوثة فيها، لها تأثير خاص في الإنسانية. الأذكياء ضبطوا سير السيارات وأسندوا إليها الحوادث وأجدوا علم النجوم وكانت عليها بناء الاجتماعيات في الأديان الصائبة كلها، فطلوع كوكب وغروب كوكب يؤثر في الأشخاص والاجتماعيات.

جملة معترضة

في حكمة الإمام ولي الله تاثير النجوم في حوادث الأرض على ما أثبته الملل الصائبة صحيح ثابت مسلم. إنما نسخها الملل الحنيفية لأن العلم الصحيح صار كالمفقود والأفكار الباطلة مستندة إليها أخذت مقام العلم الحق، ولذلك نسخها الملل الشرائع الإبراهيمة كلها، ومنعت عنها التوجه إليها، فهذا لايكون إلا كما منع الشرع الإسلامي من النظر في الكتب المقدسة التوارة والإنجيل لفساد قد اعترى من النظر في تراجم تلك الكتب، وكان المنع سدًا للذريعة، فإن كان أحد يقدر على تمييز تحريفات المترجمين لايمنع، بل جعله خواص أهل العلم من مبادئ التفسير إذا كان مخصوصًا في جماعة العلماء المحققين، وهكذا يمكن استثناء بعض الناس من تحريم النجوم عليه. الملل الحنيفية عوضت عن ذلك استناد الحوادث

١- هذا الحديث أخرجه عديد من المحدثين بألفاظ مختلفة مفادها واحد.

إلى الملائكة والأمر واحد. الحوادث كانت مستندة إلى الملائكة والكواكب في مراتب مختلفة، فإذا فسدت درجة من العلم، منعوا الناس عنها وفتحوا لهم بابًا إلى وصول الدرجة العالية من ذلك العلم.

"**وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا**" هذا الأمر معروف. إن الناس يتأثرون باختلاف أنحاء الأرض، فالذين يسكنون الجبال والرمال والأودية المخصبة في طبعيتهم، يحدث الفرق لحدوث الخواطر المنبثعة من الأرض، فهذه المؤثرات في النفس الإنساني، والنفس الإنساني بعد تأثيرها وحدوث الخواطر فيها يحكم على كل خطرة أنها توافق فطرته أم لا؟ هذا هو إلهام الفجور والتقوى، فتلك حكاية عن الفطرة الإنسانية في بعض حالاتها وحكم الفطرة في ذلك أن كل خاطر يأتي موافقًا للفطرة يتبع فتصفو بذلك الفطرة وتتطهر وتتزكى. يعرف ذلك بالنظر إلى أبناء جنسه، فإذا جاء خاطر موافق للفطرة في قلب رجلين متوافقين في الحياة، أحدهما اتبع ذلك الخاطر والآخر خالفه، فالأول يترقى في الاجتماعية الإنسانية، الناس يحبوبه ويقدمومنه في الاجتماع والآخر يتأخر يشمئزون منه، وإذا أراد هو التقدم يمنعونه. مثال للإيضاح النكاح بالمحارم فكر يخالف الإنسانية، النكاح بالأمهات والبنات لاتحبه الفطرة الإنسانية، والعلم وصل إلى ذلك بعد التجارب الكثيرة العريضة. النكاح في أول الأمر يكون سهلًا، وكل يوم يزيد المشكلات، لايمكن التخلص منها. مثل تلك المضرات أدركتها الإنسانية، وبعد ذلك حكمت بأنها تخالف الفطرة. واحد يتجنب نكاح المحارم وآخر ينكح، ترون آثارهما في المجتمع، الأول يتقدم ويتطهر ويتزكى، والآخر يتأخر. هذه الشهادات التي ذكرت في أول السورة أقسام على قوله "**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**" الخ فاتباع خاطر الفطرة موجب للفلاح واتباع خاطر مخالف للفطرة موجب للفساد والخيبة والخسران، فالتكليف ليس إلا إيجاب خواطر توافق الفطرة والمنع عن خواطر تخالف الفطرة. هذه الموافقة وهذه الممانعة لاتتبين لكل أحد بالسهولة، بل تحتاج إلى اجتماعات وتجارب طويلة وعريضة لكل من أراد التحقيق، فالباب له مفتوح يستعين بالتاريخ ويستعين بالعصر الحاضر، والقرآن العظيم يسمي الاستعانة بالتاريخ التذكير بأيام الله، والتذكير بالعصر الحاضر التذكير بآلاء الله، فإذا توجه الرجل للتحقيق يتبين النتيجة. إن هذا الخاطر الذي أوجبناه كان موافقًا للفطرة والذي حرمناه كان مخالفًا للفطرة. مثال ذلك المعاملة بالربا يخالف الفطرة الإنسانية لكن يتبين كونه مخالفًا بالسهولة، فلذلك ابتلي في القرن الماضي أوروبا بالمعاملات الربوبية بواسطة البنوك، وارتفعت إلى درجة كان الناس يريدون أن يصلوا إلى تلك الدرجة ويتمنونها، وبعد حوادث إفلاس العمال وغلبتهم على الاجتماعيات ظهر فساد تلك النظم التي كانت مبنية على الربا، ومثل هذه المخالفة للفطرة ليست ظاهرة بينة تحتاج في تحقيقها إلا الاستعانة بواقعات التاريخ وبنتائج المعاملات العصرية. وإذا تفرغ رجل لتحقيق هذا، يعلم قطعًا أن هذا العمل مخالف للفطرة الإنسانية، وبعد تجويز كون شيء غير واضح موافق للفطرة بالبداهة يحكم الدعوة القرآنية أن الإنسان لايوجب عليه إلا ما تقتضيه فطرته، فمن الخواطر إلى العزائم يبحث عنها في تلك السورة خواطر موافقة للفطرة توجب العزيمة الموافقة للفطرة، واتباع تلك العزيمة هو الفلاح، وانبعاث عزيمة تخالف تلك الخواطر هو سبب

الخيبة والخسران. ذكر لها مثال ثمود حدث فيها الطغيان، والطغيان لايحدث إلا رأى الطاغي نفسه مستغنيًا، فالنظام في الاجتماعية يجعل طوائف من الناس تابعة لرجال يستفيدون بخدماتهم ويستغنون عن كثير من الأعمال التي يعملها هؤلاء يكونون طبقة عالية الأشراف الحكام، أيًا ما سمعوا أنفسهم فكان فرضًا عليهم بحكم الفطرة الإنسانية أن يعملوا لتلك الطائفة الفقيرة بعقولهم الراقية وبفراغ حاصل لهم ولهذا كانوا في تلك الصورة مثل الخادمين للطبقة النازلة وكانوا كالذين يتبادلون المصالح برضاهم وكانت رياستهم موافقة للفطرة الإنسانية، لكن هؤلاء استغنوا، فخالفوا الفطرة وكانوا طغاة، فإذا قام عليهم المساكين يبعثهم على تلك الفطرة يعاندون في غيهم ولايرجعون إلى اصطلاح معهم، وليس لهم سبيل إلا أن يجعلوا الطبقة السافلة راضية عن أنفسهم ترضاهم، فيقوم إمام يصلح بين الناس، فيأمرهم باتباع الحق فيكذبونه وهذه مظاهرة ثانية بمخالفة الفطرة الإنسانية بعد تكذيب ذلك الإمام. وعدم رجوعهم إلى الاصطلاح يعين لهم ذلك الإمام أدنى حق الطائفة السافلة، يوجب عليهم أن يراعوه، وهم بطغيانهم لايلتفتون إلى أي رعاية كانت مع العامة، فإذا خالفوا في رد أدنى الحقوق لهم، تكون منهم مظاهرة ثالثة لمخالفة الفطرة الإنسانية، يتم نصاب الانتقام، فيهلكون باقتضاء من الفطرة. زلزلة تحدث في الأرض صاعقة تنزل من السماء. بيان تلك المراتب الثلاث في قوله "**كذبت ثمود بطغواها**" فالطغيان التكذيب، وكان آخر شيء لرجاء الصلح بينهم، هو تقسيم الماء للناقة والمساكين في اليوم، والطبقة العالية في يوم آخر، فالدرجة الثالثة إهلاك الناقة إبطال المعيار "**إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا**" الخ إذا كان قوم يخالف الفطرة الإنسانية بمثل ذلك الإصرار والعناد، وعنادهم يظهر بمعاملة خفية مثل عقر الناقة يهلك القوم كله، لا لعقر الناقة فقط حتى يتعجب بقضاء الله ذلك الحكم، بل بمخالفة الفطرة الإنسانية بالإصرار والعناد والاستكبار وإذا عرف الإنسان سر هذا العقاب، يجعل عقباها لازمة عليهم. لا يكون بذلك اعتراض على حكمة الله المبدع للفطرة والمحافظ عليها.

٣٤

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

"**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**" الخواطر تأتي موافقة لجبلة الإنسان، فتنقلب بصورة الإرادة والعزم، كل ذلك يكون فيه مراعاة الطرفين موجودة. أسباب الخواطر والإنسان الذي يقبل الخواطر باختلاف التأثير والتأثير تحدث أطوارًا مختلفة في أفراد الإنسان، بعض الأطوار تكون موافقة للفطرة الإنسانية والبعض لا، فالفطرة الإنسانية تقسم الإنسان بين المحق والمبطل، والبحث عن تلك الدرجة كان في سورة الشمس، كانت إرادة ثمود وعزيمتها هي التي أردته كما يحدث الاختلاف في العزائم، وبذلك تنقسم الإنسانية بعد ذلك تنقسم مرة أخرى. تلك العزائم تكون أسبابًا للأفكار والأخلاق، فباعتبار الأفكار والأخلاق ينظر في الإنسانية مرة أخرى، أيهما أقرب إلى الفطرة الإنسانية، فيمكن أن يكون رجل في درجة العزيمة لا يتباعد عن الفطرة كثيرًا، و في درجة الأخلاق والأعمال يتباعد عنها، لأن الأعمال والأخلاق تؤثر فيها الاجتماعيات أيضًا. رجل في نفسه يحب الحق، لكن قومه يعاندون القائم بالحق. هذا الرجل لايقدر غير نصرة القائم بالحق ويتبع قومه. بذلك ينقسم الإنسانية إلى المحق والمبطل مرة ثانية والبحث عن هذا التقسم في سورة الليل.

والليل إلى **تجلى** هذه أسباب حدوث الخواطر "**وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى**" هذا اختلاف الجبلة، باجتماعها تحدث العزيمة، ولانبحث عنها والعزيمة تكون سببًا للأعمال. هذا معنى قوله "**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**" باختلاف العزائم تكون الأعمال والمساعي مختلفة، ثم المساعي تكون تحت قانون مستقل، فلا تحدث بالعزيمة فقط حتى تختلف، وبذلك تختلف الاجتماعية الإنسانية عامة، فالبحث عنها إنما يوافق الفطرة الإنسانية، فتكون حسنة وأنها تتباعد عنها عن اقتضاء الفطرة، فتكون قبيحة، والبحث أيضًا يكون هنالك عن الإنسانية التامة لا عن أصنافها، مثلًا الهندي يختلف عن العربي، وهذا البحث لايأتي تحت هذه السورة فقط عزائم الإنسانية تؤثر في الإنسانية وتكون مختلفة "**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى**" الخ الطريقة لتكميل الفطرة الإنسانية وتكميلها متحتم على الإنسانية. لايترك سدىً، فهذا الطريق على قسمين: طريقة الفطرة الإنسانية تؤيده على المشى على القدام، فهذا يكون طريقة يسرى، وطريقة الفطرة الإنسانية تأبى عنها والإنسان يجبره على المشي بذلك الطريق. انتهاء هذا الطريق أيضًا لازم أن يكون على تكميل الفطرة، لكن في الطريق تأتي مصائب، منها جهنم مثلًا فمن جهنم أيضًا واجب عليه أن يخرج منها ويتكامل فطرته، هذه طريقة عسرى، نحن نأخذ إشارة من هذا البحث أن بعض الناس اطمأنوا أن الإنسان إذا دخل جهنم، فتم سيره ويكون طول عمره في تلك المرحلة، ونحن فهمنا من حكمة الشيخ ولي الله أن ذلك أيضًا طريق لكن صعب، لايفهم الرجل كيف يسلك فلا تأتيه مصائب الإنسانية

مصائب فوقها أخرى، ولامكن لنا أن نقول إن الإنسان في مدة كذا وكذا يتخلص من جهنم، وهذا اعتمدوا عليه في أنه لاخلاص من جهنم، والإنسان لم يخلق لجهنم فيصير إلى ما خلق له.

أما انقسام الإنسانية إلى طريقتين فهذا أمر مقرر، فكل ما جاء من النصوص تشعر بأن تلك الجماعة مخلوقة لجهنم، معناها أنها تسير ذلك السير، وهذا الذي يجبر طبيعته على خلاف الفطرة، ويمشي على الطريقة العسرى. أظهر الله بعض كيفياته "**أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ**" [1]هذا هو الذي يمشي على خلاف الفطرة وكأننا بحمد الله فرغنا عن تفسير العسرى واليسرى والأعمال التي تعد الإنسان المعسر تكون كبيرة، والأعمال التي تكون ميسرة لليسرى تكون حاصلة، "**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى**" تلك الأعمال حسنة والإنسان أول ما يعمل في الاجتماعيات باقتضاء الفطرة هو كسب المال للرزق، فإن كان خلق إن ما زاد عنده من الأرزاق، ورأى رجلًا محتاجًا إليه يعطيه، يكون ماشيًا على مقتضى الفطرة، لأن هذا الرجل الذي أعطى إن وقع على سبيل التصادف في الضيق يومًا، فالناس يعطونه بطيب نفس. هذا عمل صالح للارتقاء في الاجتماعيات، ثم بعد ذلك كل اجتماع يكون عنده قانون وسنة لفصل الخصومات ومؤاساة المحاويج وإذا كان أحد ملتزمًا لذلك القانون الاجتماعي، كان متقيًا التزم قانون العدل والإحسان وهذا الرجل يعد في القوم من الأشراف والأكابر، سلم قوله في الاجتماعيات، وكل من كان ارتقى باعتبار ذلك القانون هو يكون رئيسًا طبيعيًا في ذلك الاجتماع، وهذا أمر حسن، وبعد ذلك لايكون الرجل واقفًا على حد من القانون أو الرسوم، بل كل شيء سمع وعلم أنه أحسن من الأول يأخذه ويترك ما كان يعمل أولًا. هذا الرجل هو يمشي ويرتقي باقتضاء الفطرة. مثاله يكون مثل الطفل. الفطرة الإنسانية لايجعله كبيرًا في يوم واحد لكن إذا كان سليم البدن كل يوم يرتقي حتى يصير رجلًا قويًا، وهكذا هذا الرجل أيضًا في أول يوم يصل إلى درجة الأنبياء والصديقين، ليس ذلك من اقتضاء الفطرة، لكن إذا مشى على هذا الطريق، كل سمعه أنه أحسن من الأول اتبعه، فهذا يكمل آخر الدرجة الإنسانية في يوم ما وإن كان زمان يمكن فيه النبوة يمكن أن يصير نبيًا، فإذا ختمت النبوة يصل إلى درجة الصديقين والشهداء لابد إن شاء الله. لهذا حسنى من صدق بالحسنى عمل عملًا حسنًا. هذا خلاف لبعض قاصري النظر من الفقهاء والمتكلمين أنهم يوجبون على كل أحد أن يكون نبيًا أو رجلًا كاملًا في أول يومه، ثم لا يؤثر تعليمهم ولاينتج شيئًا فيقولون فسد الزمان، والحقيقة أنهم فاسدوا العقول، ليسوا من الإنسانية في شيء. هم إذا رأوا رجلًا عادته كل ما أدرك من الحق يتبع لابد، لكن لم يصل إليه الإسلام ولا الدعوة القرآنية، يجعلونه من أشد الكفار والمساكين هم يزعمون أنفسهم من أكابر المؤمنين. هذا كله بسبب عدم تدبرهم في القرآن وبسبب اتباعهم لسياسة رجال مخصوصين أو طوائف مخصوصة والقرآن والإسلام بريء منه. "**وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى**" الخ كل هذه

---

[1] - الملك ٦٧: ٢٢.

من أعمال الشر، لأنها معدة للطريقة العسرى. الإنسان إذا اكتسب في الاجتماعيات في الحقيقة، لايكون متفردًا في كسب المال، بل يكون للاجتماع كله دخل في اكتسابه، فإن كان في الاجتماعية حاجة إلى ما زاد عنده من الأموال ولاينفقه، فهو غصب حق الاجتماعية الإنسانية وخالف الفطرة فيكون قبيحًا، وبالصدفة لو وقع هذا في مضيق، فالاجتماعية ترحمه ويرى إساءة فعله طاهرة، فإن وقع له في حياته وتنبه على ذلك، فهذا أيضًا سعيد. أما من جرى على غيه إلى آخر الحياة، يكون طريق سلوكه عسرى بالمرة. "**واستغنى**" ما اتبع القانون والسنة التي قرروها لإقامة العدل والإحسان، فظاهر أنه يفعل فعلًا عاقبته شر له. من هنا يحدث الطغوى. يقوم يبطل القانون الصحيح الذي قررته الاجتماعية، فيكون من المعاندين للحق وكونه قبيحًا واضح. "**وكذب بالحسنى**" كل شيء يأتي عنده أحسن من الأول يعانده ويكذبه. هذا يسد طريق الارتقاء الإنسانية الذي هو من اقتضاء الفطرة، فيكون شرًا، فالذي يسلك هذا الطريق يبخل بماله، لايتبع طريق الإنصاف الذي وصلت إليه الاجتماعية في زمانه، فالاجتماعية تكون معاندة له، ثم لايترك طريقه الباطل، إذا وضح عنده طريق الحق، هذا الرجل في تكميل الإنسانية تأتي عليه مصائب ومصاعب لو كان ممكنًا أن يموت أو يترك سدىً، لوجد فيها راحة لكن لايترك، والطريق ليس سهلًا فيعسر عليه و تكون تلك الأعمال باعتبار الإنسانية شرًا.

فصل

"**وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى**" بعد الموت هذا الرجل الذي سلك طريق العسرى، ماله ينفعه بشيء، لايذهب معه حتى ينفعه، وفي حياته أيضًا إذا وقع في مصيبة، والاجتماعية متنفرة عنه معاندة له لاينجو بما له من المهالك. هذا أساس الفكر الباطل. أن المال ينفعنا في قضاء الحوائج، وفق الاجتماعية أساسي والمال بعد ذلك ينفع، فالاعتماد على المال بمخالفة الاجتماعية فكر باطل. رأينا رجالًا جمعوا أموالًا وخالفوا الاجتماعيات فرأينا المجتمع المتنفر أحرق أموالهم وهؤلاء الرجال كانوا أصدقاء للحكومة الإنكليزية، والحكومة ما قدرت على أن تحافظهم في الشدائد، شدائد الاجتماع. هذا معنى قوله: "**وما يغني عنه ماله إذا تردى**" الله سبحانه خلق الإنسان وجعل للفطرة الإنسانية اقتضاءات خاصة ودبر لها حوائجها، فإذا كانت الفطرة الإنسانية تقع في المهالك، وتخطي الطريق الصحيح فالله برحمته التامة يتوجه إلى جبر هذا النقصان، لايمنع رحمته شيء، هذا معنى قوله إن علينا للهدى. تغيير الفطرة الإنسانية ليس مقصودًا، لأن الأسباب التي توجب ذلك قوية قائمة على حالها بدون تغير ما يمكن من إصلاح الفاسد، فالرحمة الإلهية تلهم الإنسانية دائمًا. هذا معنى قوله: "**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى**" وهذا الإلهام له طرق. في بعض الأوقات رجل زكيًا، فيقبل الإلهام وفي بعض الأوقات هو ليس صالحًا لأن يقبل الإلهام، فيلهم الرجل الآخر ويؤمر في إلهامه أن يبلغه ذلك، ويسعى في النجاة عن تلك المهالك، هذا هو أساس بعثة الأنبياء "**وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى**" هذه الرحمة التي تقتضي إلهامه بالخير ليس منحصرًا في الحياة الدنيا، بل في

الحياة الدنيا وفي الآخرة. كل شيء يمكن لإصلاحه بدون تغيير الفطرة، فالله يهيئه له لأن الآخرة والأولى كلتيهما بالنظر إلى الحق في درجة واحدة، فالإنسان لازم عليه أن لايقطع رجائه عن الحق، ولو ابتلي بمصائب "**فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى**" هذا من اقتضاء رحمته في الحياة الدنيا. ألهم طريقة ينجو بها الإنسان عن سلوك العسر، فعقد النبوة وألهم إليه كتابًا فأنذرهم وبشرهم. أنذرهم عن النار التي تلتهب، حقيقتها أعماله. "**فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى**" الخ لايصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى، فمن كذب هذا الإلهام وتولى عنه، فهذا فعله الذي يكون سببًا لدخول جنهم يعني تلتهب تلك الأعمال عليها نارًا. "**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى**" الأتقى الذي يتبع قانون العدل والإحسان أكثر ما يمكن في ذلك الاجتماع. هذا أحسن أعماله، ثم هو يعطي من ماله مع عدم حاجة الناس إليه، بل يعطي للرجال الميسرين ليكملوا يسارهم وليكونوا سببًا لقضاء حاجات الناس الآخرين. هذا لايقتصر على ما حضر من الحالات، بل ينظر ما تعتري على الاجتماعية في المستقبل ويعالجها بأحسن العلاج، فلاينظر إلى حاجات الناس، بل ينظر إلى أن التدبير الإلهي يقتضي قضاء حوائجهم في السنين الآتية، فعمل أعمالًا لموافقة ذلك التدبير، يبتغي بذلك رضا ربه الأعلى، لأن في الملأ الأعلى الملائكة والكاملون من الإنسان، يعملون أعمالًا لموافقة التدبير الإلهي، وهذا غاية ما قدر عليه الإنسانية من الخير الأعلى. هذا الرجل أيضًا يعمل في حياته الدنيا أعمال الملأ الأعلى، فالله سبحانه يرضى عنه ويحصل لهذا الإنسان ما رضي به عن رضا الحق، هو لايريد رضا الناس عنه. هذا كأنه تفسير للأتقى. هذا معنى قوله: "**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)**" وجعل نزول هذه الآيات في حق رجل معين كما أتى به أكثر المفسرين تحريف للقرآن الكريم. نعم يمكن أن يذكر السلف أسم رجل يكون نظيرًا لتلك المرتبة. هذا لا بأس به. أما جعل هذه الآيات حجة على إثبات مناقب رجال مخصوصين ظلم لا ظلم أكبر منه.

٣٥

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

"**وَالْفَجْرِ الخ**" أنواع من الزمان تقع فيها المجازاة لعمر الإنسان، فإذا تبصر الرجل في تلك الأزمنة يتيقن بأن الإنسان لم يترك سدى، لكن اللازم أن يكون الرجل صاحب بصيرة وعقل ناقد. أعظم مانع في انتفاع الإنسان من أسباب ارتقاء حياته، ومنها تكون النبوة هو أن يغلب على فكره أن لا جزاء على عمله، أنه لايكون مجازى على أعماله. يعيش كما يهوى ثم يموت، فلايكون شيء فيجري مطلق العنان على حسب أهوائه، وإذ تيقن الإنسان أن الأمر ليس كذلك، فهو بعد ذلك حسب فطرته يجمع أسباب الارتقاء، وكل نبي يسعى بجميع ماله من القوة أن يجعل قومه كأنهم يشاهدون المجازاة إن كان عندهم عقل وبصيرة. أما من لم يخلق على تلك الدرجة من الفهم، فالأنبياء لايكلفونهم ولايجب عليهم أن يهدوهم. قانون الاجتماعية يوجب عليهم تقليد المبصرين واتباعهم، فيجبرون بنوع من الجبر على ذلك إن لم يطاوعوا بأنفسهم، والفجر كل يوم جديد تأتي للإنسان ما اكتسبه أمس في جميع أنواع الإنسانية وفي جميع أصناف الحياة. هذا القانون نافذ قطعي، لكن الإنسان لايتوجه إلى ذلك. التجار والصناع لايعملون في ذلك اليوم الجديد إلا ما هيؤوا في الأمس الدابر، فلو قاس الإنسان على ذلك جميع أنواع الإنسانية لما وجد في ذلك اختلافًا، لكن الإنسان يتغافل عن ذلك، ويتاتي يوم يجزى بجزاء كل الأيام مرة واحدة، لأن الاجتماع الإنساني له قانون، وفي أفراد الاجتماع، لكل منهم حق والتدبير الإلهي، يراعي كل المصالح، فبفساد رجل منهم في يوم ما إن جازاه الله في ذلك اليوم يتأثر حقحقوق أفراد كثيرة، وإبطال تلك الحقوق ليس بمرضي عند الرب، فيؤخر جزاءه، وهو يزعم أنه لايراه أحد ويمد في غيه حتى يأتي يوم يكون جزائه غير مبطل لحقوق الآخرين، أو كان الآخرون أيضًا اشتركو معه في الجزم، فيجازى كل القوم، ولايتأخر غير لحظة ما. قال الإمام في **حجة الله البالغة** والضابط في المجازاة الخارجية أنها تكون على تضاعيف الأسبا،ب فمن أحاط بتلك الأسباب وتمثل عنده النظام المنبعث منها، علم قطعًا أن الحق لايدع عاصيًا إلا يجازيه في الدنيا مع رعاية ذلك النظام، فالأمر هنا يشبه بحال للجزاء فإذا كان يوم القيامة (يوم اقتضى نظام أسباب الدنيا التي كانت تمنع من كون الجزاء نازلًا على القوم) صار كأنه تفرغ وإليه الإشارة في قوله: "**سنفرغ لكم أيها الثقلان الخ**" فالبصيرة في فهم قسم الفجر هو المجازاة في الأعمال اليومية وفي الاجتماعية الإنسانية أعمال لاتتم في يوم واحد، مجازاتها لاتكون بطلوع كل فجر. أما الأعمال التي تنتهي في كل يوم وليلة، فوقت مجازاتها يكون بعد طلوع الفجر الثاني إذا لم يوجد مانع، والأسباب الاجتماعية تكون أكثرها مانعة عن فورية الجزاء، في السورة بعدها ليس إلا تفصيل تلك الأقسام الأربعة وتفهيم جزاء كل نوع، فالتي تتعلق بقسم الفجر نقرأ أولا "**ألم تر** إلى **إِنَّ رَبَّكَ**

لَبِالْمِرْصَادِ" الرب بالمرصاد كل يوم إذا انتهى العمل يريد أن يجازيه على الفور، لكن المصالح الأُخَر في الاجتماعية الإنسانية تمنع من إنجاز المجازاة. عاد قبيلة قديمة أساس العرب في جنوب الجزيرة، وثمود في شمالها وفرعون في مصر. تلك القطعات من الأرض كانت محلًا للاجتماعيات الخصوصية.

جملة معترضة

نحن نجعل القرية بمعنى المجتمع ومعنى الاجتماعية، فالقرآن العظيم يحكي عن القرى أو عن القرية، والناس يفهمون منه محل الاجتماع، اجتماع الناس الذي دون المدينة، وفوق البادية، ونحن نفهم منها الاجتماعية العامة فمكة المعظمة إنما سميت أم القرى لأنها محل اجتماعيات متعددة من اليمن والنجد والعراق وسوريا ومصر وشمال العرب. تلك المحال كانت محل اجتماعيات مخصوصة، وبالتدريج بارتقائها صارت مركزًا لها. هذا عندنا معنى أم القرى. تمت.

عاد وثمود وفرعون محيطة بمكة، وذكرت اجتماعيات كانت في عصور صالحة، وبالتدريج سرى فيهم الفساد. ولما أكثروا فيها الفساد، صب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد، والفساد كان في الحاجات التي تعتري الإنسان كل يوم من الأكل والشرب والمبيت. في مثل هذه الأشياء أفسدوا الأمر، وفي الآخر أهلكوا. مثلًا النقص في المكيال والميزان والتجبر في أخذ أموال الضعفاء والفساد في النكاح باجتماع الرجال على أمرأة واحدة، وبشيوع اللواطة، فمثل تلك الأعمال بالتدريج يكون سببًا لاستقبال القوم عن وجه الأرض، ثم ما يتعلق "**بالفجر وليال عشر**" الغالب في تفسيرها أنها ليالي رمضان في العشرة الأخيرة، وتلك الليالي تكون لحساب الأعمال الشرعية مقياس على تعليم المعارف. أئمة المعارف وأساتذتها للأقوام المختلفة للإنسانية جعلوا دورة واحدة لارتقاء الإنسانية سنة واحدة. بذلك تتبدل الأصناف وترتقي. هذا دليل أن تمركز الأفكار والخيالات في النفوس الإنسانية لاتأتي في يوم واحد أو شهر كما ينبغي، فأدنى المدة التي نرى تمركز الأفكار إلى درجة ما سنة، فالأعمال الشرعية كلها تعليمات للإنسانية. نحن لانفرق بين الأنبياء وبين أئمة الاجتماع فرق الأنواع، بل نجعلهم أصنافًا مختلفة. الأنبياء هم كاملون وما دونهم هم ناقصون، فتعليمات الأنبياء أيضًا تكون حساب تأثيرها في القوم سنويًا والأقوام المختلفة يكون لهم أيام مختلفة، لأن تلك الأيام لاتتجاوز عن ليال عشر، وعندنا هذا مخصوص بالأقوام الحنيفية ومن والاهم، حسابهم يكون في العشرة الأخيرة من الشهر التاسع من السنة، ربع السنة يترك لجبر نقصان من لم يكامل في السبعة من الأشهر، فيكون لتلك التعليمات اختباران: اختبار في الشهر التاسع واختبار ثانٍ في الثاني عشر. "**والشفع والوتر**" الصحيح أن المراد منها عرفة ويوم العيد، وهذا وقت الامتحان الثاني، فنتكلم على تفصيله على حدة منفصلًا، والآن نبين بيان القسم في ليال عشر "**فأما الإنسان إذا ما الخ**" الإنسان يكون له أسباب الارتفاق[1] مهيئة، فالتعليم الشرعي يوجب

[1]- في ن إ: الارتقاء. والأنسب ما في ن م، فإن لفظ الارتفاق استخدم فيما بعد في هذا السياق.

عليه أنهم يكرمون اليتيم ويحضون على طعام المسكين، فالإكرام بتيسير الارتفاقات والتضييق في الرزق بتقدير الارتفاقات هو صنع الإلهي، يأتي تحت نظام غير مختص بالإنسانية، بل يجعل المخلوقات ذلك النظام، فبالطبع باقتضاء ذلك النظام بعض الناس الذين لايكونون مستحقين للتضييق يضيق عليهم، والبعض الذي لايكون مستحقًا للتيسير، يكرم، فالتعليم الشرعي يجبر هذا النقصان الذي أكرم وجعل له الأموال الكثيرة. الأمر التشرعي لايجعل له حقًا فيما زاد عن حاجاته، يجبره على إنفاق ما زاد عنده على رجل قدر عليه رزقه بذلك النظام موافقًا لاقتضاء الفطرة الإنسانية، فالشرع ليس إلا إيجاب ما اقتضاه الفطرة الإنسانية، يحاسب الناس بعد سنة في ذلك. ترون كثيرًا منهم لايكرمون اليتيم. أترون لليتيم جرمًا لذلك منع عن الرزق؟ لا بل هو تحت نظام أعلى من الإنسانية المجردة، فباقتضاء الإنسانية مثل من له أب حي. فإن كان رجل عنده رزق فاضل ويرى طفلًا يتيمًا، يجب عليه أن يربيه مثل أولاده. هذا هو معنى التشريع، وكذلك المسكين الذي لعمله مدخل في مسكنته، ألا يستحق مثل ما يستحق الناس، فالتشريع يأمر بقضاء حوائجه، وهؤلاء الناس يأخذون المال بدون عمل منهم بطريق الميراث ويجمعونه ويحبونه حبًا جمًا. أترون تلك الشريعة لها تأثير في هؤلاء فيجزون؟ وهذا إذا تفكر رجل في حالة الأقوام المتشرعة، يظهر بينًا كل قوم يواسي المساكين واليتامى فيتقدمون في الرفعة والعظمة، وكل قوم يخالفون ذلك، ينزلون في درجات الهوان، الناس يفهمون أن الناس أمروا بواسطة نبي يشرع، وهم آمنوا بذلك وإن هذا يوجب لهم الجنة والرفعة في الدنيا. **كلا** إذا كان أعمالهم هذه، فلاينفعهم لاشرع ولا إيمان، وإذا وصل أصحاب التشريع إلى تلك الدرجة تنسخ شريعتهم.

"**والشفع والوتر**." هذا متعلق بأصحاب الشرع ويكون الحساب في أعمال تختص بالكاملين من أصحاب الشرع. الشريعة تسوي بين أفرادها في الحكم، وهذا معروف في جميع الشرائع، لكن الشرائع بطبيعتها تقتضي تقديم صنف منهم وذلك لأن الشرع ليس إلا تعليمًا، والتعليم لايقوم إلا بالمعلم، والمعلم لايكون بالطبع أعلى من المتعلم، فطبقة المعلمين تكون صنفًا مخصوصًا في أصحاب الشرائع. في شريعتنا الإيمان والإسلام أمران مشتركان بين جميع أفراد الملة، والإحسان مختص بطائفة منها، وهؤلاء المسلمون المحسنون هم المعلمون للتشريع، فإذا فسد قوم باعتبار العموم ينظر إلى ذلك الصنف بالخصوصية، فإن كانت فيها صلاحية موجودة فيرجى تجدد الملة بهمتهم ولايحتاج إلى النسخ وإتيان الشريعة الجديد،ة فإذا بطل هؤلاء أيضًا وصاروا كالممسوحين صورتهم مثل القائم بالشريعة ومعناهم كالمنكر المعاند، فتلك القوم يهلكون وشريعتهم تنسخ، هذا كان كالمقدمة.

"**والشفع والوتر**." المراد منها أيام الحج وهذا الملة الحنيفية كاختبار المحسنين. والمحسن معناه ما هو؟ أن تعبد الله كأنك تراه الخ كما في الحديث وجعلوا هذا كالدرجتينن لكن أنكره مولانا رشيد الديوبندي وجعلها مرتبة واحدة، وجعل الثانية علة للأولى لا درجة أخرى، وجاء في بعض روايات مسلم:

فإنك إن لا تراه فإنه يراك[1]، ونحن نعتقد به، فالمحسن من يعبد ربه كأنه يراه وإذا كان رجل متلبسًا بصورة المحسنين ومقدمًا على القوم في صنف المعلمين، فإن كان محسنًا حقيقة في يوم القيامة، يرى ربه جهرًا وإذا كان مبطلًا في صورة المحقين يظهر بطلانه يوم القيامة تامًا، وواجب عليه أن يصلح أخلاقه ومعارفه بأداء الحج المبرور، ففيه يكون تمرين كأنه يرى ربه وإذا لم يصلح نفسه بذلك فكأنه لم ينتفع بالشفع والوتر، وحالاته مذكورة في تلك الآيات المذكورة. "**كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا إلى فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ**"المحسنين، إذا كانوا في معنى المبطلين إذا تجلى الرب يوم القيامة بعد دك الأرض لايعرفون الرب ويدخلون جنهم فيكون لهم عذاب لايكون لأحد لأن ضلالتهم متعدية وخطأهم يفسد الإنسانية من باطنها، والله خلق في قلب كل أحد ميلًا إلى الله، وتكميل تلك القوة يكون بالإحسان. والشريعة هي التعليم الابتدائي لتحصيل الإحسان فمن أفسد هذا الميل فكأنه أبطل الإنسانية كلها. هذا معنى قوله: "**فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ إلى أَحَدٌ** ."

"**وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**" كل ليلة إذا قارب تمامه وبقي الثلث الأخر وما دون ذلك ينزل الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا. إلى هذه الحقيقة إشارة في "**وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**" وإذا كان الإنسان في كل ليلة يتوجه إلى الرب ويكون ميله إلى الله يقظان، فهو لايناقض الفطرة لا في ارتفاقاته الطبيعية التي كان في محاسبتها كل يوم، ولا في قانون التشريع ولا في تقديم المحسنين من هؤلاء القوم، بل يراعي جميع الحقوق ويكون خالصًا متوجهًا إلى الحق، ففي كل ليلة في آخر أوقاتها إذا ناجى ربه يجده حاضرًا عنده. النبي عليه السلام علم ابن عباس شابًا صالحًا من بني أعمامه، فقال : يا غلام احفظ الله، تجده تجاهك. هذه مرتبة تحصل له، يظهر عنده في كل ليلة. هذا الإنسان هو نموذج الإنسانية. إن كان هو لا يجمع الأمور كلها السلوكية لإدارة الارتفاقات الطبيعية وإمامة الدين لإقامة الشرائع الإلهية ورياسة المعلمين للدين لقيام درجة الإحسان. فإن لم يتول ذلك الرجل المناصب كلها، فلازم للإنسانية أن لايتجاوز عن رأيه وعن قراره، فمن نصبه في الدرجة الأولى أو رضي به، يكون هو الملك، وكذلك أئمة التشريع وأئمة التعليم كلهم يكونون موافقين لقراراته، وإن كان في قلبه وسعة وأراد أن يجمع جميع المناصب لنفسه، تمت الإنسانية إلى آخر ما يمكن في الدار الدنيا، فإذا أراد قوم أن يكون حياتهم السعيدة طويلة، فليخرج منهم رجالًا كثيرين حائزين لذلك الكمال. هذا القسم الرابع بيانه في السورة "**يا أيتها النفس المطمئنة**" إلى **جنتي** الملأ الأعلى. هذا هو الكمال الانتهائي للفطرة الإنسانية. إن يحصل الإنسان مقامًا لنفسه في الملأ الأعلى. هذا هو مقصد بعثة الأنبياء، وهذا هو نتيجة التعليم عند الإمام ولي الله. ليس للإنسانية كمال أعلى منه يريد الأنبياء تعليمه. هذا لاينفي ما وهبه الله للناس من الكمالات، لكن لايجعل ذلك مقصد التشريع الذي أتى به الأنبياء، فالمقصد عنده من تعليم الأنبياء هو تسوية قوى النوع الإنساني حتى

---

[1]- **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، رقم: ٩/٥.

يتخرج منه رجال يلتحقون بالملأ الأعلى. طريقهم معين. بعد موتهم في البرزخ يكونون في حالة انفرادية، ثم يجتمعون في المحشر. هذا مظاهرة للنوع الإنساني. والذين نهجوا على منهاج النبوة والأنبياء يدخلون الجنة، والجنة فيها طريق إلى الملأ الأعلى، يكون الارتقاء في المدارج حسب الاستعداد، لكن لايكون فيها كلفة، حتى يجتمعون في الملأ الأعلى ويرون ربهم، فتفهيم ذلك الطريق المعين وتيسير سلوك ذلك الطريق هو مقصد النبوة، والذين لايدخلون الجنة يذهبون إلى جهنم والذين جرمهم قليل يستشفعون من ذلك المرض عن قريب، فيؤمر الأنبياء بشفاعتهم فيخرجون من جهنم ويدخلون الجنة ويسلكون طريق الصالحين، وهذا العمل أيضًا يكون ممتدًا مع الجهنمين إلى أمد بعيد. والضابطة أن كل اعوجاج في الفطرة الإنسانية كان له رسوخ في ذلك الإنسان، فبقائه في جهنم يذهب عنه ذلك الاعوجاج بالتدريج وإن كان الإنسان في ملة نبي من الأنبياء فبشفاعة ذلك النبي يخرج من جهنم، وإن لم يكن في ملة نبي وأصلح فطرته، فالله يخرجه برحمته بدون توسط أحد من الناس والأنبياء وإن بقي فيه أحد إلى أمد غير محدود، فهو الذي اعوجاجه لايستقيم في زمن محدود وأمره إلى الله، ونحن نجزم متى حصل فيه إصلاح ذلك الاعوجاج، فالله يخرجه ثم يسيرون في دخولهم الجنة حتى يلتحقون بالملأ الأعلى. هناك تتم الدورة من الإنسانية. هذا ما استفدناه من حكمة الإمام ولي الدهلوي.[١]

---

[١] – في ن م هناك عبارة ليست في ن إ، وهي: "الحمد لله تمت بهذه السورة اثنتان وثلاثون سورة، الفاتحة والقلم والمدثر والمزمل، ١٥ أغسطس ١٩٣٧، يوم الأحد.

٣٦

سورة المجادلة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

"**قَدْ سَمِعَ الله الخ**" وقعت حادثة أن رجلًا ظاهر من زوجته، والظهار في الرسوم الجاهلية كان تحريمًا مؤبدًا لا تحل بعد ذلك أبدًا، وهذا المظاهر كان محتاجًا إلى المراجعة والأحكام كانت تنسخ بالدين الجديد حسب المصالح، فارتجعت هذه المرأة لعله يكون لها مخرج، فجاءت إلى رسول الله ﷺ، وكانت المسئلة محتاجة إلى تخلية من النبي ﷺ لأن زرجها طلقها وهي تريد الرجوع، وهذا خلاف طبيعة النساء، فكانت تحجب عن الناس وتذكر للنبي ﷺ، فجاءت إلى بيته عند عائشة وكانت هي قريبة ولم تسمع ما جرى بينهما، وكانت المرأة تشتكي وتظهر الحاجة إلى نسخ ذلك الحكم، ولم يجئ الوحي حتى يحكم به النبي ﷺ، فقال لا علاج لذلك، فأخذت بعده تشتكي إلى الله وحده، فالله سمع قولها وأمر نبيه أن يأمرها بالكفارة، فنسخت سنة الجاهلية، فهذا الآيات إلى قوله وللكافرين عذاب أليم، نزلت في واقعة مخصوصة، وهذه المسئلة كانت من مسائل المعاشرة، فإصلاح المجتمع يحتاج إلى مجلس سري ثبت هذا من هذه الواقعة.

فصل

القوم كانوا أميين فلايمكن تلقين العلوم العالية لهم إلا إذا توجهوا بحاجاتهم الطبيعية إلى شيء ويكون ذلك الشيء متشابهًا بحكمة، فتعليم الحكمة في تلك الحالة بعد قضاء حاجاتهم التي توجهوا إليها ممكن بانتقال لطيف. كان في الشعراء عندهم عادة يقدمون تشبيبًا في مبدأ القصيدة، ثم ينتقلون منه إلى مقصدهم من المدح، فإن كان ذلك الانتقال لطيفًا، يُعدّ من كمال الشاعر، وهذا الأمر كان معروفًا عندهم. الانتقال من مسئلة إلى أمر بعيد عنها في الظاهر بإيجاد مناسبة لطيفة بينهما، وهذا كان معروفًا عند شعرائهم، فنزول الوحي يستفيد ذهنيتهم ذلك. تحدث واقعة يتوجهون فيها بكل همتهم، ويكون تلك الواقعة مناسبة لطيفة للعلوم العالية التي يريد القرآن تعليمها، فينتقل منها إلى تلك الحكمة، فلا تثقل عليهم ويحفظونها ويعلّمونها. الأمور السياسية تنظيمها يحتاج إلى تقرير مجالس سرية مخصوصة، وهي تنافي في أول الأمر لمصلحة نزول القرآن. القرآن يلقنهم انقلابًا ظاهرًا يحتاجون إليه. ليس فيه تخصيص لرجل دون رجل، وهذه المساواة إثباتها في قلوب الناس من أهم مقاصد القرآن. الله مالك الأمر واحد، وكل الناس عبيده سواء سواء، ومن هذه الجهة تأتي الحياة في الأقوام، والأمور السرية الأغلب فيها النفع لرجل

---

[١]- خالف المفسير منهجه في ترتيب تفسيره حسب نزول السور فوضع سورًا مدنية كثيرة بين السور المكية مع اعترافه بمدنيتها، فقد وضع سورة المجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم، وهي سورة مدنية، بين سورتي الفجر والملك ، وهما مكيتان، ولم يبين لنا سرها. ولم أعرف لم فعل ذلك؟

مخصوص، أو لطائفة مخصوصة، فاتخاذ المجالس السرية ينافي بوجه من الوجوه لمقصد تعميم الدعوة القرآنية، فينظر في ذلك إلى واقعة يكون فيها اتخاذ مجالس سرية لا لنفع راجع إلى ذات النبي ﷺ، و لا لنفع راجع إلى طائفة مخصوصة، بل طبيعة تلك المعاملة تقتضي الأسرار، فلمثل ذلك المقصد اتخاذ المجالس السرية لايكون باعث ريب عند أحد من أهل العقول، فانتقل البيان في القرآن بعد كفارة الظهار إلى مخالفة الكفار. إنهم يجتمعون في اجتماعات سرية لمخالفة القرآن والرسول والدين، فيأتي في قلب الإنسان بالسهولة أن المسلمين لازم عليهم أيضًا إنشاء المجالس السرية لتكميل سياستهم، فإذا زال الشبهة ووضح الأمر يعلمون كيف يؤسسون المجالس السرية، وهي من أهم أبواب السياسيات. السياسة كلها تكون قائمة صحيحة إذا كان نظامهم في المجالس السرية قويًا. قوله: "**إن الذين يحادون الخ**" انتقال لطيف إلى المقصد لدفع الضرر عن بيت واحد. يجوز التخلية مع النبي ﷺ، فلمقصد عظيم وهو رد نفاق المنافقين، كيف لايجوز تنظيم المجالس السرية. والمراد من الذين يحادون الخ هم المنافقون. "**كبتوا كما كبت** الخ" معناه كما صار الكفار مغلوبين وهؤلاء المنافقون الذين يستترون بالكفر أيضًا يغلبون وقانون المقابلة مع المنافقين غير قانون المقابلة مع الكفار. هذا معنى قوله: "**وقد أنزلنا آيات بينات إلى مهين.**" والآيات البينات هي الأحكام التي تأتي في هذه السورة لرد كيد المنافقين." **يوم يبعثهم الله**" إلى "**شهيد**" فيه إشارة إلى أن المنافقين عملوا أعمالًا فازوا فيها بزعمهم، لأن النظام الذي يردهم ما جاء أوان قيامه في المؤمنين، ففي هذه الآيات تهديد لهم. إن الله أحصى جميع ما عملوه ويجازيهم الآن بعد قيام النظام كما يكون الحساب لكل شيء في الآخرة.

"**ألم تر أن الله يعلم** إلى **عليم.**" بين الله علم التفصيل بجميع الجزئيات. "**ما يكون من نجوى** الخ" فالمجالس السرية هي النجوى. إذا اجتمعوا ثلثة، فالله رابعهم الخ أدنى المجلس أن يكون رئيس واحد واثنان عضوين، هؤلاء الثلثة وإذا تضاعف الأكان صاروا أربعة، والخامس يكون رئيسهم، فهذا مثال أي مجلس يكون فيه العدد أكثر من ذلك أو أقل. الله معهم يعلم جميع تفاصيله مثل رجل يجلس معهم فينبئهم بما عملوا يوم القيامة. وتعرفون في حكمة الشيخ تأخير المجازاة إلى يوم القيامة إنما يكون لرعاية نظام الأسباب، فإذا وافق الأسباب على المجازاة يجازون على الفور، فإذا انتظمت المجالس السرية في جماعة المسلمين، فالنظام المانع كأنه ارتفع، فيأتي العذاب على الفور. البداية في المجالس السرية كانت من المنافقين، فذكر الله عنهم: "**ألم تر إلى الذين نهوا إلى المصير**".قوله: "**ثم يعودون لما نهوا**" الخ الأثم عندنا في الحكمة ترك المصلحة والعدوان ترك التشريع ومعصية الرسول في الأمور الإدارية، فهذا عمل المنافقين ولرد هذا العمل يحتاج المسلمون إلى تنظيم المجالس، فالأمر الذي نرده صار معينًا "**وإذا جاؤوك حيوك**" الخ يقولون السلام عليك، لكن بوجه يتبدل اللفظ ويتغير المعنى، فهذا أمر خفيف في الظاهر لايقدرون على هتك الحرمة، وفي تخيلهم يعملون أشياء باطلة. الإعراض عنها وعدم إشاعتها هو المصلحة الدينية،

لأن في ذلك يكون فتح لباب التسويل وفتح لباب الاحتيال على العامة وإذا لم ينكشف إليهم وعلم بعض الناس بخبثهم، وهم يحملون عدم توجه المسلمين إلى ذلك تحملًا منهم لأنفسهم، فلا يؤثر ذلك في قلوب الناس. تلك المسئلة هي عدم مؤاخذتهم في الدنيا، لكنهم يعذبون بها يوم القيامة، لأن نفوسهم اكتسبت أمرًا سيئًا. هذا عندنا معنى قوله "**وإذا جاؤوك**" الخ هم جعلوا تلك المخادعة في التحية ذريعة في فهم افتنان المسلمين. إذا لم يلتفت المسلمون إلى الك الدسيسة في التحية، فكأنهم لما يعملون من مخالفة الإسلام في المجالس السرية. أغفل الله سبحانه بين الحكمة في عدم المؤاخذة في لحنهم في التحية، لكن أمر المسلمين أن يقاوموا لرد جميع ما قرروه من مخالفة الإسلام فأجاز لهم بتنظيم المسلمين المجالس السرية. "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ** الخ" فأمر المسلمين بالمناجاة بالبر والتقوى. البر يشمل جميع المصالح الدينية والتقوى جميع التشريعات الدينينة. هذا أساس المسئلة ومع ذلك يكون نفي المناجاة بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. قدم ذلك النفي في الذكر لأن الراعي لتنظيم تلك المجالس هو كان رد كيد المنافقين، لكن لايكون مقتصرًا عليه فقط، بل تكون المجالس مجالس العلوم العالية، والحكمة التي لايشترك فيها عامة الناس إذا كانا المباحث تفصيلية، وقوله:" **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**" تعملون هذا العمل كأنكم مأمورون من الله بذلك، فلاتتجاوزون فيها عن الحدود. رد كيد المنافقين لايفضي إلى تأسيس العداوة بين الطوائف مستقلًا. إنما يقتصر على القدر الضروري من الرد ويكون الغرض تأليفهم إلى المؤمنين، فإذا قام المسلمون بذلك العمل ولايعلم به عامتهم وهم إذا علموا من المنافقين أنهم يعملون لكيد الإسلام في المجالس السرية يحزنهم ذلك، لكن بسبب مدافعة المسلمين لذلك العمل لايضرهم، فعدم علمهم إلى زمان والحزن الذي يعتري لهم، يجبرونها بالتوكل على الله ولا ييأسون ولايحزنون، فنفي الحزن ونفي اليأس يوجد فيهم النشاط، فينضمون للمجالس السرية للمؤمنين لحدوث الاسعداد فيهم بذلك النشاط.

"**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ**" الخ المسلمون إذا حدث فيهم النشاط لرد كيد المنافقين يتفكرون في أنفسهم لم لايعلمون مثل مجالسهم السرية التي لا يعلمها هؤلاء المؤمنون، فوجب على المدبرين أن يدخلوه في مجالسهم، وفي هذه الحالة الأعضاء الذين كانوا من الأول يجدون في أنفسهم حرجًا أن يساويهم الرجل الجديد فأمروا برفع هذا لحرج. "**إذا قيل لكم**" الخ فيحتاج المجلس إلى قائل يقول لهم انشزوا أو يقول لهم تفسحوا، وهذا هو الرئيس، فالمعنى أن المجلس لا ينتظم إلا بتعيين الرئيس فيهم، فإذا أجاز الرئيس لرجل أن يدخل في المجلس، يجب على الأعضاء أن لا ينقبضوا عنه. بذلك تتوسع المجالس. قوله: "**يرفع الله**" الخ إشارة إلى قانون تعيين الرئيس. "**الذين آمنوا منكم**" جميع الأعضاء رفعهم الله على الكفار والمنافقين ثم "**يرفع الله الذين أوتوا العلم درجات**" على المؤمنين

فالذي أوتي علم تأسيس المجالس وإدارة الأمور السياسية، هو يرفع درجة يعني يكون رئيسًا "**والله بما تعملون" خبير** حفظ هذا النظام ظاهرًا و باطنًا لازم. هذا معنى قوله خبير.

"**إذا ناجيتم الرسول** الخ" أخذنا منه أن الركنية في تلك المجالس المهمة الأصلية أن يجعل معها غرامة مالية أيضًا، بذلك يتبين به فكر الرجل ظاهرًا وباطنًا. هذه الصدقة معناها مثل الإعانة التي توجب الجمعيات على أعضائها والأمر بالمعروف بأن النبي عليه السلام لا يأكل الصدقة، فكانت فيه إشارة أن هذه الأموال لاتجمع لنفع الرئيس، بل لمصلحة المجلس والجمعية.

"**فإن لم تجدوا** الخ" بعض الناس يكون أهلًا لركنية الجمعية ولايقدرون على المال، فإذا تبينت أهليتهم لها وعلم فقرهم، يعفى عنهم هذه الصدقة. هذا أمر مقرر عند جميع العقلاء لايختلف فيه أحد.

"**أأشفقتم** الخ" الأكثرية من المؤمنين الصادقين ما كانت ذات أموال، فوجدوا في قلبهم من هذا الحكم شيئًا من تقصيرهم، فأرادوا أن يجتهدوا لجمع الأموال بالقصد الخصوصي، يعني يغيرون البرنامج الذي كان عندهم هؤلاء لخدمة الإسلام ويعينون أوقاتًا فارغة لجمع الأموال ليؤدوا الصدقات وليدخلوا المجلس وكان فيه مشقة زائدة عليهم فأمرهم الله بالإقامة على البرنامج الذي كان لهم سابقًا في خدمة الدين، فإذا لم يقدروا معه على تقديم الصدقات ويعلمون الله ما أوجب عليهم في هذه الحالة، فلايتكلفون لها. هذا معنى قوله: "**أأشفقتم** الخ". "**فإذ لم تفعلوا** الخ" يعني لاتقدرون عليه بسهولة بالمشي على البرنامج السابق. "**وتاب الله عليكم**" أي أجاز لكم "**فإن لم تجدوا** الخ" فلاتتكلفوا واعملوا على طريقتكم "**فأقيموا الصلوة** الخ" هذا هو مسئلة استثناء بعض الأركان عن أداء الإعانات لعزتهم في زماننا. ونحن إذا تفكرنا في هاتين الآيتين على الوجه الذي ذكرنا، ما وجدنا فيه مجالًا لنسخ آية بآية أخرى. أليس هذا عجيبًا؟ نصف الآية المتأخر فإن لم تجدوا الخ ينسخ نصف الآية المقدمة فقدموا الخ. ألا يجعلون هذا بيانًا لعدم الوجوب إلى حاجة إلى القول بالنسخ إن لم يكن لهم ممارسة بالمجالس السياسية. وما وجدنا فيه إلى حسب تقديم رجال من أصحاب النبي بتخصيص ببعض الآيات على الآخرين، فيقولون ما عمل بها إلا عليّ ونعرف أن ذلك لايكون إلا من جماعة سياسية، غرضهم متعلق بتقديم على بن أبي طالب وإلا فكيف يتصور العقل أن الآية تنزل ولا يعمل بها إلا علي وهي مثبتة في المصاحف إلى يومنا هذا. وهذا كما قالوا في قوله وسيجنبها الأتقى أنها نزلت في أبي بكر. أبو بكر وعلي كلاهما من أئمة الهدى وخواص أصحاب رسول الله ﷺ. لهم منة على جميع المؤمنين بما خدموا الدين والإسلام مع النبي ﷺ وبعده هذا حقهم نعترف لهم بجميع أفعالهم ونشكرهم وندعوا لهم ونريد أن يلحقنا الله بهم، لكن التلاعب بالآيات القرآنية لانقدر أن نسامح به لأحد. أبوبكر مراد بالأتقى مثل سائر المؤمنين الذين يأتون إلى يوم القيامة وعلي بن أبي طالب من الذين قدموا بين يدي نجواهم صدقات مثل سائر المؤمنين. نحن لانجعل الآية منسوخة فنعمل بها إلى يوم القيامة، فكل أمير من أمراء المسلمين ينظم جمعية

سرية لنصرة الدين هو يكون كالخليفة لرسول الله ﷺ والذين يدخلون في هذه المجالس ويؤدون الإعانات، كلهم فيمن قدم بين يدي نجواهم صدقات.

فائدة

قال الإمام ولي الله في **الفوز الكبير** من المواضع الصعبة في فن التفسير الناسخ والمنسوخ وأقوى الوجوه الصعبة اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين، وما علم في هذا الباب من استقراء كلام الصحابة والتابعين أنهم كانوا يستعملون النسخ بإزاء المعنى اللغوي الذي هو إزالة شيء بشيء ولا بإزاء المصطلح للأصوليين، وبهذا بلغ عدد الآيات المنسوخة خمس مأة، وإن تأملت متعمقًا فهي غير محصورة على اصطلاح المتقدمين، وعدد المنسوخ باصطلاح المتأخرين قليل، لاسيما بحسب ما اخترناه من التوجيه، وحرر الشيخ جلال الدين السيوطي في **الإتقان** [١]المنسوخ الذي فيه رأوا المتأخرين على وفق ابن العربي، فعدده قريبًا من عشرين آية وللفقير في أكثر تلك العشرين نظر، فلنورد كلامه مع التوقف، وقال في آخره قال السيوطي فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلاف في البعض ولايصح في غيرها والأصح في آية الاستيذان والقسمة عدم النسخ، فصارت ١٩ قرأنا كلام السيوطي ورأينا طريق تعقب الإمام ولي الله فقدرنا بعد ذلك على توجيه عدم النسخ في تلك الخمس الآية التي نقرأها في المجادلة وذكر توجيه عدم نسخها ورأينا من حكمة الشيخ أن المواضع المشكلة التي أتى فيها بتوجيهات لعدم النسخ والتي تركها وسلم نسخها التوجيه فيها أسهل، فرأينا أن المصلحة عند الشيخ أن لاتصرح بنفي السنخ على طريقة المتأخرين في الآيات القرآنية، لأن ذلك المذهب صار منسوبًا إلى المعتزلة، فالمسلمون لضعف مداركهم إذا رأوا أن كلام الشيخ يوافق المعتزلة لاينظرون فيه، وإذا قلل النسخ لايستنكرونه والرجل الفهيم على طريقة الشيخ يعرف أن النسخ منتفٍ وزماننا هذا بخلاف زمان الشيخ. الآن نفي نسخ آية من الآيات القرآنية المثبتة في المصاحف هو المنصور عنه المحققين المسلمين وبذلك يقدرون على دعايات الكفار على خلاف القرآن ونحن نقر بالنسخ في القرآن على طريقة الصحابة والتابعين بالمعنى اللغوي فقط، فإن الكتب القانونية إذا كانت مشتملة على جميع المواد المحتاج إليها يأتي فيها تقييد بعض المواد بقيود تذكر في المواد الآخر. إما أن يكون مادة منها غير معمول بها بالمرة فلا توجد، فعلى منهج الكتب القانونية بعض الآيات القرآنية يفيد إطلاقات بعض الآخرى. هذا هو النسخ في كلام المتقدمين، ولابد من تسليمها في جميع الكتب القانونية.

وإذا انتظمت المجالس السرية أولًا للمنافقين وثانيًا للمؤمنين، صار المتكلمون بكلمة الإسلام منقسمين إلى حزبين: حزب الشيطان ذكر الله بقوله: "**ألم تر إلى الذين تولوا ...هم الخاسرون.**" المراد

١- لينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(م ١٩١١)، ت، محمد أبو الفضل إبراهيم، **الإتقان في علوم القرآن**، النوع السابع والأربعون: في ناسخه ومنسوخه (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ء)، ٣: ٦٦ ومابعد.

من القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود والذين تولوهم هم المنافقين فذكر أحوالهم بقوله: "**يحلفون على الكذب** الخ" "**اتخذوا أيمانهم جنة** الخ" "**استحوذ عليهم الشيطان** الخ" "**إن الذين يحادون الله...في الأذلين**" وذكر حزب الله بقوله: "**كتب الله لأغلبن الخ لاتجد قومًا ... هم المفلحون.**"

ابتداء تعليم القرآن بالدعوة إلى علوم صحيحة وأخلاق فاضلة وأعمال صالحة، وكثير من الناس يستحسنون هذه الدرجة من الإسلام ثم أمر بهم بالاجتماع ليكونوا بذرًا للانقلاب ورفع الظلم عن الباطل عن الأرض، فحصول هذه القوة السياسية لجماعة المؤمنين لايرضى عنها هؤلاء الناس، فيجتمعون مع الذين يبحثون عن الأمور الدينينة مثل أهل التوراة في ذلك الزمان ولايريدون العمل على ذلك، فهم يجتمعون معهم ويوادونهم ويخالفون الإسلام في قوته السياسية بتأسيس حزب سري بخلاف ذلك. هم يؤمنون في الظاهر بالتعاليم الإسلامية ويستحسنونها ويبينون حكمتها وفضائلها ويشتركون في ذلك مع اليهودن، ويخالفون في الباطن ما حصل للإسلام من القوة السياسية وهم حزب الشيطان، والذين يريدون تحصيل جميع القوى السياسية لمن يؤمن بالقرآن وغلبة جميع الأديان ويجتمعون في المجالس السياسية ليتغلبوا على الأحزاب المخالفين. أولئك حزب الله. "**ألا إن حزب الله هم المفلحون.**" انظروا إلى ابتداء السورة. الكلام في مسئلة معاشرية، ثم الانتقال إلى مسئلة سياسية تشبه المسئلة المعاشرية، ثم تتميم البحث على تنظيم حزب الذي هو رأس الحكمة في غلبة الدين على الكفار، فكيف انحدرت هذه الحكمة بمناسبات لطيفة إلى أذهان الأميين ولايقدر على إحاطة مصالحها. كثير ممن صرفوا عمرهم في البحث عن المسائل السياسية في ضمن آيات عددها اثنان وعشرون. كل قوم لاينتصرون في سياستهم إلا إذا جعلوا سياستهم حزبية، وحصروا الآمرية في حزبهم.[1]

تتمة

السياسية إنما تقوم بالاجتماعن والعرب كانوا متفرقين على شعوب وقبائل، واجتماعية كالواحدة كأنها تمت على ذلك ليس فيهم همة على اجتماع القبائل مثل اجتماع قبيلة في شيء، فالقبيلة كانت أعظم مرتقى في الاجتماعيات عند العرب، فإذا كان الرجل قاصرًا فيه فيسري فيه التفرق والانفرادية، فيكون بيت منفردًا عن بيت، ثم يكون في البيت الواحد أيضًا تفرق وانفرادية، فيحرم الزوج على نفسه زوجه، فيقع فيه التفرق الدائم، وباجتماعهما كانت الحيوة البيتية، ففي افتراقهما يختلف الأولاد الإخوة والأخوات بعضها عن بعض في العواطف، فتفسد الفطرة الإنسانية المقتضبة للاجتماع فسادًا لا فساد أكبر منه، و كانت عنهم رسوم وسنن يحرمون بذلك أحد الزوجين نفسه على الآخر، منها الظهار، فالشريعة الإسلامية أرادت إصلاح الأمر من أساسه، فأبطلت كل سنة ورسم كانت مفيدًا ومفضية للتفرق الدائم بين الزوجين، والظهار كان هكذا، فأصلحه الإسلام بالكفارة. هذا هو المنصوص

---

[1]- في ن م: أغسطس ١٩ن يوم الاثنين ١٩٤٧ سنة.

في السورة، ونحن نمشي على هذا الطريق طريق الحكمة، فننظر في الأشياء الأخرى أيضًا. ذلك الإصلاح نافذًا كان واحدًا من طرق التفريق عندهم. الإيلاء جعله الشريعة أيضًا محدودًا، ونعرف أن مسئلة الطلاق قيدها الشريعة بالثلاثن لكن ترك فيه أيضًا مساغًا للاجتماع إذا تزوجت بزوج آخر، فمعنى هذه المجادلة والاشتكاء والإصلاح بالكفارة عندنا هو انسداد طرق التفرق وكانت المرأة المسكينة تشتكي إلى الله عن هذا التفرق، لأن لها أولادًا من ذلك الزوج وسن الزوجين داخل في الشيخوخة لايقدرون على التخلي عن الأولاد وتأسيس بيوت مستقلة، فهذه المصيبة إذا كانت لازمة في بيوت فما المخلص منها؟ هذه المرأة على حسب فهمها كانت متوجهة إلى أن يكون طريقة لرد الظهار واجتماعها مع زوجها وأولادها، وأما النبي في هذه المجادلة والمباحثة كان يتفكر في مفاسد الاجتماع القومي فكما أن المرأة تريد أن ينزل طريق إلى التخلص من الانفرادية البيتية، كذلك النبي كان يطلب بطبيعته وفطرته أي بلسان الحال لابلسان القال أن ينزل الله طريقًا ينفع في الاجتماع القومي ويحرم الانفرادية عن القوم، فنزلت الآيات بعد ذلك في تأسيس حزب الله وحزب الشيطان. هذا الحزب الذي يسمى بحزب الشيطان، ملخصه أنهم اتبعوا اليهود قومًا غير قومهم، ولذلك قيل ما هم منكم ولامنهم. المصالح القومية لليهود تخالف مصالح العرب، وهم صاروا مطرودين مخذولين في العالم، فقوم من العرب يخالف قومهم، ويجتمعون مصالح اليهودية معهم. هؤلاء حزب الشيطان والذين يمشون على قوميتهم على طريق البر والتقوى ويجمعون معهم، كل قوم يكون على طريقتهم، هؤلاء حزب الله، فمن أنشأ طريق الاجتماعية العالمية باتباع طريق الحق فيها بدون رعاية فاسدة لقوم دون قوم وجعل مركز ذلك التحريك قومهم أولاد إسماعيل ومن والاهم، هؤلاء حزب الله، فالطريق للاجتماعية القومية الذي كان يرجوه النبي ﷺ في هذه المجادلة أيضًا، نزل الأمر فيها تمامًا، فالتشابه بين الواقعتين يعني بين التشبيب وأصل القصيدة ظاهر يشتد ظهوره إذا أمعن بالتعمق. (١)

١- في ن م: الحمد لله، تم الدفتر الأول ويليه الدفتر الثاني، ساعة إحدى عشر في ليلة الأحد. (ذكر هناك تاريخ التكميل أيضًا ولكنه غير مقروء.)

٣٧

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

"**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** الخ" آيات التسبيح إذا نزلت في مبدأ سورة، نعلم منها أن في تفصيل السورة يأتي أشياء قبحها عند ضعفة العقول يكون راجعًا إلى الله، فينبه الله في ابتداء السورة على أن الله منزه عن جميع النقائص، ولازم على أهل المعرفة أن يسحضروا تنزه التجليات الإلهية عن قبائح المظاهر، فالسموات والأرض قامت فيهما تجليات إلهية تشهد أن كل قبح ونقصان إلى القوى المادية التي هي مظاهر التجليات، والتجليات لاتظهر عليها لإصلاحها وتكميلها، فهذا معنى قوله: "**سبح لله**" الخ قوله: "**وهو العزيز الحكيم**" إذا كانت حكمة الحكيم تقتضي أن إصلاح المفاسد التي اشتملت عليها طائفة من المخلوقات، لايمكن في قانون الحكمة إلا بنزول الرب تبارك وتعالى وأخذه الأمر كله بيده، فعزته وإن كانت تمنع عن النزول، لكنه يراعي مقتضى الحكمة، فيتنزل ويراعي مع ذلك عزته، فلا يتلوث بشيء من المتلوثات. ضعفاء النظر وقليلوا المعرفة إذا جعلوه في تلك الحالة ملوثًا بأحكام المادية، فهذا كله قصور نظرهم عند أهل الحكمة والطائفة الأخرى من قاصري الأنظار توجهت إلى تنزيه الحق خلاف الطائفة القاصرة الأولى، فمنعت نزول الحق بالكلية، فحرموا منها فهم الحكمة في كثير من الأحكام، فتام المعرفة لاينكر نزوله ولايقصر تنزيهه يقدر على الجمع بين مقتضى اسمي العزيز الحكيم.

"**هو الذي أخرج الذين كفروا إلى عقاب.**" جمع المسلمون عسكرهم بعد واقعة الخندق وهجموا على اليهود بني النضير الذين نقضوا العهد وانضموا مع الأحزاب المهاجمين على المدينة، فلما رجع الأحزاب خائبين، أمر النبي عليه السلام بالهجوم على بني النضير، فسلموا حكم النبي ﷺ في حقهم، ورضوا على الجلاء. أشار القرآن إلى هذه الواقعة في هذه الآيات: "**هو الذي أخرج** الخ" لأول الحشر. فسره عامة المفسرين بالجمع إلى المحشر يوم القيامة واستقر في أذهانهم باتباع الإسرائيليات أن الحشر يوم القيامة يكون في فلسطين وسوريا، وهذا القوم أيضًا هاجروا إلى سوريا بعد جلائهم، فكان هذا أول الحشر قبل حشر الناس عامة وخالفهم الإمام ولي الله فيه وجعل معنى الحشر جمع العسكر. "**وحشر لسليمان جنوده.**" واستفدنا من كلام الإمام أن المحاربات الإسلامية إلى ذلك الوقت كلها كانت دفاعية. الكفار يتدؤون في العمل والمسلمون يدافعونهم، ومن هذه الواقعة شرع المسلمون بالهجوم أول مرة. قد ورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ بعد رجوع الأحزاب أنهم لايغزوننا بعد ذلك اليومن بل نحن نغزوهم، فانتظمت واقعات السورة كلها على نظام حسن، ويقوم بذلك الويل على طائفة من أهل العلم الذين يقرون بأن الإسلام لايجوز الهجوم، وهذا باطل من أفكارهم. المصالح الشرعية إنما تبحث عن هذه المسئلة بوجه آخر لا بهذا الوجه. مضى كثير من الأنبياء على طريقة المنع عن القتال، صبروا على ما

ظلمهم الناس حتى جاء نصر الله بالقوى الغيبية وأنجاهم عن تلك المهالك. وبعد إبراهيم¬ شرائع موسى وعيسى ونبينا ﷺ من الحنفاء وشرائع كرشن ومن تبعهم من الصائبة، كلهم يجوزون القتال مع الأعداء، فالفرق الأصلي في الشرائع هو تجويز القتال أو منعه، والشرائع التي تتبع بوذا[١] كلهم يمنعون عن القتال. أما إشارة البحث في الشرائع التي تجوز القتال بأنه يكون ابتداء أو دفاعًا، فهذا في الحقيقة من فرائض من يريد الحرب، لايمكن أن يوضع له قانون في المقاتلات. الحكمة في المقاتلات تكون مقتضية لقلة إفناء الناس والفوز بالمقصد، وهذا المقصد إن حصل بالهجوم لايسفكون فيه الدماء كثيرًا، والنتيجة تحصل بالسهولة بالهجوم فالمدبر للحرب لايمكن صبره عن الهجوم. هؤلاء الجهال يلتمسون مرافق الحياة من الكفار، تشبثوا بآيات في القرآن تأمر المسلمين بالانتظار والتربص، وتلك الآيات ليس معناها إلا جمع القوة لأنفسهم. أي قائد في الدنيا للحرب يلقى جماعة من نار الحرب قبل اطمئنانه بحصول الاستعداد لحمل مصائب الحرب من رفقائه، فالقرآن إن أمر المسلمين بالتربص والانتظار لجمع القوة فلا يكون فيه حجة هؤلاء الجهال.

"**ما ظننتم أن يخرجوا** إلى **أولي الأبصار**" القوة الحقيقية فما الحرب هي جمع المعنويات كلها لكل فرد من أفراد العسكر بل لكل فرد من أفراد القوم أنهم لايقاتلون إلا للحق ويطيعون في الإدارة أولي الأمر منهم، فإذا فقدت جماعة هاتين الخليتين أو إحداهما وظنوا غلبتهم مستندًا إلى أشياء مادية مثل الحصون والأسلحة، فلا يقضى لهم الفلاح وهؤلاء اليهود ما كانوا مطمئنين على اتباعهم للتوراة بل كان فيهم خلاف أن هذا النبي ﷺ مبعوث بحكم التوراة، وما كانوا متفقين تحت رياسة أمرائهم، وكانوا يظنون أن حصونهم تمنعهم من المسلمين، فما نفعهم هذا الظن وصاروا مرعوبين في أنفسهم وانقطع عن أمل الفوز بإحاطة العرب لهم من جميع جوانبهم.

فائدة

تأسيس حزب الله ودعوته إلى جميع العرب وبني إسماعيل إلى لواء قومهم الذي هو قائم لإقامة الحق نفع المسلمين تمامًا، والقبائل التي كانت تميل إلى اليهودي سمعوا تأسيس حزب الله على العدل والتقوى في صالحي قومهم يعتمد على عهودهم ومواثيقهم تركوا اليهود أو كادوا أن يتركوهم وعلم بذلك اليهود في دوران غزوة الأحزاب، فامتلأ قلوبهم بالرعب من المسلمين. هذا كله كان بركة اجتماعهم في تأسيس حزب الله، ونحن بذلك حسن ترتيب السور في المصاحف تحت الفائدة.

"**ولو أن كتب الله**" معنى هذه الآية عندنا أن هذا مكتوب عليهم في التوراة بمعرفة أنبياء التوراة، ونحن لم نقدر إلى الآن على جمع تلك الروايات الإسرائيلية. هذا كان الجلاء بسبب كونه من الأول ولصدق هؤلاء الأنبياء كان لازمًا أن يرضى الطرفان بجلائهم، وكان في ذلك فائدة لهم، وإن أقاموا في

---

[١]- هذا اللفظ كتبته بالظن الغالب فإنه غير مقروء في كلتا النسختين.

تلك البلدة مع هذا الشقاق، لعذبوا وقتلوا. هذا معنى قوله: "**لعذبهم في الدنيا**" لأن بعد ذلك الانتصار للمسلمين وتأسيس دولتهم لايمكن المجاورة في تلك البلدة لقوم لايسلمون حكم الله ورسوله وهذا بحكم الانقلاب الذي أتى به القرآن واضح.

فائدة

أمر النبي ﷺ أمراء المسلمين بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، ونجعل هذا الحكم على درجتين. قلب جزيرة العرب عندنا في المحاورة الإسلامية الحجاز فقط، فمطمح النظر في ذلك الحكم على سبيل الوجوب والتأكيد هو الحجاز، وأما العرب فذكرها سواء للذريعة، والمراد من جزيرة العرب لايكون إلا ما كان يعرفه الناس قبل الإسلام، فلا يدخل فيها العراق ولا سوريا ولامصر ولا فلسطين، وأما المسلمون من الجغرافيين فجعلوا حد جزيرة العرب في الشمال منبع الفرات ومجاورة البحر الأبيض، فيدخلون فيها العراق والشام وقطعة من آنادول. هذا اصطلاحهم المخصوص الذي حدث بعد تملك العرب لتلك البلاد سوريا وأنادول، وغلبة لسانهم على لسان الأهالي. ليس هذا حدود جزيرة العرب عند الأقوام قبل الإسلام. إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب إن كان المراد من جزيرة الاصطلاح الإسلامي، فهل وقع ذلك الإخراج في زمن من الأزمنة. النبي أخرجهم فانتقلوا إلى خيبر وسوريا، ثم أخرج عمر أهل خيبر إلى سوريا إلى الشام، فهل كان إخراجهم من الشام داخلًا في مفهوم إخراجهم من جزيرة العرب يومًا من الأيام؟ فعلمنا أن المراد في كلام النبي ليس إلا ما كان يعرفه الناس قبل الإسلام لا المصطلح الإسلامي. خطأ عظيم لرجل من رفقائنا من المتفكرين الإسلاميين في الهند أعني أبو الكلام آزاد. قام المسلمون في الهند بعد سقوط توركيا لانتصار الخلافة الإسلامية بأمر لايرجى من قوم مثل ذلك جمعوا كل قواهم تحت كلمة واحدة وضموا معهم أمراء أفغانستان وجعلوا كانگريس المشتمل على السياسة الهندية منظمًا إلهيم، فقاموا قيامًا واحدًا فاندهشت الحكومة المتغلبة على الهند بسبب اجتماع الهنود والأفاغنة معهم وكانت الحكومة الإنجليزية تحب أن يهتدوا لمسئلة يصلحون مع المسلمين في الهند ولايتزلزل بذلك إمبراطوريتهم، فنعرف جهادهم لتعرف حل تلك المسئلة بالرجوع إلى معرفة آراء أهل الرأي من المسلمين والهنديين والهنود والأفاغنة، وكانوا يرضون أن يقيموا في الحجاز حكومة جمهورية للمسلمين يشترك في تنظيمها وإدارتها جميع المسلمين في الأرض، ويكون سياستها الخارجية مع الإمبراطورية البريطانية ، فهذا الحل كان أنفع شيء في ذلك العصر للمسلمين وكان بذرًا صالحًا لارتقائهم الديني واجتماع كلمتهم على نصرة الشريعة الإسلامية، لكن العصبة التي تقوم لحل مسئلة الخلافة من المسلمين الهنديين كانت أكثرها غير عالمة بأحكام الدين التفصيلية. هؤلاء رجال يعدون على الأنامل؛ حكيم أجمل خان، والدكتور الأنصاري، ومحمد على، وشوكت على، وأبو الكلام آزاد ومن يضم هؤلاء معهم ممن يحتاجون إليهم من الزعماء والعلماء، فكل هؤلاء ما كانوا يعلمون أحكام الدين الفرعية التفصيلية القانونية إلا أبو الكلام آزاد، فهو كتب كتابًا واستند فيه إلى آراء الجغرافيين من المسلمين في تحديد جزيرة

العرب، وأدخل فيها العراق والشام وفلسطين، وجعل هذا اقتراح تلك الجماعة جمعية الخلافة أن يحرروا تلك البلاد تحريرًا كاملًا، ويفوضوا أمرها إلى أمير مسلم. هذا هو واجب المسلمين في انتصار الخلافة، فتأثر بتلك الكلمة الجاهلية أركان جمعية الخلافة كلهم، فلما عرض هذا الاقتراح على لويد جورج ردهم بكلمة ما قدروا على جوابها. بطل كل الأفكار التي كانت تميل إلى الاصطلاح مع المسلمين الهنديين والإمبراطورية البرتانية استبدت بأمر نفسها واتخذت خطبة الاشقاق بين الهنود والمسلمين والأفاغنة. مقصد سياستهم أول ما تشبثوا في ذلك أمر الحكومة الهندية أن يحاسبوا فروع جمعية الخلافة في ميزانياتهم، فظهر إسراف بل اتفاق الأموال بدون إجازة قانونية، فأشاعوها في الهند، فتأخر عامة المسلمين عن زعمائهم، وأوجدوا الاختلاف بين شوكت علي وغاندي، وزاد كل يوم هذا الانشقاق حتى تأخر الهنود وكانگريس عن انتصار المسلمين وأوجدوا الشقاق بين الأفغان والهند حتى أن بطانة الأمير أمان الله اقترحت على قطع جميع علائقهم مع الهند واعتمادهم في جميع أمورهم على برطانية، فلما تمكنوا من ذلك فعلوا بالأمير أمان الله وأفغانستان ما ليس له نظير. أخبرنا بعض زعماء الأفغان أن مأة ألف من الأفغان قتلوا في فتنة أمان الله، وأقاموا على الأفغان حكومة توافق وترافق في جميع المصالح الخارجية مع البريطانية ، وألوف من شبان الأفغان محبوسون في السجون، وما تصرفوا في جزيرة العرب والحجاز. أعرضنا عن البحث عنها وجمعنا كل أفكارنا السياسية على سياسة بلادنا فقط، لكنا إذا نتذكر تلك الواقعة ونعرف سيد الحوادث يحترق دماغنا وقلوبنا بإفراط وجهالة رجل واحد من رفقائنا وكان في تلك المصائب كلها.

"**ما قطعتم من لينة**" الخ الأعمال الحربية تحت أمر القواد تختلف في الصورة، لكن تتحد في المعنى. كل فرقة أطاعت أميرها وأميرها اجتهد بمعرفة للوصول إلى المقاصد، وما قصر في ذلك، فالأئمة مرفوعة عن الأمير وعمن تبع أمره، فالصورة إن كانت مختلفة، لكن النظام المعنوي قائم على حاله، فالكل جائز وكلها بإذن الله لأن باختلاف الصورة خزيان العدو، ويحصل لامحالة لأن كل قائد لايعمل عملًا إلا لإيصال الخزي إليهم، ففي تلك الأمور الاختلاف أيام الحرب غير جائز كما ذكر الله أن اليهود رضوا على الجلاء بفساد معنوياتهم، كذلك نبه المسلمين على أن اختلاف صور الأعمال تكون قلوبهم ناظرة إلى المعاني فقط لئلا تفسد معنوياتهم الاجتماعية. "**وما أفاء الله** إلى **رحيم**." تلك الآيات المبحث الأصلي من هذه السورة. تأسيس حزب الله على الأصول العقلية الصحيحة والأخلاق الفاضلة تتبين من سورة المجادلة، ومعلوم لكل من يتعرض لعلوم الحكمة أن هذا الاجتماع لايقوم ولايدوم إلا باشتراك تلك الجماعة في الأموال والاقتصاديات لما حصل الجلاء، فالأشياء التي هي قابلة للانتقال، حملها اليهود معهم حتى أن الخشبة الصالحة إن كانت في السقف، فخربوه وأخرجوها وحملوها معهم، فما بقي منهم للمسلمين إلا الأراضي وما يتبعها من الجدران والآبار لايمكن نقلها، فهذا يسمى بالفئ، وذكر الله أحكامه في هذه السورة في موضوع واحد. هذا نوع جديد في المعاملة. كان المسلمون أرادوا أن يحاربوهم

وعملوا بعض الأشياء في ابتداء الحرب، لكن اليهود رضوا على المصالحة، فبالمصالحة حصلت لهم تلك الأراضي، فحكمها يكون غير حكم ما غلب عليه المحاربون، فقرر الله أن ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، يكون مقسومًا على خمسة أجزاء وحصص. أول الأمر أن كلها لله لأن الأمر والملك ليس في الإسلام إلا لله وهو يأمر بقسم الفيء في المستحقين، فجعلهم خمسة: الرسول عندنا معناه شخصيته طول حياته؛ لأنه هو منبع جميع الاجتماعات ومرتقى لرفع جميع الخصومات، فيكون بعده فراغ في حكمه بالمصالح التي يرتضيها هو وهذا معروف من سيرته. وبغنائه الذي أغناه الله من فطرته أنه لايدخر لنفسه ولا لعياله شيئًا زائدًا عن قدر الحاجة فهذا مثل ما يجوز للأمراء في الحكومات القانونية للنفقات السرية. قوله: "**لذي القربى**" معناه عندنا الذين يتقربون إلى الرسول من حيثية الرسالة سواء كانوا من عشيرته أو من المؤمنين غير العرب وغير قريش مثل سلمان، فمن كان يجد في قلبه تقربًا خصوصيًا وهو يحب الرسول مثل ما يحب الرجل آبائه، فالرسول أيضًا يعامل معه تلك المعاملة؛ يتكفل حاجاتهم كتكفل الآباء حاجات أولادهم، ليس فيه تخصيص لبني قومه على غيرهم، فإن كان رجل لايتقرب إليه بوصف رسالة فلايجعله من ذوي قرباه، وإن رجل لا من قريش و لا من عرب، لكن يتقرب إليه بوصف رسالته أنه كالأب له، فيجعله من ذوي قرباه. جاء من الفيء أطفال لخدمة الأسارى، فبعث علي بن أبي طالب فاطمة أن تسئل خادمًا منهم، فما أعطاها النبي ﷺ وقال إن في الأنصار يتامى لهم حاجة إليها. الناس يفهمون بسهولة هؤلاء يتامى الأنصار؛ أليس حب النبي إياهم مثل حب آبائهم، وهو قدمهم على ابنته، ومسئلة سلمان واضح أن النبي ﷺ قال سلمان من أهل البيت وكذلك مسئلة ابي مسعود، فنجعل هؤلاء كلهم من ذوي القربى للرسول باسم رسالته، وهذا السهم أيضًا يختتم بعد ما توفاه الله، وعلى ذلك اتفق المهاجرون والأنصار في زمن أبي بكر وعمر.

جملة معترضة

من ذوي القربى لرسول الله ﷺ بنو هاشم، ثم أولاد علي وأولاد عباس كانوا فرقة سياسية لهم برنامج مخصوص في سياسة الإسلام، هم يقيسون الإسلام على منهاج بني إسرائيل، ويجعلون أنفسهم وارثين لجميع رياسات السياسة التي حصلت للنبي ﷺ وكانوا ساعين لذلك دائمًا وما نص النبي ﷺ على استحقاقهم لذلك، فما فازوا في خلافة أبي بكر ولا في خلافة عمر وعثمان حتى وقعت الفتنة بقتل عثمان، فتقدموا لأخذ أزمة السياسة بأيديهم وما فازوا في ذلك أيضًا حتى غلب معاوية رجل من بني أمية على الخلافة[1]. من ذلك اليوم كانت بنوهاشم منزلتهم منزلة الفريق المخالف في السياسة القومية، ثم هم

[1]- هذا وما بعده خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، فإن إعانة علي رضي الله عنه للخلفاء الثلاثة مما ثبت بالحجج والبراهين كما يظهر من كتاب الشيخ محمد نافع من علماء ديوبند **رحماء بينهم** ، وقد ثبت بتأييد زيد بن علي وأمثاله من قبل الأئمة الأجلة مثل أبي حنيفة ومالك رحمهما الله أن ما وقع من الحسين بن علي وأمثاله كان ضد الجور والظلم من أرباب بني أمية وغيرهم، وما زالت قدوة هؤلاء الأعلام منار النور لمن بعدهم من أصحاب العزيمة في كل زمان

سعوا بعد ذلك بتأسيس حزب سري يؤيد بني هاشم فقط وغلبوا على بني أمية في مبدأ المائة الثانية، ومن ذلك الزمان افترق بنو هاشم بين العباسية والعلوية. العباسيون قاموا بالخلافة المركزية والعلويون كانت لهم الحكومة في أطراف الممالك الإسلامية، فتلك الجماعة تدعو لنصرتها السياسية وتستفيد بالآيات القرآنية منها. "**قل ما أسئلكم عليه من أجر إلا المودة في القربى**" فجعل هؤلاء الناس معنى هذه الآية تأييد سياستنا هو تتمة مودتنا ومودتنا على أعناق الأمة كلها لأنها أجر رسالة الرسول وعندنا في هذا الاستدلال مغالطة عظيمة، وما يخرج عن هذا إلا من وفقه الله إلا فالتأويلات والتلبيسات تجعل السياسيات الإسلامية مختفية عن أفكار من يقرأ القرآن، فالذي فهمناه أن المودة من رجل لقرباه هو أجر محنة الرسول. الشريعة الإسلامية توصي بصلة الأرحام. قال الله: "**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ** الخ" فالشريعة الإسلامية تقوم على دعايتين: الأولى الدعوة إلى الله واتباع أحكامه والتقوى منه، والثانية صلة الأرحام، و أداء حق كل ذي حق. جبلت الفطرة الإنسانية على أساس ذلك الحق. وصلة الأرحام عبارة عن هذا المعنى لأن مدار الحكمة الشرعية كلها على توفية الفطرة الإنسانية حقوقها، والحقوق الظاهرة التي جبل كل فطرة إنسانية على إحساسها، هو صلة الأرحام. الأم لاتقدر أن لاترحم أولادها والأولاد وتقدر أن لاتحن إلى أمها، فلما كان الولد ضعيفا كانت الأم مجبولة على قضاء حوائجه بالإلهام الطبيعي والحي الذي يكون مثله إلى النحل، فلما صار الولد بالغًا كاملًا قويًا مكتسبًا وضعفت الأم، فالشريعة الإسلامية تلهم الولد بإلهام عقلي أن يتكفل لحوائج أمه قبل حوائج نفسه إقامةً للعدل والتقوى، فجميع أوامر الشرع حكمة تكميل الفطرة الإنسانية مرعية فيها، وهذا أول ما أدركنا من حكمة الإمام ولي الله في **حجة الله البالغة،** فنحن نتيقن إذا بطلت الفطرة الإنسانية في طلب مقتضياتها وعميت، لايكون لرجل حكيم قوة على شرح التشريع الإسلامي على أصول الحكمة، ونحن في زمننا هذا إذا رأينا جماعة الانقلابيين يقطع الأرحام، وإن كان لحاجات سياسية وقتية، جزمنا بعدم نجاح تلك الحركة؛ لأنهم لايؤمنون ولايتبعون الشرائع. أما عندي فما كان هذا الجرم كافيًا لعدم نجاحها لأن أصحاب الشرائع عمومًا أفسدوا الشرائع، فالرجل يقوم على خلافهم ولاينجح، هذا ليس بلازم عندي؛ لأن الشرعيين ليسوا بصادقين في اتباعهم الشرع. كثير من المتسترين بلباس الشرع في قلوبهم الجحود والإنكار لشعائر الشرع أكثر من هؤلاء المتمردين القائمين بالانقلاب، فهذا الوجه ما كان كافيًا عندي في عدم نجاحهم، وأما أمرهم بقطع الأرحام وتأسيس السياسة على ذلك، فما كنت أعتقد أنهم يمشون خطوتين إلى أقدام، وليس معنى ذلك أن جزمي بعدم نجاحهم كان في ذلك رجاء لطائفة من طوائف المسلمين القائمين على

والذين قالوا بكلمة الحق عند السلاطين الجبابرة، ومن بين هذه السطور يرى ميل الشيخ السندي إلى من يتهمون علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأولاده في هذا الزمن، وقد بلغت الفتنة شأوها على أيدي المتطرفين في نقد الشيعة، أعاذنا الله من البعد عن منهج أهل السنة.

وجه الأرض اليوم. تنبهت في تلك المطالعة السياسية على ابتناء الأحكام الشرعية على مصالح فطرة الإنسانية على تفصيل يأتي به الإمام ولي الله، فكلما تقدمت في مطالعة السياسيات، جزمت جزمًا متزايدًا كل يوم أن المسلمين لو غفلوا عن حكمة شرعهم وتشبثوا بالقشور، لايرجى لهم النجاح، وما ظلمهم الله ورسوله في ذلك، بل ظلمنا أنفسنا. الحكمة الشرعية على صلة الأرحام من أهم المواضع المقصودة، فالنبي ﷺ يقول لهم بأمر الله ليس لي أجر في هذه الرسالة إلا أن تصلوا أرحامكم وتصلحوا ذات البين، فهذا معنى "**ما أسئلكم عليه من أجر إلا المودة في القربى**" كل رجل يود ذوي قرباه. وأين فيه إشارة إلى أن المودة في القربى المراد بها المودة في قربى الرسول؟ وهل كانت فاطمة وأولادها موجودين زمن النزول؟ وهل كان العباس مسلمًا في ذلك الزمان؟ لكن الدعاية السياسية إذا غلبت على دماغ رجل، هو يتغافل عن أجلى البديهيات، والحكمة في هذه الدعوة أن الناس يكونون مطمئنين أن النبي لايدعونا إلى شيء ينفعنا، فيكون أهل البيت والأمهات كلهم مستمعين إلى تلك الدعوة، لأنه بقطع الأرحام لايتأذى إلا الأمهات والجدات، فهن إذا سمعن أن النبي ﷺ لايطلب منهم أجرًا إلا أن يخدم الأولاد لنا نكون مثلهم إلى أقوى، وهذا تبين في من تعمق في تفحص تكميل الحركة الإسلامية في مكة. النساء الأمهات في البيت كُنّ يعتمدن في بطائن سرائر الدعوة، وإن كن هن لم يدخلن في الإسلام، ثم أنزل الله آية أخرى. "**قل ما سألتكم من أجر فهو لكم.**" فهذه تبين معنى الآية أن أجري إلا على الله، فالنبي ﷺ مثل إخوانه من المرسلين يسئلهم أجرًا وهو قائم بتلك الكلمة –إن أجري إلا على الله– المتواترة المتوارثة على ألسنة الأنبياء، فإن كان تكلم يومًا لإمالة فطرتهم، وقع في قلبهم شيء من الغلط صرح بذلك ما سألتكم من أجر فهو لكم ليس لي من الأجر شيء. نحن بحمد الله منذ دخلنا في مطالعة السياسيات العالمية وضح لنا حقائق علمية مما أفادها القرآن وأخفته عن عقولنا الدعاية السياسية من طوائف المسلمين وهذا الموضع واحد منها.

قوله: "**واليتامى** الخ" معنى اليتامى والمساكين واضح، وابن السبيل يكون رجلًا من الأغنياء، لكن غنائه لاينفعه في سيره هذا. فإما أن يكون غناه موجودًا في بيته ليس له اتصال، وأما أن يكون الرجل مستغنيًا في معاشه، لكن لايتحمل نفقات سفره؛ لأن السياحة من الفرائض العمومية لعامة المسلمين، فهذا الرجل يسيح في الأرض ولايتحمل نفقات سياحته، فحقه في بيوت مال المسلمين مستقل. الله يأمرنا بالسياحة. "**قل سيروا** الخ" ومدح السائحين والسائحات وأشار إلى جعلها شرعًا مستقلًا مثل الصوم والذكر من الفضائل الإسلامية، فعندنا السياحة من فروض الكفاية لأن بذلك تتصل أقوام المسلمين فيما بينهم وتنتظم الاجتماعية العالمية التي هي مقصد القرآن ولذلك جعل فرض السياحة عائدًا إلى الذكور والإناث كليهما لأن تنظيم الاجتماعية لايقوم بالذكورة وحدهم. هذه السياحة في داخل أقوام المسلمين وكذلك تجب في الأقوام الذين لم يدخلوا في الإسلام المجاورين للمسلمين ليعرف المسلمون المطالبة التي هم يريدونها بالمسلمين. هذا من أهم المعدات تمد القواد الحربيين في تسوية

برنامجهم، فالرجل الكبير من قواد المسلمين يسيح في بلاد المجاورين، فنفقاته لاتكون في بيت المال، ورجل من علماء الدين يسيح في بلاد المسلمين، فإذا رأى في قوم نابغة من نوابغ الإسلام، يذيع معارفه في جميع أقوام المسلمين وتشريع الحج كان أعظم معاون لتوفية هذه الأغراض، لكن الحج شيء ديني تحت شعار مخصوص مع ذلك السياحة العمومية فرض على المسلمين وبذلك تقوم اجتماعيتهم العالمية.

فائدة

بنو هاشم استدلوا لوراثتهم الخلافة من النبي ﷺ بقيا سهم على بني إسرائيل وعندنا هو مغالطة. خلافة بني إسرائيل كانت خلافة قومية، ونحن نقبل فيها التوارث فورث سليمان داؤد، وأما خلافة نبينا ﷺ فخلافة عالمية لايمكن فيها التوارث، فكان العرب في أول أمورهم أولى الناس في الإسلام، فتقدموا على العجم، ثم من العرب المهاجرون أولى الناس في الإسلام، فهذا صحيح جاء على منهاج النبوة العالمية. إما ادعاء التوارث لبيت أو لرجل، فليس له نظير ولا مثال بل إذا دخل العجم في الإسلام الفرس والترك والهند وساهموا العرب في الخدمات الإسلامية ثم كانوا أولى منهم، فاستحقوا الخلافة بإجماع المسلمين. هذا بقي من مسئلة المودة في القربى، فأتممناها ههنا، فاليتامى والمساكين سهامهما لداخلية المسلمين وابن السبيل سهمه لخارجية المسلمين. "**كيلا يكون دولة** الخ" في هذا التقسيم ذووا القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل يأخذون سهامهم، فلايكون جميع ما أفاء الله على رسوله في الغنائم منقسمًا بين الأغنياء. منهم أولي القوة واليسار الذين يفتحون البلاد، فالغنائم التي تحصل بعد المحاربة أربعة. إسهامها تنفق في المجاهدين الأقوياء، لكن ما حصل بصلح، فكلها ينفق في الفقراء، فيتعادل الأغنياء والفقراء يكون لكل منهم شركة في منبع الثروات المالية الإسلامية، فيجتمع كلمة حزب الله على التقوى إلى زمان طويل؛ لأن الاشتراك في الأموال تحت قانون يرتضيه الناس، إما بعمومهم وإما بتوكيل أولي الأمر منهم يكون مدار اجتماع الدولة، فالحزب السياسي إذا حصل في الأرض أملاكًا مشتركة صارت حكومة ودولة. "**وما أتاكم الرسول فخذوه** الخ" المؤمنون آمنوا بالرسول بأنه يأتي بأحكام الله المشتملة على خيري الدنيا، هذا إجمال إيمانهم، كل منهم سواء ذكي وغبي صغير وكبير ثم الأذكياء منهم توغلوا في فهم أسرار الشريعة التي أتى بها النبي، فوجدوها بالغة إلى حد لو اجتمع البشر كله، ما أتى بشيء مثله، فاطمئن به قلوبهم وقوالبهم، والخدام والأتباع يتأثرون باطمئنان سراتهم أن جميع ما جاء به الرسول هو حق، فلمنع إيجاد التشويش في التقسيم، أمروا بأن يعتمدوا على الرسول ثم يتفكروا على المنهج الإيماني، فيجدوا جواب كل شبهة لكن بالتأني والتفكر، فلا يأتون بالشبهات ويجعلون أفكار الجماعة منتشرة. "**للفقراء المهاجرين**" هذا بدل من اليتامى والمساكين وابن السبيل. وذوي القربى في حياة النبي خاصة والطائفة الثانية "**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ**" هؤلاء أيضًا من الثلاثة الأولى مطلقًا، ومن الرابع إلى وقت مخصوص والطائفة الثالثة. "**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ**" هؤلاء عامتهم أقوام عجمية مشوا في التفقه في الدين على سنة المهاجرين والأنصار، فالتحقوا بهم، جعلهم عمر الذين يأتون إلى يوم

القيامة، فجمع تلك الطوائف الثلثة جميع المسلمين الذين اقتدوا في نظرياتهم العلمية ونزعاتهم السياسية بزعماء حزب الله المنتظم في زمان النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، فهؤلاء كلهم يشتركون في تملك ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، وتم بذلك تنظيم حزب الله ونحن لخصنا أعمال حزب الله تحت أصلين: الاتحاد في الذهنية التي أوجدها القرآن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فأتى القرآن العظيم للدنيا ببرنامج جامع لتنظيم الحياة العالمية، فما كان دون ذلك أو غير ذلك، فليس له تعلق لا بحزب الله و لا بالقرآن و لابالسابقين الأولين من المهاجرين. (زيادة على خطاء عظيم لأبي الكلام.)

قال الإمام ولي الله في **حجة الله البالغة** قال النبي : " لَئِن عِشْت إِن شَاءَ الله لأخْرجَن الْيَهُود وَالنَّصَارَى من جَزِيرَة الْعَرَب " وَأوصى بِإِخْرَاج الْمُشْركين مِنْهَا. أَقُول: عرف النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن الزَّمَان دوَل وسجال فَرُبمَا ضعف الْإِسْلَام وانتشر شَمله فَإِن كَانَ الْعَدو فِي مثل هَذَا الْوَقْت فِي بَيْضَة الْإِسْلَام ومحتده أفْضى ذَلِك إِلَى هتك حرمات الله وقطعها فَأمر بإخراجهم من حوالي دَار الْعلم وَمحل بَيت الله.

وَأَيْضًا المخالطة مَعَ الْكفَّار تفْسد على النَّاس دينهم وَتغَير نُفُوسهم، وَلما لم يكن بُد من المخالطة فِي الأقطار أَمر بتنقية الْحَرَمَيْنِ مِنْهُم، وَأَيْضًا انْكَشَفَ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يكون فِي آخر الزَّمَان فَقَالَ: " إن الدّين ليأرز إِلَى الْمَدِينَة " الحَدِيث وَلَا يتم ذَلِك إِلَّا بألا يكون هُنَاكَ من أهل سَائِر الْأَدْيَان، وَالله أعلم.[1] وقال في ذلك الباب في موضع آخر إن البلاد على قسمين: قسم تجرد لأهل الإسلام كالحجاز. اهـ. والذي نعرف أن جزيرة العرب في الحديث هي الحجاز ولو علم أبو الكلام ذلك ما أفسده الأمر.

"للفقراء المهاجرين" إلى **"هم الصادقون"** هذا الصنف الأول من حزب الله هم يريدون إقامة سلطنة القرآن ولذلك أخرجوا من ديارهم وأموالهم كما شاع عند عامة أهل العلم أن المنازعة التي وقعت بين المسلمين والكفار في أول نشأة الإسلام بمكة كان منشؤه الاختلاف الفكري فقط، والذي تحقق لنا أن هذا أمر باطل. قريش ما كانوا يمنعون عن أفكار الناس، فهم كانوا طوائف، فيهم كانوا ضعفاء، فالمسلمون في فكرهم ما زادوا على الحنفاء في شيء في مبدأ الدعوة الإسلامية، فما كان هذا منشأ اختلاف القوم فيما بينهم. المسلمون كان مطمح نظرهم إبطال كل سياسة تخالف نظريتهم وإقامة الحكم تحت هداية القرآن فقط. هذا كان محل نزاعهم وهم جعلوا شعار سياستهم كلمة لا إله إلا الله، فلذلك كان المشركون يغتاظون إذا جهر المسلمون بلا إله إلا الله، لأن مرادهم بذلك لا حكم إلا لله، وحكم الله منحصر فيما يلهم النبي عليه السلام، فجعلُ المخالفةِ فقط مخالفةً فكريةً قول صدر من رجال لم يعرفوا الحقيقة الاجتماعية فالمهاجرون إنما خرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم ينصرون الله ورسوله وهم تركوا

---

[1]- شاه ولي الله، **حجة الله البالغة**، ٢: ٢٧٦.

أوطانهم إذا تحقق في نظرهم أن الإسلام يقوم على ساقه في ذلك الموطن فتركوا ما كان عندهم وما التفتوا إليها وجاؤوا إلى محل نشر الإسلام.

"**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ.**" فحاصل خصوصيات الصنف الأول أنهم فهموا السياسة القرآنية انقلاب العرب والعجم كلها وسعوا لتكميل ذلك في مكة مركز الحنفاء فأخرجوا لرعايتهم المصحلة الوقتية للإسلام. الإسلام ما أراد أن يشرع في الحرب بدون تخليص المركز وإلا فكانوا هم يجاهدون، يعني لايقصرون في شيء يقدرون عليه من نصرة الإسلام وهم ما تركوا أموالهم تزهيدًا بل يبتغون أفضل وأحسن من ذلك فهؤلاء اجتماعيون. هذا وصفهم الثاني. ويحترمون بنجاح طريقهم فإذا كانت جماعة تحققوا تلك المبادئ في نفوسهم وهم أعلى صنف في ذلك الاجتماع والصنف الثاني أنصار الصنف الأول ما وصلوا في الفهم من مقاصد القرآن إلى منزلة الأولين ولاصرفوا قوتهم في نصرة الحق مثل الأولين فهم في الدرجة الثانية. أول وصفهم تبوؤا الدار المسلمون كانوا يحتاجون إلى مركز فهم تفسحوا وجعلوا بلدتهم مركز الإسلام وهم يعرفون الجماعة التي تنزل تلك البلدة تغلب عليهم أيضًا فما شرطوا على النبي عليه السلام لما بايعوه عند العقبة لا أن النبي لايتركهم إذا نصره الله على أعدائه فرضوا أن تكون بلدتهم مركزًا دائميًا للإسلام، لكن ذلك بقوة المهاجرين، ليس فيهم همة إن لم يأتهم المهاجرون أن يجعلوا بلدتهم بقوتهم مركز الإسلام، فتحقق أنهم أنصار، و أنهم في الدرجة الثانية من المهاجرين، والوصف الثاني فيهم تبوؤا الإيمان. العلم بالقرآن والسنة إذا كان مجردًا عن المخاصمات السياسية يسمى بالإيمان وليس المراد منه نفي المخاصمات السياسية كما ظنه الجهال في زماننا في بلادنا، لكنه جمع الاستعداد للمخاصمة والمجادلة والمقاتلة، فمطمح النظر لايتغير عن الدرجة الأولى. اقتضاء الوقت هو عدم الالتفات إلى المخاصمات ويتركونها في ظرف محدود، والسر في ذلك أن الذي أراد القتال ولم يصبر أيامًا على ترك القتال إذا اقتضت المصلحة هو لايقدر على القتال أبدًا إنما يكون متجاسرا بقتل وليس هذا مطمح نظر أحد من المسلمين، هم يقتلون ويقتلون، فبهذا العزم دائمًا يكون على حال واحد والأعمال تتبدل تحت مصالح الوقت، فالأنصار بلدتهم مركز للعلم قبل هجرة النبي عليه السلام .أرسل إليهم النبي عليه السلام رجالًا يعلمونهم الدين والقرآن، فكان في ذلك الزمان غاية جهدهم هو تعليم القرآن وجعل كل قبيلة تخضع لحكم القرآن. وهذا يسمى بالإيمان، فهذا الإيمان كان أساس السياسيات القائمة كلها. غرضنا تجريد هذا الإيمان عن عزم الجهاد ومخالفة الكفار وإرادة إقامة سلطنة قرآنية لايترك ما بقي بعد ذلك من العلم إيمانًا. قوله: **من قبلهم** أي من قبل المهاجرين. النبي ﷺ وأصحابه هم عزموا على جعل بلدتهم مركز الإسلام وأرضوا قبائلهم على ذلك ثم اشتغلوا بتعليم القرآن فيهم، فجعلوا بلدتهم مركزًا للعلم. هذا عملهم بأنفسهم ثم جاء المهاجرون فصار مركزًا أساسيًا دينيًا. هؤلاء الناس ما كانوا أغنياء كبارًا، لكن بهم من خصاصة يؤثرون من هاجر إليهم من الفقراء على أنفسهم وكل ذلك لحبهم الذين ما أظهروا بذلك الأمر على المهاجرين يومًا من الأيام، فهؤلاء الصنف

الثاني أولئك هم المفلحون من حزب الله هو المهتدون إلى يوم القيامة والصنف الثالث من يأتي بعدها في الإسلام، فإن هم رضوا بكون المهاجرين والأنصار متقدى لهم، هم ملحقون بهم وهو معنى قوله "**والذين جاؤوا من بعدهم** الخ" إذا اتخذ الرجل من غير الأنبياء إمامًا يقتدى به إن كان ذو فكر يجد في أعماله محل الانتقاد أيضًا فما يكون عمله بعد الانتقاد إن اعتقد أنه كان مجبورًا معذورًا وكل من يعمل في تلك الحالة لايخلو عن ذلك النقص فيغفره له ولايترك اقتداءه به وإن كان رجل بعد انتقاده لايغفره فلايكون هو مقتدى به أبدًا.

الحاصل أن الرجل المقتدى به إن كان نبيًا فطريقه غير ولانبحث وأما إذا كان المقتدى رجلًا غير نبي لابد أن يوجد عنده خطيئات فإن تقرر عندنا أنه إمام لنا لزم علينا أن نغفرها وندعو ربنا أن يغفر له وبدون ذلك لايتم الاقتداء ففهمنا حكمة قول الله: "**والذين جاؤوا** الخ" المراد من الذين سبقونا بالإيمان هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم الذين جعلهم الله القوة المركزية في إمضاء أحكام القرآن، لأن الانقلاب لايتم إلا بثلثة أشياء: ١-نصب العين، ٢- برنامج، ٣- اللجنة المركزية. كل اختلاف يرد إليهم، فقضوا في ذلك بقضية هو الحق مما كفر، فالله جعل لنا نصب العين. "**هو الذي أرسل رسوله بالهدى** الخ" هو الذي لا يتبدل وغرض كل مؤمن في جميع أعماله لايكون إلا ذلك، وفيه إرادة الخير لجميع أقوام العالم، لأن الهدي ودين الحق الذي عرفناه ليس وراء ذلك شيء ينفع الإنسانية، فنريد أن يكون ذلك الحق فاشيًا في جميع الأقوام والبرنامج الذي عينه الله لنا هو القرآن لاينسخ ولاينسى، والحكم في المسائل المختلفة في المؤمنين بذلك البرنامج راجع إلى اللجنة المركزية بعد النبي ﷺ وفي زمن النبي ﷺ هم كانوا محل استشارته ومحل أمانته، فحياتهم في كونهم قدوة للإسلام متساوية في زمن النبي ﷺ وبعده، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. نص القرآن أن الله رضي عنهم وهم رضوا عن الله. معناه أن الله سجل على أعمالهم كلها حسنة، فقضاء هذه الجماعة نأخذ في المسلمين ومن خالفه فهو مبطل. تلك الكلمة الثالثة أخذناها من ولي الدهلوي في **إزالة الخفاء** وما تبع ذلك الكتاب في الرسائل الأخرى في بيان خلافة الخلفاء الراشدين، فقرر فيها أن الحكم بعد النبي ﷺ راجع إلى المهاجرين الأولين والأنصار السابقين فقط، فمن قدموه إمامًا كان إمامًا، فقدموا أبا بكر فكان هو ولو قدموا عليًا لكان هو، فالنزاع فيه في المزايا الشخصية لاطائل تحته. هذا تلخيص كلام الشيخ في المواضع المختلفة وليس انتزاعها من كلام الشيخ سهلًا على كل رجل يطالع كتبه لأن الشيخ يسير في عامة أفكاره مع الأشاعرة إلا في أمر لابد منه، لأن أهل عصره لايقبلون منه شيئًا إلا أن يوافق الأشاعرة أو الماتريدية، فهو يتكلم غالب كلامه موافقًا لذهنية أهل عصره وإذا رقاهم بالتدريج لفهم نظرياته يصرح بذلك بهذا الطريق. بارك الله في عزائمه فجعل الله جماعته من المخلصين لايبتغون إلا قوله ونصرهم الله في الهند، فكانوا هم الطائفة المنصورة لايضرهم من خذلهم، ثم زدت بعد كلام الشيخ فيه كلمة أن تلك الجماعة جماعة السابقين الأولين من المهاجرين في الأنصار في زمن النبي ﷺ أيضًا كانت هي المتبوعة. القرآن نص على أن

الأعمال السياسية قام بها محمد رسول الله والذين معه، فجعل أعمال ذلك العصر مستندًا إلى تلك الجماعة التي يرأسهم النبي ﷺ ثم يرأسهم بعده أبوبكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقعت الفتنة، فبطل في المسلمين الأخذ بأحكام تلك الجماعة. انقسموا على أحزاب متشتتة، يؤمهم رجال من كبراء الملة لكن ليسوا لوصف الاجتماع، فمن أولًا بعثة النبي ﷺ إلى قتل عثمان، المتبوع حكم تلك الجماعة. هذا الذي هذبت أفكار الشيخ وعند الشيخ إشارات صريحة، لكنها متشتة لايقدر رجل أن يجمعها بسهولة بعد ما تقرر عندي كل هذا صفا لي هذا المشرب أن القرآن جاء بانقلاب عمومي للإنسانية وقرره أعلى درجة يمكن للانقلاب في الإنسانية، فلايمكن أن بعد نبينا نبي. القرض على المسلمين هو الاقتداء بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في عملهم بالقرآن والسنة. "**وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا**" الإمامة تعينت للذين سبقونا بالإيمان ثم المؤمنون بعد ذلك إنما يكونون رواةً فنقبل روايتهم العمومية ولانتخذ منهم فرقة إمامًا، وبذلك يكون عندنا المحاربة والغل للذين لايقتدون بإمامة تلك الطائفة، فيفسد الأمر، فالأحسن للمسلم أن يصرح بإمامة رجل كائنا من كان بعد السابقين الأولين إلا مثل إمامة الصلوة، يجتمع جماعة فيتقدمهم رجل، فإذا فرغ عنها انضم مع الصف. تعيين مقام الإمامة لهم لأئمة المساجد يفسد اجتماع المسلمين. في اصطلاحاتنا للسياسة اليومية واحد رئيس يقال له بريزيدنت وآخر يقال له ترمن[١] الأول يكون مستقلًا لزمن مخصوص، والثاني ينتخب في مجلس مخصوص فقط، فعندنا الأئمة بعد السابقين الأولين كلهم في درجة ترمن. نحتاج إلى إمام في وقت مخصوص نقدم رجلًا، فإذا تم عمله لحق بعامة المسلمين، ليس له خصوصية. هذا معنى قوله عندنا ولاتجعل في قلوبنا غلًا الخ.

لطيفة

سألني رجل في الحرم: أنت حنفي، ما وجه تقديم الحنفية على غيرهم عندك؟ قلت: أمراء المسلمين في بلادنا من الفتح إلى تغلب النصارى الأكثر منهم كانوا حنفية، ونظموا الرعايا بواسطة المعلمين والقضاة بالفقه الحنفي، فأنا أيضًا نشأت فيهم وتعلمت منهم فأنا حنفي. لو كان علينا رجل من المؤمنين أميرًا وأمرنا بالفقه الشافعي أو المالكي لكنت متبعًا لهم، فقال لي لو أمرك الأمير باتباع فقه الشيعة قلت: لأتبعه، فتحير. هذا الذي فهمنا من قوله :" **لاتجعل في قلوبنا**" الخ فإذا رأينا أن أميرًا أمرنا باتباع الفقه الحنفي، ثم وضح لنا خطأ من أغلاطهم، خالفوا السابقين الأولين في تلك المسئلة، نرجع إلى الأمير ونقول له أنت تجعلنا في معافاة من اتباع تلك الخطيئة، ونحن ننظر إلى ان الأمير يجعلنا في حل من ذلك، بل يأمر جميع رعاياه أنهم يتركون تلك الفتوى من الفقه الحنفي، وهكذا إذا أمرنا الأمير باتباع فقه الشيعة، نطيعه في ذلك، وكل ما ثبت عندنا أنهم خالفوا فيه السابقين الأولين نراجع في ذلك الأمير،

١- اللفظ هكذا في كلتا النسختين، فما فهمت المعنى المراد.

فيكون اتباعنا دائمًا لكتاب الله وسته نبيه ﷺ على منهاج السابقين الأولين ولانخالف المسلمين ولانتخذ بعض الناس أئمة ونفرقهم عن اجتماعهم.

إلى اختتام الآية رينا إنك رؤوف رحيم، تم تنظيم حزب الله وتملكه لما فتح الله على المؤمنين بالصلح، وفي زمن عمر & وقع النزاع، فما فتحوا من سواد العراق، فطلبوا من أمير المؤمنين أن يقسمه على سهام الغزاة، وهو رأى رأيًا غيره، فتمهل فيه سنة أو سنتين ثم جعله داخلًا تحت هذه الآية، وجعله موقوفًا على المسلمين، عامة واتفق السابقون الأولون ثم جرى عليه جميع أمراء المسلمين في زمان بني أمية. كلما فتحوا من البلاد جعلوا أراضيها موقوفة. فعل ذلك الإمام ولي الله في رسالته في مذهب عمر بن الخطاب التي جعلها جزءا من **إزالة الخفاء**، وانتصر في ذلك لأمير المؤمنين وعين أساس حكمه ورد على من خالفه من الفقهاء مثل الشافعي وبعض الأشياء من أبي يوسف. أما نحن على طريقتنا فرأى أمير المؤمنين واجتماع السابقين الأولين على رأيه، نجعل ذلك الحكم ملحقًا بالقرآن، لانجيز لأحد خليفة أو إمامًا أن يخالفه، وتم بذلك نظريتنا في الانقلاب الإسلامي، فبيننا وبين إخواننا في شرح الانقلاب الإسلامي اختلاف. الأرض التي كانت تحت سلاطين القاهرة كانوا يستثمرون كل ما أخرجته الأرض لأنفسهم وكانوا مع ذلك مشركين أو متساهلين في إقامة دينهم، فالإسلام جاء بالانقلاب ونزع من أيديهم الأراضي كلها وإخواننا يقولون ملك تلك الأراضي للمسلمين الموحدين ونزعها من أيدي المشركين والجاهلين، فأمر المسلمين خالفوا كسرى وقيصر في الانفرادية التي كانت شائعة في سلطنتهم. الملك في كل المملكة كان للسطان فقط، ثم من يعطينا السلطان، فتبدل نظام الكفر بنظام الإسلام. أما الانفرادية فقائمة بحالها. الآن جميع ما في المملكة من الأملاك إنما هو لسلطان المسلمين أو لمن يعطيه هو. هذا هو خلاصة نظرية إخواننا في الانقلاب الإسلامي، وأنا أيضًا كنت على ذلك زمانًا لكن أفكاري كلها كانت تدور حول نظريات الشيخ، فأخالف إخواننا في بعض الأمور لكن بدون شعور وبعد ما زاد تبصرنا في السياسيات ورجعنا إلى ما كان كامنًا في دماغنا من نظريات الشيخ، سهل علينا فهم الانقلاب على الحقيقة، فخلاصة رأينا أن الإسلام هدم تملك السلاطين الكفرة مثل كسرى وقيصر وأقام مقام ذلك تملك جماعة المسلمين تحت هذه الآية الكريمة، فما حصل من الأراضي بالفيء أو بالغنيمة موقوفة على المسلمين الذين أوجدوا الانقلاب الاجتماعي بإرشاد القرآن، فالمرتجعون[1] لاحق لهم في ذلك، والسلطان والأمير من المسلمين يكون وكيلًا عن المسلمين في تقسيم خراج الأراضي الموقوفة، لايقدر على تمليك قطعة منها لرجل، فإذا تملكنا على إقامة نظرياتنا في الأراضي المملوكة للمسلمين اليوم والتي خرجت من أيديهم لانذكرها، فالتي هي موجودة في أيديهم، نجعلها وقفًا على جميع المسلمين سواء بسواء. ترجع ا لاجتماعية الإسلامية إلى شأنها الأول، ويخرج من بينهم الحكام الانفراديون

١- هذا اللفظ غير واضح في كلتا النسختين.

ويكون المرجع في كل ذلك إلى تأسيس جماعة مشتركة من جميع المسلمين، تملك تلك النفقات وتقسيمها يكون مركز تلك الجماعة. الحجاز محل اجتماع المسلمين في موسم الحج وبسبب كون الحجاز أرضًا غير ذات زرع، تكون أهلها دائمًا محتاجين إلى مرافقة جماعة المسلمين، فمن اليوم الذي تنبهت لهذا الفكر من **إزالة الخفاء** تحيرت في غفلة المسلمين وعدم تدبرهم في أمور الدين، ونحن بحمد الله بقي لنا في الهند من كابل وقندهار إلى دهلي أكثرية الأرض بأيدي المسلمين، فلو جعلنا وقفًا مشتركًا بين المسلمين قدرنا على إنشاء حكومة اجتماعية إسلامية تتبع في عامة خطواتها السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وتبطل في أثناء ذلك كل التقاليد التي بقيت من الملوك والفقهاء والمشايخ أو الزعماء، ونحن نظرنا في قوتنا الاجتماعية فلسنا مأيوسين من تمكننا من إنشاء تلك الحكومة، ونحن مشتغلون بإنشاء حزب سياسي يتم ذلك الأمر، والله الموفق، فإذا تم تنظيم حزب الله، فالذين يخالفون طريقهم ولايتبعونهم هم المنافقون. الغلبة السياسية لتعليم القرآن لايمكن تحصيلها إلا بتنظيم حزب على أصول حزب الله المتعينة في كتاب الله، فمن يخالف الحزب هو يخالف في الحقيقة أن يحصل لتعليم القرآن قوة سياسية ومن يخالف في هذه النظرية، يعني لايحب أن يكون لتعليم القرآن قوة سياسية، فهو المنافق وهم درجات بعضها فوق بعض، وإذا حققنا ذلك ببصائرنا لاتقع في شبكة المنافين الذين جعلوا أقوالًا من الأئمة السابقين غيروها عن مواضعها طريقًا للدعوة إلى الدين وهم أحزاب كثيرة في بلادنا. جماعة مشايخنا الديوبنديين كانت في الأصل مخالفة لجميع تلك الأحزاب لكن مع الأسف انقسمت جماعتها أيضًا إلى أحزاب فالأكثرية راجعة إلى أحزاب المنافقين ولكن قوة التمييز ما فقدت منهم إلى الآن فنرجوا من الله إذا بثثنا الدعاية فيهم يرجع أكثرهم إلى الحق الآن يأتي ذكر المنافقين.

"**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا... إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**" جماعة من المنافقين أظهروا بكلمة الإسلام وسياستهم متحدة مع المحاربين من أهل الكتاب لهم دخل في الاجتماعية الإسلامية رجل يكون منافقًا وولده يكون مخلصًا فهم متشبكون مع المخلصين فالمخلصون إذا حاربوا الكفار هؤلاء هل يقدرون على أن ينصروا المحاربين؟ لايقدرون، فهم كأنهم غروا أهل الكتاب بأقوالهم فقط، وأهل الكتاب إذا قمتم بخافتهم يخافونكم لأن في جماعتكم إخلاص وحب التقدم وقواهم منحطة وأفكارهم ارتجاعية فلايقدرون أن يقاتلوكم في الظاهر هم يعرفون أنهم قوم واحد وفي الحقيقة ليسوا كذلك. "**تحسبهم جميعًا** الخ" لأن اتفاقهم على تعميل كتاب الله الذي يؤمنون به، ليس بموجود لايخافون من الله أي من مخالفة كتاب الله ويخافونكم لعدم إيتلاف أفكارهم. قلوبهم شتى فلايقدرون أن يحاربوا قومًا قلوبهم قلب رجل واحد، فالمؤمنين يغلبون على أهل الكتاب وعلى المنافقين كلهم، وهذا كله ببركة تنظيم حزب الله، أفكارهم الآن متحدة وما يحصل لهم من الفتوحات يكون للجميع تحت القانون، فلايكون سببًا للاختلاف في المستقبل أيضًا، فبذلك يغلبون على أعدائهم واحدًا فواحدًا، فاليهود يكون مغلوبين مثل أهل مكة. هذا معنى قوله: "**كمثل الذين من قبلهم قريبًا** الخ" ويغلب المنافقون بعد مغلوبية أهل الكتاب ويرجعون إليكم بالقول أنهم كانوا معكم هذا

معنى قوله: "**كمثل الشيطان** إلى **الظالمين**" تمت البشارة بأن المسلمين يغلبون أهل الكتاب والمشركين والآن ينبهون على الطريق الذي يلزم عليهم أن يسلكوه وإلا يلتحقون بأهل الكتاب المغلوبين بكلمة مختصرة يحفظها الأميون. "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله**" معناه أقيموا العدل في الدنيا موافقًا لكتاب الله. "**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**" تنظرون في المستقبل ما تعملون ولاتنظروا إلى الوراء عملنا لكذا وكذا لأن الإنسان في حياته يحتاج كل يوم إلى غذاء جديد وهل يكفيه أن يتذكر أني أكلت كذا وكذا في يوم كذا وكذا. إذا جعلتم التفكر في المستقبل إمامكم لاتنسوا ليس يلزم عليكم إلا إقامة العدل وفق كتاب الله ولذلك "**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ** الخ" أي أن العمل وفق كتاب الله كان فرضًا عليهم فوقعوا في الخرافات والأراجيف والأماني. أول بركة كتاب الله أنه يعلّم أفكارًا يجتمع عليها الإنسانية في مختلف أدوارها، فإذا تذكره الإنسان كان اجتماعيًا إنسانًا حقيقة، وإذا نسيه صار كالشيطان ينفرد بنفسه بالأماني، ويعمل لذلك بالكذب والخيانة ويسميها السياسة، فالسياسة الاجتماعية هي اقتضاء الإنسانية، فإذا تذكر كتاب الله، يهديه إلى الحق وإذا نسي جزائه، "**أنساهم أنفسهم**" هم مع قدرتهم على كثير من الأشياء يحسبون أنهم لاقدرة لهم، فإذا كانوا اجتماعيين نشأت في قلوبهم قوة اليقين بالنجاح والفلاح، فالإنسان إذا جمع معه رجالًا من الطبقة السافلة يكون عظيمًا والذي ينفرد لنفسه ولايجتمع معه الجماعة إلا بارتشائها، لايقدر على شيء. يحتاج إلى أموال كثيرة وهي غير موجودة عنده، فيجلس، وأما الاجتماعي فيعمل لجماعة بالأموا،ل بل الأموال تحصل بالجماعة، فالأمر يكون سهلًا عليهم فالذين تركوا كتاب الله وجعلوا أنفسهم متدينين بذلك الدين، بل من أئمتهم هم الفاسقون. "**لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ**" المبطلون من أهل المذاهب والفاسقون منهم يأتون بالأماني إن لم يحصل لنا فوز في الدنيا ففي الآخرة. نحن نملك الجنة. رد الله أمنيتهم ذلك. "**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**" الذين يفوزون بأعمالهم بإرشاد كتابهم هم يستحقون الجنة، فالرجل الذي ترك الكتاب ولايعمل به فلايفوز هو ولاجماعة. "**أولئك أصحاب النار**" وأما الذين يعملون بالكتاب، فإن رجل منهم يموت في الطريق فالجماعة لابد أن تفوز، فالشهداء الذين أوصلوا الجماعة إلى تلك المرتبة، أليسوا من الفائزين؟ فقياس هؤلاء المبطلين أنفسهم على الشهداء قياس باطل. "**ولو أنزلنا هذا القرآن**" الخ الجبال الكبار تفرضونها إنسانًا، فإذا أنزل على قلبهم هذا هو مع قوته العظيمة يخشع لأمر الله ويتصدع من خشية الله، وتتفرق قطعاته، فالإنسان إذا تدبر في القرآن وتذكر، يجعله خاشعًا لأمر الله، فيكون قتله في سبيل الله سهلًا عليه. هذا هو الفوز، فالذي يجعل نفسه بعيدًا من أن يقتل في سبيل الله وهذا المرض الذي يجعلهم متباعدًا عن حزب الله لأن أعضاء حزب الله كلهم متهيأون لأن يقتلوا في سبيل الله ويقتلون أعضائهم ويعدون فوز حزب الله فوز الجماعة فوزهم، فإن قتلوا في الطريق فلايرون أنفسهم أنهم لم يفوزوا، فإن كان جبل إذا تدبر القرآن يتهيأ لأن يقتل في سبيل الله، فينضم في جماعة حزب الله على الفور. "**وتلك**

الأمثال" الخ الإنسان وإن كان كبيرًا لابد أن يموت وإذا جعل نفسه متهيأ للموت في سبيل الله، يكون أحسن. هذا الأمر هو الذي يتفكر فيه المسلم. "**هو الله الذي**" الخ الإنسان إذا مات في سبيل الله، فالله يجزيه بأحسن ما يمكن من الجزاء، لأنه هو عالم الغيب والشهادة ولأنه هو "**الرحمن الرحيم**". فالإنسان يبيع نفسه لله والله يرحم. يرحمه الله لابد لأنه هو الرحمن الرحيم. الملك يتمناه السياسيون في حياتهم الدنيا، يكون في ذلك الانفرادية منبع الظلم على الإنسانية، والمسلم إنما يأتي بالاجتماعية للنفع العمومي للإنسانية، مدار إقامة العدل في الإنسانية ويجعل الملوكية مختصة لله سبحانه وهو في ملكه لايظلم أحدًا ولايغلب عليه أحد. هذا معنى قوله هو "**الملك القدوس** الخ" "**سبحانه عما يشركون**". إثبات الملوكية لغير الحق نوع من الإشراك، مفسد للأخلاق، فهم إذا إثبات الملوكية فهم إذا قرروا الله بالملوكية، فلايجعلونه معه شريكًا أخر في التلبية المأثورة في الملة الحنيفية لبيك لاشريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك. الحمد والنعمة والملك هذه الثلاثة لله وحده لاشريك له. تلك عقيدتهم الحنيفية وزادوا فيها كلمة بتحريفهم إلا شريكًا تملكه وما ملك رد الله تحريفهم بقوله: "**سبحان الله عما يشركون**". قوله: "**هو الله الخالق البارئ المصور**". معناه عندنا ملكه دائمًا في جميع الحالات والله يخلق في كل زمان خلقًا آخر، يصور صورًا، يأتي بالأشياء البديعة لم تكن في السابق، لكن ملكه لايكون فيه شريك آخر. "**الأسماء الحسنى**" كلها لاتتعطل يومًا ما، فالإنسان لايتغافل عن إثبات الملك لله في كل زمان سواء سواء. الإنسان في بعض الأوقات يظلم الإنسان وبعض الأوقات ينصف في حق الإنسان وأما الملك فهو يدوم لله سبحانه. "**يسبح له ما في السموات والأرض**" الظلم الذي يكون من الإنسان يأتي الله لإصلاحه بإنعامات كثيرة على الإنسان، فظلم بعض الناس يكون سببًا لارتقاء من يقيم العدل في الناس، فهذا الأمر إنما يرجع للإنسانية فقط. أما ربنا سبحانه، فهو منزه عن الظلم يسبح له ما في السموات والأرض. تتمة سورة الحشر.

"**لو أنزلنا** الخ" الفوز إنما يحصل للجماعة التي تجزم المبادئ. المبدء الذي يجتمع عليه الاجتماع يكون قطعيًا عند كل أحد منهم، فيكون الفوز للاجتماع سهلًا وهذا حزب الله يكون فائزًا، وبدون الفوز في الدنيا، لايحصل الجنة. هذا الفوز له تفصيل لايكلف الله نفسًا إلا وسعها فالاجتماع لايكون فائزًا إلا إذا كان مبدأ اجتماعهم قطعيًا عند كل أحد بلاريب ويعرف أنه يقدر أن يعمل به، فعمل بعد ذلك بما استطاع. هذا بعض الأوقات موانع غير ترك العمل، فلا تحصل النتيجة ولايقال للعاملين إنهم ليسوا الفائزين. حاصل الأمر أن استحقاق الجنة موقوف على السعي للحق والفوز به في الدنيا وإذا كان الرجل فيه مقصرًا لايستحق الجنة أبدًا، فمدار الفوز إنما هو على تعيينه التام بالمبادئ أنها حقة وأنها مفيدة للغاية. الأمر الحق إذا لم يكن موصلًا إلى المطلوب فهو حق بالنظريات إما بلسان الاجتماع لايقال إنه حق. وعندنا "**لو أنزلنا هذا القرآن**" إشارة إلى أن إنتاج هذا القرآن للأمر قطعي لايسده شيء، فإذا

تمكن عقله بالتحقيق في ذلك، يحصل له اليقين الباعث للفوز وذكر مثال الجبال إذا كان في الطريق مانعة قوية عن الطريق لأن الإنسان لايقدر على رفعها، لكن القرآن في تأثيراته برفع الجبال عن الطريق أيضًا لايمنع السالكين بالقرآن شيء من الجبال، بل لو علمت الجبال أن هؤلاء عاملون بالقرآن، تخشعت لهم وصارت متصدعة للإفراج عن الطريق، فإذا تفكّر الإنسان في مثل هذا المثال، يتيقن أن القرآن العمل عليه لايمنع عنه مانع، وكلما زاد هذا اليقين، حصل الفوز."**هو الله الذي لا إله إلا هو** الخ" كان هذا شرح لصفة يعبر عنها برب الناس، والآية التي بعدها هو "**سبحان الله عما يشركون**" فيها شرح صفة الله، يعبر عنها بملك الناس، والآية الآخرة "**هو الله الخالق** الخ" كأنها شرح لصفة ربانية يعبر عنها بإله الناس، فهذه الآيات التي فيها ذكر أسماء الله هي بيان الحكمة في أن القرآن لايمنعه مانع، لأن القرآن العظيم لايعلم الإنسان إلا الاعتماد على رب الناس ملك الناس، إله الناس، وإذا حصل هذا اليقين لفرد أو جماعة لايعتريهم حلول مانع. إذا أيقنوا أنهم يعملون بأمر الله هذا كأنه بيان لحكمة أن العمل بالقرآن هو الفوز ولايمنع عن ذلك شيء، فصار تعليم حزب الله وتأسيسه مبنيًا على اصول قطعية لايردها شيء في الدنيا ولا في الآخرة. إذا كان الأمر يعمل به حزب الله، هو أمر الله، فليتنبه الناس أن الخطأ الذي يأتي لهم في أعمالهم، لاينسبونه إلى الله، يكون لهم في ذلك فقه وحكمة. نظام السموات والأرض كلها قائم بأمر الله، لكن ليس فيها شيء ينسب العيب والنقصان إلى ذات الحق، بل يعدون أن هذا راجع إلى نظام يقتضيه طبيعة الخلق مثلًا سفك الدماء والفساد بإبطال النظام الصالح في الاجتماع من اقتضاء طبيعية الاجتماع الإنساني، فإذا تجلى الرب فيهم بإنزال كتاب، فلاينسب شيء من هذه القبائح إلى الحق، فكما أن السموات والأرض تسبح لله كذلك يجب على أعضاء حزب الله التدبر والتفكر في الاقتداء بالصالحين في السموات والأرض، فلاينسبون شيئًا من القبائح إلى الله، بل يتفقهون في معرفة الأسماء الإلهية. "**العزيز الحكيم**. "فيغزون عن الطريقة الحقة.

٣٨

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعيين القانون لحزب الله في شروط الركنية كيف يخرج الركن منه؟ وكيف يدخل فيه؟ الرجل يكون كبيرًا ويرى المصلحة بكل اجتهاده في خلاف نظريات حزب الله وهو يزعم نفسه أنه من أعضاء حزب الله، هل يجوز له ذلك؟ الجواب؟ لا! كل رجل يكون عضوًا في حزب الله، ليس له حق اعتمادًا على كماله بالتفرد عن الجماعة. هذا لايشتبه بصورة حزب الله يحكم على رجل ويستثنيه عن بعض القيود لاعذر له. هذا جائز لأن الأمر بيد الله، لابيد هذا الرجل. وقعت واقعة. حاطب بن أبي بلتعة من الصحابة، وهو بدري، أخبر أهل مكة أن النبي ﷺ يريد أن يغزوهم، والنبي كان يمنع عن الإخبار لأنه يؤدي إلى التقاتل الشديد ويذهب القوة الأصلية هباء. النبي ﷺ هو نبي أمة من بني إسماعيل، والأصل في الحكمة قيام جماعة من أولاد إبراهيم وإسماعيل بإحياء الحنيفية في هذا المركز، وتلك الجماعة تحتاج إلى النبي وهذا النبي هو نبينا ﷺ، فالنبي ليس أصلًا في هذه الدعوة، حتى إذا أهلك قريشًا يقوم بدعوة قوم آخر إلى هذا الدين ويقيمه، بل الأصل في دعاء إبراهيم وإسماعيل "**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ...إلى العزيز الحكيم**" فأصل الدعوة لقيام أمة مسلمة من أولاد إبراهيم وإسماعيل، وهذا متواتر في التوراة أيضًا، فبقاء قريش واهتدائهم بهداية النبي هو أصل من اصول الدين، فإذا وقع التقاتل الشديد في مكة تذهب قريش وليس هذا مقصود هذه الدعوة ولذلك اجتهد النبي ﷺ في منع الأخبار عن أهل مكة هم لم يعلموا حتى وصل إلى وادي فاطمة، فتلك مصلحة عظيمة من مقاصد حزب الله. رجل من البدريين يقوم بخطأ، ويقول إني أرى أن أعمالي لايصل منها ضرر إلى حزب الله، و لي فيها فوائد، فلذلك أرسل رسولًا إلى أهل مكة، فأرسل النبي الفرسان لأخذ كتاب حاطب حتى أخذ وسئل النبي حاطبًا، فأجاب أن هذا لايضر النبي ﷺ وأصحابه، وأني كنت محتاجًا إلى تحصيل الفوائد، وتحصيلها لايضر المسلمين، فقال عمر دعني أضرب عنقه، وعفى عنه النبي ﷺ لكونه بدريًا، لأن أهل بدر خدموا الإسلام في زمان يستحقون به العزة إلى آخر حياتهم، فإن جاءت منهم خطئية، لزم أن يعفى عنهم. كان الله ألهم نبيه أن يقول لهم اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ما تقدم من ذنبكم وما تأخر، فهذا العفو إنما كان لخصوصيته، فلايدخل تحت نظر القانون، فالقانون لايغفر أي رجل كان إن خالف مصلحة حزب الله، وإذا فعل ذلك، فهو من المنافقين. الواقعة ثابتة في الصحيحين[1] وباقي الإشارات أخذناها من الآيات الثلثة الأولى من سورة الممتحنة.

---

[1]- أخرج البخاري هذه القصة في مواضيع مختلفة من صحيحه، منها: كتاب تفسير القرآن، باب لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، رقم: ٤٨٩٠.

"**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا...فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**" فيظهر من ذلك أن إلقاء الخبر إلى الكفار وهو أدنى عمل إعانتهم يُضل الرجل عن سواء السبيل. نحن تحيرنا لما وقع الحرب بين الحكومة المتغلبة على الهند وبين الحكومة المركزية للمسلمين. البقاء في الهند لرجل له اتصال بالحكام لايمكن إلا بتأييدهم بأي صورة كان، وإذا تبرأ عن جميع أنواع التأييد، فهذا الرجل له اتصال بالحكومة، يعني يعرفه الحكومة لايبقى سالما وإذا لم يتبرأ لم يسلم، فكان التحير من هذا الوجه كيف أقمنا نحو مأة سنة تحت حكومتهم والعلماء والزعماء يجعلوننا مطمئنين أنه لايضر بديننا أبدًا. ما كان المخلص إلا أن يخرج الرجل من دائرة حكومتهم، لكن الرجل الذي يعرفه الحكومة لايستطيع الخروج أيضًا في ذلك الزمان. تلك الواقعة كانت فاصلة بين الحق والباطل. لايبقى دينه سالما إلا لمخالفة الحكومة الكافرة وأنا كنت ممن يتعلق في الأعمال السياسية بإرشاد شيخنا من سنة ألف وثلث مأة وخمس عشرة هجرية، وكان لشيخنا برنامج كبير لمخالفة الحكومة وهو هيأ نفسه وجماعة من خواصه لعمل ذلك اليوم، فاستعملنا الحبل للخروج وفزنا بحمد الله، ونحن نعلم أن هذا الأمر لم يكن سهلًا فقط لو بيّنّا احتيالنا لخروجنا من الهند، صار كتابًا كبيرًا وأهم الأشياء للذين يعملون في السياسيات، لكنا لانقدر عليه؛ لأن استفادة أعدائنا منه متيقنة واستفادة رجالنا مشكوكة، فلا نجترأ عليه. الحاصل الإعانة في أيام الحرب لكفار يجعل الرجل منافقًا كائنا من كان إلا أن يكون له سابقة الأعمال، ويكون في نظر الله أنه معذور، فهو مستثنى، وأما غيره فليس بمعفوٍ عنه عندنا، فإذا دعونا الناس إلى القرآن، أهم الأشياء في القرآن هو هذا، وأما دعوة التوحيد للمسلمين ليس شيئًا بعيدًا عن عقولهم. الإمام ولي الله الدهلوي كما هو إمامنا في علوم الدين والقرآن والحديث والفقه والحكمة كذلك هو إمامنا في تأسيس الحركة السياسية. هو علمنا أن بيعة المتصوفين فيها تشابه بالحكومة الاجتماعية التي كانت للنبي بمكة، ولذلك هو هذب قواعد المتصوفين وأنشأ على طريقهم حكومة اجتماعية وكانت له أعمال عظيمة في نصرة المسلمين على الكفار في تاريخ الهند معركة (پانی پت). من أهم الوقائع أنه مرهتون كانوا تدير التغلب على إمبراطورية الهند، فكسرت قوتهم كلها في تلك المعركة، وكان ذلك بتربية رجال لهم تعلق بالإمام ولي الله، ثم قام مقامه ولده الإمام عبدالعزيز وفي زمانه دخل الإنكليز في دهلي باسم المحافظة والخدمة للسلطان، فالشيخ نظم الحكومة الاجتماعية في الدرجة الثانية بعد أبيه وخرج جماعة المجاهدين لاستحالة المسلمين الأفاغنة والأتراك لمحاربة الهند، فاستشهدوا وفاز الإنكليز، ثم قام مقام عبدالعزيز حفيده ابن بنت مولانا محمد إسحاق الدهلوي، وهو حكم بأن الحركة التي نظّموها لاتفلح، بل لابد من تنظيمها على وجه آخر، ولذلك هاجر إلى مكة، وكان يرسل بعد تعليم الناس الرجال إلى الهند لتنظيم حزب جديد منهم. كان الأمير إمداد الله أمير الطائفة الديوبندية ومؤسس حزبهم، فهم عملوا في آخر حركة في الدهلي بضد الإنكليز، فهاجر الأمير أيضًا إلى مكة وعمل على طريق شيخه ببعث رجال له إلى الهند لتنظيم حزب أحكم من الثاني، فكان مولانا محمد قاسم من الذين وكلهم الأمير إمداد الله، فأسس مدرسة ديوبند وكان هو مركز حزب

جديد من أتباع الشيخ إسحاق، وبعد مولانا محمد قاسم قام بأعماله رشيد أحمد الديوبندي، وبعده قام بأعماله مولانا محمود حسن شيخ الهند، فهؤلاء الأئمة كلهم من زمان الإمام عبدالعزيز حكموا على الهند بأنها صارت دار الحرب، فالقيام في الهند في تلك الدار لايجوز إلا لإعداد الجهاد، فالشيخ قام وتبعه الناس في أول أمره قليلون؛ لأن القانون العسكري كان نافذًا في جميع أطراف الهند، والناس كانوا ساكتين على الغيظ، فلما حصلت لهم فرصة بعد انتهاء الحرب، أقاموا غوغاء وصلت إلى السماء، واندهشت الحكومة، وهي معترفة في تاريخ الحرب العظيمة بعظمة تلك الحركة. سر برس كاكس مأمور إنكليزي في إيران وتوركيا، له مقالة في دائرة المعارف (المجلد الخامس بتاريخ الحرب)، قال إن الأتراك أخطأوا في عدم توجههم إلى كابل. إنهم وصلوا إلى الديار وكان المسلمون الهنود هيأوا لهم ميدان الفوز من كابل إلى أقصى الهند، وما كانت عند الإمبراطورية البربطانية شيء يقاوم تلك الحركة لصدهم. لصد الأتراك عن هذا الفكر أشغلناهم في العراق وبغداد فانصدعوا. اهـ.[١] وعندي فراسة بأن الإنكليز استعانوا في تكميلهم ذلك المقصد بالقواد الألمانية أيضًا، ثم رجل آخر من الإنكليز من أساتذة التاريخ كتب مقالة أو رسالة في الانقلابات التي حدثت بعد الحرب، فاعترف أن الحركة في الهند بقوة المسلمين كانت أكبر مما وقع في تركيا ومصر، فهذه الاعترافات لايفهمها المسلمون ما معناها. ما كان إلا هذا البذر الذي بذره شيخنا صار عظيمًا، دخل الهنود كلهم في الحركة، فكذلك الأفاغنة كلهم، فكانت موقع الدهشة عندي لم نستعن نحن من تلك الحركة القوية بل صارت مفيدة لأعدائنا. هو تغافلنا عن مطالعات السياسيات الاجتماعية وحل انقلاب القرآن على نظريات تلك السياسة. غاية ما نعرف من السياسة هي سياسة الملوك، سياسة الشياطين هي سياسة ملعونة تخالف القرآن والسنة. فقط بسبب عدم اختيارنا بقوة أعمالنا انتفعنا بشيء وهذا عندي تأويل قوله: "**نسوا الله قالت لهم أنفسهم**" نحن تركنا مدارسة القرآن على نظريات السياسة الاجتماعية الانقلابية، وكان إمامنا ولي الله الدهلوي نبهنا على ذلك في **حجة الله البالغة،** فنحن مع وجود القوة عندنا نقول لاقوة عندنا، فكأننا نسينا القرآن، فأنسى الله أنفسنا، وما تنبهنا عليه إلا بعد ما رأينا انقلاب روسيا واندهاش الرأسماليين منها، والعجب أن الإمام ولي الله يقول إن القرآن إنما جاء لرد سياسة الرأسمالية التي أقامها كسرى وقيصر، وبعد ما خسرنا في تلك الحركة لانلوم إلا أنفسنا، فإذا غفر الله لنا تلك الغفلة، و أيقظ جماعة شيخ الهند الذي هو متوارث عن الإمام عبدالعزيز، فقد نظن أننا نكفي كفاية المسلمين والقوة التي عندنا هي كافية لرد مصائب جميع المسلمين، فنحن لانحتاج إلى أن نستعين بأحد من المسلمين إلا أن يتيقظ ونرى أكثرهم أنهم ينامون ويصرفون أفكارنا عن الاشتغال بسياسية بلادنا، ونعرف أن هذا احتيال قوي من أعدائنا، لايتنبه عليه المسلمون عامة. طال الكلام، لكن المقصد كان هو هذا. إن سكوت قوم وسكونهم تحت حكومة الكفار لايبقى إيمانهم

---

[١]- لا أدري إلى أية دائرة المعارف أشار الشيخ وأخذ منها هذا النص.

خالصًا، والمبتلى بذلك إما نحن وإما تركستان. "**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء**" رجاء النفع من العدو والمحارب حمق وضعف في العقلية. هم إذا ظهروا للناس، إنهم يعملون لخيرهم، فلايعملون إلا ما ينفعهم ويضر هؤلاء إلا أن يتركوا القرآن وينضموا إليهم، وبعد ذلك ينفعونهم لابد، ونحن ابتلينا ببليتين: تغلب علينا قوم يخالفون القرآن، وأجانب عن أوطاننا، ونحن لانقدر أن نستفيد منهم بوجه من الوجوه، يستعملونها لرد ديننا وإخضاع قومنا.

"**لن تنفعكم أرحامكم**" الخ القومية بالنسب ثم الوطنية لاتجعل مبدأ للاجتماع إلا بعد كونها داخلة تحت النفع العمومي لنوع الإنسان، فإذا كانت القومية والوطنية خالية عن رعاية أحكام الإنسانية لاتنفع أبدًا إلا قليلًا. هذا معنى قوله "**لن تنفعكم** الخ" يعني نفعها لايدوم إلى آخر الحياة الإنسانية، فالإنسان يقرر أولًا مبادئ تنفعها إلى آخر الحياة، وهو ما جاء به القرآن، ثم يعتبر النسب والوطن تحتها لابأس بها واعتبارها ضروري بعد ذلك لتقوم الحركة الاجتماعية من ابتداء أمرها. "**قد كانت لكم أسوة** الخ" قريش إنما تقوم لإحياء الحنيفية على طريقة إبراهيم وإسماعيل، فيلزم عليهم أن يتبعوا طريقهم في العمل أيضًا أنهم تبرأوا عن قومهم أبدًا حتى يؤمنوا بالله وحده وبعد هذا التبري إنما يدعون أن يكون ضربهم هو الغالب. هذا معنى ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا أي من قومنا نحن تبرأنا منهم، فإذا كانوا هم الغالبين.

إبراهيم فعل فعلًا يستثنى له لعذر لاينبغي التقليد أنه وعد إياه أن يستغفر له، فالمسلمون لا يتبعونه في هذا الأمر أيضًا، فإذا كان دعاء المغفرة للوالد أيضًا ممنوعًا إذا كان خارجًا عن الحزب، فكيف يجوز مخالفة الحزب؟ إبراهيم كان إمامًا في هذه الحركة في اتباع الحق وتقديمه على النسب والوطن، فالذين يتبعون إبراهيم، يستبعد منهم أن يقدموا النسب على الدين، ومعنى الدين عندنا في اصطلاحنا الحاضر الجماعة متحدة الفكر على برنامج مخصوص، فمن يكون أهل العقل يترك برنامجه الذي قرره لمخالفة أهل وطنه أو لمخالفة أهل نسبه، لانرجو هذا عن رجل تام العقل وإن كان لفظ النسب والوطن تغير مفهومه عن المفاهيم اللغوية عند السياسين. أنا أحفظ قول رجل من الانقلابيين إن الوطنية آخر ملجأ لأولاد الحرام، فمن التجأ إلى الوطنية وترك البرنامج، لايكون من أولاد الرشد في نظره.

فصل

المنع عن الاتصال بالأنساب والأوطان إذا كانوا مخالفين للدين الحق، لاينبغي التشدد فيه إلى حد بالغ أشد الغاية حتى لو رجع قومه إلى الحق ما قدر على الاصطلاح معه، لأنه عامل معهم معاملة سيئة خارجة عن مقتضى الإنسانية، فليس هذا مرادًا من المنع بل يقسم قومه ووطنه إلى قسمين: قسم يحاربه على برنامجه وهذا المنع إنما يتعلق بهم قسم لم يحاربه ولم يخالفه بل لم يدخل في دينه فهو يقطع طريق المحبة والوداد على سبيل الإنصاف إذا يهديه أحد فهو أيضًا يجازيه وإذا كان رجل منهم مستحقًا لرفقه وشفقته فلايحرمه. بذلك يمكن الانتفاع إذا وقع تصالح بينهم على الدين. هذا خلاصة ما أخذنا من قوله:"**عسى الله أن يجعل إلى الظالمون**".

فصل

إذا جاء رجل من الأعداء وأراد أن يدخل في حزب الله، فما الحكم فيه؟ حاصل الحكم أنه يمتحن، وبعد الامتحان إذا غلب الرأي أنه يريد الحق، يعتمد عليه. هذا حاصل قوله: "**يا أيها الذين آمنوا ... إلى رحيم**". فرضت المسئلة في النساء، لأنهن يغلب عليهن الميول النفسانية أكثر من الميول العقلية، فإذا جاز الاعتماد عليهن بعد الامتحان، فعلى الرجال بالطريق الأولى، ونبه الله أن حقيقة إيمانهن لاتقدرون على تحقيقها، لكن إذا غلب الظن بتتبع القرائن أنهن مؤمنات، فاقبلوهن في الجماعة، وفي فرض المسئلة في النساء حكمة أخرى. العواطف تشتعل نارًا بخروج النساء من البيوت إلى بيوت الأعداء، فإذا جاءت المؤمنات مهاجرات، فتشتعل جذبات[١] أوليائهن، ويكون هذا باعثًا لحرج عظيم، فيمكن أن ينظر إلى تلك المصالح، فلايقبل انضمامهن إلى الجماعة، وهذا الأمر صار مردودًا، يعني إذا حصل لنا اليقين أن هذا المريد لايريد إلا الحق، فنقبله في جماعتنا وإن جر ذلك إلى مصيبة كبرى، فنتحملها لزيادة رجل نفس واحدة، واحد في جماعتنا، فهذا تحقيق أن حزب الله لايريد إلا نصرة الحق. وآتوهم ما أنفقوا الخ حاصل المسئلة نحن نقبل كل نفس يريد الحق وأما حصول الأموال، فليس مرادنا نرد عليهم أموالهم، فإذا لم يمكن لسبب قطع المواصلات نعمل على إيصال الحق لأهله على قدر الإمكان وهذا معنى قوله: "**فإن فاتكم شيء يا أيها النبي إذا جاء** الخ" هذا هو وثيقة الانضمام إلى حزب الله، يشترط فيه أن لايتبع إلا حكم القرآن. هذا معنى "**ولايشركن بالله شيئًا**" ثم لايكون عندهم الأخلاق السيئة مثل السرقة والزنا وقتل الأولاد والبهتان وما يجري مجرى تلك المساوي، والثالث إطاعة رسول الله في المعروف، والمعروف شيء قبله الجماعة المركزية أو كان معروفًا عند الإنسانية عامة، فالأمر الذي يكون معقولًا لكن يقبله الجماعة وما صار معروفًا لايدخل في الإطاعة فلانطلب فيه إلا طاعة منهم وتم على ذلك الحرب. "**لاتتولوا قومًا** الخ" هذا روح حزب الله. قوم من إخواننا دخلوا في الإسلام، لكن ليس لهم همهم إلا حياتهم الدنيا، لايؤمنون باليوم الآخر ولايقبلون تلك الحكمة العقلية بدوام الإنسانية بعد الموت، فإذا خالفوا تلك الفلسفة، فموافقتهم في البرنامج الدنياوي لاتقبل، وليباعد عنهم نظمنا حزب الله، فتلك الشروط كلها لإقامة نظام الحكومة تحت الحكمة التي اتفقت عليها الأنبياء، ففهمنا من ذلك أن الاستفادة في تتبع البرنامج السياسي لاتتم إلا بتكميل الفلسفة العقلية التي يبتني عليها ذلك البرنامج، فقوم المنافقين قد يئسوا من الآخرة، لأن قلوبهم لاتقدر على أخذ العلم بأمور تتعلق بالآخرة وتنشرح بذلك صدورهم، فتركوا التوجه إلى تلك الأمور، لأنهم عرفوا أن ذلك ليس في قدرتهم هؤلاء مثل الكفار هم يئسوا من أصحاب القبور، فبذلك التشبيه علمنا أن المراد من قوم غضب الله ليسوا بالكفار، بل قوم

١- اللفظ المناسب: العواطف.

من المنافقين واستفدنا من هذا الأمر أننا كما نفرق بين أهل الكتاب وغير أهل الكتاب من الكفار، يجب على الراسخين في العلم أن ينظروا إلى الكفار غير أهل الكتاب ويفرقوا بين من يؤمن بالآخرة ممن هو مأيوس عنها، وبعدم توجه أهل العلم إلى هذا الأمر الضروري، صار المسلمون يتعصبون مغ أقوام يؤمنون بالآخرة وعندهم من الفلسفة والحكمة لو توجه إليهما، لانشرح صدره بالإيمان بالآخرة. إنما يختلفون عن أهل الكتاب في تصوير بعض الحقائق، فلو لم يتعصب معهم المسلمون مثل تعصبهم ممن ينكر الآخرة كان نافعًا لهم كثيرًا، فأديان الهند البرهمية والبوذية كلا الصنفين يضاهئون النصارى واليهود، فإذا جعلوهما في حكم أهل الكتاب ودرسوا أديانهم لتبليغ حكم القرآن كما يدرسون أديان اليهود والنصارى، لنفذت الدعوة الإسلامية إلى جميع أقطار الأرض بالسهولة. عامة الإنسانية بعد المسلمين منقسمة على أربعة أقسام: اليهود، و يشبههم الهنود البراهمة، والنصارى يشبههم البوذيون حتى كثير ممن لايتدين بدين وتحقق الإنسانية يشتبه عليهم أن أكثر تعليمات موسى مأخوذة من البراهمة الهنود، وأكثر تعليمات النصارى مأخوذ من البوذيين، فإن كان لهذا الأمر أدنى اشتباه، فتأويله عندنا أن موسى أكمل شريعة الصابئية التي كان يتحملها الهنود البراهمة وأخرج منها الخرافات وجدوها وجعلها برنامجًا عمليًا، وكذلك عيسى أصلح الفلسفة البوذية، وليس المقصد إثبات أن هذا مأخوذ من هذا أولًا. إنما المقصد تشابه التعليمات، فالإنسان إذا أكمل مدارسة تلك الأديان سهل عليه تبليغ الدين لهم، وإذا لم يعرف دينهم وأنزلهم منزلة الوحوش، فهم يذهبون من المبلغين ولايكون معنى الدعوة الدينية عندهم إلا التغلب السياسي، فإذا توجه المسلمون إلى تكميل المعرفة لأديان العالم سهل عليهم العمل.

٣٩

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

"**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**" في ضمن السورة حكم بنصرة دين الله بالقتال، فلايفهم الناس إن الدين الإلهي إنما أمر الناس بذلك الفائدة ترجع إليهم.

"**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون** الخ" الإنسان يتمنى أن يعرف أفضل الأعمال عند الله، ولزم أن يكون مع هذا التمني تأييد عزم العمل وإلا القيل والقال في كثير من الأوقات يكون سببًا للخروج من الدين. الإنسان يدعي أنه يعمل كذا وكذا والناس يعتمدون عليه ويجعلونه إمامًا ثم هو لايوفي بما وعد، بل ينهزم ويكون سببًا لانهزام جماعة الصالحين، وهذا الإثم كله يرجع إليه وهو بعد هذه التجربة بالتدريج يتراجع إلى الوراء، ولايتقدم إلى أعمال الخير أبدًا، وإذا كان عمل به يحتاج بذل الأموال وقتل النفوس، فهذا العمل لايدعيه كل واحد إلا من نظر إلى أحوال قلبه حقيقة. هو يريد أن يعمل ذلك فليقل "**إن الله يحب** ...**مرصوص.**" سبيل الله هو كتابه الذي يشتمل على قانونه وطبيعته. القانون لايكون حاكمًا إلا بالقوة، إذا كان دخل تحت القانون عامة الناس والاجتماع التام من المدينة. أما في بعض الصور لايكون الاجتماع اجتماع القبائل مكملًا. هم يطيعون رؤساءهم بعواطفهم الموروثة، ثم هؤلاء الرؤساء يجتمعون على قانون، فتلك الحكومة تكون اجتماعية ولاتحتاج إلى الجنود والعساكر، ومثل هذا لايقوم إلا في رجال متفقين على درجة عالية فقط أو في اجتماع ناقص. أما الاجتماع التام الذي يكون كل فرد من أفراده يجذب المنافع إلى نفسه، ويقاتل على حفظ حقوقه، فهذا الاجتماع طبيعي للإنسانية، ويكون له حياة طويلة على مرور الدهور، وذلك الاجتماع إذا جعلنا تحت قانون، فلابد من قوة تريد ذلك القانون، وهذا القانون الذي ينزله الله في كتابه الذي سماه صراطًا مستقيمًا، هو سبيل الله، وهو يجتمع الاجتماعيات الأرضية كلها تحت نظامه، وهذا هل يقوم في الدنيا بدون قوة تؤيده؟ كلا! فالذين يقاتلون في سبيله لانتصار هذا القانون مجتمعين مثل الصف الذي يكون كالبنيان المرصوص، فالله يحبهم لأن الله يحب هذا القانون فكل من نصره يحبه، وهو لاينصرونه بأقصى قوتهم، فيحبهم حبًا كاملًا. **صفًا** القتال عند العرب أولًا كان الكر والفرّ، ما كانوا يقاتلون صفًا، وشرعوا فيه بعد نزول القرآن بهذا التعليم، ومرّنهم النبي ﷺ من أول الأمر عليه فجعل صفوفهم في الصلوة كصفوفهم في القتال والصلوة بالجماعة والصف كان نزل بمكة، وهذه السورة مدنية، فكان النبي غير سنة العرب إلى القتال بالصف. النبيﷺ رتب صفوف أتباعه مثل صفوف الملائكة. هم يصفون مثل الأعداد لايكون فيهم فرجة. الأعداد لايمكن أن يتداخل بينها عدد آخر، ولايمكن أن يكون هنا فصل بين العددين. هكذا الملائكة. كل يأخذ مقامه متصلًا مع الآخر، فيكون الترتيب طبيعيًا، والنبي ﷺ رتب صفوف الجماعة في الصلوة على مثل صفوف

الملائكة، ثم جعل صفوف القتال أيضًا مثل صفوف الصلوة، لكن الغرض من الصف معناه اللازم عندنا يكون الاجتماع قويًا لايمكن التخلل والتفرج فيها. صورة الصف تكون مقصودة من هذه الآية، ليس عندنا لازمًا لأن تبعية الجيوش لايمكن أن تكون على حالة واحدة قائمة إلى الأبد. كل ما اخترعوا الآن سريعة الرمي يتبدل التبعية، فالأمر في القرآن الأحسن عندنا أن نحمله على شيء، لايتبدل في زماننا الرمي بالقتال غير تبعية الصوف على ما جددها نابليون[١] أحكم صورة في الحرب، أما اليوم فلا، فمعنى "**كأنهم بنيان مرصوص**". أنهم لايتزلزلون عن مقابلة الأعداء، والقتال في سبيل الله سنة إبراهيمة، اتفق عليها أنبياء بني إسرائيل وأثبته القرآن، فيعلم به أنه من أحب الأعمال إلى الله. بيان ذلك : أما موسى فنذكر عنه واقعة خاصة. تفصيل هذا الإجمال. "**وإذا قال موسى لقومه إلى الفاسقين**". أن القرآن حكى في سورة المائدة "**إذا قال موسى لقومه إلى قوله القوم الفاسقين**." فالفاسقون (صرح في هذه الآيات) الذين أنكروا على موسى، وخالفوا أمره بالجهاد وقالوا له **اذهب أنت** الخ هذا الذي آذوا به موسى قال لهم موسى "**وقد تعلمون أني رسول الله إليكم**" فكيف تقولون مثل هذا، فسورة الصف إنما يذكر فيها من موسى حكمه بالقتال لكن أجمل الأمر وفصل في سورة المائدة. الذي يطبق بعض الآيات مع بعض لايتشكك ثم في سورة الأحزاب. "**يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا**" إلى "**وجيهًا**". تفسيره عندنا أيضًا راجع إلى سورة المائدة. هؤلاء الذين خالفوا أمر موسى قالوا يا موسى "**إن فيها قومًا جبارين**" الخ حكى الله أن بعض أتباع موسى اتبعوا أمره، ففازوا وغلبوا على الكفار. قال رجلان من الذين يخافون "**أنعم الله عليهما**" إلى "**غالبون**". وهذا كان تبرئة الله لموسى "**فبرأه الله مما قالوا**"هم ظنوا أنه يريد أن يهلكهم فيأمر ضعفاء الناس ان يقاتلوا القوة القوة، فظنوا بموسى ظن سوء، فلما قام رجال قليلون وغلبوا على تلك الجماعة الكثيرة، برأه الله مما قالوا وظنوا به. "**وكان عند الله وجيهًا**". فذكر الإيذاء جاء في سورة الصف وجاء في سورة الأحزاب، فهل يمكن أن يظن رجل أن الإيذاء في سورة الصف يكون متعلقًا بنقص في بدن موسى من الأدرة وغيرها؟هذا لازم أن يتعلق بأمر الجهاد، والرجل الذي تم تجربته في مثل هذه المقامات، يعرف أن أميرًا لقوم قرر قرارًا وأمر القوم به والقوم عصوه، هل يكون إيذاء أعلى من ذلك للأمير لاسيما إذا كان في ميدان الحرب؟ فنحن نجزم قطعًا أن الإيذاء الذي ذكره الله في سورة الصف هو الإيذاء الذي فصله في سورة المائدة بترك أمر النبي في ميدان القتال. الإمام البخاري جاء بحديث في تفسير هذه الآية أن بني إسرائيل قالوا إن موسى آدر فبرأه الله مما قالوا بفرار الحجر بثوبه. نحن نجزم قطعًا أن هذه الرواية إسرائيلية دخلت في أحاديث النبي عليه السلام بغلط من بعض الرواة رفعه إلى النبي ﷺ باطل قطعًا. كان حديثًا موقوفًا أخذه بعض الصحابة عن بني إسرائيل، فذكره في تفسير الكتا،ب فظن بعض الرواة لايكون إلامسموعًا من النبي ﷺ لأنه من الأمور التي لاتدرك بالعقل، وهذا الراوي يظن

١- في الأصل: ناپوليون.

بذلك الصحابي أنه لايأخذ عن بني إسرائيل، فجعله مرفوعًا منصوصًا[١] ، وعندنا هذا معلل وتعليلنا لبعض أحاديث البخاري لايكون إلا مثل تعليل الدار قطني لبعض أحاديث البخاري، هم يعللون باعتبار الأسانيد ونحن نعلل باعتبار المعاني ومن يقدر بين الأسانيد والمعاني، فيجوز الأول ويحرم الثاني. أئمة السنة اتفقوا على صحة أحاديث البخاري ومسلم، لكن هذا بشرط أن لايعلله عالم بفن الحديث. لذلك قال ابن حجر سوى أحرف يسيرة انتقدها الدراقطني وغيره. ولايذهب عليك أن تلك الأحرف اليسيرة تزيد على مئتين من الأحاديث على ما فصله في مقدمة **فتح الباري**، وبعده جاء عيسى بن مريم، والظاهر منه أنه لم يباشر القتال ولم يأمر به، والأمر ليس كذلك وهذا يبين بصورتين: الأولى أنه صدق التوراة في جميع أحكامها وبشر بنبي يأتي بعده يقوم بالقتال. أفليس هذا بكاف أنه يجوز القتال؟، الثانية هو صرح أني جئت لأقتلكم لكن لم يتهيأ قوته ليقاتل في أيام حياته، فالحواريون قاموا بالقتال، وهذا مذكور في آخر السورة "**يآ أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله** الخ" وهذا بدخول شرقية وباقي النصرانية فليس أيضًا قام بالجهاد وهذا معنى قوله: "**وإذ قال عيسى إلى سحر مبين. ومن أظلم إلى الكفرون.**" هؤلاء هم الذين حرفوا وحملوها غير مواضعها، وعندنا ملاحظة في ذلك لايوافق أكثر المفسرين. هذا النبي الذي هو مبشر في أولاد إبراهيم أنه يخرج ويجمع الأمم كلها تحت دين إبراهيم وإن كان الظاهر أنه يكون من أولاد إسماعيل، لكن بني إسرائيل ما صاروا مأيوسين عن تحصيل تلك الدرجة. عندهم معنى هذه أن يكون في بني إسماعيل مشروطًا بشروط، منها أن لايقوم رجل من بني إسرائيل يقيم ذلك المنصب، فإذا

١- هذه القصة لإيذاء موسى يذكرها عامة المفسرون هناك، فقد ذكرها الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " إن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة: وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوما وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه، ثلاثا أو أربعا أو خمسا، فذلك قوله: يا أيها الذين آمنوا [ص:١٥٧] لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ".(**صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، رقم: ٣٤٠٤.) هذا التفسير لإيذاء موسى قد وقع غرضًا لسهام الناقدين في العصر الراهن، ونجد عند أبي منصور الماتريدي من المفسرين القدامى أنه أنكر هذا التفسير، فقال بعد ذكر هذا القول لعامة أهل التأويل تحت تفسير آية سورة الأحزاب:" هذا التأويل بعيد؛ لأن موسى كان يدعوهم إلى ستر العورة، لا يحتمل أن يطمعوا هم منه الاغتسال معهم، وأن يكشف عورته لهم، أو ينظر إلى عورة أحد، هذا وخش من القول أو يسلط حجرًا، فيذهب بثيابه حتى يراه الناس متجردًا، والله أعلم."(محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي(م ٣٣٣هـ)، **تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة)**، ت، مجدي باسلوم(بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ء)، ٨: ٤١٨.) ويظهر من هذا القول للماتريدي أنه وضع هذا الحديث تحت مجهر الدراية وإن كان روي في **صحيح البخاري**.

قام رجل منهم وأدى هذا الفرض، فلاحاجة بعده أن يقوم من بني إسماعيل، ونحن نعرف مثل هذه التأويلات من الأمور العامة التي يرتقبها أرباب الشرائع عامة إذا احتاجوا إليها ونحن على نظريتنا هذه نجزم بأن موسى أراد أن يفوز بتلك الرتبة لكن لم يتبع قومه أوامره، فضاعت أيامه كثيرة في الهيمان في التيه، ونحن نستأنس لفكرنا بجملة رويت في حديث المعراج أن موسى بكى لما تقدم عليه النبي عليه السلام فلو لم يكن في قلب موسى بلوغه إلى ذلك المنصب ممكنا، ما بكى عليه ثم تقرر الأناجيل الموجودة، فعيسى بن مريم يأتي لهم ببشارات تشير إلى أنه هو ذلك الرجل، واليهود فهموا منه ذلك وهو كان يتكلم بالأمثلة والاستعارات، فلما رآى أنه لم يتحقق له أمنيته أول كلامه أنه يذهب إلى ربه ويرسل الفارقليط بنفسه وعندنا هذا الفعل ليس خارجًا عن أصول النبوات المقررة في أذهان هؤلاء الأنبياء أن تلك الدرجة لازم أن يتسابق إليهما كل رجل لتحصيلها، فأي جرم في تسابق عيسى إليها لكنهم ما قدروا على ذلك لعدم متابعة أممهم لأداء ذلك المنصب العظيم ونستأنس لفكرنا هذا بحديث اتفق على إخراجه الإمام مالك والبخاري ومسلم. قال عليه السلام مثل اليهود والنصارى والمسلمين كمثل رجل استأجر قومًا الحديث.[١] انظروا في هذا الحديث الاستيجار كان لشيء واحد أن يعملوا في الليل، فهذا الأمر الذي قام به المسلمون كان في استيجار اليهود والنصارى أيضًا ماخوذًا وأخذ منهم العبد ان يتموا العمل إلى الليل، فليس أخذ منهم أن يعملوا تحت تلك النبوة التي قام بها المسلمون، فإذا كان هذا داخلًا فكل نبي يسعى أن يتم العمل إلى الليل ويجوز تلك المنقبة التي قدرت لرجل واحد في الدنيا من بني آدم، لكن أقوامهم ما طاوعوهم فاستيأسوا، فعلى نظريتنا تنتظم جميع الكتب بالسهولة، فإذا لم يقم عيسى بن مريم بذلك المنصب، بشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، فلبس أهل الإنجيل تلك البشارة وحرفوا الكلم عن مواضعها. عيسى بن مريم وعدهم أن يأتي إليهم ثانيًا، لكن ذلك في الأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس الدرس١٤، أما في تلك الأيام فالشمس تظلم والقمر لايفطر ضوءه، ونجوم السماء تتساقط والقوات التي في السموات تتزعزع وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيًا في السحاب بقوة كثيرة ومجد، فيرسل حينئذ ملائكة ويجمع مختاريه من أقصى الأرض إلى أقصى السماء لوقا ٢١ من ٢٥، وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم وعلى الأرض كرب أمم بحيرة. البحر والأمواج تضج. والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة لأن قوات السموات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في

١- **صحيح البخاري**، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب، رقم: ٥٥٨. وألفاظ البخاري: عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم: " مثل المسلمين واليهود والنصارى، كمثل رجل استأجر قوما، يعملون له عملا إلى الليل، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك، فاستأجر آخرين، فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالوا: لك ما عملنا، فاستأجر قوما، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين ".

سحابة بقوة ومجد كثير.هـ [1]، فهذا المجيئ في مبدأ يوم القيامة، وعندنا جميع الرسل يحضرون في ذلك الموقف لمحاسبة أممهم، لكن أرباب الإنجيل ما ذكروا إلا عيسى بن مريم، لأنه ليس لهم غرض بغيره، فهذا المجيئ ليس لإقامة سلطنة مثل سلطنة الله في السموات، يعني لا يكون حكم دين متبوعًا في الأرض إلا حكم دين الله. في متى درس ٩ فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. ليأت ملكوتك ليات ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض، فهذا ملكوت السموات ينزل على الأرض ولايكون ذلك إلا بقيام سلطنة قاهرة على أساس قانون إلهي، لايقدر أحد في الأرض على مخالفتها. هذا هو مراد كل مسيحي في جميع صلواته، وأمروا أن يطلبوه من الله مثل ما يطلبون خبز يومهم، لأن الدرس الذي بعده خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، فلما يأتي عيسى بن مريم بعد تزلزل الأرض والسماء عن مركزها، هل تقوم تلك الحكومة في الأرض؟ كلا وبهذه الحكومة بشر عيسى بن مريم يأتي الفارقليط، فيقيمها وهذا موجود في إنجيل يوحنا ٤ من الدرس ١٢. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي، ومهما سألتم باسمي، فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن، إن سألتم شيئا باسمي فإني أفعله، إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعَزَّيًا آخر، ليمكث معكم إلى الأبد، إلى الدرس ١٦. وقوله: " مُعَزَّيًا " ترجمة كلمة الفارقليط الذي يفسرها الناس الآخرون بأحمد، والبحث مبسوط في **إظهار الحق** في تحقيق تلك الكلمة ومعناها[2]، ثم بعد ذلك في الدرس ١٨ لا أترككم يتامى، إني آتي إليكم. أنا أقول هذا الإتيان هو إتيان الفارقليط، يستنبط ذلك درس ٢٤ اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كَلاَمِي. وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. بِهذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.ثم الدرس ٢٦ وفي الدرس ٢٨ سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. فعندنا ليس معناه إلا أنه يجعل مجبورًا الفارقليط مجيئه وفي الباب ١٥ الدرس ٤١ وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ. وفي الباب ١٤ الدرس ٧ لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ. ثم بعد ذلك في الدرس

---

[1]- لينظر: وليم إدي، **الكنز الجليل في تفسير الإنجيل**(بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ١٩٧٣ء)، ٢: ٣٣٩.

[2]- يقول الشيخ رحمة الله الهندي: والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كلما قلته لكم، والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا. (رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، **إظهار الحق** (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٩٨٩ء)، ٤: ١١٨٥.)

١٢. إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. اهـ. وفي الباب ١٧ الدرس ١١، فرأينا أن عيسى بن مريم حسب حكاية النصارى يتكلم بكلام مجمل يفصله من بعض الوجوه، ثم يجمله من بعض الوجوه. هو يقول لهم هذا الذي أرسله يبكت العالم على خطيئتهم وعلى برهم وعلى دينونتهم، أيمكن هذا بدون قوة غالبة؟ لايمكن للعالم مقابلته. وعندنا القرآن أشار إلى مثل هذا. "**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**"[١] الذي حمله المفسرون منا بخطئهم على يوم القيامة، ثم المسيح عيسى بن مريم يقول لهم إني أذهب ولا أكون في العالم ويقول إني آتي إليكم، لا أترككم يتامى، ويشير إلى إتيان الفارقليط، ويقول هو يأخذ مني لأن كل ما للأب هو لي، وهو لايأخذ إلا عن الأب، فكأنه يأخذ مني يثبت بذلك أن إتيانه هو إتيان عيسى بن مريم يقول لهم: إنه يشهد باسمي وأنتم أيضًا تشهدون يعني أني أخبرتكم أنه يأتي ويشهد لي، فكان إتيانه متممًا لما كنت أريده. مثل هذا الكلام في الجمليات المتقدمة والمتأخرة واضح، لكن يفهم منه أن عيسى يريد إجماله أيضًا، فتوجيهه عندنا هو في أول أمره لما علمهم الصلاة، بشرهم بأنه يقدم بذلك الأمر، ولما تحقق له أن اليهود لايوافقونه، ففشل في ذلك مثل فشل موسى، فجزم أن ذلك الأمر لايكون إلا ممن يأتي بعده، وهو رسول بني إسماعيل؛ لأنه لم يبق في بني إسرائيل رسول أعلى منه، لكنه يخاف من ذهنية الحواريين و أحبار اليهود وهم لايقبلون أن يخرج هذا الأمر من أولاد إسرائيل، فيجعل أخبار الفارقليط مجملة لايفهمونها تامة حتى يحتاج عيسى بن مريم إلى التصريح بأنه من بني إسرائيل، فهذا الذي فهمنا من هذه الروايات حكاها النصارى عن عيسى ابن مريم، وخلاصة كلامنا أن المسيح أولا بشرهم بأنه هو الذي يقيم هذا الأمر وفي الآخر حوله إلى الفارقليط وإلى روح الحق أو مثل ذلك، فعلى نظريتنا ليس فيه تناقض كان له حق أن يتقدم لأداء المنصب وهو نبي صادق بار ولما رأى أن أمته لايطاوعه، تيقن أن هذا مكتوب لأحد، فبشره به بملء صدره ورحب صدره، والإجمال الذي يوجد في كلامه أنما هو خوف انتشار ذهنية الحواريين هذا وأما النصارى بعد ذلك ما فعلوا؟ إنهم خلطوا تلك البشارة بالبشارة التي لازم فيها أن يأتي بسلطان قوي يبكت العالم، لبسوا[٢] تلك البشارة بالبشارة التي كانت لمجيئ المسيح يوم القيامة بعد تزلزل الأرض والسماء عن مقامهما وجعلوهما واحدًا عندنا. هذا تأويل قوله تعالى: "**ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام.**" هم النصارى بعد المسيح بن مريم، لما دعاهم الرسول إلى الإسلام، والله لايهدي القوم الظالمين، أفيأتي لهم بمسيح يقيم ملكوت السموات والأرض كما يريدون بإنكار النبي عليه الصلاة

١- الأنبياء ٢١: ١.

٢- هذه العبارة: "لازم فيها أن يأتي بسلطان قوي يبكت العالم، لبسوا." في ن م، وليست في ن إ.

والسلام؟ كلا! الله يهديهم أبدًا، يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم، إذا قرأ رجل صحيح العقل الكتب التي رواها عن المسيح، يعترف ببطلان تأويلهم الذي ارتكبوه. هذا نور الله حسب بشارة الأنبياء، بشر بها موسى وبشر بها عيسى، وكتبهما شاهدة إلى يومنا هذا، فهل يقدرون بتأويلات على إبطال ذلك النور وإطفأئه؟ لايقدرون على ذلك.

هو الذي أرسل رسوله إلى المشركون. هذا هو روح الحق، هذا هو المعزى ، هذا هو أحمد الذي بعث بقوة يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة.

فصل

ذهب جمع من المسلمين إلى نزول عيسى بن مريم وإقامة سلطنة قاهرة دينية، كما تخبط به النصارى. وأعلى حججهم ما أشار إليه أبوهريرة في رواية الصحيحين واقرأوا إن شئتم "**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**" أبوهريرة قائل أن عيسى ينزل حكمًا مقسطًا، ونسب بعض الرواة عن أبي هريرة قوله ذلك إلى النبي عليه السلام. البحث الآن إنما هو في معنى الآية. ما أشار إليه أبوهريرة مداره أن ضمير قبل موته راجع إلى المسيح، وانتقده النووي فقال: إن هذا قول شاذ، وأكثر المفسرين يقولون إن الضمير يرجع إلى الكتابي، هذا معنى ما قاله النووي: وقال النسفي في تفسيره والمعنى وما من اليهود والنصارى أحدًا لايؤمنن به قبل موته بعيسى عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله، يعني إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لاينفع إيمانه لانقطاع وقت التكليف، أو الضميران لعيسى، يعني وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وهم أهل الكتاب الذي يكونون زمن نزوله. روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان، فلايبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به حتى تكون الملة الواحدة، وهي ملة الإسلام، أو الضمير في "به" يرجع إلى الله، أو إلى محمد، والثاني إلى الكتابي. اهـ. قال الخازن "**قبل موته**" اختلف المفسرون في هذا الضمير إلى من يرجع، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين إن الضمير يرجع إلى الكتابي وذهب جماعة من أهل التفسير إلى أن الضمير يرجع إلى عيسى وهو رواية عن ابن عباس أيضًا، ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال رسول الله والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا ثم يقول أبوهريرة فاقرؤوا إن شئتم الآية. اهـ. فظهر منه أن أكثر المفسرين لايوافقون أبا هريرة في مرجع الضمير ويقول الأستاذ: ولنا في تفسير هذه الآية ملاحظة مخصوصة ويخالف أن يكون في هذه الآية ذكر نزول المسيح، والسبب في من خالفهم من اليهود والنصارى والهنود والحكماء اللادينيين يتكلمون على روايات بالجرح والقدح بدون الاحترام، لأن الخوف الذي كان أولًا من الحكام ذهب عن قلوبهم وفي آخر السلطان عبدالحميد وقعت واقعة. أرادت فرنسا أن يمثل في تمثيله نبينا ﷺ فأنذرها السلطان فارتجع عن ذلك وقدم عذرًا وسعى في حصول رضاء السلطان. زمان عبدالحميد ما كان زمن قوة عظيمة، لكن هذا العز المتوارث الذي كان باقيًا لسياسة المسلمين، كان في التلاعب بروايات المسلمين، وبعد سقوط الخلافة نحن نرى ما يفعل الهنود والدهريون في بلادنا الهند،

يأتون بأشياء لانقدر على حكايتها، ثم شباننا في تحصيل المعاش محتاجون أن يتعلموا في مدارس الأروبيين، فيتأثرون بذهنيتهم، وهم أيضًا ينكرون كثيرًا من مسلمات المسلمين إذا لم يأت لهم بديل قوي يثلج صدورهم، ومنهم طائفة مؤمنة صالحة يريدون أن يتعلموا الإسلام الصحيح وينصرونه بكل قوتهم ليسوا مثل المشايخ والعلماء الذين صارت عادتهم العقول عن مقابلة الكفار إلا طوائف قليلة من شباننا، هؤلاء يريدون نصرة الحق بلا ارتياب، وأما المشايخ والعلماء الذين تشبثوا بدينهم واجتهدوا في مقابلة الكفار بسبب عدم علمهم بجيل هذا الزمان واختراع الأسلحة النارية الذي لايقدرون على استعمالها بدون اشتراك الشبان، لايقدرون على شيء. أنا بحمد الله اشتغلت بتعليم الشبان زمانًا طويلًا وجربتهم. هم يؤمنون أن القرآن محفوظ على حاله كما كان في زمن النبي عليه السلام. ما قدر الناس مع اختلافهم في السياسيات أن يغيروا شيئًا من القرآن. وما سوى ذلك من المعاشرات ونظام الحكومات وفقه الفقهاء وكلام المتكلمين وروايات المحدثين، كلها كانت متأثرة بسياسة الجماعة القائمة بحكومة المسلمين، وأما إن كان مركزهم واحدًا فكان الأمر كذلك، ولما انقسموا إلى الأقوام وصارت مراكز مختلفة في السياسيات. هذا الترك له مركز. هذا الإيراني له مركز آخر. هذا العرب له مركز آخر إن قدر على ذلك، فاجتماع المسلمين في جميع البلاد كانت متأثرة من سياسة حكامهم، وهو طبيعي في الإنسانية لافضل في ذلك لقوم على آخر. هم يلعنون جميع السياسيات التي ننقلها إليهم لأنها كانت عملها في زمانها، فاليوم فكلها منسوخة عندهم، وإذا لبسنا عليهم الكلام وجعلناه أمرًا مقدمًا عند المسلمين حتى يسلموا لذلك، هم لاينخدعون، بل يلعنون من يعمل على تلك السياسيات في عصرنا هذا. هذا كله حاصل عندي بالتجربة في معاشرتهم، والمراد بالشبان كل من تعلم في عليكره لأن تعليمنا إنما كان مختصًا بهم، وهذا هو المركز للتعليم الجديد في الهند للمسلمين، فجعلت لهم طريقًا للتعليم الخصوصي، جمعت ترجمة القرآن العظيم بلسانهم، وأعتمد في ذلك على ترجمة الإمام ولي الله، وأنا أقدر على شرحها بالعقليات المبنية على حكمة الإمام ولي الله، فيسمعون كل شيء، ولتعليم نظريات الشيخ أقرأ لهم **حجة الله البالغة** مع المباحثة والمناظرة حتى يفهموا ويتيقنوا أصوله، فتحت هذه الأصول العقلية إذا شرحت القرآن، ما كان من رجل منهم اعتراض في ذلك، ويأتي في ضمن ذلك اعتماد المفسرين على إسرائيليات، ولي اجتهاد في إصلاحها على نظريات الشيخ فإذا فهموا حكمة شيء، يقبلونه لكن رأيت خواص منهم لايقبلون شيئًا من الإسرائيليات في تفسير القرآن، ثم تأتي روايات الحديث، وعندهم معرفة بأن هذه الروايات لها أصل في الإسرائيليات، فلا يلتفتون إليها، وإذا أراد الرجل أن يجعلهم قائلين بذلك بالتكلفات والمناظرات، هم يتركون تعليم ذلك الرجل بالمرة، ويقولون إنه غير ثقة حتى يؤخذ منه الدين، فهذه التجربة أوجدت في دماغي تغيرًا، واجتهدت أن لايكون شيء من القرآن يقف فهمه على الرواية الإسرائيلة ورواية تشبه على الإسرائيليات، وإذا لم أقدر على ذك تركت عندهم الكلام على تلك الآيات، وذكرت لهم أني أطلب التحقيق في ذلك، ولم يطمئن قلبي إلى الآن، فيقبلون ذلك العذر، فالآن أحكي لكم حكاية. تلك الآية

استدل بها جمهور أهل السنة في بلادنا على نزول المسيح وإقامة الحكومة وقام رجل من أهل الهند القادياني، فقال إن المسيح لاينزل من السماء، وما جاء في الحديث فإن مصداقه قبل ذلك السيد أحمد خان مؤسس عليكره أيضًا أنكر نزول المسيح من السماء، وأنا أعتقد بسبب صحة حديث أبي هريرة واستدلاله بهذه الآية بنزول المسيح، وأقدر عند طائفة متوسطة من العقليين على توجيه نزول عيسى بالدليل العقلي على منهاج مولانا محمد قاسم الديوبندي، وأما عند أهل الرأي من الشبان فلا. ورأيت الاختلاف من السيد أحمد خان، ثم من مرزا غلام أحمد القادياني قويًا، فأنا نحو عشرين سنة ما تكلفت في تفسير تلك الآية، وكل من أصر عليّ اعتذرت له. إن أحببت أنا اقرأ سائر القرآن سوى هذه الآية، فأقرأ وإلا أترك الكل، فيقبلون مني فما ضيعت أوقاتي في الرد على شبهات القادياني وغيرهم.

جملة معترضة

وكنت أعلّم **حجة الله البالغة** فأذكر لهم أن السيد أحمد خان رجل سياسي لايدعي لنفسه منصبًا دينيًا، وأما هذا القادياني فهو مع كونه أضعف من السيد أحمد، ادعى لنفسه أنه مثل المسيح أو نبي أو مثل ذلك، فأقول للشبان أقدم إليكم غلام أحمد، هل يساوي الشيخ ولي الله في علمه؟ فيعترفون ويقولون لا لا، فأقول لهم فنحن لانسلم لرجل أنه صار مثل نبي إلا إذا كان مثل ولي الله أو فوقه، فبذلك يذهب عن قلوبهم فكر القادياني، ورأيت ذلك طريقة متقنة، وأما الذين شرعوا في مناظراتهم في جزئياتهم، فما سقط هؤلاء ولا هؤلاء. تمت الجملة المعترضة.

أنا لا أحب أن أجعل الآيات القرآنية ملعبة للسياسين أو للكذابين، فاجتهدت من نفسي خلافًا لطريقة برواية ما، حديثا كان أو رواية إسرائيلية، وقدرت بحمد الله بعد مطالعتي السياسيات العالية على توجيه الآيات. إما بنظريات الشيخ ولي الله، وإما بنظريات الاجتماعيين التي اتفق عليها العصر، فإذا قدمت مثل هذا التفسير لشاب من شباننا ذي رأي وإيمان وجهاد، اطمأن خاطرهم، ويأتي في قلب واحد واحد منهم قوة المقابلة مع جميع المخالفين في العالم، وتجريدي هذا التفسير للقرآن، أتبع في ذلك الإمام ولي الله، هو فتح ذلك الباب، ورأيت إشارات منهم تؤيد أفكاري. فالآن أتكلم على تفسير هذه الآية "**وإن من أهل الكتاب** الخ" نأخذ المسئلة من آية من سورة النساء." **يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء** الخ" فالمراد من أهل الكتاب في هذا الموضع هل هم جميع أهل الكتاب الذين يوجدون على وجه الأرض؟ وهل جاء على النبي وكيل عنهم يسأله؟ ليس ذلك، بل المراد من أهل الكتاب يهود المدينة أو يهود الحجاز لاغير، فليس في قوله: "**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**" سوى أهل المدينة أو الحجاز غيرهم مرادًا وضمير "**قبل موته**" راجع إلى النبي عليه السلام، والمراد من الإيمان به يقبلون حكم النبي طوعًا أو كرهًا، فيكون معنى الآية أن هؤلاء الذين يسئلونك تعنتًا، هم في حياتك يصيرون مجبورين لإطاعتك، فيذهب تعنتهم وما عملوا من الكبائر مع المسيح أو مع النصارى يسئلون عنها عند الحكومة الإسلامية.

تتمة الآية وقولهم "**إنا قتلنا المسيح إلى عزيزًا حكيمًا.**" تفسير هاتين الآيتين أيضًا يحتاج إلى التمسك بالإسرائيليات. قوله: "**ولكن شبه لهم.**" عامة المفسرين يستندون في ذلك على إنجيل برناباس، لكن نسختها غير محققة عند الكنيسة، فنحن لا نعتمد عليها. هذه الأناجيل الأربعة إذا تأمل فيها الرجل، لايتيقن أن المصلوب كان مسيحًا. كان عادتهم كل مصلوب يحمل صليبه. في بعض الأناجيل أن المسيح كان يحمل صليبه وفي البعض أخذوا رجلًا آخر حمل صليبه. هذا يكفي لكون المسيح مشكوكًا في الصليب. الروايات إذا اختلفت مع تسليم صحتها، ثم قام رجل مجتهد لجمعها وتوفيقها على معنى أو لترجيح أحدهما على الآخر، فهذا الأمر لايكون قطعيًا، بل يكون ظنا من المجتهد، فالمعتقدون بكون المسيح مصلوبًا اجتهدوا في تأليف هذه الروايات بعضها مع بعض، واستقر رأيهم على أن المصلوب كان هو المسيح، لكن هذا إنما هو اتباع ظن المجتهد، لايستيقن من لا يؤمن بإمامة ذلك المجتهد، وعندنا هذا معنى قوله: "**ما لهم به من علم** الخ" ومثل هذا التأويل عند شباننا مقبول، هم لايرون فيها إلا حكاية الواقع عند الصليبين. "**بل رفعه الله إليه.**" ليس عندنا معناه أنه رفعه إلى السماء." **يرفع الله الذين آمنوا**" إلى "**درجات**". بل معناه عصمه الله عن إيصال الإيذاء إليه وجعله فائزًا بالحق مقيمًا لدينه بواسطة أنصاره وحواريه.

جملة معترضة

إذا لم يرفع المسيح إلى السماء فإلى أين ذهب؟

عندنا فيه ملاحظة شاذة عن عامة أهل العلم. المسيح وأمه قبل إظهار نبوته فوق عشرة سنين كانوا غائبين عن فلسطين. و في القرآن. العظيم: "**وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**". عامة المفسرين يجعلونها إما في سوريا أو في مصر، كأن ما ورائهما ليس في الدنيا شيء. الراجح في أفكارنا أنه رجع إلى الهند واستقر في كشمير، كان كشمير في ذلك الزمان مركز البوذيين، والناس يجدون في تعاليم المسيح كثيرًا من الاشتراك مع البوذيين. كان المسيح لايريد إلا إصلاح بني إسرائيل واليهود فسد مزاجهم مثل فساد مزاج البرهميين، فقام فيهم بوذا فأصلحهم. لعل المسيح أيضًا أراد أن يستفيد من حكمة هؤلاء ويعدل بذلك مزاج اليهود. هذا الفكر أن الأنبياء لايستفيدون من أحد ما استقر إلا لأنهم لاينظرون في النبوة مثالًا غير نبوة خاتم النبيين، فلا ينبغي أن يقاس جميع الأنبياء على خاتم النبيين، فالغالب في فكرنا أن المسيح بعد ما تخلص من شر اليهود رجع إلى كشمير ونظم هنا دعوة الكليسية، والشاهد لذلك أن **إنجيل متى** ما وجد نسخة العبرانية الا في الهند. هذا كله تخمين وتحدس لكن يسكن أوهام الشبان وهو ضروري عندنا.

استطراد

قد شاع في تاريخ المسلمين أن البرامكة كانوا مجوسيين، والتحقيق أنهم بوذيون، كان لهم مركز ديني في بلخ والبرمك كالكاهن، وهم أصلهم من كشمير. حقق ذلك السيد سليمان الندوي في كتابه **الهند والعرب**[١] وبمثل ما تقرر عندنا لايكون القرآن محتاجًا إلى نزول المسيح، وهذا الذي نريد أن نثبته في قلوب الشبان.

لطيفة

أنتم تذهبون إلى أوروبا معدن السياسة العصرية الذي يستفيد منها الشبان من جميع الأقوام المسلمين، فقدموا إليهم تعليم القرآن واجتماعياته، فيجتمع عليهم هجوم كثير، ثم تتكلمون أنتم عن القرآن بأن المسيح ينزل، فلايبقى أحد منهم سامعًا لكم، هم صاروا مأيوسين عن الكلية وأربابها، فشباننا إذا رجعوا من أوروبا وذكرنا لهم أن القرآن يوجب نزول المسيح لايسمعون منا كلمة، وقد رأينا أهل العلم ليسوا متفقين على تفسير الآية بنزول المسيح، فأي حاجة لنا أن نقيد الآية بنزول المسيح، بل سياق الكلام عندنا يتم على قوله: "**واعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليمًا**". وهذا لايكون إلا بسبب حكومتهم. وهذا يكون بغلبة المسلمين ونجاح انقلاب القرآن، وتفسيرنا ناظر إلى هذه النقطة. بقي الكلام في حديث أبي هريرة وفي ترجيح كتب الحديث. وللشيخ ولي الله مذهب مخصوص، هو يقدم **الموطأ** لمالك على الصحيحين، وحديث أبي هريرة هذا لم يوجد في **الموطأ**، فكان منزلته في الصحة على الدرجة الثانية، ونحن نعلم شباننا أنهم يتمسكون في الحديث بموطأ الإمام مالك، لأن طريق العمل في العبادات المأمورة في القرآن، إنما يؤخذ من عمل النبي وأصحابه، ونحن في العمل بالقرآن لابد من أن نحتاج إلى كتاب يجمع عمل النبي وأصحابه، و **الموطأ** كان في ذلك، وشباننا قبلوا منا الأخذ بموطأ مالك في الحديث، فلما علموا أن ذلك مسلك الإمام ولي الله، وهم يعرفون باحترامه وتقدسه، ينشرح صدروهم. وعندنا من كلف الشبان باتباع كتب الحديث غير **الموطأ** لايعرف مقتضيات هذا العصر، ولا ذهنية الشبان. ليس مرادنا أن أهل العلم يقتصرون في بحثهم على موطأ مالك، بل **حجة الله البالغة** يشرح أحاديث الكتب الأربعة البخاري ومسلم والترمذي وأبي داؤد بنظرياته العقلية، ففي درجة التكميل نلزم الناس أن يقرؤوا تلك الكتب، وأما أدنى ما يجب على الرجل من أهل العلم من اتباع الحديث حتى يخرج من المعتزلة وغيرهم، يكفي فيه الأخذ بموطأ مالك، وقد ذكرنا لكم أن حديث الصحيحين من رواية أبي هريرة معلول عندنا. رفعه خطأ قد وجد رواية أبي هريرة موقوفة في **تذكرة الحفاظ**[٢] وكتبنا قبل ذلك

١- الكتاب باللغة الأردية باسم: **ھند عرب تعلقات۔**

٢- يقول الذهبي في **تذكرة الحفاظ**:" أنبأنا ابن قدامة وغيره قالوا أنا ابن طبرزذ أنا ابن الحصين أنا ابن غيلان أنا أبو بكر الشافعي نا الحارث بن محمد نا أبو النضر أنا أبو معاوية يعنى شيبان عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

ومثل حديث الإدرة. هذا أيضًا تعرفه من الإسرائيليات وقع مرفوعًا خطأ. وممّ أخذ أبوهريرة بذلك؟ وكيف صححه أئمة المسلمين؟ فسببه عندنا ما ذكره الإمام ولي الله قال في **إزالة الخفاء** قوله **ليظهره على الدين** چون ظهور دين حق بر جميع اديان در زمان حضرت صورت نگرفت زيرا كه هنوز نصارى ومجوس با طمطراق خود قائم بودند. عامة مفسرين در تفسير اين آيت فرمانند. قال الضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام. ثم ذكر كلام الآخرين وانتقدها ورجع إلى تحقيقه فقال بالجملة درآن وقت جميع ارض تحت حكم دوبادشاه ذي شوكت مجتمع بود: كسرى وقيصر. ودين اين هر دو بادشاه بر اديان ديگر غالب وهر دو اين به اباحت ميل دارند وعقيده ارجاء بر هر دو غالب است. كسرى وقيصر حاميان اين دو دين بودند وداعيان بسوى آن قولا وفعلا وتسببا كه الناس على دين ملوكهم. روم وروس وفرنگ وألمان وأفريقا وشام ومصر وبعض بلاد مغرب وحبشه در دين نصرانيت بودند بموافقت قيصر. وخراسان وتوران وتركستان وزاولستان وباختر وغير آن مجوس بودند بمتابعت كسرى. وسائر أديان مثل دين يهوديت ودين مشركين ودين هنود ودين صائبين پائمال شوكت اين هر دو وشوكت بادشاه شده بودند وضعيف گشته ومتدينان اينها برهم خورده، لاجرم داعيه ظهور دين برحق وقصد انتقام از كفره فجره بر هم زدن دولت كسرى وقيصر را آشيانه خود گردانيد تا چون اين دولت بر هم خورد زدن دولت كسرى وقيصر را آشيانه خود گردانيد تا چون اين هر دو دولت بر هم خورد اعظم اديان موجوده واشهر آنها

لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم إماما عادلا وقاضيا مقسطا حين تبتر قريش الإمارة – يقتل الخنزير والقردة ويكسر الصليب ويكون السجدة لله رب العالمين. لم يرفعه."(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي(٧٤٨هـ)، **تذكرة الحفاظ** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ء)، ١: ٢٦٣.) من هنا يظهر أن ابن قدامة لم يرفع هذا الحديث، ولكن ليس يلزم من ذلك أن الحديث لم يرو مرفوعًا من غير هذا الطريق، فإن أبا هريرة يروي هذا عن النبي ﷺ في **صحيح البخاري**، ثم إن جابر بن عبد الله يرفع هذا الحديث في رواية **صحيح مسلم**.

برہم خوردہ باشد وچون سطوت اسلام بجای سطوت این دو ملت بنشیند سائر ادیان خود بخود پائمال شوکت اسلام شوند مانند پائمال بودن أنها به این دو ملت حقه در قطر حجاز که نه در تصرف کسری بود ونه در تصرف قیصر ہر دو از آن غافل بودند وغلبه بر طور غلبه ء ملوک در غیر این قطر متصور نبود. اهـ.[١]

فالذي أوقع الناس في الميل إلى قبول نظرية نزول المسيح من سفهاء النصارى، إنما هو اضطرارهم في حل هذه الآية:" **ليظهره على الدين كله**". فإذا تحقق مصداقه في زمان النبي عليه السلام وخلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان قبل وقوع الفتنة بين المسلمين لاحاجة لنا إلى قبول نظريتهم المتخبطة التي أخذوها من الأناجيل ورتبوها بعد كفرهم بنبينا عليه السلام، لأن الفارقليط يقيم الدين الذي يبكت الناس، هو كان نبينا عليه السلام. هم أرجعوا ذلك المنصب إلى نزول المسيح وقت تزلزل الأرض كفرًا بالنبي عليه السلام. عندنا قوله في سورة البقرة: "**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**" إشارة إلى حال هؤلاء السفهاء إذ لم يقبلوا النبي فارقليط، وينظرون نزول المسيح، ونزول المسيح لايكون إلا وقت تزلزل الأرض ونزول الرب للمحاسبة ، فما يرجون في تلك الحالة في قيام دولة، وقبل ذلك آيتان يناسبان السياق "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**" والمراد من الذين آمنوا ليسوا المسلمين فقط الذين آمنوا بالقرآن، بل اليهود والنصارى والصابئون الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات حسب الشرائع الثابتة عندهم؛ كلهم داخلون في هذا الخطاب والإشارة في قوله: "**خطوات الشيطان**" إلى رجال يلبسون عليهم بشارات الكتب الإلهية الواردة في حق نبينا عليه السلام في التوراة والإنجيل وكتب المجوس والهنود، ويجعلون مصداق تلك البشارة رجلًا يأتي بعد نبينا عليه السلام وليس عندهم حجة إلا هوى أنفسهم، فمنعهم الله عن اتباع خطوات هؤلاء. قوله تعالى بعده "**فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ**" وما آمنتم بنبينا واتبعتم خطوات شياطينكم "**فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**" يؤاخذكم كأنكم كفار، فلايكون في قلوبكم بعده كيف أخذنا الله ونحن كنا مؤمنين. أهل الكتاب إن لم يؤمنوا بهذا النبي، فليس عندهم شيء ينتظر إلا يوم القضاء وفتح الدنيا، فهذا معنى قوله "**هل ينظرون إلا أن** الخ" وبعده آية "**سل بني إسرائيل** إلى **العقاب**". في هذه الآية إشارة إلى تعميم الخطاب لكل من

[١]- شاه ولي الله الدهلوي، **إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**، تصحيح ومراجعه، سيد جمال الدين هروي، ١: ١١١، ١١٢.

بني إسرائيل وغيرهم وأن الله يعذبهم مثل الكفار، فانتزعنا من أمثال هذه الآيات أن فكرة نزول المسيح لقيام الدين، إنما حدثت من الشياطين المنكرين لنبينا عليه السلام، ووقعت في شبكهم عامة المفسرين، ثم عامة المحدثين والمتكلمين لعدم فهمهم مسئلة سياسة القرآن الاجتماعية على أمثال طريقة الإمام ولي الله، وإنما ينظرون في قيام الدين إلى رجال مخصوصين من بني إسرائيل أو بني إسماعيل، وهذا من عاداتهم التي تعوّدوا عليها، ليس له أدنى تعلق بالدين. هذا ما ظهر لنا وما أردنا إلا الخير، فإن كان خطأ يغفر الله لنا ثم الحمد لله. قوله: "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**" فسر التجارة بقوله "**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**" معنى **تؤمنون بالله** الإيمان بالقرآن، ومعنى **وبرسوله** تقتدون في العمل بالقرآن بحزب الله الذي رأسه رسول الله. "**وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ**". البرنامج التفصيل الذي أتى به القرآن لغلبة دينه على الأديان كلها فتصرفون في أموالكم وأنفسكم. هذا تفصيل التجارة، إذا فعلتم هذا فما يحصل لكم؟ يحصل لكم أمران: الأول:" **تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**." إذا كان الإنسان يعمل بشيء لاتقتضيه فطرته، وأما إذا كان أمر شديد، لكن تقتضيه طبيعتنا، فلا يكون في اتباعه عذاب، فالدين الذي يقيمه القرآن هو دين أبيكم، إبراهيم، دين الحنيفية الذي تحبونه من قلوبكم وقوالبكم. الثاني: "**يغفر لكم ذنوبكم**". تفكرنا كثيرًا في معرفة الذنوب والطاعات وصغائر الذنوب كبائرها وعوازم الطاعات ونوافلها، فرأينا أن الحياة الإنسانية لاتكون مجردة للذنوب أو الطاعات إلا شذوذًا، لايلتفت إليه عامة الإنسانية مبتلاة بالطاعات والذنوب مختلطة. أولا رأينا في أنفسنا نجتهد بصحبة الصالحين وأخذنا بالدين أن نعمل الصالحات في أثناء ذلك يأتي الإنسان بذنوب لايقدر أن يذكرها عند أحد، فما وجدنا ذلك خاصة في أنفسنا فقط. كلما تفحصنا حياة الكبار، نجدهم كذلك إلا طائفة مخصوصة لا اعتبار لها في عموم الإنسانية، فتحيرنا كيف يقدر الرجل أن يجتنب من الذنوب، ولمثل هؤلاء المفكرين أوجد الأديان مسئلة الكفارة أو مسئلة الشفاعات، لكن الرجل الحكيم لايطمئن بذلك، لأن الشفاعة أيضًا تكون نتيجة عمل من الأعمال، ما كتبه الملائكة إنما يعلم الرب، فالله لايضيع عمل عامل منا، فيأمر رجلًا له اختصاص بنا، فيشفع لنا يبين له أن هذا الرجل أراد كذا وكذا لنصرة طريقتك، لكن الناس لايعرفونها منه، فينشرح صدر الشفيع فيشفع له بذلك، وبتلك النظرية ينتظم جميع النصوص، لأن الشفاعة بدون الإذن لايمكن، والله لا يأذن لرجل ويترك آخر إلا لحكمة، فكل ذلك يرجع إلى أعمال ذلك الرجل، فالتخلص من الذنوب ليس له دواء وشفاء لامسئلة الكفارات ولامسئلة الشفاعات، فزاد تحيرنا بعده. نحمد ربنا. فهمنا المسئلة بوجه آخر. العبرة للخواتيم. سلسلة أعمال حياتي يكون سببًا لما بعده، فالحكم عليه بأنه ذنب أو حسنة لايستحسن باعتبار الصورة فقط كما دخل في عاداتنا بل ننظر إلى أن هذا الفعل ما كانت نتيجته بعد؟ فإن كانت نتيجة حسنة فالذنب مغفور، وصورته الظاهرية لايلتفت إليها، فإذا قتل الرجل في آخر حياته أو تقدم لتعرض قتله في سبيل الله، فلايكون حياته كلها سعيدة يغفر جميع ذنوبه ولايلتفت إلى صورها الظاهرية لأن نتيجة النتائج هو هذا العمل الحسن، فبذلك اطمئن قلبنا.

الرجل السعيد من ختم له بالسعادة، فهذا معنى قوله يغفر لكم ذنوبكم. كل ذنب كان قبله كله صار مغفورًا له، فإن رجع بأجر وغنيمة وحياة مستأنفة وإن قتل عندنا يكون مصداق قوله ويدخلكم جنات الآية، وعندنا الرجل إذا قتل في المعركة وكانت نيته صحيحة فهو شهيد غفر له جميع ذنوبه ويدخل على الفور في الجنة، هو لايمشي على طريقة تمر على البرزخ والمحشر إلى الجنة بل يدخل الجنة على الفور ويكون مستريحًا من جميع المصائب، فإن كان رجل صلاحيته الروحانية لقيام الجنة ناقصة، فيدخل في أجواف طيور خضر ويتمكنون من دخول الجنة، وأما الذين صلاحية نفوسهم تامة فيكون لهم في الجنة حياة مثل حياتهم في الدنيا، هذا معنى قوله "**جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**." هذه المسائل ما رأيناها مصرحة من أحد من أهل العلم، لكن الحكمة التي أخذناها من الإمام ولي الله، صارت سبب هذه الكفرة، والجماعة التي تبقى بعد الشهداء تكون غالبةً في الأرض، وهذا أيضًا يحبه المجاهد وهو معنى قوله **وأخرى تحبونها** الخ هذه النتائج الحسنة التي حصلت من تلك التجارة أجملها في قوله "**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**" قد اشتهر في الناس أن دين عيسى بن مريم ليس فيه قتال ومقاتلة، هذا خطأ. أرباب الأناجيل صرحوا بنص المسيح على خلاف ذلك. ننقل إحالته إن شاء الله. نعم في دين بوذا ترك القتال ألزم، لكنهم أيضًا اقاموا الحكومة، وكان حكومتهم قبل الإسلام في الهند عامة شاملة لجميع أقطار الهند. في زمان ملكهم اسمه اسوكا، وبعد ذلك ما غلب على جميع بلاد الهند إلا السلطان محي الدين عالمگير، والنصارى أيضًا لما وصلوا إلى الحكومات، قاتلوا وقتلوا، فالنهي عن المقاتلة في بعض الأحيان إنما يكون للتمرين والتهيؤ للقتال. منبعها جاذبة الغضب في الطبيعة الإنسانية، فتمرينها تحت القواعد الشرعية لازم، فإذا لم يمتنع الرجل عن القتال إذا منع، فقتاله ليس اتباعا لأمر الله، بل قضاء شهوة النفس، فالمقامات العالية التي تترتب على الجهاد والقتال، إنما تكون إذا كان استعمال تلك القوة تحت أمر الله، ففي زمان التمرين يمنعون عن القتال، وكذلك إذا كانت قوة المخالفين أكثر، فإذا لم يجمع القائد قوة يغلب على ظنه أنه بتلك يقدر على المحاربة، ويمكن له أن يفوز، لايدعوهم إلى القتال أبدًا، ففي تلك الأوقات الخاصة، يكون القتال ممنوعا، فمن جعله عامًا في ديانة المسيح، فهو مخطئ، وكذلك من جعله لازمًا في ديانة بوذا، مخطئ أيضًا. "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ الله** الخ" أول فرض الحواريين كان تبليغ كلمة عيسى إلى جميع طوائف بني إسرائيل، ثم إلى جميع بني آدم، وبعده آمنت طائفة من بني إسرائيل وغلبوا على الحكومة الشرقية لروما وأدخلوها في النصارى، وكفرت طائفة بعد التبليغ، فأيد الله الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين، فكانت أرض الله كلها منقسمة بين رجلين: كسرى وقيصر، فكانت النصرانية غلبت على نصف الأرض مع مركزها، وهذا كله كانت نتيجة المقاتلة، ففكرة عدم القتال لاتلائم السياسة المسيحية. هذا حاصل الآية الأخيرة. مطالعتنا في السياسة الهندية ابتدائها من زمان كنت ابن عشر سنين، وعلى مقدار ارتقائي بالتدريج كنت أتقدم في المطالعة، فالإنكليز الآن حاكمون على ثلثي مملكة السلطان عالمگير، والثلث الأخر تابع لهم بواسطة الرؤساء

الهنديين، عائلات أكثرهم من بقايا أمراء السلطان عالمگير، هم جاؤوا من بعيد وما اتخذوا الملك مسكنًا لهم، ففتحهم تلك البلاد أعجوبة في التاريخ. تكلم معنا واحد من المؤرخين الهنديين فقال: الإنكليز استعمل الهنديين خلاف الهنديين، ففازوا، لاترجع إلى فضيلة فيهم، بل إلى صنف في الهنديين. قلت لا. الإنكليز مأة سنة جاهدوا في تسوية طريق البحر إلى الهند وغلبتهم على جميع من يعارضهم في البحر وكل ذلك كان بقوة من أنفسهم، ففي تلك السنين كم رجال قتلوا وكم أموال أنفقوا، وبعد ذلك دخلوا الهند، فطالعوا ذهنية البلاد وعملوا بالحكمة بجذبهم طبقة الضعفاء إلى أنفسهم، ومضى على ذلك أيضًا مأة سنة، ثم حاربوا الأمراء وخربوا بعضهم مع بعض، فأنا أعترف بقوة عملهم وحكمتهم في فتح الهند.

مسئلة أخرى أنا كنت متحيرًا في حلها. لو علمنا أن القوة الاجتماعية في أهل الهند ماتت، فما كان في قلبي التحير، بل كنت أحكم على الإنكليز أنهم لماذا لم يتغلبوا على الهند كلها، لكن علمي في ذلك أن القوة الاجتماعية في الهند موجودة على حالها، لكنها نائمة، ففي تلك الحالة إذا حارب الإنكليز قطعة حقيرة حاكمة في القوم، فغلبوا على الحكومة. كان الواجب أن يستيقظ القوم ويستمر القتال بينهم إلى أن يفني أحدهما. والأمر في الهند بالعكس. نذكر لكم قطعة من تاريخ بنجاب. أنا بنجابي الأصل وقومي في اقوام البنجاب ذو قوة، وأخذ الإنكليز البنجاب من قومنا الحاكم على القوم، قبل ذلك كان متيقظًا، فاستعان برجالنا بوليون، فنظم جنوده على أحدث نظام في أوروبا، وكانت الجنود وكالانقلابيين، فبعد موت ذلك الحاكم، حارب القوم مع الإنكليز، وهم غلبوا عليهم بعد اربع أو خمس من المعارك. كان هذا في ١٨٤٨ء. المسيحية الآن تأتي بعجائب القدرة. تلك القوة القاهرة صارت مطيعة للإنكليز، والإنكليز استفادوه منه في سلطتهم عل الهند. بعد تسع سنين مع تلك الواقعة، قام سلطان الدهلي بمقاومة الإنكليز وطوائف من الأقوام الهندية اجتمعوا تحت رأيته في الدهلي تأثرا من اسمه فقط، وإلا ما كان في بيت أمواله شيء ينفق على الجنود، فجمع ملايون من الروبيات واجتمع ألوف تحت أمره، وما بقي في الهند رجل له حكومة إلا وهو قدم عريضة على الملك أنه تابع له، والإنكليز فاز على تلك القوة بعد معارك نحو سبعين معركة في طول سبعة أشهر، وغلبوا على الدهلي، فالقوة من أين جاءت عند الإنكليز؟ هذه هي قوة بنجاب فقط، وأيدتها حكومة كابل برجالها لأن الحملة على بنجاب إنما كان يمكن من كابل، فأمير كابل أيضًا جاء إلى معركة الدهلي دوست محمد خان، فهذا الذي أدهشني، ما كنت أقدر على حلها، ما الحكمة في ذلك؟ رجال بنجاب إلى الآن مثل الأسود ولهم افتخار بقوميتهم، فأين ذهبت قوتهم في مقابلة الإنكليز؟

مقصدي: الغلبة على الهند للإنكليز حصلت بالمحاربة وبقاء حكمهم بالدعاية الحكمية. هذا الذي اطمأن خاطري عليه، وكله بعد مداخلتنا في مطالعة السياسيات العالمية، وعندنا الآن الدعوة والدعاية أقوى من المحاربة والمقابلة، وإنما خسرنا لمقابلة الإنكليز لأننا كنا نعتمد على المقاتلة فقط، ولم يكن للدعوة والدعاية قيمة عندنا، وبعد ما عرفنا قيمة القوتين، حكمنا بما حصل لنا من العلم التفصيلي.

الدعاية أقوى من المحاربة، فالآن نصلي على نبي الله عيسى بن مريم الذي دعا الحواريين في زمان ضعفهم إلى الدعاية فقط، وما التفت إلى الحكم أنتم تقاتلون أولا؟ والقرآن أمرنا في آخر سورة الصف التي كلها مبنية على الدعوة إلى الجهاد، فدعانا في آخرها **كونوا أنصار الله** الخ فانتهى الأمر بالقتال إلى الأمر بالدعوة، لكننا لم نتنبه لذلك إلا بالألفاظ والأسماء. ولما اجتمعنا عند شيخنا في ديوبند في سنة ١٣٢٧ء فأسسنا جمعية اسمها الأنصار، لكن ما وصلنا إلى روح دعوة الأنصار إلا بعد ما اطلعنا على سياسة انقلاب أوروبا، وكنا متفكرين في طريق الدعوة والدعاية، وإلى الآن لم نتمكن على أن ندعو الناس إلى حكمة الإمام ولي الله لا إلى فقهه وكلامه وحديثه إلا تبعًا بقدر الضرورة، وبعد الحكمة يتفرع منها سياسيته الاجتماعية. هذا لازم، فهو يجعل مركز الحركة الإسلامية هدم كسرى وقيصر، أي والإمبراطورية والرأسمالية، ومن تفاصيل برنامجه يحصل لنا شيئان: ١- تحريم الربا منصوص في كتاب الله، وحكمته هو رد الظلم من الاجتماعيات فصلها في **حجة الله البالغة**. ٢-كون الأراضي مفتوحة للمسلين كلها من الأندلس إلى الهند ومن تركستان إلى الحبشة كلها وقفًا على المسلمين لاملك فيها لرجل ولا لبيت ولالقوم ولالسلطان، فصلها في **إزالة الخفاء** [1]وبعد ما حاز الإنسان على حكمته الاجتماعية، يتفرع تحتها الحكمة الإلهية. هي تجمع حكمة جميع الأديان تحت فكر واحد. الاختلاف ليس اختلاف الصورة عند الأئمة، ثم في الطبقة الثانية يختلط معها الجهل والكذب فتنشأ القوميات، ولا فالإنسانية شيء واحد لايتجزى، فلو تقدم جماعة مختصرة إلى فهم تلك الحكمة العالية الإلهية، لنفعت الإنسانية، وتكون مؤيدة لبرنامجنا السياسية، فلو قدرنا على تنفيذ تلك الدعوة في قلوب المستأهلين لذلك من أهل الهند، فبعد ذلك قوة قليلة تكفي لنا في الخروج عن ربقة إطاعة الإنكليز، لكننا نحن وإن قرأنا وأقرأنا، لكن نبهنا الناس على روح تلك الحكمة، لأننا كنا غافلين.

١- اسم لكتاب ليس في ن م.

٤٠

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

"**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا ... الْحَكِيمِ.**" معنى هذا يأتي في هذه السورة. التبليغ الذي ينتج إلى أن الملك لله، وهو قدوس في جميع أحكامه وقضائه، ويكون فيه أوامر يطلب بذلك تكميل ملك الله، فلايوهم أن ذلك لاحتياج الله إليه. إنما هو لتكميل حوائج الإنسانية فقط وإلا فالله يسبح له ما في السموات والأرض. "**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ... ضَلَالٍ مُبِينٍ.**" وفي هذه الآية بيان فرائض الرسول الأربعة:١- "**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**" تصحيح العبارة وتفهيم المعنى الظاهر من لوازم التلاوة، فالذي جروده الآن من حكاية آيات القرآن بدون تفهيم الترجمة، ليست بتلاوة، وهذا تحريف لكتاب الله. ومبدأ ذلك من السلاطين ووزرائهم السياسيين هم لا يحبون أن يعلم المسلمون ما أنزل إليهم من ربهم، فإنهم إذا علموه يجعلون الحكومة عليهم مشروطةً به، وكل سلطان يخالفه يعزلونه، وإذا لم يكن لهم علم بمعنى كتاب الله، فالسلطان ظل الله في أرضه، فإن كان الشيطان يقول على رأسي! والسلطان لايكون ظل الله في أرضه إلا إذا أقام دين الله وأحكامه، وإذا أقام الطريقة الشيطانية، فهو ظل الشيطان. هذا الذي شرطناه في معنى التلاوة، أخذناه عن الإمام ولي الله، وفسره شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم حتى فهمنا مقصود الآية "**ويزكيهم**" التزكية معناها تأثر الأخلاق الإنسانية بتعليم القرآن، وفي القرآن آيات محكمات هي تفسير نفسها. إذا علم الرجل ترجمتها بلسانه، يحيط بمفهومها، فإذا انخصع لذلك الأمر، وافقه عليه عقله وقلبه ونفسه. اللطائف الثلاثة البارزة التي اتفق عليها كل من اعتنى بتهذيب الأخلاق، ويجذب تلك اللطائف علم المحكمات، ونتلوّن بذلك. هذا معنى التزكية، وهذا يكون بصحبة الأستاذ، فالنبي عليه السلام في شخصيته قوة تأثيرية، كل من يصحب معه ويسمع كلامه بالاستسلام، هو يشرح صدره باتباعه. وكانت تلك القوة في النبي متعدية، فالذين يتعلمون عليه ويكثرون الصحبة، تحدث فيهم قوة تأثيرية على مناسبة مزاجهم، فطريق تعليم القرآن ما كان الأخذ من الصحف، بل التلقي من الشيخ، والشيخ يكون صحبته في التلقي مسلسلة إلى النبي عليه السلام، يعني هو استفادة بالواسطة من القوة التأثيرية للنبي عليه السلام، وشهد له شيوخه أنه أهل لتعليم القرآن وهذه الطريقة انقطعت في زمان شرعوا في حفظ ألفاظ القرآن بدون تعلم معناه.

إيضاح ذلك : نعرف القرآن تعلميًا انقلابيًا عالميًا، والنبي مركز ذلك الانقلاب، وقد رأينا إذا كان الشيخ انقلابيًا ويريد أن يعلم برنامج انقلابه للمخاطبين، فهو يجتهد بكل قوته أن يوصل إلى قلب كل سامع ما في قلبه من قوة الانقلاب، ثم الذين أخذوا من ذلك الشيخ، ينشأ فيهم أيضًا تلك القوة، فلايكون ذلك إلا لكون البرنامج انقلابيًا وإن لم يفهم المخاطب ما يريد هذا الأستاذ، ولم يتيقن أن الضعفاء المظلومين يقتدرون أن يحكموا على الظالمين. إذا هم راعوا ذلك البرنامج، لايكون لتعليم الانقلاب معنى، ونحن

لانقدر أن نفهم من لم يعرف ترجمة القرآن بلسانه، وإنما نريد المحكمات، لأن المتشابهات لاينتهي البحث فيها عند العلماء أيضًا، فعامة الناس ليس لهم حظ في المتشابهات، وأما المحكمات مثل الملك لله ليس واحد من الملوك مالكًا لرعاياه، حتى يجوز له التصرف فيهم كيف يشاء. إنما هم مأمورون بتنفيذ حكم الله في عباده. تلك المسئلة واضحة والقرآن ينص عليها بتعبيرات وعنوانات مختلفة حتى يفهمها كل رجل. مثال آخر للمحكمات أن هذا الدين يريد إقامة العدل والإحسان الذين هما أركان التقوى بلغة القرآن في الدنيا بدون الرعاية لأحد، والحساب في ذلك يكون بيد الله، وكل رجل إذا لم يتبرأ عن محاسبته في أعماله، ليس له حق أن يجعل نفسه مقدسًة. هذا أمر واضح في القرآن. الإيمان بيوم الدين وتفسير يوم القيامة بتعبيرات مختلفة وكون الظالمين لاينصرهم أحد، ولايكون في تلك المحاسبة جبر على أحد، كل أحد يعترف بتقصيره، ثم يجازي به، فمن لم يؤمن بيوم الدين لايكون مسلمًا ولامؤمنا. هذا أمر سهل يفهمه كل أحد، فإيصال تلك المقاصد العظيمة إلى قلوب عامة الناس، إنما يمكن من أساتذة انقلابيين دون غيرهم، فالرجل إذا كان عالما كبيرًا وليس انقلابيًا، فهو لايلفظ بكلمة إلا من حصل علومًا كثيرة، وله استعداد تام لفهم تحقيقات ذلك الأستاذ، وأما العالم الانقلابي، فليس له مخاطب في الأرض إلا من حرم عن مرافق الحياة. الحكام ضيقوا عليهم حتى لا يتعلموا العلم ويعلمون لهم مثل الحيوانات في جمع مرافق حياتهم، هؤلاء هم المخاطبون الأولون للرجل الانقلابي، فيكون له قوة بيانية بلغت إلى أقصى الدرجات، فهو يقدر أن يوصل المفهوم العالي إلى قلب كل رجل بتمثيلاته البالغة. هذا الذي جربناه نجعله أنموذجًا لتعليم النبي عليه السلام القرآن، فنفهم جميع المسائل بسهولة، وكيف كانت فيه القوة التأثيرية، وكيف كان الناس الأميون في صحبة واحدة يأخذون عنه أصول دينه.

مثال ذلك أنا ما رأيت شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم، لكن صحبت أصحابه وعرفت بتفصيلات حياته وقرأت كتبه فقط، وفي الآخر رأيت أنه شارح عظيم لحكمة الإمام ولي الله. هو كان يتكلم بالمسائل الغامضة من حكمة الإمام ويوضحها في المجامع العامة تجمع أخلاطًا من الناس من المسلم والهنود حتى يجزم أكثر من يسمع كلامه أنه تحقق ذلك. في فرق في ذلك للنصراني ولا للهندي ولا للعام ولا للخاص، وكان شيخنا مركز القوة الجهادية لجماعة، فنعرف بذلك أنه كان انقلابيًا. هذا كان حاله، ثم نرى رجلًا آخر من أقرانه مولانا رشيد أحمد الديوبندي[1]. أنا أخذت عنه، وله تلاميذ كثيرون، أخذوا عنه الحديث في جمعه للعلوم الدينية وتحقيقه على طريق الإمام ولي الله الدهلوي. ما كان دون مولانا محمد قاسم بل يفوقه في بعض كمالاته، لكنه هو كان يصرح أن رغبتي في الجهاد إنما كان برفاقة

[1]- لينظر: هو الشيخ المحدث رشيد أحمد بن هداية أحمد بن بير بخش الرامبوري الكنكوهي ,كان يتمتع بأوصاف العلم والعمل،كان أصله من رامبور، أخذ الطريقة عن الشيخ إمداد الله التهانوي ثم تصدر للتدريس بكنكوه زقضى كثيرا من وقته في الحجاز ولازم الشيوخ.(الحسني، **نزهة الخواطر**، ٨: ١٢٣٠.)

مولانا محمد قاسم فقط، فلما توفي ما جاء هذا الفكر كثيرًا في بالنا، ولو كان هو حيًا جرينا إلى ذلك الميدان. هذا معنى كلام الشيخ، فعلمنا منه أنه ليس انقلابيًا، فالاستفادة منه لا يسهل لكل أحد. الرجل يكون حاويًا للعلوم وكالمقلد للشيخ، فيستفيد ذلك الإفادات لاشك أنها عظيمة، لكنه لاينفع في باب الانقلاب أو في شيء، ثم جاء شيخنا شيخ الهند لانسبة له في كمالاته مع الشيخين، لكنه كان انقلابيًا على طريقة شيخه مولانا محمد قاسم، وكان من الابتداء حفظ عن شيخه ما يتعلق بالانقلاب، وشيخ شيخنا رباه لذلك، فمع كونه نازلًا عن درجة الشيخين، كان رجلًا انقلابيًا، يجلس معه ولايعترف له بأنه لا نظير له في ذلك الباب سواء في ذلك جماعة الشيوخ وجماعة الأحرار الذين تخرجوا من عليكره. لما سرى الانقلاب إلى أحرار عليكره ما كان انقلابيًا، بل كان يمشي على موافقة الحكومة الحاكمة، فاحتاج الأحرار إلى إمام لهم، فكان في الهند كبار الانقلابيين، فانضم إليهم الحر النشيط من عليكره وهو مولانا حسرت موهاني[1] دخل في جماعة تلك من كبار الانقلابيين، ثم لما كثر الأحرار في عليكره وما كانت غيرتهم تبيح لهم الانضمام إلى الانقلابيين من الهنود، فالتمسوا رجلًا من علماء الهند ومشايخها يجعلونه مقتدى في الانقلاب، ثم يشتركون مع الهند، فمولانا محمد علي و شوكت علي بايعوا مولانا عبدالباري من أتباع مولانا عبد الحي اللكنوي، ورجوا منه أن يكون لهم إمامًا في الانقلاب. هو كان رجلًا صالحًا عالمًا، لكن ما كان انقلابيًا وكان له اتصال مع بعض كبراء المسلمين الذين يلاصقون مع الإنكليز دائمًا، فكان سهلًا للإنكليز أن يعلموا ما يريده محمد علي، وهذا شوكت علي أخوه ليس انقلابيًا، لكن أكبر منه، فعرف الناس اسمه أيضًا. أما الانقلابي، فكان هو محمد علي، هو بعدما فرغ من عليكره دخل في جامعة أكسفرد وكان له ملكة في الأدب الإنكليزي. نوابغ الإنكليز أيضًا لايقدرون على مقابلته، وهو كان عارفًا بمركز الإمبراطورية الإنكليزية، وبالصدفة كان الدكتور الأنصاري أيضًا كان يكمل الطب في الإنكترا، وهو رجل معتدل انقلابي قح، فإذا انضم معه محمد علي وهو شعلة من نار، ليس في ذهنية الإنكليز أن رجلًا في إمبراطوريتهم يغلب على ذهنية هذين. هذا أساس القوة الأحرارية في الهند، فلما يئس محمد علي من مولانا عبد الباري، وقبل ذلك عرفني شيخنا بأحرار عليكره فاجتمعوا علي حتى أكون لهم إمامًا. الشيخ شبلي أستاذ محمد علي في عليكره وكانوا في الحركة الانقلابية متشاركين. معه كان مولانا أبوالكلام، اجتمعنا في بيت الحكيم أجمل خان في الدهلي، فبحثوا عندي في مسئلة إمام للمسلمين في الهند، وأنا كنت أعرف مقصدهم، فوجهوا الكلام علي وقالوا إن شئت نحن نقدمك، فأنا رددت عليهم. ثم صاروا يبحثون عن رجل ديوبندي أفوق وكانوا يعرفونني أني في مسئلة الانقلاب فائق

---

[1] - كان حسرت الموهاني (١٨٧٨ء-١٩٥١ء)من الشعراء للقرن السابق وكان ركنا لحركة الحرية الهندية، وكان له ذوق في الشعر منذ الصغر وكان يري كلامه الأستاذ تسنيم اللكنوي، وقد أجرى رسالة باسم أردوى معلى من علي كره سنة ١٩٠٣ء، ويلقب برئيس المتغزلين. (لينظر: بروفسور ثريا حسين، **حسرت موهاني،** (علي كره: على كره الجامعة الإسلامية).

عليهم، وهم يعتقدون أن مركز الانقلاب ليس إلا عليكره أنا لا أعرف كلمة من الإنكليزية، فبعثوا رجالًا يبحثون عن حياتي، فلما علموا أنا من تلاميذ مولانا محمود حسن، تعجبوا من ذلك، وهو أستاذي في الانقلاب، ما صدقوني في ذلك، فرجعوا للقاء شيخنا حتى يعرفوا هل يعرف الانقلاب، فجاء أولًا حسرت موهاني إلى ديوبند، وجلس مع الشيخ وبحث في أشياء. أنا ما كنت حاضرًا في ذلك المجلس، ثم رجع إلى عليكره وقال إني رأيت أكابر انقلابيين من الهنود، وليسوا بالنسبة إلى مولانا محمود حسن[١] إلا كالأطفال، ثم جاء شوكت علي[٢] لرؤية شيخي، وأنا كنت حاضرًا في ذلك المجلس. هو كان جرب أولا مولانا عبدالباري[٣]، فاطمئن خاطره بالكلام القليل والأنصاري والحكيم أجمل خان[٤] كانا من الأصل من أصحاب شيخنا، فلما تبين لأحرار عليكره اتخذوه إمامًا، وهم الذين عرفوه باسم شيخ الهند إلا واحدًا من الشيخ لايقدر أن يسمي شيخه شيخ الهند، ويسكت عن ذلك الناس، بل يقيمون مقابلة اثنين وثلاثة كل واحد اسمه شيخ الهند. أنا كنت مترددًا في فلاح تلك الحركة لأن إمامة شيخي تربى على طريقة الإسلام وإن كان روح الانقلاب أكمل فيه من غيره، لكنه لايصير مقتدى في البرنامج الانقلابي، وفي بعض الأوقات يختلفون فيما بينهم في أمر غير ضروري، ويؤدي ذلك إلى الانقطاع، فكنت أحب أن يفوض الشيخ إمامة الانقلاب إلى رجل من الأحرار مثل الدكتور الأنصاري. هو وعائلته كلهم من المبايعين للشيخ، فتقديم تلميذه على نفسه لايكون صعبًا على الشيخ، فلو رضي بذلك الشيخ، كان أحمد للعاقبة، وأنا كنت أتحين الفرصة لعرض الفكر على شيخنا، فأظهرت ما في ضميري في وقت الفرصة بكلام يلايم طبيعة الأستاذ، فسمع كلامي وما تكلم بكلمة. أنا ما فهمت إلى أي جهة مال الشيخ، ثم دعا الشيخ إلى الدهلي في بيت لأنصاري، فأشار إلى أنه مائل إلى قبول فكري، وبعد ذلك حدثت اتفاقات، وذهب محمد على إلى ديوبند، فأرسل إلى الشيخ تعيين الوقت للقائه، وكان في ذلك

١- هو الشيخ محمود حسن ولد سنة ١٨٥١ء وتوفي سنة ١٩٢٠ء، يلقب بشيخ الهندقرأ الكتب الابتدائية على يد عمه مهتاب علي، وكان أول طالبا بدار العلوم ديوبند، بعد فراغه من التعليم هو قام ضد الإنكليز لتحرير الهند وقد تحمل في هذا السبيل المكابد والمشاكل وقد أجلي وأسر في مالتا. (لينظر: الحسني، المصدر السابق، ٨: ١٣٧٧.)

٢- كان مولانا شوكت علي قومياً إسلامياً هندياً وزعيم حركة الخلافة. كان شقيق مولانا محمد علي. ولد عام ١٨٧٣ في ولاية رامبور فيما يعرف اليوم باسم ولاية أوتار براديش. كان جميع الإخوة قائدين بارزين لحركة حرية باكستان.

٣- مولانا عبد الباري فيرانجي ماهالي (الأردية: مولانا عبد البارى فرنگى محلى) ، (مواليد ١٨٧٨ ء- ١٩٢٦ء) هو باحث في فيرانجي محل،انتقلت عائلته من سهالي إلى فرنجي محل حوالي عام ١٨٩٥ء، وكان مولانا عبد الباري من المتحمسين الحركة الخلافة.

٤- هو الحكيم أجمل خان(١٨٦٨ء-١٩٢٧ء)كان طبيبا شهيرا في الطب اليوناني، ولي في الدهلي، قرأ الطب على يد أخيه الحكيم محمد واصل خان وطار صيته في هذا الفن، كان يتحمس للاتحاد بين الهنود والمسلمين.

السفر الحكيم أجمل خان وأبو الكلام مصاحبين لمحمد علي، وهما كما سئل الوقت للقائه، فالشيخ قرر لهم الوقت، وهم فرغوا من زيارته. بعد ذلك جاء اقتراح من محمد علي لتعيين الوقت لزيارته، فالشيخ أجاب أنك أنت لاتأتي إلي بل أنا آتي إليك، وفوض إليه في ذلك المجلس إمامة الانقلاب في الهند، فانتظم الأمر وجرى على المجرى، فنحن بصحبتنا لشيخنا الانقلابي، عرفنا طريقة الانقلابيين في التعليم والتبليغ، ثم أتممنا ذلك بما وصل إلينا من مولانا محمد قاسم، ورأينا قبله مولانا محمد إسماعيل الشهيد يمشي على هذا المنهاج، فكان تقرر عندنا شيء لكن ما قدرنا على جعل ذلك الطريق أعظم من الآخرين، لأن أصحابنا رجال غير الانقلابيين أرباب الفضل والكمال، فما نقدر على تقديم الانقلابيين على غيرهم كما كان حقه وإن كان شيء من ذلك، فنرجعه إلى الاقتضاء الطبيعي الخصوصي. مثلا أنا كنت أحب شيخنا شيخ الهند أكثر من حبي لشيخنا رشيد أحمد، وهو في منزلة المشايخ لشيخنا، فنحمل هذا الأمر على خصوصية طبيعته لا إلى جعل الانقلابيين فائقًا على غيرهم. هذا كان حالنا في الهند، فلما تداخلنا في السياسيات الأورباوية، تم العمل في معرفة الانقلاب، ولانجعل بعده الانقلابيين مثل غيرهم، فطريق تعليم الانقلابيين هو النموذج لتعليم النبي ﷺ القرآن وتزكية الأخلاق. هذا أمر سهل على الانقلابيين أن يفهموه. إن الرجل إذا صحب انقلابيًا وسمع خطابه وهو يفهم أنه أدرك مقصد هذا الأستاذ، لكن روح الانقلاب ما تأثر به ذلك الرجل، هل يقبله الأستاذ الانقلابي تلميذًا له؟ كلا! هكذا إذا كان النبي يتلو عليهم آياته ويرى أن المحكمات القرآنية لاتصل إلى قلب هذا الرجل، يجعله النبي ممن لم يتزك بتعليمه، وأما من أخذ بروح الانقلاب بقدر استطاعته، هو ممن تزكى. "**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**." انقلاب لايتم إلا إذا هدم الباطل المتقدم مبنى الظلم على المساكين، وبنيت الحكومة الاجتماعية القائمة على أساس العدل، وفي جماعة الانقلابيين طائفة كبيرة تقدر على تعمير تلك الحكومة، ويكون معهم طائفة صغيرة يردون هذا التعليم كله إلى اقتضاء الفطرة الإنسانية، وهي المعبر عنها في لسان القرآن بالحكمة، فإذا انتظمت الحكومة الاجتماعية العادلة، واطمأنت قلوب الناس أنها تتبنى على أساسات هي مقتضى الفطرة الإنسانية، فلا يخافون انقلابًا في ذلك الانقلاب. هذا هو المراد عندنا من قوله "**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**.". الكتاب القانون المكتوب من تهذيب الأخلاق وتدبير المنزل والمعاملات بين الناس وسياسة المدينة والخلافة الجامعة لجميع الأرض، فالقانون الذي باتباعه يكمل الجماعة الاجتماع الإنساني إلى آخر درجاته، هو المكتوب في القرآن، وهو المراد من الكتاب. الناس عامة يزيدون في هذا القانون قولهم:السنة، ونحن نقول بعد الكتاب السنة لانجمعها مع الكتاب. النبي عليه السلام ما رضي أن يقول الخطيب ومن يطعهما أو يعصهما ويجمع الله ورسوله في كلمة واحدة، وما أجاز أن يقول الرجل ما شاء الله وشاء محمد، بل علمهم أن يقولوا ما شاء الله ثم شاء محمد، فهكذا نحن نجعل درجة سنة نبينا وسنة الخلفاء الراشدين بعد الكتاب. الإمام ولي الله صرح بأنه قدر أن يستنبط جميع أحاديث النبي عليه السلام المتعلقة بأحكام الصلوة كلها من كتاب الله، وأراد أن يدون في ذلك

رسالة، فإذا كان هذا حكمنا لرجل من أمة محمد، فإذا اجتمع جماعة من الحكماء لا الفقهاء فقط، هم يقدرون أن يستنبطوا جميع سنن النبي من القرآن، فيكون درجة القرآن درجة المتن وسنة نبينا، وكذلك بعض سنن الخلفاء الراشدين، وكذلك بعده سنة فقهاء المسلمين كلها شارحة للقرآن في درجة واحدة، وإن كان بعضها أقدم من بعض. هذا الفرق بين الكتاب والحكمة، من أراد أن يفهمه فليراجع إلى **حجة الله البالغة،** هو فرد في بابه ولايغتر الناس بتفسير الإمام الشافعي السنة بالحكمة، فهم يفهمون من ذلك أن هذه مجموعة الأحاديث هي الحكمة القرآنية على تفسير الإمام الشافعي وما نفهمه من كلامه أن السنة كانت عمل النبي عليه السلام بحكمة القرآن، فكان كله مستنبطًا من القرآن، لكن على أصول الحكمة، ونحن نصرح بأن مشايخنا وإن كانوا حنفيين، فأما من المجدد الأول الشيخ أحمد السرهندي استفاد من روحانية الإمام الشافعي مثل ما استفاد من روحانية الإمام أبي حنيفة، وصار بعد ذلك كل ما رأى ضعفًا في الفقه الحنفي، أجبره بفقه الإمام الشافعي، وكذلك الإمام ولي الله الدهلوي استفاد طريقة استنباط الفقه من كتب الإمام الشافعي، وبتجديده قدرنا على ان نفهم عظمة الفقه الإمام أبي حنيفة وإلا فالفقهاء الخراسيون الذين هم مستند الروايات في فقه الحنفي لأهل الهند، جعلوها راجعة إلى محاورات جدلية. إذا قام رجل ذكي مجادل قلب عليهم جميع استدلالاتهم، لكن بعد ما استفدنا بواسطة الإمام ولي الله طريقة الاستنباط من الكتاب والسنة، ثم رجعنا إلى مصادر الفقه الحنفي، أصحاب عبد الله بن مسعود مثل الإمام النخعي، وجدنا ذلك الفقه قانونًا متينا يمشي مع جميع الانقلابات سويا، وذلك من فضل الله علينا والمتن في فقهنا كتاب **المسوى** للإمام ولي الله، فالكتاب تفسيره في **المسوى** والحكمة تفصيلها في **حجة الله البالغة** و**فتح الرحمن** بترجمة القرآن و**الفوز الكبير في أصول التفسير** يجمعها. "**وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**. "ليسوا أهل الكتاب يحفظون بذلك شريعة إسماعيل وإبراهيم، ودعواهم بذلك أنهم متبعون تلك الشريعة، ودخلت فيه من ديانة الصائبة وتحريفاتهم شيء كثير، وهم يحسبون كله الملة الإسماعيلية، فإذا تفكر رجل حكيم في حالهم، يظهر له أنهم في ضلال مبين. ونحن رأينا مثل ذلك جماعات من المسلمين على حدود الهند بعيدين عن المركز العلمي، كلهم يدعي أنهم على مذهب الإمام أبي حنيفة، وعلماؤهم وشيوخهم الجهلة أدخلوا رسوم الكفار كثيرًا، منها في المعمولات وهم يحسبون كلها مذهب الإمام أبي حنيفة. أنا كنت في السنة الأولى بعد إسلامي، أدور فيهم وآخذ الصرف والنحو عنهم، ورأينا علمائهم ماهرين في النحو. أما في الفقه فمثل الجهال، ثم لما انتقلنا على الديوبند وأخذنا الفقه الحنفي على علمائه، رأينا هؤلاء المساكين الذين على الحدود أجهل الناس بالفقه، وما قدرنا على تعيين طريق الإصلاح لهم. هذا نموذج عندنا أنهم كانوا في ضلال مبين. ثم رأينا بالتدريج يذهب طوائف من الطلبة إلى المراكز العلمية حوالي الدهلي، فيرجعون ورأينا فيهم التيقظ القوي، أصل عقيدتهم أنهم على مذهب الإمام أبي حنيفة، وإنما غلطوا بتلبيس الدجالين في تعيين تلك الطريقة، فلما تيسّر لهم الرجوع إلى الحق رجعوا إليه، فبذلك المثال يتضح كون الأميين في ضلال مبين، ثم استفادتهم من

النبي بالكتاب والحكمة. قوله:" **وآخرين منهم لما لم يلحقوا بهم**" منهم أي من الأميين ليسوا أهل كتاب معروفين بذلك، وهم الفرس، والمراد منه جميع الأقوام الذين كانوا تحت رياسة كسرى من خراسان وتركستان والهند الذين لسان أكثرهم اللسان العلمي الفارسي، فهؤلاء يلتحقون بالعرب ويعملون ما عمله العرب في نصرة الدين، فالإسلام في أساسه الأول كأنه دين الأقوام، وقد ذكرنا قبل أن أهل مكة المشركون منهم كانت غلب عليهم ذهنية الصائبة من الفرس، فهم رهنوا رهانًا في نصرتهم على الروم أهل الكتاب وجعلوهم مثل المسلمين وجعلوا أنفسهم مثل الفرس، فقطعتان من الأقوام الأول العرب الساميون يأخذون بالقرآن الساميون يأخذون بشرائعه عامة والأريون يأخذون بحكمة عامة يأخذون، فيتم بها نصاب الآخذين بالقرآن ويكونون مثلا أعلى للمسلمين، وقد تحقق مصداق ذلك في بغداد، اجتمع فيها العرب والفرس. "**ذلك فضل الله يعطيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم**." انتقل إقامة الدين الجامع من بيت بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، وإقامة هذا الدين في أطراف الأرض انتقلت من أهل الكتاب إلى الأميين، فكل ذلك فضل من الله بمقتضى استعداد الأقوام، فبنو إسرائيل وأهل الكتاب ضيعوا استعدادهم.

جملة معترضة

تعجبنا من بعض العصريين لنا، يفسرون القرآن من زعماء العرب، ففسروا تلك الآية، وآخرين منهم بالعرب المتأخرين وأخرجوا الفرس والعجم عن الجامعة الإسلامية، وذلك الرجل هو الشيخ رشيد رضا وغفل هو أو تغافل عن كتاب التفسير في **صحيح البخاري**، فسر النبي عليه السلام الآخرين بالإشارة إلى سلمان الفارسي، وذلك نعرفه من عملية السياسة الكاذبة يجعلون الإسلام دين الأقوام دينًا قوميًا مثل بني إسرائيل للعرب، والأسف أنهم يعرفون في الإسلام باسم الحكماء "**مثل الذين حملوا التوراة**" الخ أي اليهود وكانوا يرجون أن يكون مقيم الدين منهم لكنهم لايعرفون ما عملوا بالتوارة، لايفهمون شيئًا منها، وبحكاية ألفاظ التوراة يجعلون أنفسهم أهل التوراة ولايفهمون أن الانقلاب العالمي هل يقوم برجال جهال لايعرفون شيئًا من المقصد، فهم "**كمثل الحمار يحمل أسفارًا**." أنا لا أجد فرقًا بين الذين يقرؤون القرآن بدون فهم المعنى، وبين الذين يقرؤون التوارة بدون فهم المعنى. "**كذبوا بآيات الله**." الآيات الإلهية المتواترة في التوراة في كتاب كل نبي منهم أنهم إذا عملوا بأحكام التوراة، يكون الرب معهم، وهم يكونون قوم الرب، وإذا تركوا الأحكام يسلب عنهم ما كان عندهم من الحكم والتمكن من الأرض، هم يريدون تكذيب تلك الآيات، لايعرفون أحكام التوارة لايعملون بها، فإذا قدمهم الله على العالمين ما يكون قول الناس في أحكام التوارة بعد ذلك، فهم لا يستحيون ربهم. "**والله لايهدي القوم الظالمين**." الله بين لهم الطريق وبين لهم أن النجاح معلق بسلوكه، وهم تركوه، فكانوا ظالمين وبعده يريدون أن يهديهم الله طريقًا آخر. هذا لايكون أبدًا. أكثر الناس يتوهمون في تفسير مثل هذه الآيات أوهامًا غير

صحيحة، وليس معناها إلا ما بيناه، فإذا كان عند هؤلاء الظالمين طريقًا واضحًا، فتركوه بظلمهم، فهل يستحقون أن يلهموا طريقًا آخر. هذا هو المراد والله لايهديهم. "**قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا**" إلى آخر الآيات الثلث. يبين الله أنهم بأي ظلم استحقوا أن تخرج من بيتهم النبوة. الرجل الذي يتقدم لإقامة الدين، يكون انقلابيًا فوق الانقلاب السياسي. الانقلاب السياسي يريد الانقلاب في الحياة الإنسانية كلها، الدنيا والآخرة، فالذي يتقدم على إقامة الدين وإيجاد الانقلاب في الأديان كلها، هل يمكن أن يفوز بدون أن يكون عنده تهيؤ للقتال، فالذي يخاف الموت هو يتقدم إلى القتال؟ والانقلاب سياسيًا كان أو دينيًا–إذا كان عالميًا– يحتاج إلى قتال عظيم، فالقوم الذين لايتمنون التقدم إلى مواقع الموت إذا تعين ذلك لنصرة الحق، هل يقدر على إقامة الانقلاب؟ كلا! هذا معنى قوله: " **إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلهِ**" الخ يعني أن الله لايقيم مقيم الدين إلا منكم، لأن الناس ليس لهم ولاية لك، فإن كان هذا صحيحًا "**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ**" تقدموا إلى ميادين القتال لنصرة الدين، لأن الانقلاب لايقوم بالاصطلاح، فأحدهما يكون غالبًا إما الانقلابي وإما الارتجاعي، فبدون القتال لايكون الفصل بينهما. اخترع الناس أشياء في حل هذه الآيات، ليس لها أصل، لكن في بعض الأوقات يقبل المفسرون أشياء غير ثابتة، لأنه ليس عندهم حل لهذه الآيات غيرها. أخذنا عن شيخ الهند أن السكوت في مثل هذه المواضع أحسن. وهذه الآية تفسيرها موجود في القرآن في واقعة الأحد. "**وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ**" الخ فهذه إشارة إلى رجال لم يحضروا في بدر، فقالوا لو دخلنا في القتال مع الكفار في معركة أخرى، يرى الله ما نعمل، ثم تأخروا في واقعة الأحد، فإلى هذه الكلمات أشار "**ولقد كنتم تمنون الموت** " يعني الحضور في مواقع القتال، فمثل هذا ينبغي أن يفسر قوله: "**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ**" يعني تمنوه في مواقع القتال لنصرة الدين فلاحاجة إلى خرافات جمعوها في التفاسير. "**ولايتمنون أبدًا**" هؤلاء الذين استحبوا الحياة الدنيا ولتكميل مرافقها تركوا الدين وظلموا الناس هم يتقدمون إلى مواقع الموت؟ هذا لايكون أبدًا في قوم من الأقوام. "**والله عليم بالظالمين**". إنهم لايقدرون تحمل هذه المناصب وما يلزمها من المناصب، فكيف ينصبهم لإقامة الدين، والإنسان إذا نظر إلى فلسفة الإلهية التي درجتها فوق درجة الفلسفة الاجتماعية، فالموت والحياة تابعان لقانون ليس للإنسان دخل فيه، فبسبب خوف الموت يتأخر الإنسان عن مواضع تحصيل الكمال. هذا جهل بالحكمة الإلهية وهو عيب على أهل الأديان، لأنهم يجمعون بين الحكمة الإلهية والاجتماعية، فالفرار من الموت لايبعد الإنسان من الموت، فهو آتٍ في وقت لامحالة، وبعده يكون ابتداء الحياة الثانية، يرى الإنسان فيها نتائج الحياة الدنيوية، فإذا كان الإنسان ظالما في الحياة الدنيا، فتكون حالات الموت أقبح، وهذا القدر معلوم عندهم، فلايحبون أن يتركوا الحياة الدنيا، فلايستحقون أن يكونوا أئمة الانقلاب، ففي هذا تنبيه للمسلمين أنهم إذا اطمأنوا بالحياة الدنيا وتباعدوا عن روح الانقلاب الذي يبعث فيهم، تصير حالتهم مثل اليهود. "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ**

لِلصَّلَاةِ" الخ. ما تقدم كان فيه بيان ضرورة القتال والتهيؤ له دائمًا، والأمر الذي يكون أعظم من القتال هو دعوة الناس إلى القرآن، فقنن الله له قانونًا في كل أسبوع يومًا يجتمعون ويعلمهم الإمام ما يبلغون الناس من القرآن في ذلك الأسبوع، فالذين يحضرون الجمعة يعلمون أهل بيتهم من النساء والأولاد والخدام ويعلمون من حضر من أهل القرى أهل قريتهم، ثم كل رجل لأهل بيته. يكون كل المسلمين بذلك بالتدريج عالمين بجميع أحكام القرآن، فيخرج منهم رجال للقتال ورجال لإقامة القانون الحق ورجال لتزكية الأخلاق ورجال حكماء، فتكون الاجتماعية الإسلامية بالغة إلى أقصى مدارج الكمال يكون فيهم قدوة حسنة للأقوام الآخرين، وإذا غفلوا عنه يصيرون في الدرجة الثانية من اليهود أعني المنافقين. "**فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله.**" الظاهر المراد منه الخطبة، وهذا الاجتماع هو الاجتماع للخطبة وهذه الخطبة إنما يكون فيها الروح إذا كان الناس انقلابيين وكل يوم يحتاجون إلى التنبيهات الجديدة، وأما إذا تركوا الانقلاب، فلا تكون الخطبة إلا حكاية بعض الأقوال. الخطاب يكون من نفس قوى للمخاطبين الذين يريدون أن يأخذوا منه روح الانقلاب، لايكون تلك الخطب السياسية تقرأ فيها كلمات مكررة، وهذه كلها لسوء صنيع الحكام، هم منعوا عامة المسلمين عن الاشتراك في سياستهم، وبطل به القوة الاجتماعية للإسلام، فبإقامة هذا الحكم الذي أمر الله به في سورة الجمعة تكون الحكومة اجتماعية لا انفرادية سلطانية فالرجل الذي لايريد رفع تغلب الانفراد بين قوم المسلمين على الاجتماع الإسلامي ليس انقلابيًا ولايقيم الخطبة فالانقلاب والإسلام كاللازم والملزوم.

جملة معترضة

المخاطبون لايعرفون العربية فالخطيب هل يلزم له أن يخطب بالعربية؟ كلا؟ لايكون الحمد والصلوة وشيء من مبادئ الخطبة بالعربية وتقرأ الآيات القرآنية[١] التي يلقي تفسيرها الخطيب إلى الناس بالعربي. هذا القدر كاف ثم يفسير تلك الآيات بلسان المخاطبين، والنزاع فيه إنما يتأتى من رجال لايعرفون الحكمة.

"**فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله**". لما كان المراد منه الخطبة والنبي قرر أن الخطيب من المسلمين لايكون إلا أميرًا أو مأمورًا فلايكون حكم الخطبة حكم الصلوات الخمس، بل لابد أن يكون فيه شعبة من قوة الحكومة بوجود أمير أو مأمور، فإن كانت الدار دار الإسلام، سلطانها أمير مسلم، فكل موضع يوجد فيه رجل من الحكومة يكون محلًا لإقامة الجمعة، وهذا هو المراد من قول الإمام أبي حنيفة يشترط لها المصر، فإذا لم يكن في المسلمين حكومة على تلك البلاد، فواجب على المسلمين أن يجتمعوا في أحزاب سياسية لإعادة حكم الإسلام إلى تلك البلاد، وإن كانت أولا دار الإسلام أو لإنشاء الحكم الإسلامي

١- في الأصل "وآيات قرآنية"، وهذا خطأ، لأن هذا المركب الإضافي يقع موصوفًا والموصول مع صلته صفة له، فمن الواجب مطابقة الموصوف مع الصفة في التعريف.

فيها، فهذا الحزب السياسي يكون أدنى أعماله التبليغ مثل ما انتشر الحواريون للمسيح إلى أطراف الدنيا، فإذا انتظمت جمعية في موضع يكون لهم حق إقامة الجمعة وإقامة الخطيب من أنفسهم، ويكون الموضع في حكم المصر. هذه المسئلة بهيئتها الاجتماعية تلقيناها من شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم، ثم رأينا الإمام أبا زيد الدبوسي أفكاره موافقة لفكر شيخنا، فكان ذلك بذر أول لمعرفة الحكومة الاجتماعية وصنفت فيها رسالة سميتها **بإزالة الشبهة عن فرضية الجمعة** وكان فيها بعض الأفكار المخالفة لشيخنا شيخ الهند، فلما عرضتها عليه سكت على ذلك، ثم في بعض الأوقات أظهر تحسينه لأفكارنا. المقصد أن هذا الحكم إقامة الجمعة والسعي إلى ذكر الله نفهم أساسًا لإقامة حزب الله في تلك القرية أو البلدة، فالأمر يكون منتظمًا مثل ترتيب الأحزاب يكون لهم رئيس، فهذا التعليم لتبليغ القرآن وتأسيس الحكومة ليس يستحق أن يستهين به الناس ويتغافلوا عنها، وكان في سورة الصف بعد ذكر تجارة منجية ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون وكذلك في سورة الجمعة بعد تعليم الاجتماعي الأساسي أعيدت تلك الكلمة الحكيمة "**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.** "

"**فإذا قضيت الصلوة**" الخ. فهذا الاجتماع يكون التعليم لما يعمله المسلمون بعد الانتشار وكيف يبتغون رزقًا لأنفسهم، فتعليم التجارة الاجتماعية والزراعة الاجتماعية بتعليم أمثال [١] من واجبات الخطيب، لأن حكم القتال ليس لازمًا في كل آن، وإذا شرع الأمير المسلم في القتال ترون الخطباء المسلمين يتحمسون وإذا تركوا القتال، فكأنه لاحياة لهم في مساجدهم إلا مثل اليهود، إعادة كلمات فارغة بدون فهم المعنى، فلو كانوا جعلوا ابتغاء فضل الله من دينهم نظموا مكاسبهم المعاشية كلها، وكانوا قسموا الفرق على حسب الاستعدادات لفنون المعاش، فكان كل اجتماع يحتاج إلى غور[٢] وتفكر فيما عملوا في الأسبوع الماضي وفيما يعملون في الأسبوع الآتي، فإذا كان الاجتماع اجتماع التفكر في شيء يلزم حياتهم كانت مجالسهم حية وكان فيها ذكر الله، والاعتبار بسيرة الماضين من الأنبياء الكرام والتنبه للحياة الآتية أمرًا زائدًا، وبانضمام تلك الأفكار مع أمور معاشهم، يكون لهم الفلاح والغلبة على الأقوام والسبقة في الحياة، ونرى هذا معنى قول الله: "**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**". في آخر الآيات ذكر روح المسئلة كلها التعود على الفراغ لاستماع ذكر الله وما يلزم من التبصر في أمور المعاش على سبيل الاجتماع في كل أسبوع قريب ربع يوم يستلزم النقصان في التجارة أو في الملاعب والملاهي، فمن كان قادرًا على قبول ذلك النقصان وترك ما يشتهيه نفسه بقدر ذلك من الوقت لايكون له درجة التسابق في الأمور الدينية أبدًا، فمن تلك الأمال الحقيرة إذا اجتمع عليها الإنسانية يحدث الانقلاب العظيم. هذا هو المراد عندنا في قوله: "**وإذا رأوا تجارة** الخ. "

١- هناك بياض في كلتي النسختين.

٢- هذا من أساليب اللغة الأردية. غوروفكر، والتعبير الأنسب: التفكر والتأمل ومثل ذلك.

جملة معترضة

في تلك الكلمة أيضًا إشارة إلى أن المراد من ذلك الاجتماع هو استماع الخطبة. "**قل ما عند الله خير**." العادة الحسنة التي تحدث لكم بالاستمرار على ذلك الوقت هو شيء مبارك عند الله ويرتفع من أعمالكم إليه ويكون نتيجة أعمالكم إذا لقيتم الله فهذه العادة الحسنة خير من اللهو والتجارة وإذا التزمتم أحكام الاجتماعية فأبواب الرزق يفتح عليكم كثيرًا. "**والله خير الرازقين**. "

٤١

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

"**إذا جاءك** الخ" نرى في الطبقة الاجتماعيات، طبقة تفهم الحركة الاجتماعية اللازمة لإصلاح الاجتماع. والإنسانية من فطرتها أنها دائمًا تحتاج إلى الإصلاح. كل اجتماع ينشأ جديدة من بيت أو عائلة يجري عليه قانون الفطرة الإنسانية من الابتداء مثل الأفراد الإنسانية. كل فرد يبتدئ من الطفولة فيأتي عليه من الأحوال ما أتى على أبيه. كذلك الاجتماعات الإنسانية يأتي عليها الحالات، كلها من الصلاح والفساد ومثل ما أتى على الذين تقدموا، فيوم من الأيام يمكن للإنسان أن يتغافل عن إصلاح الفساد الاجتماعي، يكون هو يوم فساده مثل كل فرد يجب عليه أن يحافظ على صحة كل يوم بالأكل والشرب وغير ذلك، فإذا كان إصلاح الإنسانية لازمًا دائمًا للاجتماع، فنحن بالتجارب رأينا طبقة من الناس ذات غنى في المعاشيات تفهم معنى الإصلاح والحاجة إليه، لكن الحركة الإصلاحية تستلزم الانقلاب في المعاشيات أيضًا، وهم لايحبون شيئًا يكون سببًا للتزلزل في طرق معاشهم، فمع اعتراف هؤلاء بضرورة الإصلاح يعارضون الإصلاح العملي، ويحبون المذاكرات والمباحثات في الإصلاح لكن لامثل المذاكرات التي تكون عند الانقلابيين الذين يسرعون في العمل الإصلاحي، والسرعة في الإصلاح هي تجعله انقلابيًا، فبعدهم عن حركة الانقلاب يجعلهم على مسلك اسمه في اصطلاحنا اليوم موده ريزم[١] بالمذاكرات، نسميهم معتدلين، هؤلاء لايحبون الحركة العنيفة. التعليم عندهم والتربية بالتدريج هو طريق الإصلاح عندهم، ونريد أن نزيد عليه إيضاحًا. الحكومة الإنكليزية حاكمة على بلادنا، لها أعمال غير عادلة تتبع البريتانيين أولا ثم الأوروباويين، ثانيًا ثم من اختار طريقهم وتملك من اهل الهند، ثالثًا فلايبقى لأهل الهند إلا شيء قليل لايكفي كفايتهم وأهل الهند فيهم طلب واقتضاء منذ خمس وثلاثين سنة أن يجبر كل الناس على التعليم، فوقع البحث في المجلس التشريعي ما كان عند الحكومة جواب لشيء من تلك الضروريات إلا أنها تحتاج إلى أموال كثيرة، وخزينة الحكومة خالية عنها الآن يقوم رجل هندي وزير لكمال، فيستخرج من إسرافات الحكومة التي تتعلق بغير الهنديين أموالًا لكفى لإجبار التعليم لهم، فتلك المسئلة بينها فريقان من أولي الرأي الهنديين: فريق نسميه بالمعتدلين، هم يعترفون بتلك الضروريات وبأن الحكومة لو لم تصلح نفسها، ما خرج من خزينتها درهم للنفقات في الأمر، لكنهم لايعارضون الحكومة. القول عند الحكومة يكفي عندهم لكل الأعمال، فلو أنهم خالفوا الحكومة وعارضوها وأصروا على تلك المطالبة، يأتي ضرره إليهم من طريق المعاش الذي يكتسبونه من الحكومة، فهم يعطون الناس أن الحكومة تريد كل ما تريدون، فيستندون على مقالات من أكابر الحكومة في

١- هكذا في النسختين، ولكن مراد اللفظ مبهم لم أفهمه.

المجتمعات التي تحقق عند السياسيين أن تلك الكلمات لايكون لها معنى أصلًا، فهؤلاء يغترون بتلك الأقوال ويمنعون الناس عن قول أو عمل لايحبه أرباب الحكومة، ويقولون إذا فعلتم هذا، فهذا هو الفساد، وليس هذا بالإصلاح، طائفة أخرى تعتقد أننا إذ لم نجعل الحكومة مجبورة على قبول اقتراحنا، لاتسمع قولنا، فهؤلاء لايعملون عملا يكون معناه البغاوة على الحكومة، وترك قانونها، لكن يستفيدون من الإباحة التي أباحها لهم القانون، ولايبتغون الرضاء عن عمال الحكومة، لأنهم لايأخذون المعاش منهم، فتلك الطائفتان من السياسيين لهم أحزاب وجرائد ومجلات ودعايات ومؤتمرات نعرف تفاصيلها من خمسين سنة في الهند. هذا كان تمهيدًا إذا كان في مبدأ الدعوة القرآنية والارتقاء في سياستهم قسم مثل المعتدلين في زماننا. هم لايريدون أن يغيروا الهيئة الاجتماعية التي ينتفعون بها في معاشهم، يعني هم طائفة من أشراف الناس يكونون في الضيق، لكن لايصل إليهم ذلك الضيق. هم آمنوا بالقرآن بجميع نظرياته العقلية والإصلاحية، لكن لايقدرون على تجويز العنف في تغيير الهيئة الاجتماعية، لأن بعد ذلك التغير –ولو كان أدنى– لا يأتمنون أن يصل إليهم المعاش مثل ما يصل إليهم من زمان من آبائهم، فتلك الطائفة نحن نقدر على تشخيص هيئتها وأعمالها قياسًا على المعتدلين، نجعلهم مصداق كلمة المنافقين في كتاب الله، فيسهل علينا فهم جميع حركاتهم. هم إذا صاروا مجبورين بكثرة من الهيئة الاجتماعية يمشون معهم خطواتٍ، وإذا حصل لهم الأمن أن الهيئة الاجتماعية لا تجبرهم على ذلك، رجعوا إلى الوراء أضعاف ما كانوا تقدموا، فعندنا هؤلاء الزعماء معروفون، فيهم أصحاب الفهم والدراية، منهم من يقدر على نظامات قوية، فيهم من يعرف الفلسفة الاجتماعية والإلهية أكثر من الانقلابيين والصوفيين، لكن الحركة لتغيير الهئية الاجتماعية وإن كانت ضعيفة محرمة عندهم لاتغفر بحال. الآن نقرأ كتاب الله.

"**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ** الخ". هم يقولون "**نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله**" هذا صادق باعتبار ما يعرفون من النظريات، لكن تلك نظريات الانقلاب، وهم لايوافقونه في شيء الانقلاب، فشهادتهم صحيحة لتصديق نبينا عليه السلام؟"**وَالله يَشْهَدُ** الخ" "**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ**" الخ إذا دعوا إلى العمل، فيظهرون العزم ويحلفون أنهم يفعلون، وغرضهم إبعاد هذه الطائفة التي تجبرهم على الانقلاب بالكلمات ملائمة عنهم وعن أتباعهم، فلا يريدون أن يصل قول أصحاب الدعوة إلى أحد ممن يتعلق بهم، فيصدون بذلك عن سبيل الله، فيكون إثمهم أيضًا راجعًا إليهم. "**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ**" الخ آمنوا بنظريات لأنها صحيحة في عقليتهم، ثم كفروا بعزمهم على عدم إنشاء حركة موافقة لتلك النظريات. "**فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ** "الخ الإنسان إذا كان صحيح المزاج على الفطرة، فكل ما أدرك شيئًا من الحق وحصل له اليقين، تتحرك جميع قواه إلى تحصيل ذلك اليقين، فإذا كان رجل يتخلف قواه العملية الإرادة وما تحتها عن اتباع الحق، فتعرفونه مريضًا، فإذا استقر المرض في رجل، يسري ذلك إلى قواه العقلية أيضًا، فلا تدرك الحق مثل ما يدرك أولًا، بل كلها مشوب بالوهم والخطأ التي تنشأ من جبلته الفاسدة، فهذا معنى قوله فطبع الخ "**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ**" الخ أجسامهم منظمة عقولهم تامة أقوالهم طريقة لكن لاحياة فيها. هذا نحن جربناه في وعاظ

المساجد إذا كانوا متحلقين عند الأغنياء وفي الخطباء من الزعماء المعتدلين. كلامهم جيد لطيف بالمرة ولكن الدعوة إلى العمل مفقودة فيه. "**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ**" الخ الصيحة قول فيه شدة فكل حركة يكون فيها شدة وإنكار على المبطلين بالإجمال أو التفصيل، يحسبون أن ذلك ينشئ الانقلاب إذا اعتاد الناس بالقليل ثم يستكثرون من الأعمال، فلازم أن يسد مثل تلك الحركات من الابتداء."**هُمُ الْعَدُوُّ**" الخ في الظاهر أنهم مصدقون للبرنامج لكنهم الأعداء الداخلة وهؤلاء أشد من الذين أظهروا العداوة. "**فَاحْذَرْهُمْ**" الاجتناب عنهم لازم وتنبيه المخلصين على سيئاتهم أوجب. "**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**" هم في اجتماع صالح ويفهمون الأمر كله، فلو رجعوا إلى تأييد الحق كانوا أنفع الناس لأنفسهم وللناس، لكنهم مع حصول تلك القدرة يصرفون كل قوتهم إلى الصد عن الحق. يذكر من أعمالهم أشياء مختصرة تكون أنموذجًا لفهم طريقتهم الباطلة، فذكر الله ثلاثة أشياء منها، ونحن نقدم الآخرين على الأول في التفسير، هم يرون أنفسهم عاجزين عن مقابلتهم كلهم. إنما كانوا قادرين على مقابلة من اتبعهم من العائلات. إما إذا اجتمع انقلابيون من قبائل ومن أقوام آخرين لايقدرون على التكلم بكلمة عندهم فيكيدون كيدًا، يقولون "**لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ الله حَتَّى يَنْفَضُّوا**" هؤلاء مساكين الناس اجتمعوا عند رسول الله ليس لهم قدرة على الأكل والشرب إلا بإمدادنا أي بقبيلتنا أن لاينفقوا عليهم حتى ينفضوا. فهذا غرورهم على أموالهم والأمر الثاني ذكر الله منهم يجعلون أنفسهم الأشراف ويجعلون المساكين السفلة ولايتشاورون بين الطبقتين. "**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ** الخ" ونحن نجعل تلك الكلمات عامة لبيان الطبقات وفقط، وهذا ذهنية الأشراف إلى الآن. كلمة الأشراف نستعملها بمقابلة بورژ وا، ففي زمان نزول الآيات فهم بعض الصحابة أن المراد من قوله: الأعز والأذل رجال مخصوصون ونحن لانلتفت إلى مثل تلك التفاسير في فهم كتاب الله، فإن كان ذلك فعلى أنه مثال فقط. هذا غرور منهم على عزتهم وشرطهم، وهذه الأوصاف بعينها نجدها في الهند في طائفة المعتدلين. الهندو والمسلم سواء في ذلك. الجهلة من المتدينين يجعلون تلك الطائفة من المسلمين يذبون عنهم باسم الإسلام وهذا فساد لا فساد أكبر منه في الدنيا. هؤلاء منافقون في إسلامهم يعرفهم المسلم والهندو سواء سواء، فإذا قام الذين يدعون لأنفسهم التقدم على المتدينين للذب عنهم، فكأنهم فسّروا الإسلام في نظر غير المسلمين بالنفاق، ولاشيء أضرّ منه في الدنيا على الإسلام. الله سبحانه قدم في قبائحهم استكبارهم في أنفسهم. النبي عليه السلام إذا رجعنا إلى عائلته وقومه من أشراف الأشراف في الدنيا، ولكنه لأداء فرضه في الانقلاب جعل نفسه مساويًا للطبقة النازلة في الإنسانية، فإن ارتقاء تلك الطبقة وخروجهم عن تلك المصيبة العظمى لايمكن إلا بذلك، فجائز لواحد من الأشراف أن يتكبر على النبي عليه السلام؟ إذا كان الرجل صحيح الفطرة لايتقدم إلى ذلك أبدًا، لكن هؤلاء إذا قيل لهم تعالوا استغفر لكم رسول الله حتى لايكون لجماعة النبي حق الاعتراض عليكم وتصلحون بعد ذلك أعمالكم، فلاتفتضحون عند الناس. هذا كان نوعًا من الدعوة لتلك الطائفة المضلة، فذكر الله رأيهم، يصدون عن سبيل الله وهم مستكبرون،

فلايخضعون لاتباع النبي الذي يشهدون على رسالته في الملأ أن يتبعوه في الأعمال وإن كان أدنى من الانقلاب. بعض يفهمون أن الفعل الذي يعملون على خلاف الانقلاب ليس بطيب فقط. على هذا القدر فقط لايطاوعون النبي، أليسوا هم كاذبين، فلما ذكر أن المنافقين لكاذبون، أثبت ذلك بأفعالهم، ثم شرح ذلك بأن ذلك الاستكبار ينشأ من غرورهم بأموالهم وعزتهم، فإلى اختتام الآية الثامنة فيه إثبات لكذبهم في الشهادة، وهددهم الله أن المسلمين يستفيدون من خزائن السموات والأرض بتغليب الله لهم على ذلك وأشار أيضًا أن فكرهم أن لهم في المدينة عزة خاصة ويقتدرون على إخراج رجل من المهاجرين منها. هذا زعم منهم باطل لايعلمون الحقيقة أن من قوم هؤلاء المنافقين وأولادهم واتباعهم رجال مخلصون، هم يمنعونهم عن التعدي على المهاجرين، بل لو أمر المهاجرون بقتلهم لقتلوهم، لكن ليس هذا من مصالحهم والمنافقون لايفهمون أنا جربت تلك الحالة الضعيفة التي تكون للجماعة السياسية، تكون مصلحتها مراعاة هؤلاء المنافقين فيغترون بذلك، فنقيس على ذلك أحوال المنافقين في زمن النبي عليه السلام، والإمام ولي الله في **الفوز الكبير** أرشدنا إلى الاعتبار يعني بمقاسية حال عصرنا بعصر القرآن، ونحن اجتهدنا في ذلك بحسب قدرتنا بحمد الله، فأيد ذلك الأمر في فهم القرآن ونرى الإمام ولي الله هو المجدد لتلك الدعوة القرآنية، ما رأينا في عصره ولا بعده، ولعل كثيرًا من القرون قبل ذلك أيضًا يدعو إلى القرآن كله. إنما رأينا أناسًا يستخرجون آيات من القرآن يوافق مسلكهم، فلانسمى ذلك دعوة إلى القرآن، بل هو دعوة إلى المسلك بالاستفادة من القرآن والقرآن منسي عنه كما هو.

"**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ** الخ". المراد من ذكر الله القرآن، ولقد يسرنا القرآن للذكر الخ فالنظام المعاشي الذي يكون سببًا لجميع الأموال وتحصيل الأولاد لايكون مقدمًا على نظريات القرآن ومن خالفه صار من الخاسرين لأن النظام الذي يبتني على نظريات القرآن، يمكن باتباعه للرجل أن يصل إلى درجة خليفة الخلفاء في الأرض. "**وأنفقوا** الخ **فأصدق**" العامل النافع لتقديم السياسية القرآنية. "**وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ.**" إيجاد خلق في قلبه يسهل بذاك تتبع سياسة القرآن. هذا هو الصلاح واجتهد رجل لإصلاح نفسه لتكميل خلق يتأثر بذلك أهل المعاشرة معه طبعًا أهل بيته خدامه وأتباعه وجيرانه وأحبائه، فيكون هذا العمل متعديًا كثيرًا، فالإنسان لايؤخر بصحبة المنافقين ما يقدر عليه من الخير من مال وخلق إلى غدٍ لأن الغد ليس أمره بأيدينا. "**وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا**" الخ فمنع المسلمون عن اتباع سيرة المنافقين وعلموا بأعمال وأرشدوا إلى أعمال إذا داوموا عليها يمتازون عند المنافقين بالطبع.

٤٤

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

بحسن ترتيب المصحف نستفيد كلمة : النفاق هو التأخر في العمل عن الحق الذي يعترف به الرجل بعقله لأسباب وموانع، فتعيين الحق كل ما كان أرقى في الاجتماع، تتبين أقسام النفاق بالسهولة. الحق يكون للرجل وحده، قيمته واحد، فهذا الرجل إذا كان في أهل الحق يكون قيمته عشرة، ثم من تدبير المنزل. الإنسان يترقى في السياسة المدنية، فيكون الحق عنده المأة، كل ذلك على سبيل الفرض، فإذا كان خلافة طوائف من البلاد والممالك، فالحق الذي يكون للرجل المتداخل في تلك الدرجة، يكون قيمته ألفًا، ثم بعد ذلك خلافة جميع البلاد التي سميناها خلافة الخلفاء على إصلاح البدور البازغة، فيكون الرجل المتداخل في تلك الدرجة. الحق عنده مثل عشرة آلاف، فالإنسان يجعل نصب عينه ومطمح نظره أبدية تلك المرتبة العالية، فهو إذا تحقق ذلك يكون متباعدًا عن جميع أعمال المنافقين المتأخر عن الحق، فإذا كان الحق عاليًا كان المتأخر عنه جماعة كثيرة مترتبة بعضها فوق بعض، فالإنسان في تباعده عن النفاق يتدبر الأمر كله من أوله إلى آخره. نقرأ من سورة التغابن أولًا الآية الثامنة.

"**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**." المراد من النور القرآن، فتعين معنى الذكر الذي ذكر في سورة المنافقين. "**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ**" الخ هذا ظاهر عند كل من قرأ القرآن. المراد من يوم الجمع يوم المحشر الذي يجمع جميع النوع الإنساني في أفراده الماضية ألوفًا من السنين قبل ذلك، ومن يأتي بعدنا إلى ما شاء الله، فالتقابل في الأقوام والتسابق في الأفراد يعلم في ذلك الجمع. هذا معنى قوله: "**ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**" من غبن في ذلك اليوم في المجمع العمومي، هو الغبون، ومن تقدم وفاز، ذلك هو الفوز العظيم، فالقرآن النور الذي أنزلنا يسوى للناس طريقًا للفوز في الاجتماع الكبير ذلك، فالتأخر عنه لأمور معاشية قليلة، لايستحسن عند الحكيم، ومن أدرك المسئلة إلى تلك الغاية لايأتي النفاق حول قلبه أبدًا. "**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا**" الخ أي ما يقدر عليه من تأييد السياسة القرآنية ويجعل ذلك عادة له، يكفر عنه سيآته إذا استمر هو لإصلاح نفسه، حتى استقام لتحصيل الخلق في تأييد القرآن، فالسيآت التي تقدمت كلها منفور عنها، لأن بأعدادها وصل ذلك الرجل إلى تلك الخلق. "**وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ**" الخ "**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا**" الخ كفروا ليس معناه منحصرًا في رد نظريات القرآن، بل الجزم بعدم نجاحها والتأخر عن تأييدها هو أيضًا داخل في الكفر، وتكذيب الآيات هو الجزم بعدم النجاح أولئك أصحاب النار. "**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**" الخ الإنسان إذا عين لنفسه مسلكًا مثلًا التأييد للسياسة القرآنية واستمر في السلوك على ذلك يأتي في نظام الكائنات والاجتماعيات الإنسانية أشياء مانعة عن السلوك ومخالفة للمسلك، فإذا استمر على العمل، فالأشياء المخالفة تصيب

من ماله ومن عرضه ومن أولاده بأشياء لايحبها الإنسان لابد، ففي تلك الحالة يتحير قلب السالك والله سبحانه أرشدنا أن نستذكر أن مالك هذا النظام كله والرب للإنسانية كلها ليس إلا الله وحده لاشريك له، عليه فليتوكل المؤمنون وشرح في تلك الآيات لتحصيل التوكل مسائل مهمة:

١- يعلم الإنسان أن "**ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله**" فلابد أن يكون فيه حكمة هذا بالإجمال.

٢- "**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**" من يفوض الأمر كله إلى الله ويتوكل عليه، هذا معنى الإيمان. يهد الله قلبه للحكمة فيطمئن بذلك. "**وَأَطِيعُوا الله**" الخ يعني تلك المصائب لاتمنع الإنسان من السلوك في برنامج القرآن عامة. يكون المراد من أطيعوا الله تسليم نظريات القرآن والجزم بنجاح هذا البرنامج ويكون المراد من أطيعوا الرسول هو التقدم العملي لتكميل السياسة القرآنية، فإن كان لذلك التكميل مناهج مختلفة سلكها الأنبياء....[1] منهج نبينا عليه السلام فقط ويجزم لفلاحه، فإن تشكك في ذلك كان كافرًا. هذا كله شرح لمعنى التوكل على الله. الأمثلة تلك التعليمات. الأزواج والأولاد يحبهم الإنسان بالطبع فإذا منعوه عن تأييد السياسة القرآنية ما يفعل في تلك الحالة؟ "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**" فالحذر منهم مثل الأعداء لازم لكن تركهم على الفور ليس واجبًا. "**وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا**" الخ الإنسان يسلك مع أزواجه وأولاده سياسة العقلية كما يكون عنده شيء دنيوي مطلوب وهو يسعى لذلك، لكن أزواجه وأولاده يمنعان عن تحصيله فيجد الإنسان في تلك الحالة من عقلية سياسة مخصوصة يسعى في إرضائهم ويسعى في التمشية على تحصيل مطلبه، فيعفو عنهم ويصفح عنهم ويغفر لهم حسب الاقتضاء، لايتركهم ولايترك عمله، فكذلك لزم عليه أن يعامل معهم لايترك العمل بالقرآن ولايتركهم أيضًا ما استطاع." **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ**" الخ فكل ما اجتهد تم في إيجاد سياسة وعملها لتكميل مقاصد القرآن وصرف الأموال فيها وجعل الأولاد أيضًا راضية بذلك، فلكم في ذلك عند الله أجر عظيم، يعني الإنسان أولا يصلح نفسه لتكميل سياسة القرآن ثم يصلح أهل بيته أولاده وأزواجه، فهذا من أحسن الأعمال. "**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**" الخ العمل الإنصاف في أداء أوامر الله هو التقوى، فكل شيء يترك القرآن لتحصيل شهوة نفسه، فإذا ترك لتكميل أوامر الله فعندئذ أنصف حسب استطاعته. هذا معنى قوله: "**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**" وإن كان رجل لايستطيع ترك شيء وإن كان مخالفًا لشهوة نفسه،

---

[1]- هناك لفظتان لم أفهمهما مع كل التأني.

ففي أداء أوامر الله لايوجب الله عليه ترك ذلك الشيء، فإنه خارج عن استطاعته، فإذا عمل بالإنصاف حسب الاستطاعة ودائمًا كان متوجهًا إلى سماع الأحكام ويريد تكميلها بالإنصاف وينفق في ذلك الأموال، فأولئك هم المفلحون يعني يوم التغابن لأنهم وقاهم الله من شح أنفسهم، هم يعملون أعمالًا رضاء أنفسهم ولايعملون مثل ذلك الأعمال لإرضاء ربهم، فهذا شح منهم. "**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**." هو شرح لقوله فاتقوا الله ما استطعتم. "**إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ...الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**." من زاد في الإنفاق لأمر الله على ما كان ينفق على نفسه فهو قرض لله. والله يضاعف يوصلها إلى أهل بيتكم وأولادكم ويغفرلكم والله شكور حليم. من الآية الثامنة إلى آخر السورة قرأناها فالآن نقرأ من الأول.

"**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ**" الخ. يعني إذا أنفقتم شيئًا لله، فسبحوا الله. "**لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ**." هذا هو السياسة القرآنية لايجوز الملوكية إلا لله. الملوكية لازمها عند الناس عامة أن الملوك ملاك لرعاياهم مثل ما يكون الرجل مالكًا لأنعامه يعملون فيهم ما يشاؤون لاينكر عليهم، فتلك الملوكية يسلب الله تعالى عن جميع الناس، فالذين يجوزون ذلك مع كونهم مؤمنين بالقرآن، فكان القرآن ما دخل في قلوبهم.

"**وَلَهُ الْحَمْدُ**". الملوكية للناس تكون محمودة وتكون مذمومة، لكن الملوكية التي ثبت لله إذا تذكر الرجل وتدبر فيها يجدوا تمامًا قابلًا للحمد. "**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**." فهو يحكم على الإنسان بما يحمده الإنسان برحمة منه للإنسان لكن لعجزه عن أعماله يعملها الملوك الفاجرة، فلزم على الإنسان أن يخشى ربه فوق ما يخشاه من ملوكية الناس ويحبه لرحمة. "**فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ**." الاستعداد الإنساني لم يعرف الله في جميع الأفراد سواء بسواء لحكمة عظيمة، لكنه يراعى في مؤاخذة الأعمال فيما يتعلق بملوكية ربه حسب استعداده. هذا من رحمة فلايكلف الله نفسًا إلا وسعها، فاختلاف الاستعداد لايكون عذرًا في ترك أمر الله. "**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**"الخ الحكمة العظيمة في الدرجة الأولية يكون للسموات والأرض كلها واحدة ثم بعد ذلك الحكمة التي تتعلق بالأنواع كلها نوعٍ نوعٍ والإشارة إليه بقوله: "**وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**" والحكمة الثانية تكون تابعة للحكمة الأولى فإن وقع التخالف يجبره الله. هذ١ معنى قوله: "**وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**." فالحكمة النازلة إذا كان فيها خرم لاقتضاء الحكمة العالية فالله حاكمة على الكل وهو يجبر ذلك النقصان بوجه آخر فالإنسان لاختلاف استعداده لاييأس من روح الله. "**وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**." فيه إشارة إلى موافقة حكمة النوع الإنساني لما قضى الله للسموات والأرض عامة. "**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا**

... **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**."الإنسانية في الزمان الماضي أخطأت فما قبلوا البينات التي أتت بها رسلهم لأنهم بشر مثلهم لو كان الله محتاجًا إليهم لأرسل إليهم ملائكته كما اقترحوا، لكن ذلك الأمر راجع إلى النفع الإنساني والإنسان لايقدر أن يستفيد من الملائكة، فلذلك استغنى الله عن اقتراحهم. **"والله غني حميد. زعم الذين كفروا"** الخ الذين كفروا قطعوا الحياة الإنسانية على حياة الدنيا فقط وما علموا بتسلسل الحيات كما تسلسل الأسباب لخلق السموات والأرض فالذين يتعمقون في فهم الكائنات يجزمون بأن ذرة من ذلك لايمكن أن تنعدم بالمرة، بل إنما تتبدل الصور تحت حكمة الله، فالإنسان منقطع حياته. كيف يمكن هذا؟ نتطور بصورة أخرى مناسبة لأعمالهم في الدينا، فالفلاح في تلك الحياة العالية الآتية إنما يكون باتباع أمر الله ورسوله، يدرك ذلك الأمر الصديقون في الإنسانية باقتضاء طبيعتهم، فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا، فالتباعد عن الايتمار بأمر الله الذي هو روح النفاق إنما منشأه تغير ناشٍ في الفطرة كالمرض، فليتباعد الإنسان عنه وليسع لتحصيل الصحة في أكمل درجاتها لايكون في الإنسانية طبقة أصح منها مزاجًا، فالقرآن متكفل بإرشاد من أراد ذلك.

٤٣

سورة الطلاق[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

هنا من أول السورة أحكام فقهية تتعلق بطلاق النساء وفي ضمنها إشارة إلى الحكمة لذلك التشريع أيضًا وذلك مستمر إلى الآية ٧ من السورة.

"**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**." الذي نأخذ من حسن ترتيب المصحف أن الإنسان إذا قرر في عزيمة العمل بالسياسة القرآنية وتباعد عن النفاق وأسبابه من التأخر بسبب الشح في الأموال، ربما أزواجه تعارضه على ذلك بالجد لايقدر مع المعاشرة معهن بالعفو والصفح والمغفرة على المشي على برنامج القرآن فلزم عليه في تلك الحالة أن يطلق نسائه والطلاق أمر خلاف الفطرة جوز لضرورة فيكون له شريعة وسنة لايكون فيها ظلم على الطرفين، فتلك الأحكام التي ذكرها في السورة روحها العدل في وقت الافتراق لضرورة اقتضته ذلك، فإذا لم يجوز الطلاق يصير الإنسان مجبورًا على النفاق في بعض الحالات إذا كانت أزواجه لاتتركه على العمل. "**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ**" الخ معنى القرية عندنا ليس التي تكون تحت البلدة والمدينة من الاجتماع الناقص، بل المراد منها هو مجتمع له ذهنية مخصوصة وتعبير عن ذلك كلام مخصوص، وهذا المعنى معروف في اللغة، لكن المفسرين قصروا عن استعمالها في تفسير القرآن إلا الفيروزآبادي له تفسير فسر فيه القرية بالمجتمع الإنساني، وترجمة اليوم سوسائٹی وهذا ظاهر في كتاب الله وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومهخ فبالأسنة تتقوم وتتكون الأقوام، وكل قوم أرسل إليه رسول، واجب عليه إطاعته لأنهم يعرفون ما يريد الله منهم بلسانهم وكثير من المجتمعات الإنسانية دمرت ديارهم وأهكلت. كل ذلك كان بنفاقهم وإصرارهم على ذلك، ففي قوله "**فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا**" الخ إشارة إلى ذلك لأن الجهل ربما يخفف العذاب. أما النفاق إذا استمر إلى الكفر، يكون عذابها أشد، فالاجتناب عنها لازم وفي عدم إجازة الطلاق ربما يهلك القوم كله، لأن الناس يصيرون كالمجبولين على النفاق، فقطعهم عن الإنسانية يكون لازمًا. "**فاتقوا الله يآ أولي الألباب**" الخ "**ذكرا**" تفسيره "**رسولا يتلو عليكم آيات بينات**". فالآيات البينات من القرآن أنزلها الله على رسوله هو الذكر والمقصود من هذا الإنزال "**ليخرج الذين آمنوا**" الخ قد بينا درجات الارتقاء في الاجتماعيات الإنسانية، ففي كل درجة يكون مقابل الحق ظلمة، فكل ما ارتقى الحق إلى أعلى مدارجه، زادت الظلمات التي يجب على المؤمن أن يخرج منها، فالقرآن متكفل لإرشاد الطريق الذي يوصل الإنسان إلى النور العالي، فأباح الطلاق لذلك. "**ومن يؤمن بالله**" هذه الآية ليس فيها تقييد الجنات في الدار الآخرة، فهذا المجاهد الذي يترك عياله للايتمار بأمر الله، يمكن أن يأتي له في حياته الدنيا أيضًا تلك المرتبة.

---

[١]- في "ن م" تقدمت سورة الملك، سورة الطلاق.

جنات تجري من تحتها الأنهار، وكل شيء من المأكل والمشرب والمنكح أحسن الله له فيها، إنما يمنع عامة المفسرين حمل قوله جنات على العموم في الدنيا والآخرة. قوله خالدين فيها أبدًا لأن الخلود في دار الدنيا غير ممكن، لكن عندنا ملاحظة غريبة أن الإنسان إذا انتهى إلى درجة في الدنيا يشرع ويبدأ من تلك الدرجة في الآخرة وقد ذكرنا ذلك في سورة الصف أن الشهداء يدخلون على الفور في الجنة، فإذا كان المجاهد الغازي حصل له ...[١] مثلًا جنات تجري من تحتها الأنهار وله فيها من كل الأرزاق كما يشتهي موجود، ثم يستشهد على تلك الحالات فيدخل الجنة على الفور ويكون له حالة في الرفاهية مثل الراحة التي تعود بها في الدنيا في الصورة، وإن معنى الآخرة يزيد على معنى الدنيا كثيرًا، فيصدق عليه أنه خالد على ما وصل إليه من الجنات في حياته الدنيا، وهذا التأويل نفسر القرآن كله. شباننا يضحكون إذا قلنا لهم يحصل لكم الجنة في الآخرة فقط يقولون ما معنى هذا؟ هؤلاء الجهال الكفار يكون لهم في الدنيا كل شيء ونحن نراهم على ذلك نصبر أبدًا ولهم في ذلك قصائد وأراجيز. والذهنية تبدلت عما كان عليهم أسلافنا، فما جوزنا بعد ذلك أن نخاطبهم بأن تلك الأنعام إنما يحصل لكم في الآخرة وتصرفنا باستعانة نظريات الإمام ولي الله وجعلنا لهم جنات تجري الخ في الدنيا والآخرة وبعد ذلك صاروا يسمعون منا القرآن.

"الله الذي خلق سبع" الخ الرجل المؤمن بالقرآن يريد أن يرتقي إلى الدرجة العالية، فواجب عليه أن يسعى لتبليغ القرآن وإقامة حكمه في السبع الأرضين. هذا الأمر العالي لايقدر على الوفاء به مع مراعات الأزواج كلها، وإذا أصررت على المنع على التمادي في الجهاد في الأقوام المختلفة نصير مجبورين أن نتركهن، وكل من أراد من القدماء مثل هذا الأمر العظيم. تبليغ الحق إلى جميع أنواع الأرض من النصارى والبوذيين أوجبوا التبتل عن النكاح بالكلية فالشريعة الإسلامية أكملت حاجات البشر، وسوت طريقًا مستويًا في التقدم إلى درجات عالية لجميع أنواع البشر سواء بسواء.

ومن الأرض مثلهن تخبط المفسرون في تفسير هذه الآية، إما يحملونها على الأقاليم أو على الدار الآخرة، يعني عالم المثال، وعندنا كل ذلك خطأ، بين ذلك الإمام رفيع الدين الدهلوي في **تكميل الأذهان** فالذي هذبنا هو أن الأرض الأولى الأرض المقدسة بين النيل والفرات مركز الدعوة الحنيفية من زمان إبراهيم والأراضي الأخرى لأقوام مستقلة مثل الإيران والهند والصين والترك والروم واليونان والحبش أراضي سبعة ليس على التقييم الإقليمي لبطليموس ولا أراضي مثالية في حيال الأفلاك السبعة ولاسيارات استكشفها الأوروباويون ، بل مساكن أقوام كل قوم يزعم في نفسه أنه هو الإنسانية، ويرى ما عداه كلها وحوشا فكأنها أراضي مستقلة. أصل الفكر أخذناه عن الشيخ رفيع الدين ثم هذبناه.

---

[١]- اللفظة لم أستطع فهمها في كلتي النسختين.

"**يتنزل الأمر بينهن**". الله أنزل كتابه في الأرض المقدسة الأولى فقط فإذا تهذب أهل تلك الأرض بنور الكتاب الإلهي يتنزل إلى قوم متصل معهم مثل الإيران والروم ثم من الإيران إلى الهند وتركستان ثم من الهند إلى الصين ومن العرب والروم إلى الحبش، تنزل الأمر في جميع الأراضي بواسطة الحواريين والأنصار لدين الله.

"**لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**." أنزل أمره إلى عبده في مكة، فالإنسان يتعجب من ذلك كيف يصل ذلك الأمر إلى الإنسانية كلها، ليس هو معنى التمدن ولاطريق للمواصلات، لكن إذا رأى أن المجاهدين يخرجون إلى جميع الأراضي يؤمن بالله يؤمن أن الله على كل شيء قدير وأن الله بما أنزل في سورة نون التي هو سورة ثانية نزولًا.

"**وما هو إلا ذكر للعالمين**." ثم يرى أن الله أوصله إلى العالمين يعلم حق اليقين. "**أن الله قد أحاط بكل شيء علما**".

قال الشيخ رفيع الدين بعد كلام في الرد على تأويلات أخرى فيفهم أن تلك السبعة قطع أرض واحدة وهي كذلك فإن المعمور منها سبع بلاد مختلفة بالأديان والرسوم والطبائع والنباتات وبعض الحيوانات إحداها السودان والبربر والزنج والحبشة وأخراها للبيض من الأفرنج والصقالية ثم للعرب ثم للفارس ثم للهند ثم للترك للصين انتهى المتلفظ منه.

٤٤

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الأمر الذي أثبتناه في سورة الطلاق وبحثنا له وأرشدنا إلى وجوبه في بعض الأحيان. هذا يكون ثقيلًا على بعض النفوس، فلإزالة ثقله رأينا بعده في المصحف سورة التحريم. هذا الأمر ليس بمخصوص بالمؤمنين فقط، بل الأنبياء أيضًا شركاء فيه. إن تعينت الحاجة، فيكون الثقل خفيفًا لأن الأنبياء أغير الناس عليه في البشر والله أغير منهم ولذلك كان الخطاب في سورة الطلاق أيضًا للنبي وإن كان المراد المؤمنين، لكن في سورة التحريم الأمر مخصوص بنبينا عليه السلام. وقعت واقعة في آخر حياته عليه السلام تتعلق بمسئلة الخلافة. والأشاعرة لايحبون أن يبحث الناس عن السياسيات التي كانت جارية زمن النبي عليه السلام، ثم في زمن الخلفاء الراشدين لأنهم صمموا في باطن قلوبهم يجعلون المسلمين عبيدًا للعرب لاينظرون إلى شيء ما أمر الله رسول الله ﷺ. هذه كلمة حق، لكنهم يريدون الباطل، هم يريدون أن لايتكلم الناس ولايفهمون حكمة الأحكام تعجبًا. إذا فهمنا الحكمة كأننا لانطيع الله ورسوله، بل يكون الإطاعة حقيقية من صميم القلب، لكنهم يريدون شيئًا آخر، يغفر الله لنا ولهم، لكن لايقرون لنا معاني القرآن. البحث في مسئلة الخلافة وما جرى بين الصحابة ممنوع عندهم وهذه المسئلة التي في سورة التحريم هي مسئلة الخلافة فيسترونها ويأتون بأشياء ضعيفة تكون سببًا للوهن في نظم القرآن. حرم النبي ﷺ شرب العسل على نفسه ومثل ذلك من حاجات نفسه باقتراح من بعض أزواجه، وهذا مداخلة منهن في أموره عليه السلام بغير حق. إذا أطاع النبي في مثل الحاجات الحقيرة. إذا كان المسلمون يتبعون سيرته في ذلك لا يكون للنساء غلبة في بيوت المسلمين. على المؤمن أن يتبع أمر الله أولًا، ثم يتماشى مع نسائه بالمسامحة، فأمر الله نبيه أن يكفر عن يمينه ولايجعل نسائه مساغًا في أن يتصرفن في الأمور الشرعية من التحريم والتحليل. تلك الواقعة ما كانت؟ تعيينها ليس بلازم. سياق الآيات فرضهم المسئلة وإن كان مثل شرب العسل جاء في بعض الأحاديث، فمثال يمكن أن يكون، والمقصد منه أن النساء لاحق لها أن يتصرفن في الأمور الشرعية وإن كان الأمر مباحًا سدًا للذريعة. أما الإنسان إذا حرم على نفسه مباحًا باقتضاء مصلحة نفسه، فيكون يمينًا وليس ذلك بحرام، إما ابتغاء مرضاة الأزواج هو الأمر المنكر. هذا معنى قوله: "**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ** الخ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا** إلى **أبكارا**." هذه مسئلة الخلافة والذي تلخص لنا بمطالعة الأحاديث وتجريد الواقعة عن زوائدها أن النبي أسر إلى عائشة أن أباها يكون خليفة له وأمرها بالكتمان عن الكل حتى عن أبيه لكنها ما كتمت، بل

أخبرت في بيت أبيها[١]. ما قرأنا في ذلك شيئًا، ما جاء ذكر ذلك، لأن بيت أبي بكر متحصن لايخرج منه شيء، لكنها أرادت سياسة أخرى أن يصرح النبي لأبيها بالاستخلاف وائتمرت فيه مع حفصة، ولعل خلافة عمر بعد أبي بكر أيضًا كان جزءًا من حديثها، فقالت لها إنها تقول للنبي إن أبا بكر لايقوم مقامك، فمر عمر أن يصلي بالناس، فأنكر النبي ذلك، وقال إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس وإن استخلاف أبي بكر وقع في حياة النبي مرارًا، فحمل جميعها على مرض النبي ليس بلازم، كان ذلك في وقت أمر النبي أبابكر أن يصلي بالناس، فالنبي عليه السلام نبه عائشة على أنها ما كتمت، وعندي فراسة أن أبا بكر هو أخبر النبي، هو كان صديقًا، فما أحب أن يستر خطأ بنت،ه لأن أصل الأمر ترك الاحتياط كان من النبي عليه السلام، فلذلك ما عاتب أبوبكر عائشة ولم يشتهر في الناس "**فلما نبأت وأظهره**" فلما نبأت به أبا بكر وأظهره الله عليه بإخبار أبي بكر "**عرف بعضه وأعرض عن بعض**" وهو كان بين لها لأم المؤمنين. المصلحة في كتمان الأمر أن ذلك يسيئ بني هاشم وفاطمة، فالنبي عرف بعضه وأعرض عن بعض "**فلما نبأها به**" الخ "**قالت من أنباك**" هذا الذي فهمت منه أنها نبأت أبا بكر، فنريد أن يتعين له الرجل المخبر حتى هي تنازع عنده لم أفشا سرها؟ "**نبأني العليم الخبير**". كما يخبر الله نبيه بواسطة جبريل كذلك يخبر الله نبيه بواسطة أبي بكر مثلا. "**إن تتوبا إلى الله**" الخ هذه الآيات أشكلت على كثير من الصوفية الصالحين. امرأتان من نساء النبي عائشة وحفصة متعينتان فبتظاهرهما على النبي احتاج النبي إلى إمداد من الله وجبريل وصالح المؤمنين ثلاثًا والملائكة، فكان جميع القوة اجتمعت في صورة عائشة وحفصة. رأينا ابن عربي تخبط في فهم هذه المسئلة، فكل ذلك لعدم وصول المسكين إلى أهل المسئلة لو تظاهرتها وأفشتا أمره عليه السلام إلى بني هاشم وفاطمة. أما كان يمكن أن يقع التقاتل بين المسلمين كما وقع عند قتل عثمان وهذا الأمر في حياة النبي يليق به فالله نبه أن المسئلة لطيفة أنهما إذا أصرتا على جهلهما، فالأمر في الظاهر كبير وضرره عظيم، فكأنهما ملكتا مفتاح ضرر عظيم للنبي عليه السلام، فإن تتوبا إلى الله فبها ونعمت. هذا هو الذكي ينبغي بشأنهما لأن قلوبهما مالت إلى مطاوعة النبي عليه السلام إنما كانتا تخافان على أنفسهما. "**فإن تظاهرا عليه**" الخ لو فرضنا أنهما لاتطاوعان النبي عليه السلام، فهذا الأمر أمر الخلافة لايتم كما يريده عليه السلام، فإن جاء له ألف موانع كلها ترتفع، فإن الله هو مولاه وجبريل هو يلقي السكينة في قلوب المتنازعين ويتمثل في صورة البشر ويصلح بينهم وصالحوا المؤمنين كيف يخالفون النبي كلهم يجتمعون على

١- الخلافة ليست عند أهل السنة أمرًا منصوصًا، بل هو أمر مفوض إلى شورى المسلمين، واستدلال الشيخ السندي من هذه الآية على نص خلافة أبي بكر ضعيف، وهذا مثل استدلال الشيعة على كون خلافة علي رضي الله منصوصًا، والأحاديث صريحة هناك وذكرها المفسرون عبر القرون ولم يرد أحد منهم أن النبي أسر إلى الأزواج عن خلافة أبي بكر، ففي هذا التأويل من الضعف ما لايخفى.

ما أراده، وتخصيص صالحي المؤمنين بأبي بكر وعمر ليس بلازم عندنا. المراد عندنا أعضاء حزب الله كلهم، السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فعلى بن أبي طالب أيضًا داخل عندنا في صالحي المؤمنين. "**والملائكة بعد ذلك ظهير**". المراد من الملائكة هنا الملائكة السافلة هم يصلحون خواطر عوام المؤمنين بإلقاء الإلهامات إليهم، فمسئلة الخلافة ليست بمختصة بذات النبي عليه السلام بل هذا النظام مقضي به من عند ربه ثم الملأ الأعلى يوافقون ذلك، ثم حزب الله يوافق عليه، ثم ملائكة الملأ السافل يخدمون ذلك، فإذا كانت خلافة نبينا مهتمة بشأنها مثل نبوته لأن الأعمال بينهما متشاركة، فمثل هذا الأمر والعمل يقدر النساء على إبطاله. هذا أمر لايجوز تصوره والغرض من ذكر هذه الواقعة في مبدأ هذه السورة أن النبي أيضًا يحصل له في بعض الأوقات من جهة نسائه، فواجب في أداء فرضه، ففي تلك الحالة إن لم يتطاوع النساء على ما أراده النبي، فواجب عليه أن يطلقهن، فانتظم الأمر في الطلاق بين الأنبياء والمؤمنين. "**عسى ربه إن طلقكن**" الخ هذا يعني الطلاق ممكن إن صرن حجابًا عن الائتمار بأمر الله، والله سبحانه عصم أمهات المؤمنين عن الإصرار على المخالفة، فكن هن مسلمات. "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ**" الخ ليس المراد من هذه التعليمات أن الرجل يعمل فرضه ويترك أهله، بل فرضه أن يجمعهم مع نفسه في إطاعة أمر الله. "**وقودها الناس**". هذا تفسير النار. "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا**" فالذين لايأتمرون بأمر النبي والصالحين من المؤمنين التابعين للأنبياء ويخالفون سعي المؤمنين لوقاية أهليهم عن النار، فهم يخالفون ويدعون الناس إلى مخالفتهم وكذلك الناس مالوا إلى إطاعة أزواجهم بترك أوامر الله وكلهم داخلون في هذا الخطاب. "**لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ** الخ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله**" الخ إذا جمع الرجل أهله على إطاعة أمر الله، فتوبته تكون توبة نصوحًا مطمئنة بالقلوب، لكن السعي لإطاعة أهله لأمر الله سعي عظيم، فالله يشكر له. "**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ** إلى **وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**" الخ. أهل بيت النبي معه في درجته. هؤلاء نساؤه أمهات المؤمنين وأدخل النبي معهم فاطمة وعليًا والحسن والحسين هؤلاء كلهم أهل بيته يكون معه في درجة وكذلك المؤمنون معه من المهاجرين والأنصار يكون أهل بيتهم معهم في درجتهم." **نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**" الخ أهل البيت كلهم صاروا قطعة من نور يذهب بذلك الظلمة هذا يتمثل يوم القيامة وأصله يكون في دار الدنيا. هؤلاء المتنورون من أهل البيت ينتقلون على أرض من أراضي الله السبع فيهتدي بهم أقوام والقوم لايهتدي بالأفراد وإن كانوا بالغين في الكمال أشد الكمال. إنما يهتدون بالاجتماع الصالح فاتباع بودا والحواريون للمسيح دعوا أهل الأرض كلهم إلى ربهم، لكنهم كانوا مجردين عن الأهل، فما تأثر بذلك إلا الفلاسفة والصوفية وقليل ممن يتبعهم، وأما اتباع نبينا من بيوت المهاجرين والأنصار قلبوا الأمر في الدنيا. نحن نعرف انتقل بيوت قليلة من العرب إلى السند، فغيروا اجتماعيات الهند المتواترة عندهم من قرون متطاولة إلى قريب من ذهنية العرب في إطاعة القرآن والائتمار بأمر الله وروحه باقية إلى يومنا هذا في تلك الأرض مع تبدل الحكومة من مأة سنة، فهذا النور

إنما خرج من بيوت المؤمنين الذين كانوا معه عليه السلام وتفسير قوله نورهم يسعى الخ بالأولاد كأنه تفسير بعيد. أهل الجنة بنور قلبهم يقطعون الطريق ويصلون إلى منازلهم، فلذلك يدعون ربنا أتمم لنا نورنا حتى يصل إلى منازلنا.

"**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ**" الخ المنافقون المراد منهم الكفار وهذا ظاهر في ما فسرنا في سورة المنافقين والشيخ ولي الله فسر قوله "**فما لكم في المنافقين فئتين**" في المسوى حمل المنافقين على الكفار في هذه الآية، فالناس من أهل عصرنا الذين يرون إرضاء الكفار، فسروا مثل هذه الآية جاهد الكفار والمنافقين على ترك القتال واحتجوا بأن المنافقين لايقتلون وهم أخطأوا في فهم الآية أن المراد في الآية ليس إلا الكفار. قوله وهذا القتال فدوام هذا القتال مع الكفار والمنافقين هو المأمور به في هذه السورة وهذا إنما يكون بعد مركز اجتماعي للمؤمنين وهو لايكون إلا بمطاوعة الأهل مع صالحي المؤمنين، فكان هذا الأمر كالنتيجة لقوله "**لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه**" إلى آخره. الاجتماع الصالح نور من الله للإنسانية والله سهل ذلك في الحجاز والأرض المقدسة في زمن النبي والخلفاء الراشدين، وأما المسلمون في بلاد أخرى يبتلون في بعض الأوقات باجتماع غير صالح. ونحن جربنا ذلك بعد تملك الإنكليز أهل بلادنا. لايقدر رجل على العمل بحرية ضميره وباتباع كتابه سواء في ذلك المسلم التابع لكتاب، والهندو الذي يبتغي اتباع حرية ضميره فمثل هذا الاجتماع نسميه اجتماعًا غير صالح، فالذي ظهر لنا أن الله سبحانه ضرب مثلين لبيان الصور المختلفة في الاجتماع غير الصالح[١]، الأمراء يكونون مسلمين عالمين بالكتاب يريدون إقامة العدل والتقوى في رعاياهم وفي الرمية رجال كفار يخالفون كل مساعيهم الطيبة الصالحة.

"**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا**" الخ مثال لهذا الاجتماع فالأمر يستفيدون من رعاياهم ومن أموالهم ويصل إلى الرعايا من الملوك الخير والبر أيضًا لكن لايتم ذلك إلى الآخرة." **فَخَانَتَاهُمَا**" امرأة نوح ما طاوعته في أمر التوحيد وأمرة لوط كانت يؤيد السحاق في النساء. إذا غلب على الرجال اللواطة فالسحاق في النساء لازم."**فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا**" الخ والصورة الأخرى من الاجتماع غير الصالح. المؤمنون من الرعية والملوك عليهم كفار فالذين يعملون بالحق على ما استطاعوا لايضيع عملهم وضرب الله امرأة فرعون. "**إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا**" يعني قرب وفاتي "**وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ**" الخ فتقبل الله دعائنا وأدخلنا في الجنة والمثال الثاني للذين ليس عليهم ملك وحكومة اجتماعية الذي ذكرنا في ما تقدم من المسلمين في بلاد ليس عليهم ولاة مسلمون ويجتمعون فيما بينهم للجمعة والصلوة والدعوة. هم مع ضعفهم وعدم وصولهم من التمكن إلى الحكومة يقبل سعيهم. مريم بنت عمران لم يكن لها زوج ورجل،

---

[١]- في الأصل: الغير الصالح، وهذا غير صحيح، لأن لفظ غير إذا تقع صفة للمعرفة مضافة إلى اسم آخر تكون بدون أداة التعريف.

فاستمسكت بنفسها وأحصنت فرجها، فجعلناها أمًا لبني كريم أولي العزم وصدقت بكلمات ربها يعني أحصنت وصدقت بكلمات الخ فنفخنا فيه من روحنا، فالإنسان أين ما كان في اجتماعية تامة أو ناقصة أو في انفرادية إذا توجه إلى ربه وائتمر بأحكام ربه،يلحقون بالمؤمنين الصالحين، وسورة التحريم بينت المصلحة الأصلية من البيتوتة، والمراد في الإسلام بقائها وتكميلها أما التفريق بالطلاق فكان لعذر من الأعذار.

٤٥

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

"**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**" الخ المقصد الأصلي للقرآن هو إصلاح الإنسانية باجتماعها والإنسانية جزء من مجموعة المخلوقات الأخرى بين السماء والأرض كأنه صار لازمًا للإنسانية، فلايبحث عن تلك الأشياء إلا بوجه يفيد الإنسانية، وإصلاح الإنسانية مرجعه اليقين بمجازاة عملها، وإذا لم يكن هذا اليقين قائمًا بقلب رجل هو لايصلح نفسه، بل يمشي حسب هواه، وإصلاح الإنسان معناه أن ينظر في كل شيء، هل ينفعه، فيحصل أو يضره فيجتنب. هذا هو مقتضى النوع الإنساني بفطرته، فاليقين بالمجازاة هو الذي يصلح فطرته، وإذا لم يكن له يقين لايحكم على شيء أنه نافع أو مضر الإنسان. إذا وجد مخلصًا من المجازاة السيئة يهرب إليه لازمًا وذلك المخلص لانجده إلا في الأرض والسماء، فإذا تحقق عنده أن النظام الذي يجازيني والنظام الذي في السماء والأرض المحيط بي هو بيد واحد قهار ولايتفحص مخلصًا للتبرئ عن المجازاة على السيئة، فلايرجع في دفع المجازاة عن نفسه إلا إلى نفسه، فيتم الإصلاح المطلوب، فيبحث عن المسألة. المخلوقات بين السماء والأرض التي الإنسانية جزء منها أيضًا، حكمها يرجع إلى من؟ فإن تعددت المصادر يمكن أن يستفيد الإنسان بالحرب عن السوء عن المجازاة السيئة بالالتجاء إلى مصدر آخر، ولهذا الأنبياء أول ما علموا من العلوم النظرية هو التوحيد، فبهذا التوحيد يكون مشروحًا مبسوطًا، فالإنسان يهتدي إلى شيء، فسد هذا الفكر لازم أولًا، ولايكون إلا بإثبات الملك القاهر لذات الحق وحده لاشريك له، فإثبات الملك لله في السماء والأرض ظاهرًا أو إثبات الملك لله في مجازاة الإنسان واتحادهما هو المقصد الأصلي، وبعد حصول اليقين في هذه المسائل لايمكن للإنسان أن يضل ويترك الطريق الصحيح، فنسمي ما يتعلق بملك الله بالمجازاة، الملك باطنًا وما يتعلق بما بين السماء والأرض، الملك ظاهرًا، وتطابق الملكين وعدم انحراف أحدهما عن الآخر هو الحكمة التوحيدية، فيحتاج النوع الإنساني أن يمتد قواه الدماغية من الوهم والخيال والحواس والمفكرة كلها بهذا العلم بهذه الحكمة، وهذا باب عظيم من تعليم القرآن. جميع السور التي تتعلق بتشريح يوم القيامة شعبة من الملك باطنًا، وكل ما يأتي في القرآن من تصرفات القدرة في السماء والأرض وإظهار الأمور الخارقة للعادة عند عامة البشر كلها شعبة من الملك الظاهري. الإمام ولي الله جعل من أبواب القرآن التذكير بآلاء الله والتذكير بأيام الله، فهاتان كلتاهما يرجعان إلى الملك الظاهر وجعل التذكير بيوم القيامة وما بعده وهو يرجع إلى الملك باطنًا.

فصل

المسائل تكون لها جهات، فإذا سعينا في إدراكها من جهة تناسب فطرتنا، يكون إدراكها سهلا، فالحكيم الذي صار شعاره ملكة يادداشت، فهو لايغفل لحظة ما عن ذكر ربه، وفطرته فطرة الحكيم، هو يجعل هذه المسائل عنوانها التذكير بآلاء الله وبأيام الله والتذكير بالموت وما بعده، والرجل ينشأ ويترقى بالفطرة بالمعاشرة الاجتماعية، فإذا فرغ عن المحسوسات وارتقى إلى إدراك المعقولات، فلا يؤثر فيه إلا رسوم قومه وما يختاره النوابغ يجعله هو مقصد حياته، ثم بعد ذلك يحصل له الارتقاء، فيصير حكيمًا، ونحن لانبحث عنه بعد ارتقائه إلى درجة الحكمة بل قبل ذلك، لأنا نريد أن نعلم الحكمة، ففي ذلك الزمان لايكون الشاب صحيح البدن سليم المزاج لاينظر إلى شيء واحد. هو مهما يكون في مجتمع يجب أن يكون رئيس ذلك المجتمع لايحكم عليه أحد، بل يحكم هو على الناس. هذا هو الاقتضاء الفطري في ذلك الوقت، ومثل هذا إذا كان الرجل ليس فوقه آخر في ذلك الاجتماع يسميه بالملك، فمبلغ أفكاره إذا حللناها لايكون إلا تحصيل الملوكية بأي درجة أمكنت له، فيعرف الملوكية بفطرتها، وهذا الرجل الشاب إن الملك الحقيقي منحصر في ذات الرب، فإذا ملأنا دماغه بهذه الأفكار، يصير حكيمًا، فبعد ذلك هو يغير عنوان المسائل، فيرجع إلى قريب مما ذكره الشيخ، وأما قبل ذلك، فلايرى إلا الملوكية في نفسه في بيته في أصحابه في المجتمع، فإذا لقنّا له المسائل بهذا الوجه، يسهل أخذه لها، فننظر في كتاب الله في تفسير القيامة أيضًا يظهر صفة ملوكية الرب، وفي بيان الآلاء والأيام أيضًا يكون المرجع إلى بيان الملوكية، فهذا مناسب لأذهان عامة الشبان لا لأذهان الشيوخ الحكماء، فلاطمينان قلوبهم يبدل عنوان المسائل. أما الأكثرية المخاطبة في الاجتماعية الإنسانية ليس إلا الشباب، ومبدأ المسئلة هو أن الملك الحقيقي ليس إلا للرب وحده لاشريك له، فالملوكية التي انقسمت في طبقات الناس واجتماعياتهم، إرجاع كلها إلى الملك القدوس من صورة المباحث. البحث يكون من هذا الوجه إلا في شعبة من الملوكية. عامة المسائل يكون مشتركة في هذا المعنى.

"تبارك الذي" الله سبحانه يدرك الإنسان حسب مدركاته، فإن شئنا سميناه تجليًا يظهر للإنسان بعض صفات الرب في صورة مخلوق، فيتقن بثبوت تلك الصفة لله، والمعرفة بالحق لايكون إلا قريبًا من هذه الطريقة فوق هذه السموات ينتهي الجسمية في حدها، فالجسم الأخير الذي نشأ من الأجسام نسميه بالعرش وعلى العرش يظهر صفة الإهية ثم تتنازل منه إلى السماء ثم إلى الأرض، فيدرك كل إنسان بواسطة تجلٍ مناسب له شيئًا من صفات الرب، فانتهاء معرفة الإنسان بربه إنما يكون بمعرفته بتجلٍ قائم على العرش ومن ذلك التجلي تنشأ تجليات غير متناهية تكون شارحة لذلك التجلي وبواسطة يكون موصلًا إلى معرفة الحق، وهذه المسائل فاشتبه في الاجتماعيات الإنسانية بواسطة معلم الأديان السابقة يدركون حقيقتها أولا؟ فالقرآن أراد إصلاح الفطرة الإنسانية لايتخذ الطريق في إصلاحها إلا ما عندها من العلم فيحقق الحق ويبطل الباطل وبذلك يتم التعليم وأما إنشاء دين جديد فيحتاج إلى إنشاء لغة

جديدة ويحتاج إلى إنشاء فطرة جديدة، هذا ليس بمقصود، فإثبات الملك لله المتجلي على العرش ونفيه عن غيره هو أساس هذه السورة وهذا من أهم المباحث القرآنية. "**الذي بيده الملك**" مصداقه الرب المتجلي على العرش حسب إدراك الفطرة الإنسانية. **تبارك** أنزل بركاته بركات ملوكيته إلى السماء والأرض لاتعد ولاتحصى. "**وهو على كل شيء قدير**." التجلي على العرش ثم إنزال البركات منه ليس أقصى ما يدرك من كماله، بل هذا أنموذج لقدرته وهو على كل شيء قدير إشارة إلى ذلك. والأشياء الموجودة المتحققة عند الإنسان محدودة وأما الأشياء الموهومة المتخيلة المدركة كثيرة، فيثبت قدرته على جميع الأشياء حسب تصوره، فيصل إلى التنزيه والتقديس اللازم لصفات ذاته كأن تلك الآية تكون تفسيرًا الملك القدوس. "**الذي خلق الموت**" الخ أولى الأشياء في تفسير هذا الآية عندي أن يجعل الموت النوم والحياة اليقظة ليدرك الإنسان حقيقة الموت والحياة بالسهولة ويدرك أن الله يخلقه كل يوم وكل حين. وهذا الليل والنهار وهذا النوم واليقظة أليس ينتجها أن الإنسان يعلم في كل يوم حاله أحسن أم لا؟ فإذا كان هذه حياتها مسلسلة في المجازات نعمل اليوم نجازي بكرة سواء فيه الملوك وسواء فيه السرقة، فالموت الذي يأتي على الإنسان ويخرجه عن هذه الدار كما أن الحياة التي كانت له في بطن أمه كانت خارجة عن هذا المجتمع مخلوقتان لله ونتيجتها لازم أن يكون مثل النوم واليقظة. هذا شرح ملك الرب باطنًا، فيظهر لنا من السماء الله العزيز الغفور. الإنسان يجد في قلبه إلهاما طبيعيا مثل الحيوانات ويسميه الكلمة من خارج بالصدفة، فيقع في قلبه أنه الحق. هذا مثال الإلهام تعليمًا.

كلمة معترضة

نسمع من الأساتذة الدروس الطويلة الكثيرة، فعلى عرف الناس واصطلاحاتهم، قرأنا الكتب الكثيرة وأما بالنظر إلى الحقيقة فالكلمات القليلة التي وصلت إلى باطن قلوبنا وأدركناها أنها الحق بشهادة من قلوبنا هي التي أخذناها عن الشيخ وهذا يكون كالإلهام، فالإنسان يكون ملهما بإلهام طبيعي يعرف أنه الحق ويكون ملهمًا من جهة الاجتماع. الشيخ والأساتذة والآباء والمرشدون ما كان من كلماتهم قبلها بشهادة من قلبه وهذا الإلهام الإلهي من داعي عزتها وما أراد مخالفتها قصدًا يكون معززًا وإن صدرت منه المخالفة لذلك بالاضطرار يغفر وهذا يعرفه في قلبه فتبين له من السماء الله هوالعزيز الغفور ومن هذا الطريق يعرف أن المجازاة كلها بيد رب الناس وهو ملك الناس. هذا كما ذكرنا شرح للملك باطنًا.

"**الذي خلق سبع** الخ" شرح للملك ظاهرًا خلق سبع سموات سماء فوق سماء، فإذا رأينا من جهة أسفل لاندرك منها إلا أنها متطابقة بعضها على بعض وهذا أيضًا من الأمور العامة التي تأثرت بها معارف الإنسانية بواسطة الحكماء المتفكرين.

كلمة معترضة

البحث عن هيئة السماء وحركاتها في الأصل كان من علوم الأنبياء، ثم تابعهم الحكماء الربانيون، وكان ذلك أساس الملة الصائبة، ثم لما جاء الحنفاء صار ذلك العلم كالمنسوخ، فما يتوجه إليه

إلا من يكون فطرته داعية إلى ذلك من المتفكرين والشعراء، فخلطوا الحق بالباطل تمت فما صار عند عامة الإنسانية كالأمور المسلمة أن السموات سبع ومع ذلك سيارات سبع، كل سيارة تختص بفلك، فمثل هذه المعلومات العامة انتشرت في الناس، فالقرآن نبه أن الحركات السماوية كلها تحت نظام لايختلف إليه الإشارة في قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فالذين يرصدون حركات الكواكب من ألوف السنين هم يشهدون أنه لايوجد تفاوت دقيق في ذلك.

"**فَارْجِعِ الْبَصَرَ** الخ" الإنسان الذي ليس له نظر في دقائق السموات، إنما ينظر إلى ظاهر صورتها أيضًا إذا تصور ينظر إليها لايجد فيها من فطور "**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ**" هذا العالم الجسماني مخلوق من مادة روحانية نسميها بعالم المثال، كل شيء جسماني يخلق أولًا في عالم المثال ثم يخلق في عالم الأجسام، وإذا انعدم من عالم الأجسام يكون مثاله باقيًا في عالم المثال، وقدر قليل من مباحث هذا العالم مذكور في العبقات، ونرى حسب فهمنا أن قوله ثم ارجع البصر إشارة إلى رؤية عالم المثال الذي أصل هذا العالم من السموات فعالم المثال لايدرك انتهائه. "**يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ**" الخ ويرى كل شيء منظمًا بنظام متقن هذه من بركات ملك الرحمن ظاهرًا، فالإنسان إذا نظر إلى خارج ذاته ما وجد شيئًا إلا وتصرف الرحمن وقهره غالب عليه، فلايجد مخلصًا عن المجازاة، فيرجع لابد من نفسه إلى ربه، وهذا هو إصلاح الإنسانية التطابق بين الملكين الظاهر والباطن. "**ولقد زينا السماء**" الخ المتفكرون من الحكماء جعلوا السيارات السبعة مختصة بالأفلاك السبع والثوابت كلها جعلوها في الفلك الثامن، وهم إذا قرؤوا هذه الآية يبحثون عن تأويلها، والذي ظهر للمحققين أن أفكار البطليموسيين في ذلك ليست مبنية على الصواب، بل كل سيارة حركتها في دائرة تسمى فلكها، ليس جسمًا لطيفًا مركوزًا فيه السيارة، فالسيارات والثوابت كلها تحت السماء الدنيا والسموات حقيقة مثالية والتي يظهر للنظر من لون السموات، هذا أثر جسماني من الهواء النور وغير ذلك اعتدت القوى المثالية، ففي تلك الصورة لايحتاج إلى تأويل. "**وجعلناها رجومًا**" هذه أيضًا حقيقة مثالية الجنة والشياطين يجتمعون في عالم المثال في أخذ العلوم من ملائكة الملأ السافل، فيرجمون بأخذ شعلة من تلك النجوم. هذا كله يتعلق بعالم المثال، والشهب التي ترمي من السماء هي حقائق طبيعية لامثالية ويشتبه كثيرًا الأمور المثالية مع الأمور الطبيعية. وكثير من الناس الكبار الذين لهم درجة عالية في فن من العلوم الشرعية، لكن ليس فيهم قوة لإدراك المثاليات وتمييزها عن الطبيعيات، فيغلطون فيها والناس يحسنون ظنونهم لكمالهم في فن آخر، يقلدون كل قول نسب إليهم ثم يريدون تأويل الكتاب إلى أقوالهم. هذا ليس من العلم في شيء. "**واعتدنا لهم عذاب السعير**". من يتصرف في قدرة الحق بغير إجازة مشروعية يستحق العذاب. هؤلاء الشياطين ليس فرضهم أن يسترقوا السمع، فإذا خالفوا فطرتهم يعذبون وفيه تنبيه أن الإنسان إذا غير فطرته واتبع في ذلك إلهام الشياطين وصار باعثًا للناس ترك اعتمادهم على فطرتهم يعذبون أيضًا.

كلمة معترضة

قد ذكرنا أن الإلهام الحق يصل إلى قلب كل واحد من الناس واتباعه يكون فيه سعادته، فإذا تعود ذلك وأكمل فطرته يلتحق بالملأ الأعلى، وهذا غاية ارتقاء الإنسانية، فاتباع الإلهام الحق هو الطريق الصحيح للوصول إلى الكمال والإلهام الحق إنما يعرف بشهادة من قلبه، فهؤلاء الشياطين يسترقون السمع من الملائكة، فيجدون بعض العلوم الحقة فيوحون إلى اتباع طريقهم في معرفة الإلهام الحق. وهذا تغيير للفطرة. الإلهام الحق لايعرف إلا بشهادة من قلبه فإذا صار معتمدًا في ذلك على غيره لأنه وجده في بعض الأوقات، أفاد علمًا صحيحًا، واتخذه إمامًا له، وكل ما ظهر له كذبه يؤوله ولايخرج عن درجة الإمامة، فهذا الرجل فسد فطرته وهذا الدجال والشيطان كان سببًا في إفساد فطرته فكلهم يعذبون قدر جرمهم تمت.

فهذا كان نوع من التطابق بين تدبير الرب السموات والكواكب وبين تدبير الرب لإيصال المجازاة إلى الشياطين والدجاجلة فكل منها متشعب من بركات ملك الرحمن. "**وللذين كفروا**" الخ الذين اعتمدوا على ملوكيتهم ولم يتعرفوا الملوكية الرب على كل شيء، فهم الذين كفروا بربهم. "**فلهم عذاب جهنم**" الخ ويدرك ذلك كل رجل بفطرته، لأن كل من يكون داخلًا في ملوكية أحد ولم يعترف لملوكية يستحق العذاب، فكل شاب يريد من طبيعة الوصول إلى رياسة الاجتماع. هذا الحكم بديهي عنده وبعده في الآية ١١ تصريح باعترافهم بذلك الخطاء، والله برحمته لا يؤاخذ الناس على جهلهم وغفلاتهم. إنما يتأخرون بذلك عن بلوغ الكمال. هذا طبيعي إما أن يكونوا يعذبون فلا، وإذا أدرك الإنسان فريضة ما يقتضيه فطرته، ثم خالفه بالقصد أو قصر بالقصد في عدم معرفته، هو بطبيعته يدرك العذاب الأليم، لأن هذا الفساد كله جاء إليه بقصده، ففي هذه الآيات بيان أن العذاب إنما يكون للمعترفين بذنوبهم. هذا الاعتراف إما يكون على الفور أو على التراضي، ففيه ليس إلا اختلاف المدارج، وأما الذي لايفهم، فلا يعذب، فالعذاب يكون سببًا لبعد الإنسان من ربه؟ لا، لايكون ذلك.

"**إِذَا أُلْقُوا فِيهَا ...لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ.**" فما قيل لهم فسحقًا لأصحاب السعير إلا بعد الاعتراف بذنوبهم. "**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ** الخ". الغيب معناه قبل وصولهم إلى مقام التجلي، وهذه الخشية إنما تنشأ من الحب إذا غلب الحب، فيظهر اضمحلال المحب عند ذكر المحبوب. تلك الحالة هي الخشية، فالمعترف بالخطاء يكون له اتصال بالمحبوب ولو بالفهم ثم هو ما تأثر بذلك وخالف الإلهام الحق، فكان مستحقًا للعذاب. هذا العذاب يكون تكميلًا للندامة التي تحدث في قلبه، والرجل الذي يذكر المحبوب ويؤكد اتصاله به باتباع الإلهام الحق له يكون مغفرة وأجر كبير وما حصل من القصور بغير عمد منه يغفر ولايتنزل بذلك عن درجة بل يحصل له الثواب كاملا كأنه لم يقصر. هذا معنى قوله" "**وأجر كبير**"فاتباع أمر الحق ومخالفته لايحتاج إلى المجاهرة عند الناس، حالات قلبه ظاهرة عند الرب،

فيجازيه حسب ذلك، هذا هو أصل المجازاة بحسب الفطرة الإنسانية، ثم يكون المجازاة بحسب الاجتماع الإنساني. هذا له أصول آخر.

"**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا**" الخ إشارة إلى لزوم الاجتماعية المدنية للإنسانية. الإنسان لايجد جميع ما يحتاج إليه في كل موضع من الأرض فيطلبها من أطرافها وتنتظم من ذلك الاجتماع فالملك في الاجتماع أيضًا لله الحق وإليه الإشارة في قوله "**وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**". وهذا يتسلسل إلى قوله "**يمشي سويًا على صراط مستقيم**". الاجتماع إذا فسد فعذابه لايكون مثل عذاب الأفراد الذين خالفوا الإلهام الحق فهؤلاء يؤخذون في خصوصية نفوسهم ويتعرفون بجرمهم في قلوبهم عند ربهم وأما الاجتماع فيكون له أسباب المدافعة فيعذب بطريق لايقدر على المدافعة. إليه الإشارة في قوله: "**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ الخ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا**" كل من هذه الصور يجازي بها الاجتماع الفاسد. القادر على المدافعة إن أخذه ناس لكن خسف الأرض وإرسال الحاصب من السماء لايكون له قوة في دفعه، وقد مضى أمثال لمثل هذا العذاب في الأمم السالفة يشير بقوله: "**وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**" الخ "**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ**" الخ فله سبحانه أنواع من القوة في السماء إذ أشار عذاب قوم أنزل طائفة منها."**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي...فِي غُرُورٍ**". التجند الذي ينفع الإنسان من هجوم الإنسان لايكفي في مدافعة عذاب الرحمن، فإن كان الناس مطمئنين في ذلك، فهم في غرور. بلاد العرب ليس فيها أنهار وعيون كثيرة، مدار حياتها على المطر، فإذا حبس المطر يموتون. هذا النوع يكفي في عذاب الاجتماع، وفي بعض الروايات أن أهل مكة ابتلوا بالقحط لدعاء النبي عليهم إلا سنين كسني يوسف وإلى هذا النوع من العذاب إشارة في قوله: "**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رزقه**" المراد إمساك المطر. "**لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**" يريدون المشي على الباطل وإقامة اجتماعية عالية لايكون فيها الاعتراف بالحق ولاتوفية اقتضاء الفطرة، أفيقدرون على ذلك بمقابلة النبي؟ كلا! إلى هذا إشارة "**أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ ... صراط مستقيم**". الإصرار على خلاف الفطرة الإنسانية في بعض المسائل هو المشي مكبًا على وجهه. يمشي قليلًا خطوة أو خطوتين، أما يقدر على استدامة فلا! فالاجتماع يكون على قسمين: قسم على خلاف الفطرة. قسم على مقتضى الفطرة. هذا يغلب على الأول. إليه الإشارة اللطيفة في قوله: "**أهدى**" فالاجتماع الصالح الموافق للفطرة هو نعمة من الرب. وأراد في الإنسانية تكميله. إليه الإشارة في قوله: "**الذي أنشأكم إلى ما تشكرون**". فهذه الاجتماعية تحت ملوكية الرب هو يحاسبها وإليه تحشرون.

جملة معترضة

من مات يحاسب في قبره على أحواله الشخصية ويجزي بذلك بقدر ما يتحمله ذلك المحل، ثم يوم القيامة حشر الناس كلهم إلى الله، فهذا الحشر الاجتماعي لايقدر كل فرد على إحاطة أحكامه بفطرته. أما الحشر الذي يكون بعد الموت في انفراده إلى الله. هذا يمكن أن يدركه الإنسان بفطرته، ففي

آيات القرآن إذا جاء ذكر الحشر، فإن كان المخاطب عارفًا حكيمًا، فالمراد منه حشر يوم القيامة، وإذا كان المخاطبون الناس عامة، فيراد به أيضًا الحشر الذي يكون بعد موت كل إنسان، وهذا الموت إذا كان بسبب محاربة القوة الانقلابية الحقة يكون حقيقية مثل الحشر، فأرادته ليس مجازًا تحت "**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**" المراد منه حسب فهمنا غلبة أهل الحق بالقتال على الذين أنشأوا اجتماعية باطلة، ومن قتل في تلك المعركة فيحاسب حسابًا فوق عذاب القبر في حق الميت على طبيعته ودون الحشر العمومي الذي يكون يوم القيامة، فسؤالهم متى هذا الوعد أي متى هذا الحشر الذي يكون بعد غلبة أهل الحق وقتلهم لأهل الباطل، فيسئلون عن تعيين وقته. "**قل إنما الغيب**" الخ فليس السؤال والجواب يتعلقان بحشر يوم القيامة وهذا نتيجة العذاب الاجتماعي."**فلما رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**" الخ يشير إلى أن هذا العذاب يقع في حيات الذين ينذرون وهم الذين يقال لهم. "**هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ**" في العذاب الاجتماعي يتسنى لأهل الباطل في بعض الأوقات بأن أهل الحق معنا مجتمعون، وإذا جاء العذاب يعذب كل منا، فلا خير ولايكون كذلك بل يفرق الله بين أهل الحق و أهل الباطل. قيل إتيان العذاب لذلك قيل لهم أنتم لاتنظرون إلينا، بل تنظرون على أنفسكم في حالة الاستمرار على الخطأ المعترف به عند الأكثر منكم، إليه الإشارة "**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ**" الخ يعني في تلك الحالة لايكون لنا اتصال بكم. "**فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**". أنتم تتفكرون فيه، فأما نحن إن كان الله رحمنا يفرقنا عنكم وإن كان جاء الهلاك أيضًا، فهلاكنا يكون بسبب آخر غير السبب الذي تهلكون به، فلايكون بيننا وبينكم مساواة أبدًا. هلاككم بسبب سوء أعمالكم ولو فرضتم هلاكنا، فلايكون لجرم منا، بل لاقتضاء نظام آخر من نظام مملكة الرب، فنجازي بأحسن الجزاء عوض التي تصل إلينا، فلا تتفكروا في المسئلة سواء بسواء. "**قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ**" الخ فنحن لانخاف من ربنا الهلاك ولو بسبب عارضي خارجي وأما أنتم "**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**" هم لايتفكرون أن تلك الفئة الضعيفة تغلب علينا إذا ساعدت الأقدار لها ومنعت قدرة الله عن كثير من مرافقكم يمكن الغلبة بالسهولة. إليه الإشارة في قوله "**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا** " الخ فأما الذين يمشون سويًا على صراط من بركات ملك الرحمن أنهم يغلبون ويحكمون في الأرض.

٤٦

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد سورة الملك نون، وقد قرأناها في أول جزء السورة. في أول جزء سورة نون بيان الملك باطنًا المجازاة للإنسانية وفي آخر جزء[١] هذه السورة الملك لله ظاهرًا يؤيد الله بقوته جماعة المتبعين للقرآن، فيكون فيه التطبيق بين الملك ظاهرًا والملك باطنًا، ثم سورة الحاقة معناها واقعة تثبت الحقيقة، حقيقة تلك الواقعة يقال في اصطلاح المناطقة قضايا قياساتها معها، فهذا يكون في الأقوال، ومثل ذلك إذا كانت في الواقعات يعني أفعال الله. من نظر إلى تلك الواقعة فهم حقيقة ما وقعت لأجله، لايحتاج إلى قياس إلى مؤيدات من خارج، فيقال لتلك الواقعة الحاقة، فذكر الله في ابتداء السورة واقعة ثمود وعاد في العرب، ثمود في شمال الحجاز وعاد في جنوبها، ثم جاء ذكر فرعون في ثم المؤتفكات في شمال الجزيرة، هلاكة تلك الأقوام معروفة عند العرب ويعرفون وجه هلاكها بالبداهة، لايترددون في ذلك. الله أهلك قومًا ويكون عندهم أنهم كانوا على الحق، ليس كذلك، يعرفون أنهم كانوا مستحقين للهلاك ويخافون عن أفعال مثل أفعالهم، أن لا يستجلب لهم الهلاك، وقبل ذلك يعرفون واقعة نوح وقع في شمال الأرض المقدسة في آنادول وقافقاسيا العراق وشمال العرب أيضًا متأثر بذلك ويمكن أن يصل بعض آثارها إلى آخر الجزيزة. المواقع المنخفضة في الأرض يأتي إليها الماء بالطبع. أما أن يكون الفرق مثل ما وقع في آنادول والعراق أن الماء علا على جبالها لطغيان في البحور مثل البحر الأبيض وبحر الهند من الجنوب، ففي جنوب الجزيرة أيضًا يكون الماء مستغرقًا في جميع جبالها لازمًا. أما في المواضع المنخفضة فيأتي إليها الماء، وكان ذلك الطوفان أيضًا لهلاك قوم نوح فقط. وقع بيان ذلك في التوارة وكلمات عمومية كأن استغرق الأرض الخ، واصطلاح التوراة أن الأرض عندها ليست إلا الأرض المقدسة مثل تلك الكلمات العمومية وردت في القرآن أيضًا، وكثير من المفسرين للتوارة والقرآن أخذوا من عموم الألفاظ، غرق الأرض كلها وليس لذلك أصل إلا ما أدت إليه فهومهم، فقط يمكن أن أتى طوفانات قبل ذلك على جميع قطعات الأرض وبقيت منها آثار في تلك الأرض، فإذا وقف عالم عليها إلى عالم التوراة أو القرآن على الفور يقول ثبت أن الطوفان كان على جميع الأرض وليس لهم علم أن التوراة لاتبحث إلا عن عائلة إبراهيم فقط تأتي له بنسبه إلى آدم وواقعات قليلة وقعت في أجداده تذكرها التوراة ونحن نسلم أن ما وقع في الأرض المقدسة يكون تأثيره في جميع الأرض، لأنها كالمركز وهذا باعتبار الاجتماعية الإنسانية. أما باعتبار الواقعات القومية فكل ما وقع في قطعة من الأرض غرق أو حرق يكون مركزيتها راجعة إلى الأرض المقدسة، فهذا ما نعرفه أن الأنبياء بعثوا لبيان ذلك. إنما هي خيالات نشأت في دماغ الأذكياء

---

[١] في الأصل: حصة، والأنسب جزء.

أخذوا بعموم ألفاظ النصوص، وهم لم يتعمقوا في قراءة الكتاب المقدسة التوراة والقرآن من جميع اعتباراتها، فالمدنيات السامية لها ذكر في التوراة وكذلك لها إشارات في القرآن، كيف يقدرون إلى إرجاع مركزيتها إلى آنادول والشام.

إيضاح ذلك: من الهند خرج دين بودا، دين فلسفي إلهي، انتشر في أقطار الأرض خارج الهند. في ذلك الدين خصوصيات مشخصة تسمى في لسان القرآن بشعائر الدين أو شعائر الله. تلك الخصوصيات متباينة قطعًا مع أديان أنبياء التوراة. و مركز ذلك أيضًا راجع إلى سوريا والعراق أو يمكن إخراجه من فهرسة الأديان. هذه مدينة بابل لها ذكر في التوراة، هل يمكن إرجاعها إلى الحنيفية؟ فعرفنا أن تلك الأفكار إنما نشأت من مطالعة رجال من الأذكياء كتبهم الدينية، فتأثروا بألفاظها ونظموها في صورة نظريات عقلية قوله: "**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**"معنى هذا أسباب ارتقاء الارتفاقات تقع بالصدفة في قانون القدرة، فيلهم الله لرجل من عباده أن يأتي بحيلة لنجاة بني آدم من تلك المصيبة، مثالها قصة الطوفان وما ألهم الله نوحًا لسفينة، فالأذن الواعية من تلك الواقعة الجزئية تستدل على أن جميع الارتفاقات التي انتشرت في البشر من زرع المطاعم ونسيج الثياب، وأمثال ذلك كما هو مبسوط في كتب الإمام ولي الله، جميع ذلك يمكن أن يكون بإلهام الله إلى أكابر أنبيائه مثل نوح في إلهام السفينة، هذا معنى قوله: "**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**" فبالفساد في تلك الارتفاقات أهلكت تلك الأمم ذكرها الله، فهذه الحياة الارتفاقية الحياة الدنيا ومنتظمة بإلهامات وأفكار ومن أفسدها وأخرجها عن الفطرة يستعجل الله بعذابه في الدنيا، وتلك الوقائع تكون أمثلة للحاقة لأن الناس يفهمون بالسهولة أن الذي يحتكر الأقوات حتى ماتت مساكين، فهو أحق أن يعذب في الحياة الدنيا، لايحتاج الناس في ذلك إلى بنية. رجل من الحكام جمع مالًا عظيمًا بالرشوة، فالبصدفة وقع حريق في بيته واحترق كلها، هذا يكون مثالًا للحاقة عند الناس لايتردد أحد في أنه كان يستحق الإحراق وكذلك من جمع أموالًا بالربا أو بالغصب ثم أهلكت أمواله وصارت أولاده فقراء يتكنفون الناس، من يتردد من الناس في أنهم لايستحقون ذلك فمثل تلك الوقائع تسمى في كتاب الله بالحاقة. الناس مع ما يرون من إلحاقات يرون كثيرًا من المجرمين لايجازون، فالذي لايتفحص به، والذي ينظر ويتعمق ويدقق، يؤمن بأن يومًا واحدًا يأتي يوم الحساب، لأن البعض يؤخذ والبعض يترك، هذا ليس من عادة الله لأن أفعال الله كل ما تعمق الرجل يجدها متقنة مبنية على الحكمة، فلا بد هو يتيقن أن نوعًا من المحاسبة لازم أن يجري على كل أحد، وقيل ذلك الحواريون للمسيح، انتشروا في الأرض، وبلغوا إلى الناس أن يومًا يأتي يتزلزل الأرض والسماء ويكون مجازاة الإنسان وكلهم في ذلك الوقت. هم أدخلوا فيه تحريفاتهم أيضًا. الذي يجازي الناس في ذلك اليوم، هو الله خالق الناس، وهكذا كان في أصل الإنجيل، لكن نشأ فيهم قوم يعتقدون أن الله هو المسيح بن مريم، فهم في ترجمة الإنجيل بدلوا كلمة الله بكلمة المسيح، وهم لايحسبون إلا أنهم يترجمون ولايعترفون ما يأتي من ذلك التحريف من المصائب على الإنسانية على كل الأحوال، كيف ما كانت أن

النصارى أبلغوا إلى الناس مجازاة الرب يوم القيامة، وهم يبالغون في ذلك التبليغ لأن أساس دعوتهم الإيمان بالمسيح لهم إذا علموا الناس أن المسيح يفيدهم يوم الجزاء وأنشأوا لذلك مسألة الكفارة وغير ذلك، ومن هذا الطريق يقدرون على الدعوة إلى الإيمان بالمسيح بالسهولة. نحن نترك تلك الخرافات التي جعلوها مدسوسة في تلك الدعوة ونعترف لهم بأنهم أبلغوا الناس الإيمان بيوم القيامة، فالقرآن العظيم من أهم تعليماته الإيمان بيوم القيامة كما ذكرنا ذلك في سورة الملك والنصارى مشاركون لنا في هذا التعظيم.

مسألة القيامة وإن كانت في الديانة الصائبية أيضًا ضرورية، لكن المجازاة الدنياوية كانت في تلك الديانة أوضح، فاختفى عند عامة علمائهم مسألة القيامة وإنما بقيت عند الخواص منهم فقط. الديانة الصائبية لها مركز واحد في الهند قوي. عندهم كلمة ترجمتها يوم القيامة، إنما استخرجها من علمائهم من كان يناظر مع المسلمين كثيرًا ولما رأى ذكر القيامة عند المسلمين، لها شهرة عظيمة وألزمهم المسلمون أن ديانتكم ناقصة، ففتشوا كتبهم فوجدوا فيها بيانًا مثل ما يصف القرآن أحوال يوم القيامة. أما عامة الهند فلايعرفون. مثال ذلك أن جمعًا من السياسين الأوروباويين ألزموا زعماء كانگريس الهندية وأكثرها هنود من أول الأمر إلى يومنا هذا، المسلمون ما شاركوهم إلا في بعض الأوقات فألزم الأوبيون الهند أن تأسيس كانگريس على فكرة الجمهورية وأنتم من أمة قديمة لاتعرف في أفكارهم كلمة تساوي معنى الجمهورية، فاستغناؤكم عن إنكلترة وبناء حكومة على أساس كانگريس متضادان. أنكم لاتعرفون الجمهورية وليس عندكم كلمة تساوي لها، فرجع العلماء إلى كتبهم القديمة واستخرجوا منها كلمة معناها الجمهورية وهي كلمة ستنتر[١] ومقصدنا أن الأديان السابقة كلها متفقة على إتيان يوم القيامة، أما تعلميات بعضها صارت فيها مختفية وظهر في تعليمات بعض الأديان مثل النصارى، فمن كان عالما بالإنجيل ودعوة المبشرين وكان العرب أيضًا غير غافلين عنها. ورقة بن نوفل من أكابر قريش كان تنصر وكان يترجم الكتاب إلى العربية، فمن كان عالما بتلك التعلميات يسهل عليه فهم هذه الآيات.

"فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)" ويكون ذلك أيضًا من الحاقة. قوله: وانشقت السماء فهي يومئذ واهية "**والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية.**" الإمام ولي الله في حكمة الإلاهية يقسم جميع صفات الرب باعتبار تعلقاتها بالعالم والشخص الأكبر إلى أربع كمالات: ١- الإبداع ٢- الخلق ٣- التدبير ٤- التدلي ويجعل الحاملين للعرش ملائكة خدام تلك الكمالات، فيكون الحاملون للعرش بالطبع أربعة لا أربعة أشخاص، بل صنوف وصفوف لايحصى عددهم. إنما يذكر منهم أئمتهم. تلك من معرفة الشيخ مقررة عند أصحابه، ثم ولده الشيخ رفيع الدين فصل ذلك في رسالة مخصوصة وجعل كمالات الرب على نوعين: ١- قسم يقال له التكوين. ٢- قسم يقال له التشريع، وهذا القسم الثاني مختص

١- هكذا في النسختين.

بالإنسان فقط، وإذا وقع فيه بسط فيقارب التكوين ببعض الوجوه. شرح تلك الكلمة حتى إذا فرضتم أن كل فكر من الإنسان يتمثل بصورة إنسان وكذلك كل عمل من أعمال الإنسان يتمثل بصورة إنسان، فتجعلون الإنسان الواحد الفرد في المركز وتجعلون حوله الأفراد الذين خلقوا من أفكاره وأعماله يكون عالما برأسه، فإذا اجتمعت الإنسانية كلها على هذا الطريق، فهي تضاهي الكائنات كلها، ومحاسبة تلك الأفكار والأعمال التي خلقها الإنسان تكون يوم القيامة، وأما قبل يوم القيامة، فالإنسان مندمج في الكائنات، فمن الكائنات جنس الحيوانات ومن الحيوانات واحد نوع إنسان، فليس له حساب مستقل في هذه الحياة. أما يوم القيامة، فإنما يكون حسابه هو المقصود. تمت.تم شرحي.

يقول الشيخ رفيع الدين يوم القيامة ينضم مع حاملي العرش التكويني، حاملوا العرش التشريعي أيضًا وكل واحد كأنه وجد لعرش واحد، فيكون الحاملون في ذلك اليوم ثمانية، ليس ثمانية أفراد بل صفوف. تم شرح كلامه، وتلك الرسالة من الشيخ رفيع الدين جعلها أخوه الكبير وأستاذه الإمام عبد العزيز الدهلوي، جعلها جزءًا من تفسيره، وبعد ذلك بيان المحاسبة من الآية ١٨ إلى ٣٧، هو شرح للملك الإلهي باطنًا الذي يتعلق بنوع الإنسان. تلك المضامين في القرآن العظيم مبسوطة مشروحة وفي معرفة حكمتها الإنسان يرجع إلى أبواب من **حجة الله البالغة** و**الخير الكثير**. قوله: "**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ... تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. مَا تُبْصِرُونَ**" المراد منه الحالة الحاضرة للعرب في ما هم فيه من الجهل والشقاق وفي قوله: "**مَا لا تُبْصِرُونَ**" إشارة إلى أنه يأتي لهم من المستقبل الذي يعظمه جميع الناس، فالحالة الموجودة والحالة الآتية نجعلها شاهدين على أن هذا التعليم هو التعليم الإلهي بواسطة رسول كريم، لأن كل ذلك يكون على منهاج المجازاة التي أثبتها الأنبياء ويكون نتيجتها موافقة للمجازاة التي تأتي يوم القيامة وأخبر الأنبياء عن حالات الصالحين، فمثل أولئك الصالحين ينشأ في العرب بتعليم القرآن، فهذا الدليل كان ظاهرًا على صدق نبينا عليه السلام، وفي ضمن ذلك نفى القرآن العظيم عن القرآن أنه ليس بقول شاعر ولابقول كاهن، فهؤلاء إنما يبحثون عن حالات جزئية عارضة. أما دعوة النوع الإنساني كلها وجعلها متهيأة للدينونة الكبرى من شاعر أو كاهن كلا.

لطيفة معترضة

نبع في زماننا من رجال الهند شاعر اسمه الدكتور إقبال، كان أولًا داعيًا إلى الوطنية لأن أهله من طائفة برهما الكشميرية، أسلم أجداده. هو قرأ العلوم الإنكليزية إلى الكمال وصار محاميًا وحصل سند الدكتوراه من ألمانيا. له قريحة لطيفة يأتي بشعر يأخذ بالقلوب، فنحن جربنا حالاته بالتدريج بعد الوطنية، انتقل إلى دعوة اتحاد الإسلام ودعوته وشعره مؤثر غاية التأثير، اشتمل على فلسفة بعض الألمانيين تشارك في أكثر أفكارها لفلاسفة الهند وأتى بمبشرات مشهورة في الأحاديث بكلام لطيف، فتأثر منه الشبان كثير التأثير، وهو يعترف الاقتصاديات، فلما جاء روسيا بالانقلاب أيدهم بأشعاره وكلامه لطيف بالمرة، لأنه يعترف الاقتصاديات ثم رأى أن الحركة العربية تقوم على ساق فأتى بتأييدها بما كان في دماغه

محفوظًا ثم رأى فيها نقائص، فشرع بتلميحات إلى الرد عليهم وله معرفة بالفلسفة الاجتماعية العالمية، فيخترع من تلك النظريات الحكم على سياسيات أوروبا، فيتخبط، وليس في قلبه قوة وشجاعة بمقابلة الحكومة الحاضرة، فأرادت أن نستعين به الرد على سياستنا نحن المبنية على اتحاد الإسلام وإلى إحياء الوطن وإلى رعاية البرنامج الاقتصادي ورعاية السياسة العالية، فالأشياء كلها في برنامجنا أيدها الإقبال في مختلف أوقاته، فإذا أرادت أن يكتب خلافًا لنا، فكتب أشعارًا لطيفة ردًا علينا وسمى تلك الرسالة **پيام مشرق** فيه دسائس قليلة ردًا علينا فأشاعتها الحكومة الإنكليزية بواسطة ترجمتها بالإنكليزية إلى كل موضع وصل إليه دعايتنا بضد الإنكليز، فإن كان الشعراء مثل ذلك، فما نقول في حق الشعراء لا نقدر أن ندعو لهم بالرحمة ولا أن ندعوا عليه باللعنة، تمت. وفي كل ما أتى به بعد **پيام مشرق** تدارك على نفسه وهذه الدعوة العالمية الانقلاب العالمي يمكن أن ننسبها إلى شاعر ما أبدًا لايمكن هي الدعوة الحقة لها منها عليها شواهد.

قوله: "**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ...حَاجِزِينَ**". تلك الآية شكك فيها القادياني عامة القراء في بلدنا. هو يقول لو كنت أنا كاذبًا في دعوى النبوة، لقتلت بحكم القرآن ولما ترونني أني لم أقتل، فذلك يثبت صدقي، فاجتهد أهل النظر للجواب عنه وأنه أكثر كلامهم مهم أن هذا راجع إلى بني شأنه عظيم والقادياني ليس من تلك الدرجة حتى يؤاخذ به ولهم في تفسير ذلك الفكر كلمات طويلة عريضة عندي في ذلك المبحث ما كان عندي نشاط في قبولها منهم لأن كلامهم يصير دقيقًا لايقبله إلا خواص من أهل العلم، فليس الجواب في الوضوح مثل استدلال ذلك الدجال والذي يطمئن به قلبي في ذلك الأمر أن هذا يتعلق بالواقعة يصدق عليه الحاقة، فإذا كانت نبوة كالحاقة ثم هو تقول على الله بعض الأقاويل لقطع ويأتي ما يؤيده في ما بعد ذلك من الآيات وأنه لتذكرة للمتقين. كل رجل يريد إقامة العدل في الدنيا فهذا القرآن تذكير له كلما تفكر هو من إقامة الحق كله يجد فيه، هذا معنى قوله:" **وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**." لايفهم معناه من جعل التقوى منحصرة في تحسين الطهارة والتزامها وذكر الله والصلاة والتزام الأخلاق الحسنة بانفرادية، فمن جعل مصداق التقوى حالة هذا الرجل الذي وصفنا حاله، فهو لايقدر على فهم معنى تلك الآية (وإنه لتذكرة) فالمتقون إذا رأوا جميع أفكارهم جميع برنامجهم في القرآن كان تعليم القرآن عندهم كالحاقة. رجل يكون حاملًا لمثل تلك النبوة وهو يتقول على الله بعض الأقاويل، لازم أن يقتل لأنه يبطل الإنسانية. أما الذي يتكلم بكلمة وهو في نفسه شكوك لا تأتي في تلك الآيات. نحن نعرف الميرزا القادياني ونفسياته مثل ما نعرف من نفسيات إقبال لأن هؤلاء من بلادنا. أنا من تلك البلاد. أنا السيالكوتي المولد والإقبال منها وقريب منها مولد القادياني. هذا غلام أحمد من أولاد التيمور ونسبة يتصل بعائلة مالكة في الهند لما خرج المهدي في السودان. هو رأي منامات في الرؤيا أنه يقدر أن يغلب على الدهلي وفي نفسه أنه سلطان آبائه من هذا الطريق صار هو يترقى إلى انتصار الإسلام ورد الكفر، فتلك الكلمات العمومية لنصرة الإسلام ما كان لها معنى في قلب الميرزا غلام

أحمد إلا تحصيل حكومة الدهلي لنفسه وعائلته إذا كان مهدي يبعث في السودان، فبعث مهدي في الدهلي لا بأس في ذلك ونعرف من بطائنه ما سعى لمقابلة الحكومة الإنكليزية لكن الحكومة تنبهت على الفور وجمعت حوله رجالًا دعاة إلى اتحاد الإسلام وأمثال ذلك وهم كلهم من المؤمنين بعظمة إنكلترة وإن الإسلام لايكون له مستقبل إلا بقوة الإنكليز ودخولهم في الإسلام، فلما اجتمع حوله مثل تلك الطائفة تغير المسكين عن دعوة السلطنة الهندية، فبعد ذلك كانت له خرافات فوق خرافات كلها غير منتظمة يومًا يمدح الإنكليز ويومًا يرد عليهم والذي عندي في حقه أنه رجل مثل الأمراء كان يريد حكومة آبائه واختار لدعايته مقابلة الكفار والرد عليهم وانتصار الإسلام ليجتمع الناس حوله، فالذين هو كان يحب أن يجتمع عنده لعله ما جاء عنده أحد والذين يخالفون لنظريته في حكومة الهند، ولهم نظريات بتحصيل تأئيد الإنكليز لنصرة الإسلام، وهم على طرائق مختلغة، بعضهم على طريقة السيد أحمد خان ينكر نزول المسيح وبعث المهدي وبعضهم على طريقة دعاة العربية، إذا كان الأتراك يذهب حكمهم عن بلاد العرب، يخرج المهدي على الفور، فتلك الجماعات المختلفة جعلها الإنكليز بقوتها السياسية حول مرزا غلام أحمد القادياني الذي يرى في رؤياه أنه يتملك الهند، فغيروها عن مسلكه، الرجل ما كان عالمِا في نفسه، لكنه ذكي شاعر يأتي له الناس بنظريات إحياء الإسلام وكلها يكون فيها العمدة الحكومة الإنكليزية فهو يتعمق فيها وكان صاحب القوة الوهمية، فيتعلق به شيء من تلك الأفكار، ثم يراها في رؤياه في صورة المبشرات. هذا خلاصة ما عندي في حق هذا الرجل المسكين، ثم خلفه بعد ذلك الحكيم نور الدين وهو رجل من علماء الهند الكبار وكان مسلكه يشبه مسلك السيد أحمد القادياني، فهو لو انفرد بنفسه ودعا الناس إلى تعلم القرآن منه ثم السعي لإقامة الدين، لكان نفعه كثيرًا للمسلمين بالنسبة إلى انضمامه إلى هذا الرجل، لأن نور الدين مع كونه عالمِا ما كان يظن أنه مستقل في الدعوة إلى فكره ويحتاج إلى ركن يعتمد عليه والميرزا القادياني كان أيضًا لمثل هذا لأنه ادعى أنه يرد على جميع الكفار بالدلائل العقلية وما كان قادرًا على ذلك، لكن دعواه كان بإخلاص منه للإسلام ونور الدين كان أقدر على ذلك منه، وهو رجل مستقل الفكر لايتبع أحدًا ولو جعل الآخر نفسه نبيًا عليه السلام إلا مثل ما يصانع الناس للكفار وهو ما كان يرى نزول المسيح وما كان يرى بعث المهدي مثل السيد أحمد خان، فانضما تحت مصالح مخصوصة لأن أهل الحديث بالبنجاب يؤمنون بنزول المسيح وبعث المهدي وفق الأحاديث وهو جماعة قوية تحب الجهاد مع الكفار، فدعوتهم إلى مثيل المسيح أمكن وبرد عقيدتهم بنزول المسيح الحقيقي تضعف الجماعة في اعتقادها، فتذهب عنها الجماعة في مقابلة الإنكليز. أصحاب السيد أحمد خان كانوا يرون أن مقابلة المسلمين الإنكليز بالقوة الحربية أو ادعاؤهم لذلك سبب عظيم لتأخرهم عن الاجتماعيات، فإذا خرج الفكر من دماغهم يفهمون الإسلام أحسن من الأول، وكانوا يؤمنون بذلك بالإخلاص والصدق، فإذا جعل برنامج مثيل المسيح الرد عن جهاد النصارى يكون أوفق لنظريات تلك الطائفة، والمسكين غلام أحمد أيضًا مجبور لقبول تلك المصالحة، وهكذا انتظمت الحركة القاديانية

بجمع ميرزا غلام أحمد والمولوي نور الدين على اعتقادات مشتركة بينها، ثم اغتنمها الحكومة الإنكليزية لأنها يسهل لهم الفتح لبلاد الأفاغنة التي جعلها سياسة الهند من أهم الضروريات لحفظ الإمبراطورية الهندية، فالدعوة إلى القرآن وترجمتها وتليين مسئلة الجهاد كلها من خواص المولوي نور الدين، ليس لميرزا في الدعوة القرآنية أقل شيء. والدعوة إلى كونه مثيل المسيح وسلطان الهند هي من الميرزا الآن ولد ميرزا يتعلق بالأمور السياسية أكثر بالنسبة إلى والده ويحب بالتوارث ما أحبه أبوه وليس فيهم ديانة ولا صلاح ولاتقوى مثل أوساط الناس من أهل الهند. أما المولوي نور الدين فكان مستثنى من ذلك. كان رجلًا عظيمًا لو لم يتلوث لمخالطة الميرزا، هو أنشأ جماعة أكثرهمهم تبليغ القرآن مثل الحواري المسيح إلى جميع الأقوام في الدنيا، لكن خبطهم بالقتال الميرزا أخرهم كثيرًا. لو كان المولوي نور الدين انضم إلى السيد أحمد خان لانتفع زيادة على هذا ولكن ما كان يقدر على الانضمام معه، لأن المولوي نور الدين رجل عالم يصلي ويصوم، ينكر على الذي يترك شرائع الإسلام بدون عذر. والسيد أحمد خان مثل الأمراء والأفندية في توركيا ومصر لم يكن كذلك كان يصلي ويصوم، لكن لا بالالتزام، فلايمكن الاتفاق بين نور الدين والسيد أحمد. أما ميرزا غلام أحمد فكان يحب الشرع، كان يصلي ويصوم وكان كالتلميذ لنور الدين. أما عندي فلو كان نور الدين تفرد من هذا ومن ذاك لكان أنفع للمسلين وبالآخر جماعة صارت مجبورة على ترك القادياني وجعلوا لهم مركزًا مستقلًا في لاهور. هم الذين يدعون إلى القرآن والسنة في أطراف العالم ولايذكرون الميرزا خارج الهند في عامة دعواتهم، لكن في الأصل هم تقيدوا بتصديق جميع أقوال الميرزا فصدهم ذلك في التقدم لخدمة الدين فلو كان المولوي نور الدين أسس من الابتداء مركزًا عظيمًا لتعليم القرآن كان جماعة أنفع للمسلمين. هذا ما عندنا في مطالعة الحركة القاديانية. أنا لاأجعل الميرزا من رجال الدين، ودعاويه كلها مثل الدجل والخبط وأجعل المولوي نور الدين رجلًا عالمًا مجتهدًا من المعتزلة يميل إلى إقامة السنة وأخطأ لكنه ما تعمد والله يغفر لنا ولهم. إذا رأى الرجل رأينا ومطالعتها في حق الميرزا هل يمكن بعد ذلك أن يأتي عندنا شك أنه ادعى ولم يقتل، فلذلك كان على الحق؟ لكان هذا جنونًا قوله: "**وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ.وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ.**" يعني إذا رأوا ارتقاء المسلمين في مدارج الكمال. قوله: "**وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ.**" هذا عندنا معنى الحاقة يترشح اليقين بحقانية من نفسه. "**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ.**" الحمد لله تمت السورة. أغسطس ٢٦ يوم الخميس ١٩٣٧ء.

٤٧

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصل في الحكمة إدراك وحدة النظام العالمي. القرآن العظيم يلقن تعليم الدين وقسّم الحصة الأعلى منه إلى : ١- القانون. ٢- وإلى الحكمة، فالمسائل التي تكون متعلقة بالقانون منها يوم المجازاة يوم الدين أو المجازاة، لأن صورة القانون لاينتظم إلا إذا فرق بين مدارج الأوامر والنواهي، وهذا التفريق مبنى على أن بعضها ضروري وبعضها مكمل ومعنى الضروري لايرجع إلا أنه يجازى به أشد المجازاة، فبهذا الطريق اتصل مسألة المجازاة بالقانون، لكن هذا إنما يكون صورة المجازاة من فعل كذا، فله أجر مثل كذا أو من كذا، فعليه عذاب مثل كذا. أما معنى المجازاة لايأتي إلا في حصة الحكمة من هذا التعليم، فهذه السورة القصد منها. قوله: "**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**". الكافرون يستحقون العذاب ليس له دافع، لكن السؤال إنما يتعلق بالوقت، لأن الناس ينتظرون إن كان هذا صحيحًا من خالف الدعوة ينزل عليه عذاب من الله، فليدخلوا في الدين فيسألون متى يكون هذا العذاب والقرآن لايجيبهم عن السؤال لأنه راجع إلى العلم الحسي الذي يشترك فيه الحيوان والإنسان سواء، والإنسان ممتاز عن الحيوان بالعلم النظري، فالدعوة الدينية دائمًا تكون إصلاح الاجتماع الإنساني وتكميله، فالبحث في درجة نازلة عن الإنسانية ليس من أمور الدين في شيء، فيبين لهم قانون المجازاة فيتفكرون فيه، فلايحتاجون بعده إلى تعيين الوقت، ففي هذه السورة بيان لحكمة المجازاة على الدرجة الابتدائية للأميين. "**مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**." الأمور التي يخلقها الله تعالى أيتحقق ثمرتها في وقت واحد؟ أم يكون فيه اختلاف؟ بعض الأشياء تظهر ثمرتها في يوم وتظهر ثمرة بعضها في شهر وثمرة بعضها في سنة وثمرة بعضها في سنين إما عشرة أو مأة أو ألف أو عشرة آلاف أو فوق ذلك، فلو فرضنا أن الأشياء المخلوقة تنزل من الله لأنه ليس للمخلوقات منبع آخر سوى ربهم فيمكن أن نقول إذا أثمر كل شيء، فهو يرجع إلى ربه لأن الفناء بمعنى الانعدام بعد إثمار الثمرة لايليق في الحكمة القدرة والمحنة التي صرفت إلى أثمار الثمرة لازم أن يظهر إفادتها في موضع وأن يكون كله عبثًا، فإذا قررنا هذا الفكر فيلزم منه أن كل شيء لايرجع إلى ربه في وقت واحد، فعروج الأشياء إلى الله باختلاف الأوقات يظهر أن الله ذو المعارج، الأشياء لاترتقي إليه إلا تحت قانون للعروج خاص به، وهذه المسئلة عند أرباب الحكمة من البديهيات. نقول: شيء نزل فعروجه لازم ولله سبحانه كمالات غير متناهية، فهذا العالم الذي نحن نشخص قطعة من تلك الكمالات، فلا نبحث إلا عن ذلك العالم لاعما كان قبله ولاعما يكون بعده، فإننا لاندرك شيئًا لايكون لوجودنا تعلق به، وهذا العالم تعلقنا به واضح. حياتنا الدنيا تستفيد من المواد الأرضية من العناصر من المعدنيات والنباتات والحيوانات وغير ذلك ونستفيد من السماويات بنور الشمس والقمر والكواكب ومن المطر والسحاب وأشياء غير ذلك، وكل هذه الأشياء لنا به تعلق، فنقتدر على فهم شيء منها، فلنفتصر جهدنا في تحقيق الحكمة على هذا

العالم المشخص، فإن كان هذا العالم له أدوار فدورة منها إذا انتهى يبتدئ دورة أخرى، فلنقتصر جهدنا في تحقيق الحكمة على الدورة التي نحن فيها. نرجع إلى الأقوام الإنسانية. عمر الإنسان الواحد مقرر، وعمر جماعة ينشأ فيها هذا الرجل أطول منه، وتلك الجماعة تكون متولة في جماعة أخرى، فالجماعة الكبرى عمرها يكون أطول من الجماعة الصغرى، هذا الجماعة نسميها بالقوم، فالمسائل القومية دورة منها تتم في ألف سنة. هذا يعرف بالتجارب إذا مضت من عمر قوم ألف سنة، ففي الدور الثاني يتبدل طوره كثيرًا، فالدورة الواحدة نسميها باليوم لأن المعاشرة الإنسانية تعتبر دورات الشمس من أصول الحساب، فالدورة الشمسية تسمى بيوم كذلك كل دورة بيوم، فيوم القوم يكون ألف سنة، فإذا أجمعت أقوام العالم لاتزيد عن خمسين قومًا، فباعتبار هذا الفكر يوم الأقوام يكون خمسون ألف سنة في تلك الدورة تتم للإنسانية أنواع من الكمال والدورة الثانية بعد ذلك تكون على طور آخر ولانقتدر على إدراكها اليوم، فلنقتصر جهدنا في تحقيق المسئلة الإنسانية التي هي موضوع الشرائع الإلهية بواسطة الأنبياء على خمسين ألف سنة. "**تعرج الملائكة** الخ" في حكمة الإمام ولي الله مسئلة حظيرة القدس واضحة التي هي مجتمع الإنسانية عند ربها كما أن الشخص الأكبر كله يرجع إلى العرش المتجلي عليه الرحمان كذلك الإنسانية كلها ترجع إلى حظيرة القدس تحت العرش ومركز حظيرة القدس الروح الأعظم الذي هو روح واحد للعالم كله وحولهم جماعة من الملائكة تمد الروح في تكميل أفعاله مثل الحواس والجوارح في الشخص الأصغر، فمحل اجتماع الروح والملائكة هو حظيرة القدس وفي قلب الروح الأعظم عكس التجلي القائهم على العرش نازلًا منه إليه وكل ما نزل تجلٍ إلهي في موضع، فيأخذ الأمور المتعلقة كلها بيده، فلايترك لشيء آخر أمر ونهي ولا شيء، فإذا نزل تجلٍ إلهي في وسط حظيرة القدس، فجميع أمور حظيرة القدس يكون تحت فيضه وإرادته واختياره، فمسائل الحكمة الفروع منها لايمكن أن تدرك إلا إذا كانت أصول التجلي على العرش وأصول قيام حظيرة القدس مسلمًا عنده. إما وصل إلى ذلك بتحقيقه وإما لاعتماده على إمام يرشده إلى ذلك بالتدريج، فلايكون هذا تقليدًا، بل اتباعًا على رجاء التحقيق، فمن لم يحصل له ذلك العلم بالأصول بأحد الوجهين، فلايكلف نفسه للخوض في تلك المباحث. ينزل قضاء من العرش إلى حظيرة القد،س فيفهمون معنى وينتظم عند الأمر أنه يتم وكذا مدة، فيشتغل الروح والملائكة بتكميله، فإذا أتموه رجعوا إلى مستقرهم في حظيرة القدس ورتبوا نتيجة أعمالهم، فإذا كان موافقًا للقضاء الذي قضى به أولا صار سعيهم مشكورًا عند ربهم، فيصعدون في مدارج ويسلهم إليهم أمور أعلى من الأولى. الروح الأعظم الذي ذكرناه الخ أنه روح للعالم كله وجوده كان موازيًا للعرش وأما الروح الذي ذكرناه في حظيرة القدس هما في الحقيقة روح الإنسانية كلها وحظيرة القدس كلها مرجع الإنسانية، فالروح الإنسانية التي هي إمام النوع تتفرع منه أرواح على المدارج المختلفة، فالصنف الأول يكون أرواح الأصناف، ثم من تلك الأصناف تنشأ أصناف أخرى على درجات، فتتنازل الأرواح طبقة بعد طبقة حتى يصل إلى أرواح الأفراد ومع كل روح يكون خادم ومؤيد له من الملائكة، وهذا يكون في

الطبقة العالية من عالم المثال والسموات أسماء والأفلاك أسماء طبقات عالم المثال عندنا وهذا باعتبار ما اصطلح عليه المتكلمون مع المشائين من الحكماء والأفاضل. المسئلة عندنا السموات التي لها ذكر في كلام الأنبياء وهي سبع. هي مع طولها وعرضها وعمقها واستدارتها أسماء طبقات عالم المثال، وتلك الأسماء عوض ذلك عند المشائين من الحكماء كلمة الأفلاك ويجعلونها ذات حياة ونفوس وعلم ويجعلون سيارة واحدة ذريعة نقل قوتها إلى الأرض وتلك السيارة تدور في فلك في دائرة لذلك سموا هذا الحقائق ذوي النفوس ذوي العلم باعتبار حركة سيارتها فلكًا، فإذا رجعنا إلى تحقيق كلام المشائين كلام أئمتهم، فلانجدهم متضادين لكلام الأنبياء في ذكر السموات في مادة جوهرية، فلذلك قبل المتكلمون أن معنى السموات في الشريعة ومعنى الأفلاك عند الحكماء واحد، وأما المتأخرون من المشائين الذين كل من أتى بعدهم يلخص كلام سابقه، ليس عنده في تحقيق النظرية بصيرة ما، إنما لخصه المتقدمون، فكلام المتأخرين على طرف شاسع بعيد من كلام الأنبياء وإلا فكلام المشائين من اليونانيين والإشرقيين منهم، وكذا كلام حكماء الهند كان متقاربًا وهذا ليس بعيدا عما أتى به الأنبياء، فحظيرة القدس فوق السماء السابعة يعني في الطبقة العالية من عالم المثال والسموات السبع ملحقة بها تم يتنزل تلك الأرواح إلى الطبقة السافلة من عالم المثال وهنا يكون صنف من الملائكة يقال لهم الملأ السافل وصنف الجن، فلما كان في الطبقة العالية لعالم المثال مع روح كل فرد فرد من الإنسان ملك مؤيد له إذا نزل ذلك الروح إلى الطبقة السافلة يكون بإزاء كل روح جن في تلك الطبقة يؤيد ذلك الروح في أعمالها. هذا الذي ذكر في الرويات أنه قرين من الجن، فإذا نزل الروح إلى عالم الأرض وحصل جسدًا يكون له روح مخصوص حيواني ينضم إلى ذلك الروح الحيواني قرينه من الجن، فإذا ارتقى الروح النازل من إمام الأرواح الذي نسميه بالنفس الناطقة، ومعنى ارتقائها أن يكون حاكمًا في النسمة المقترنة بالجن ولايصير محكومًا لها، فإذا حفظ طبيعته العالية انضم إليه قرينه من الملائكة، ثم يعمل هذه النفس الناطقة بواسطة بدنها أعمالًا لاتنتظم منها الاجتماعية الإنسانية من المنازل والقرى والمدن والممالك ومملكة تحكم على جميع الممالك. هذا طبيعة النوع الإنساني لايمكن أن يتجرد عنها كما لايمكن أن يتجرد النحل والذباب عن مقتضياتهما. الأعمال في الاجتماعية الإنسانية تظهر بوجهين: إما أن يكون حكم النفس الناطقة وقرينه من الملائكة أغلب وأظهر وإما أن يكون حكم النفس الناطقة مغلوبًا لحكم الروح الحيوانية وقرينه من الجن، فالطبقة الأولى تلحق بحظيرة القدس بالسهولة والطبقة الثانية طبيعتها تميل إلى اللحوق بحظيرة القدس والحياة التي اكتسبها الروح توافق النسمة الحيوانية، فهي تجذب إلى أسفل ولاتترك أن يرتفع فيع في قلبها حيرة أولًا ثم انقباض ثم إدراك عذاب ويمتد إلى أن يتخفف عنه تلك الأثقال الحيوانية ويرجع إلى أصلها. هذا الاضطراب والمجاهدة للتخلص والرجوع إلى الأصل محله جهنم والطبقة تصير إلى أصلها بسهولة، فمن مفترق الجماعتين يبتدئ الجنة في طريقها والسير في الجنة بقيضها إلى حظيرة القدس وخلاصة تلك الطبقة التي ابتليت بالدخول في جهنم ينتظره روح الإمام الإنساني بطبيعته ولايحسب هو تامًا في مقتضى كماله

إلا إذا رجع إليه جميع الأرواح التي تنزلت منه. يتولد الإنسان من أب وأم ويتفرق طبائع الأولاد بعضها عن بعض، فلنفرض عشرة من الإخوة ولدوا من أب وأم واح،د فكل سار حسب طبيعة ومعداته التي أعدته، فوصل رجل منهم إلى سلطة البلاد وخمسة وستة من إخوانه إلى درجة الوزراء والأمراء الكبار وثلثة وأربعة من تلك الأخوة بقوا في المحنة والمصائب. واحد منهم حبس في السجن بقانون أخيه السلطان، بل ينظر الإنسان حينئذ إلى عواطف الأم. إذا اجتمع سبعة من الأمراء والوزراء والسلطان كيف تزيد فرحتها وتحسب نفسها سعيدة في الدنيا والناس كلهم يبركون عليها. هذا باعتبار المجتمع، إما بالنظر إلى نفسها الوحيدة، فهل تكون مطمئنة قبل خروج ولده من السجن؟ كلا! رأينا الأمهات واحد من أولادها يسافر وهو في حالة طيبة، فيأتي يوم العيد وكل أولادها مجتمعة عندها إلا الواحد المسافر، فهي بشاشة مطمئنة في المجتمع، وأما إذا انفردت تبكي على فراق ولدها المسافر. من هذا الطريق ينبغي أن يفهم الإنسان رجوع الأرواح إلى إمام النوع الإنساني في بعد فراغها من حياتهم الدنيا، فالسعداء مهم يتصلون إليه بالسهولة والأشقياء يحبسون في جهنم، لكن لإصلاحهم وعلاجهم وتخفيف ما اكتسبوا من الحياة المضادة لرجوع الروح إلى أصلها، فمهما يصرف فيه من الأوقات، لابد أن يرجع كل شيء إلى أصله، فالدورة الواحدة للإنسانية تتم في خمسين ألف سنة، كل روح كان خرج الروح الأعظم الإنساني وتنزل طبقة بعد فراغها من عملها في جسدها إلى الأصل طبقة بعد طبقة، ويتم ذلك في خمسين ألف سنة. آخر روح في الدرجة الإنسانية حبس شقائها عن الرجوع، لابد أن يرجع في انتهاء تلك المدة، وإنما يستثنى من ذلك أرواح تفسخت إلى أرواح أدنى ما بقي فيها من الإنسانية، فتلك الأوراح معاملتها لايمكن أن نفهمها في حياتنا الدنيا هذه، هل يمد لهم في مدة من الدور الأخر لإصلاحها! أو يركبون في الإنسانية مرة أخرى! مثل ما يكون الدرهم الزيف تذاب ثم تصاغ، فهل يكون لتلك الأرواح بعد إذابتها صوغ آخر؟ أو يمد لهم في مدتهم؟ كل ذلك خارج عن إدراكنا الدماغي اليوم، فطول المدة في جهنم إذا كان غير محدود، فإنما يكون باعتبار تلك الأفراد، وأما الذين بقي من إنسانيتهم شيء إنما غلبوا بالحيوانية، فهم قبل ذلك مضى خمسين ألف سنة لازم أن يخرجوا من جهنم ويرجعوا إلى أصلهم." **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ** الخ" أي إلى حظيرة القدس. الملائكة العاملة مع الأرواح الإنسانية والروح المراد منه في نظرنا من أرواح الأصناف إلى أرواح الأفراد، فإن الروح إمام الأرواح هي تكون مستقرة في مقامها، إنما تنزل بلباس أحد أفرادها، فالأرواح التي كانت للأصناف، ثم للأفراد كلها ترجع إلى الله المتجلي في حظيرة القدس في يوم أي دورة بين ابتدائها وانتهائها مقدار خمسين ألف سنة، ونحن نرجو ممن سمع تفسيرنا أنه لايعد نفسه أهلًا لفهم تلك المطالب العالية إلا بعد ما أحاط على الفلسفة الإلهية في كتب الإمام ولي الله، **حجة الله البالغة** و**البدور البازغة** و**الخير الكثير** ويستعمل كالمفتاح لتلك الكتب كتاب **العبقات**. فمن لم يستطع على هذه المجاهدة، فلا يكلف نفسه في فهم ذلك التفسير.

على تلك الفلسفة ليس معنى المجازاة إلا اتصال معلول لعلته، فالاجتماعية التي تجمع الأقوام الإنسانية كلها في ظرف خمسين ألف سنة إذا كانت مدبرة بتدبير واحد في حظيرة القدس فوصول فرد منه إلى نتيجة عن علتها بحدوث موانع وضروريات أقضى من ذلك في نظام بجمع ألوف ألوف ألوف من الإنسان ومأة من الأصناف لايستعبد.قوله: "**فاصبر صبرًا.**" تفريع هذا الصبر على النظام الذي ذكرنا في التفسير مستفاد من الإمام أقرب إلى الذهن وأما إذا تركنا نظريات فلسفة الإمام، فالأمر يصعب إلا أن يدخل في المتشابهات. "**ونراه قريبًا.**" لأنه نظام واحد قضى به في آن واحد، فالمقدم والمؤخر عندنا سواء سواء، فسؤال الوقت ليس من اقتضاء الإنسانية، فلايستحق الجواب وأما كيف يكون العذاب وبسبب أي عمل يسهل الوصول إلى المقصد وبسبب أي عمل يتأخر؟ البحث في ذلك وفهم الحقيقة وتطبيقها على النفس هو أولى بأهل النظر، فيأتي يوم يفسد ذلك النظام، النظام المادي الأرضي والسماوي، والسماوات في عالم الأجسام، معناها غير الذي ذكرناه أولًا، والسموات ههنا المراد منها الكواكب السيارات وغيرها وما يرى من الأزرق الحادث بالهواء والنور وغير ذلك وكل ذلك دون السماء الدنيا الحقيقة، فهذا كأنه طرف من السماء، فهذا النظام الذي نراه في الكواكب الشمس والقمر تطلع تحت قاعدة هذا يبطل في يوم ما، لكن مدتها ما يكون؟ غير معلومة، فليتحقق الإنسان البحث عن الحقائق في القرآن أن الإنسان إذا لم يصل إلى درجة من الوحشة حتى لايدرك عشرة أو عشرين كما ينظر في الأقوام الوحشية اليوم أيضًا إذا لم يغلب على الدماغ الإنساني تلك الوحشة، فسير الكواكب لايبطل إلى ذلك الأوان، لأن الأشياء تنزل تحت معدات لها، هذا ذكره الإمام ولي الله في **التفهيمات**، فالأعداد التي تذكر في بعض الكتب المقدسة من السنين ويختلف في ذلك نسخ التوراة كلها، غير معتدة بها، وإنما ألحقها الكتاب المترجمون والذين كتبوا عليها الحواشي، فليست هي من متن الكتاب، والمسلمون أخذوا ذلك وقلدوهم، فتخبطوا في فهم القرآن وكل يوم يخرج منهم رجل لايفهم الحقائق ويقول جاءت القيامة يعني اتركوا ما أنتم تعملون عليه من النظام، فلايكون لقوم من المسلمين برنامج مستقل وكل ذلك خرافات. القرآن ماضٍ إلى آخر يوم من الإنسانية، لايمكن أن يأتي نظام أعلى منه للإنسانية. هذا هو مسئلة الالتفات إلى السنين التي أعرض عنها القرآن، فيتبعون في ذلك روايات اليهود ويجعلونها دينًا قيمًا، وهذا كله بسبب عدم تدبرهم في القرآن بواسطة حكماء الأمة، فإلى الآية ٣٥ بيان الأعمال المنجية والمهلكة التي يتفكر فيه الإنسان ويجعل لنفسه درجة باعتبار ذلك في العروج إلى الله، وأما الذين لايتفكرون في تلك المسائل، ولما سمعوا أن القرآن يخاطب العرب وقريشًا منهم خاصة أوجدوا لأنفسهم قيمة فوق ما يستحقون كأنهم يفهمون أن القرآن إنما يمشي تعليمه وتحريكه حسب ما نمشي نحن، فهو محتاج إلينا وإليهم أشار في قوله: "**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ** إلى **نعيم.**" هم يحسبون لما كان حركة القرآن موقوفة علينا، فإذا نحن لم ندخل في الجنة أو لم نحاسب في الطبقة العليا، فمن يتلون من

الأقوام كيف يصلون إلى الطبقة العالية، فنحن بقوميتنا العربية أو كوننا قريشيين نستحق أن نعد من الطبقة العيا، فندخل جنة نعيم.

جملة معترضة

إذا قرأنا التوراة نجد فيها ذهنية اليهود متقاربة لذلك التوراة يجعل الارتقاء لأولاد إبراهيم واليهود يزعمون أنفسهم أنهم حقيقة من أولاد إبراهيم، فإنهم على ما عليه من العلم والعمل يحسبون أنهم مستحقون أن يعدوا في الطبقة العالية، فمن تهذب بالتوارة فرأينا بعض الأنبياء يؤبخونهم على ذلك، فقالوا كلمة معناها أن الله قادر على أن يخرج أولاد إبراهيم من هذه الأحجار، ففهمنا من ذلك أن مراد الأنبياء من أولاد إبراهيم أصحاب استعداد خاص في الإنسانية لا أنه يخلق لحمهم وشحمهم من نسل إبراهيم، فمعنى كلام هذا النبي إذا خرج من هذه الأحجار رجال ذووا استعداد مطلوب، فهم يقال لهم أولاد أبراهيم لا أنتم! ثم نعرف حقيقته بالتجارب التفصيلية أن طائفة البرهمن في الاجتماع الهندي جعلوهم مستحقًا للنجاة على ما كان عليه وتغلبوا بذلك على رياسة أقوام تزيد عددهم على ألف مليون، والتحقيق في كتبهم موجود أن البرهمن لايقال إلا لرجل تعلم علمًا كذا وكذا وله أخلاق كذا وكذا حتى طريق معاشرته معين مذكور، فهؤلاء يقال لهم أولاد إبراهيم وبراهما يقال لإمام النوع الإنساني عندهم، وهم معترفون بالتفصيل حظيرة القدس وهذه النبوة إنما معناها التشريف مثل الكتب الإلهية المنقولة في أيدي بني إسرائيل يأتي فيها كلمة أبناء الله وأحباؤه، وليس المراد من البرهمن إلا رجل ذو استعداد خاص، ولكنهم حرفوا الأمر مثل اليهود ثم رأينا في الإسلام أهل بيت النبي عليه السلام له منقبة مخصوصة وإن كان حقيقة أهل البيت استعمل في أزواج النبي عليه السلام، لأن النبي لم يكن له ولد ذكر لكنه عليه السلام أدخل بنته فاطمة وزوجها وابنيها في أهل البيت وجعلهم ملتحقا به، فالآن صار في المسلمين رجل من اهل البيت يكون له منقبة عظيمة وكان يراد بذلك أهل استعداد مخصوص، فعامة المسلمين أفسدوا الأمر مثل ما أفسدوا الهنود واليهود وتعجبنا لما رأينا الشيخ محي الدين ابن عربي هو يدون فلسفة مثل فلسفة البرهمن لجماعة يسمون أنفسهم أهل بيت النبي عليه السلام، فتلك الأفكار متبادلة في الأقوام، هكذا كان ذلك الفكر في قريش في وقت نزول القرآن أو في العرب طوائف منهم فأشار أنهم لايستحقون ذلك. قوله: "**إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ**." فنسبهم معروف عندنا يخرج الرجل من مني أبيه وليس لذلك الأمر صار العرب أو قريش مخاطبًا في القرآن بل لأنهم مالكون لاستعداد خاص وهو تكميل الانقلاب الأعظم الذي يحتاج إليه الناس في عصر نزول القرآن فمن لم يكن مستأهلًا لذلك الأمر فقط في انتسابه إلى قريش أو إبراهيم أو إسماعيل لايستحقون شيئًا."**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ**."فهذه الشهادة من رب المشارق والمغارب. وجود اقوام في الشرق والغرب يملكون أوصافًا في الإنسانية أكمل من هؤلاء، فرب المشارق والمغارب يكون شاهدًا على أنا لقادرون على خلق أقوام أحسن من هؤلاء يتممون ما أردنا إتمامه بالعرب وقريش، فلايغتر رجل بذلك النسب ولينظر إلى

استعداده المطلوب من أولاد إسماعيل وإبراهيم عليه السلام. "**وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ.**" فلما أردنا نحن أن نتمم هذا الأمر بالعرب وبالقريش فيكون كما أردنا يخرج منهم رجال ذووا استعداد لما نأمرهم لابد، فلايقدر قوم أن يصروا بجهلهم بالتمسك بالنسب والخلو عن الكمالات أن يسبقونا بذلك، فلانجد في قوم رجلًا إلا هؤلاء، فإن أردنا تكميل أمرنا بذلك القوم فصرنا مسبوقين تحت إرادة ذلك القوم، كلا! لايكون هكذا أبدًا. هذه طائفة جاهلية يأكلون ويشربون ويلعبون لانبالي بهم. من ذلك القوم يخرج رجال يعملون ما أمرناهم به وهم يستحقون ذلك هذا الأمر ماضٍ إلى آخر السورة "**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا** الخ" فإذا لم يملكوا استعدادًا خاصًا لانبالي بهم." **يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا**" الخ هذه الأرض التي نحن عليها هي خرجت من أرض مثالية صورتها تشبه هذه الصورة وأما المعاني فمختلفة مثل صورة جبريل جاء في صورة أعرابي ومعنى تلك الصورة غير معنى البشر. هكذا هذه الأرض والأرض المثالية الإنسان يموت فيدفن في الأرض هذه والعذاب والثواب الذي يأتي إليه في قبره كلها يتعلق بالأرض المثالية وهو ينتقل من هذه الأرض إلى تلك بالسهولة ولانقدر على بيان كيفيتها وعامة الناس لايقدرون على الفرق بين هذا وهذا، فكلام الأنبياء ومن تبعهم من الحكماء يكون مبنيًا على متفاهم عامة الناس. "**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ**". الظاهر منها من القبور التي في هذه الأرض والحقيقة هي القبور التي في أرض المثال، لكنهم يحسبون أن الأرض التي دفنوا فيها والتي خرجوا منها هي أرض واحدة وذلك مبين في **العبقات** في مواضع، فكما أن الإنسان يغلط من كلمة أولاد إبراهيم إلى صورة النسب دون المعنى وليس مرادًا كذلك يغلط في فهم أنه يخرج يوم القيامة من هذه الأرض ولايتذكرون الأرض الباقية غير هذه الأرض المتغيرة، فإذا خرجوا من القبور الحياة التي اكتسبوها لكل منها مركز مخصوص، فتلك المراكز يجذبون الأموات حسب تنوع الحياة الغالبة على نفوسهم الناطقة، فإذا عدلوا عن الطريق الذي يذهب إلى حظيرة القدس حالتهم تكون التي بينت في قوله: "**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ** الخ" النظر في حدوث الحياة لا في عدد السنين، فالرجل الذي يكتسب المال أو العلم أو درجة من الكمالات الإنسانية وصرف في ذلك مدة، فالناس ينظرون إلى ذلك الكمال ويحبونه أم يسئلون عن وقت الاكتساب؟ فالمقصود في الإنسانية هو تحصيل الكمال والإسراع في الوقت أمر مستحب فقط، فأصل التوجه يكون متوجهًا إلى أداء فرض الواجب لا إلى الأمور المستحبة الضرورية، فإنها إذا كانت خالية عن الفرائض فإنها يحسب كمالًا بل يعد نقصانًا. هذا هو طبيعة النوع الإنساني في عامة معاملاته ففي تعليم الدين كيف يختلف؟

٤٨

سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسانية مركزها ابتداؤه من أي قطعة الأرض؟ لتباعد العهد لايتعين باليقين، ثم بعض بعد الإنسانية تفرقت منها أقوام مختلفة، فلها مراكز معلومة وابتداء قوم في مركزهم يمكن تعيينه، فإذا رأيتم الأقوام الكبار كل أحد يحكي في ابتدائه روايات مثل رواية الآخرين، والدعوى عندهم أن الإنسانية ابتدأت معنا ونحن نفهم من كلامهم أن مرادهم من الإنسانية هو قومهم، لأنهم يذكرون مع قومهم أقوامًا آخرين، لكنهم يخرجونها من الإنسانية، يقولون إنهم وحوش مثل الحيوان أو الجن، والمقصد أنهم أسلموا للإنسانية وجودًا غير وجود قومهم، فتعين تأويلنا، ثم بعض الأقوام كانت عندهم حكومات إمبراطورية، ففتحوا البلاد، بلاد أقوام آخرين[١]، فاختلطت بذلك الأقوام فيما بينها. هذا الدور[٢] الذي نحن فيه لايمكن لقوم في وطن أن يدعوا ليس فيهم غلط أقوام آخرين. الإسلام انتخب من أراضي الأقوام قطعة من الأرض تصلح أن تكون مركزًا للأقوام، لأن اتصال حدودها بالأقوام موجود، ولأن كل قوم إذا انتقل إلى موضع آخر، يمر من تلك القطعة لابد، وتلك القطعة حدودها من الشمال من البحر فاسپين(٢٠٥) إلى بحر الروم فيدخل فيها قافقاسيا، وحدودها إلى الغرب النيل، ومن الشرق الفرات وبالجنوب خاتمة جزيرة العرب، اليمن وتلك الأرض متصلة بالأقوام كلها من المغرب بالحبش وشمال الغرب بالروم وبالشرق الفرس ومن طريق البحر إلى الهند ومن الشمال بالأتراك، والهند له اتصال بالصين وللغرب أيضًا من طريق البحر اتصال بالصين، والأقوام إذا تبادلت فيما بينهم لابد أن يمروا من تلك القطعات وإذا اجتمعوا على شيء بدون مداخلة تلك القطعات لايكون اجتماعهم تامًا وتلك القطعة لها صلاحية جمع الأمم، فيمكن أن تكون مركزًا جامعًا للأقوام، هذا لايثبت منه اتصال مركزية الأقوام في أوطانهم، وكل قوم كبير طويل العمر، لايمكن أن يكون في الأرض شيء من الكمال ولايصل إليهم بالمرة. مقصدنا أن كل قوم في مرتبة قومية تام له في جميع مرافق الحياة طرق مخصوصة لتحصيلها، ومند شرع الاختلاط بين الأقوام في الإنسانية فكمالات الأقوام. الكمالات الخاصة لكل قوم توجد حصة منها عن كل قوم، لكن كل قوم يصلح أن يكون مركزًا للأقوام إن نظرنا إلى مقومات القومية من نفسانية الأفراد، فلاننكر أن يكون لكل قوم استعداد لأن يكون مركزًا وأما إذا أخذ مع القوم وطنه أيضًا، فبعد ذلك ليس في كل قوم صلاحية المركزية، لأن أرض الأطراف لاتصلح أن تكون مركزًا، فإذا قلنا المركز الطبيعي الجامع لأقوام، هو تلك القطعة المقررة التي اعتنى بها أولًا التوراة، ولدين الفرس أيضًا اشتراك في تعمير تلك الأرض، لأن

---

[١]- عبارة ن م هناك :"ثم بعض الأقوام آخرين، فاختطت بذلك الأقوام فيما بينها."

[٢]- اللفظ الأنسب هناك "الزمن" أو ما شابه ذلك، فإنه في اللغة الأردية يستخدم لفظ الدور بمعنى المرحلة الزمنية.

الفرات لايمنع الفرس لايصلح أن يكون مانعًا للفرس أن يتداخلوا في تلك الأرض، فهذا ليس بشيء ينكر والقرآن العظيم بعد التوراة اعتنى بتلك الأرض، وبما التصق بها من الإمبراطوريتين كسرى وقيصر، فبهذا المعنى مركزية تلك الأرض لايكون على أحد مستنكرًا، فالأنبياء الذين جاء ذكر هم في القرآن[١]هم أنبياء تلك القطعة من الأرض، فإذا تكلموا بكلمة الأرض، فلايكون معناها إلا تلك القطعة، لايصدق على جميع قطعات الأرض، وهذا القدر من تحقيق جغرافية الأرض كان واجبًا على من يعتني بالكتب المقدسة والأديان والأسف أن أكثرهم غافلون عن هذا، فإذا أطلقت كلمة الأرض لايطمئن قلوبهم ما لم يحملوها على جميع قطعات الأرض واستيعابها، وهم يحسبون أنفسهم مجرمين في استبعادهم تعميم تلك الكلمة. هم لايجدون في دماغهم شيئًا يأخذون لأجلها من كلمة الأرض قطعة مخصوصة، وهم قرروا في الأصول أن تخصيص عام بدون مخصص قوي تحريف في الدين، فهؤلاء هم كتاب التفسير والحديث، فهؤلاء هم كتاب التفسير والحديث وكلامهم يستند إليهم، فإذا وصل القوم إلى هذه الدرجة من الجهالة، فلايستحقون أن يخاطبوا، لكن أوهامهم باطلة تجعل الدين أمرًا وهميًا فقط مخصوصًا في أذهانهم، فإذا رؤوا واحدًا يخالف وهمم يحكون عليه بأنه ملحد زنديق ليس له من الدين نصيب، وهذا المرض إنما نشأ بعد ما بطل الجامعة الإسلامية في بغداد واستبد كل قوم بملكهم، ولم يبق لجامعة الإسلام معنى إلا الحج، وتغلب على الحرمين الزهاد والجهال وحدث في الإسلام خرافات مثل ما حدثت في اليهود والهنود، ومن بقايا آثار تلك الجهالة ظن كثير من المفسرين أن نوحًا أبو جميع أقوام الدنيا. إن اقتصروا على أن نوحًا انتشر أولاده على جميع وجه الأرض، لكان له معنى مثل ما انتشر أولاد إسماعيل بين جميع قبائل العرب، أفيمكن بعد ذلك نسب جميع قبائل العرب يستند إلى إسماعيل، لكن أرباب الوهميات لايتحاشون عن التكلم بذلك وعن كتابته ولزهدهم أو لبلوغهم إلى الكمال في بعض علوم الدين يركن إلى جميع أقوالهم، فيكون بذلك القرآن والإسلام لايمكن تعلميه ولا الدعوة إليه إلا لأقوام مثل هؤلاء في الذهنية، وهذا موت للإنسانية. مثل ذلك الكتاب العظيم المتكفل لإصلاح الإنسانية إلى يوم القيامة، يحرم منه الناس لأوهام طائفة من المتقدمين على قوم، فإن كان هذا فهذا ظلم عظيم." **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ** الخ" الظاهر أن نوحًا كان في شمال تلك الأرض المقدسة وكان أرض قومه محاطة بالبحر الأسود وبحر الروم وخليج فارس وقلزم، فانتشر الطوفان في جميع البحور وغلب على تلك الأرض أرض أنادول ومع ذلك كان مطر من السماء، فبهذا ينتظم نظرية الطوفان بالسهولة، وأما فكر جميع الكرة الأرضية المدورة تكون تحت الماء مثل ما كان قبل أن تخرج القطعة الأرضية من البحر وهذا جزاء لمخالفة نوح، فلا نرى رجلًا في دماغه عقل يتصور مثل ذلك. أما بعد ما نشأت الأشاعرة وعلموا الناس الحكمة في أقوال الله وأفعاله لايجوز البحث عنها، وبهذا الفكر يخرج الإنسان من الدين. كل ما قال رجل له أهمية ما يقبلونه على أن

١- في الأصل: فالأنبياء التي ذكرت في القرآن. وفي ن م: جاء في القرآن ذكرهم، وهذا أصح.

يكون من الدين لأنه يجوز لا مانع، فغاية حكمتهم أن هذا الأمر لايحيله عقولنا فنؤمن به بمثل ذلك، اجتمعت خرافات فوق خرافات مثل ظلمات بعضها فوق بعض، فالقرآن ينص إن إرسلنا نوحًا إلى قومه أي قطعة من الأرض، فنفى الأقوام الأخرين أول ما جاء به جهلة اليهود، ثم تبعهم الآخرون. المقصد من سورة نوح عندنا أن العذاب المهلك للقوم لايأتي إلا بعد تبليغ شديد، ينفي عنهم كل وهم ويجاب عن كل شبهة لكنهم بسبب عنادهم وجحودهم لايسمعون، فالله ذكره في هذه السورة أن نوحًا كيف دعا قومه ليلًا ونهارًا وعلنًا وسرًا ومجتمعًا وأفرادًا وكيف سهل لهم فهم المسئلة. هذه الحياة الدنيا وما تحتاجون فيها إليها إن اتبعتم الدين يحصل لكم كل شيء وبالكمال وإن خالفتموه تهلكون، فمن مثل هذا التعليم والتبليغ والتعميم وتكثير السنين وصرف السنين الطويلة بعد ذلك دعا عليهم بالهلاك فأهلكوا، والقرآن يحكي عن أقوام آخرين في جزيرة العرب أنهم أهلكوا وكلها على اتباع طريقة نوح، فنوح كان رسولًا من أولي العزم كان يتبعه الرسل إلى زمان إبراهيم وإبراهيم أيضًا من أتباعه، فالطريقة المتبعة هو التبليغ الشديد قبل نزول العذاب، كيف أعرضنا عن فهم مقاصد القرآن. نريد أن يكون جميع أقوام الدنيا معذبة مستهلكة سوى قومنا ولانسعى لتبليغ ديننا الحق إلى تلك الأقوام أدنى سعي، فمن يقرأ سورة نوح يمكن أن يسلم ذلك؟ كلا! لكن التدبر في اقوال كتاب الله إنما يكون بالحكمة والحكمة شجرة ممنوعة على المسلمين، فليس شأن من يقرأ القرآن وشأن من يقرأ التوراة إلا واحدًا والأسف أن في المئتين المتقدمتين تقدم الناس في الحكمة الطبيعية إلى درجة لم يأت بها الأولون والمسلمون منعوا منها أيضًا باسم الدين فإذا كان رؤساء الدين رؤساء الدين ورؤساء القوم يتفقون على مثل هذه الخرافات، فالبغاوة عليهم كانت فرضًا لازمًا على المسلمين، ونحن نرى كلمة إلهامية ألهم بها الشيخ ولي الله في مكة سنة ١١٤٤هـ وهي: واجب على الناس فك كل نظام. معناها البغاوة على جميع الأنظمة ولإتيان بنظام جديد، لكن الناس ما استمروا بتلك الكلمة واكتفوا بما أحدثه القدرة الإلهية تحت القوانين العامة فساد نظام المسلمين، وكان الواجب عليهم أن يفعلوا ذلك بقوتهم. ومن هنا كانوا يلهمون إلى إقامة نظام جديد، لكنهم ما فعلوا ما كان واجبًا عليهم، فما ألهموا بما يحتاجون إليه لأن القوم إذا أعرضوا عن الإلهام الأول لايلهمون ثانيًا. مثال ذلك قوم من الكفار متشددون على إبطال الديانة الحقة، فأمر المسلمون أن يقاتلوهم ويقتلوهم، فلو قاموا لقتالهم لقدورا عليه، لكنهم جلسوا، فذلك القوم أفسدوا ما قدروا عليه من الدين، ثم ماتوا بموتهم الطبيعي، أفيكون للمتدينين حظ بموتهم؟ كلا! هم لايقدرون على إصلاح ما أفسدوه ويسري الفساد فيهم يومًا فيومًا أزيد، فهكذا كان فرض المسلمين في المأة الحادية عشر، قتل كل رجل يمنعهم عن التقدم في العلوم الرياضية والطبيعية واختراع الصنائع وجمع الأسلحة على مقتضى ذلك العصر لحفظ كيان قومهم ودينهم لايتركون فيه ملكًا ولا مرشدًا، فهذا الأمر كان ألهم للإمام ولي الله فما قاموا له، والشيخ يحكي عن نفسه أن فيه أيضًا ضعفًا في القوة العملية، وأما القوة العلمية، فقد كان يأخذ من منبع يأخذ منه الأنبياء والكاملون ولنقص راجع إلى بنية جسمه لايقدر على الأعمال مثل ما علم، فهذا الإلهام في

ذلك الزمان لانظن أنه كان مختصًا بهذا الشيخ! بل كل أقوام المسلمين ألهموا به بواسطة كبرائهم وإن لم نقدر على استقصاء الأخبار فيه وإنما نوجب ذلك القتل لأن التدبر في كتاب الله على أصول حكمة الأنبياء فرض على جميع المسلمين فإذا تركه كلهم أهلكوا، والحقيقة أنهم تركوه قبل ذلك مئات من السنين وإنما لم يهلكوا لأن ملوكهم بقوة أمرهم كانوا قاهرين على الأرض، فلايقدر قوم من الكفار أن يغلبوا على المسلمين، فمع تركهم التدبر بقوا مأمونين بقوة ملوكهم إلا أن قوة ملوكهم أيضًا صارت متزلزلة بتقدم الأعداء في الحكمة الرياضية والطبيعية وتملكهم باختراع الصنائع على ثروات الأقوام واخترعوا آلات للحرب البرية والبحرية لايمكن مقاومة ملوك المسلمين لهم، فالملوك أيضًا متزلزلون وأصحاب الثروة أيضًا ينتزع منهم الثروات إن استمروا على سكوتهم وعدم تدبرهم في القرآن وعدم تيقظهم في تشييد أراكين المملكة بطل كيان قوميتهم ودينهم، إنما كان في ذلك الزمان القيام واجبًا عليهم، فإذا وصل الناس إلى تلك الدرجة من الغباوة أيهلك الأقوام المخالفة لهم ويجعل وراثة الأرض كلها موقوفة عليهم؟ كلا! نحن في زمان تأخرنا عن ذلك الأوان نحو مئين من السنين ورأينا جميع البلايا التي كان يخاف منها نزلت على المسلمين ما بقي لهم في الأرض قوة كنا يستظلون بظلها وطالعنا نظام الأقوام الغالبة على المسلمين، فوجدنا نظام القرآن أحكم، لكن إذا تدبر الرجل في القرآن رأى أصول الحكماء الربانيين، والإمام ولي الله واحد منهم بدون شك وإن كنا نحن نظن أنه إمامهم لنا لاشك فيه. نحن ندعو كل المسلمين إلى إمامته بل ندعوا إلى الحكمة الربانية يتناظرون فيها، ثم يتدبرون على أصول تلك الحكمة في القرآن ويجعلون لهم برنامجًا يعملون به نحو عشر من السنين، وتلك القوة موجودة في المسلمين لايقدر قوم أن يمنعهم عن ذلك، فأنا جازم بعد ذلك نقدر على أن نقاوم الأقوام ويظهر على الدنيا الإعجاز القرآني مرة ثانية. في زماننا جماعة من المصلحين شرعوا في التدبر في القرآن، لكن قدموا ما تحقق في ذلك العصر من أصول الحكمة الرياضية والطبيعية على الحكمة القرآنية فيؤلونها إلى تلك المفاهيم، فهذا عندنا خطأ ثانٍ. القرآن لايتدبر فيه إلا بأصول الحكمة الربانية أعني الحكمة الإلهية المختصة بارتقاء نوع الإنسان المستخدمة للرياضية والطبيعية، فأصول الاجتماعيات الإنسانية تقدم على الأصول الرياضية والطبيعية لفهم القرآن هم إذا صرفوا نظرهم إلى تلك الجهة يقدرون على إصلاحهم بسهولة وإذا لم يسمعوا فهم أيضًا يهلكون مثل إخوانهم المتقدمين. حاصل الكلام أن الخرافيين والذين ليس عندهم من حكمة الدين وارتباطها بارتقاء البشر في الدنيا ثم في الآخرة بنظام واحد لأن تقسيم الحياة الدنيا إلى قسمين غير ممكن، فمن ليس عندهم تلك الحكمة، هم خارجون عن منهاج دعوة نوح إمام الرسل، وهذا عندنا معنى قوله: "**استغفروا ربكم** إلى **فجاجًا**." فأول الآيات كلها يشير إلى تهئية مرافق الحياة الدنيا وفي الوسط توجه إلى ربط القلب بالله لأن الحالات تتبدل ونعم الله لاتنتهي، فهذا يوجب التوجه إلى الله بعد ذلك يستديم الإنسان على ذلك، فالتقدم في مرافق الحياة بدون التوجه إلى الله ليس من دعوة الأنبياء في شيء كما أن دعوة التوجه إلى الله بدون التقدم في مرافق الحياة أيضًا ليس عنده من دعوة الأنبياء في شيء وللإمام ولي

الله مقالات مبسوطة في الرد على المتصوفين الذين يوهمون للناس أن الحقيقة في الدعوة الإسلامية هي عدم التوجه إلى مرافق الحياة، ثم في آخر الدعوة التنبيه على الاجتماعية الإنسانية، وهو قوله: "**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا** الخ" فالاجتماعيات إلى آخر أدوارها يعني بجمع جميع الأقوام الأرض هو من مقتضى دعوة الأنبياء من زمان نوح، ونبينا وفق للعمل على ذلك والمسلمون يفرض عليهم باتباع نبيهم أن يجمعوا جميع الأقوام تحت تظام القرآن، وليس المراد منه إلا نظام الحكمة الربانية لا نظام الملوكية ولانظام الزهد وتقدم قوم خاص على الأقوام ومثل ذلك مما يظن من لايتدبر القرآن أنه مقصد الإسلام. "**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي** الخ" "**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ** الخ" الإنسان إذا نظم الإنسانية ومرافق حياتها على الاجتماعية يجدها منقسمة في أقسام، كل قسم منها نظامه مستقل لايتبع الآخر، فيحتاج إلى تفريق إذا رأت التنظيم، هذه درجة متوسطة في الحكمة الاجتماعية، ثم بعدها الدرجة العالية هي تجمع جميع النظامات المختلفة تحت نظام واحد، فمن فاز بها فاز بجميع الكمالات الإنسانية يكون لازم له أن يؤمن بالله وحده لاشريك له ولما كانت الأنظمة الجزيئة فروعًا لذلك النظام الأصلي، جعل الرب قاهرًا على جميع القوى المديرة للأعمال من الملائكة والكواكب والعناصر والجن والشياطين وغير ذلك. هذا هو مركز تفكره وأثره يظهر في الاجتماعية الإنسانية أنه يجعل جميع الأقوام بمنزلة الأعضاء من جسم واحد ويتم بذلك ارتقاء الإنسانية، فمن قطع تلك الدرجة العالية من الحكمة هم الأئمة في الإنسانية في جميع الأقوام ويكون برنامجهم واقتضاءهم الطبعي كله متقاربًا، وأما الذين ينقطعون منهم ويصرون على إقامة النظام المتوسط فقط ومن لازم فكفرهم أنه لايرتقي إلى رب واحد، بل إمام كل نظام مستبد بأفعاله عندهم وعندهم جمع الإنسانية تحت نظام واحد غير ممكن بمعنى تساوي جميع الأفراد إلى نقكة مركزية، فإن كان اجتماع الناس لازمًا، فليس عندهم تدبير لذلك إلا تقديم قوم من الأقوام على جميع الإنسانية وهذا إفساد للإنسانية لافساد أعظم منه كما أن نفي رجوع جميع الدوائر إلى مركز واحد فساد للعقل، فتقديم أئمة الطبقة الوسطى على الإنسانية فساد للاجتماعية وفساد للعقلية، فهؤلاء هم الكفار الذين لإبطال طريقتهم يبعث الرسل والأنبياء، فالقرآن إنما يقص من أخبار الرسل والأنبياء من تلك الدرجة ويأتي مدارج الارتقاء الطبيعي للإنسانية في أدوارها الابتدائية ضمنًا، فمن يجعل مقصد النبوات هو إصلاح تلك الدرجة فقط كأنه حرف الكلم عن مواضعه. "**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ** الخ" هذا حكم منه على بلاده ودعى مع ذلك أنه يغفر لمن "**دخل بيتي مؤمنًا**" فليس مقتصرًا في أولاده نوح، بل كان من قومه كل من انضمّ إلى بيته ناجيًا ومنهم انتشرت الإنسانية في تلك الأرض المقدسة أي القطعة الشمالية منها، فليس كل الناس أولاد نوح في تلك الأرض أيضًا، لكن كتاب التوراة لهم اعتناء بنسب إبراهيم، فيتغافلون عن حكايات رجال ما وقعوا في عمود النسب وقوله: "**وجعلنا ذريته هم الباقين**،" معناه عندنا لإقامة الاجتماعية الإنسانية، للإنسانية التي هي من لوازم ذلك المركز، فانتقل بعد

نوح ذلك الفرض إلى إبراهيم، وهو كان على شيعة نوح، فيمكن أن يكون المراد من الذرية ذريته العلمية لا النسبية، لكن اليهود لهم اعتناء بتحقيق النسب وإرجاع كل الكمالات إليه، وهكذا رأينا في الهنود في البراهمة، وتحقيق معنى ذلك عندنا صحيح راجع إلى كمالات وراثية فقط، وأما الاجتماعية فلا، وهؤلاء لايفرقون بين الكمالات الوراثية والاجتماعية أبدًا، وانتقل هذه الدعوى من اليهود إلى النصارى والمسلمين، ومن البراهمة إلى الديانة الصائبة، فهم لاينظرون إلا إلى انفرادية خاصة ولاقيمة للاجتماعية عندهم إلا أن يكون مستخدمة لتلك الطائفة الخاصة، فهذا من بقايا ظلمات الأئمة للطبقة (الوسطى) المخالفين للأنبياء والرسل، لأن كل قوم بطبيعته في أيدي هؤلاء، فإن تقدموا منهم إلى اتباع أئمة عالية أيضًا يبقى و ..... [١]هؤلاء خصوصًا. إذا كان الرجل إمامًا حقيقيًا وأولاده بعد بطون خلعوا من تلك الكمالات بالمرة، فهم يكونون دعاة إلى هذا الباطل تقديم النسب على الاجتماعيات، ونحن نرى أن نبينا يقدم قريشًا في الرياسة ثم يأمرهم إن تقدم عليكم حبشي يقودكم بكتاب الله، فاتبعوه فهمنا من معنى ذلك الحديث أنه أمر بتقديم قريش لا لأمر راجع نسبهم، بل لأنهم هم القيومون للدعوة القرآنية، فإذا خلعوا من ذلك وتقدمهم حبشي أمرهم باتباعه وزماننا زمان الاجتماعية الإنسانية بعد تحقيق مناشي القومية في كل قوم، فالاتباع لكلمة مجملة صدرت من إمام من أئمة المسلمين ظهر في التفصيلات كون ظاهرها خطأ، فالجمود عليه وإنكار التحقيقات العلمية ليس من شأن المحققين في الأديان، ونحن ما رأينا كتابًا دينيًا أقوم في الحق من كتاب الله والبلاغة في بياناته راجعة إلى عدم التعرض للتفصيلات الجزيئة، وإنما يكون التضاد والمخالفة إذا كان البحث مفضيًا إلى الجزئيات ونحن على طريقة الإمام ولي الله نجعل الأشياء القليلة التي ذكرها القرآن أمثلته للأمر الكلي لا المقصود منها تشخصها، فنجزم جزمًا قطعيًا أن حكم القرآن يمضي إلى آخر أدوار الإنسانية دون الكتب التي تعلقت بجزئيات القصص وتمثلت فيها خصوصيات قوم مخصوص. إنما أطنبنا في هذه السورة لأن المفسرين أكثرهم قائلون إلى جعل التعليم القرآني راجعًا إلى نسب مخصوص في الإنسانية وإن كنا نجزم نحن أن الدعوة القرآنية لإقامة الحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق والنبي منتسب إليهم، لكن لانريد أن نجعل كل الإنسانية منحصرة في ذلك، فإن فضل بيت واحد من الإنسانية لعلمه في الاجتماعيات أعمال كبيرة على سبيل التمثيل والتنظير شيء وحصر جميع الإنسانية في بيت واحد شيء آخر.

تتمة

عندنا هذه الأرض المقدسة انتقلت إليها من جميع الأقوام أفراد وقبائل، فهي أرض الإنسانية كلها، انتقال الأوروباويين إلى سوريا وأنادول متواتر، وكذلك انتقال الفرس والحبش واضح وكذلك عندنا الهند ويتبعه الصين فنرى بعد الإسلام جماعات كثيرة من الساكنين على حدود السند انتقلوا إلى نجد

١- هناك لفظة لم أستطع فهمها في كلتي النسختين.

والبحرين والآن نعرفهم هم من أصل العرب وكذلك انتقال الترك إلى هذه البلاد واضح. هذا ليس من اقتضاء الحركة الإسلامية فقط، بل قبل ذلك حركات عالمية من أوروبا ومن الفرس ومن غيرهم مؤثر في هذه البلاد، فجعل التعليمات المركزية في تلك الديار ميراث قوم واحد لايلتئم في تحقيقنا على حالات تلك البلاد، بل الفضل فيها راجع إلى أصحاب المبادئ المخصوصة من المتممات للإنسانية، فلهم مدراس وحلقات، كل من دخل في طريقتهم هم لايفرقون بينه وبين الولد النسبي منهم، فانتظم النسب العلمي في تلك البلاد. رجل ينصر مبادئ اليهودية وإن كان من أولاد الفرس أو العرب. اليهود يجعلونه من أولادهم وكذلك المعمول في النصارى بل الديانات كلها، بل في الحركات العلمية أيضًا يتبع ذلك الطريق والنسب الدموي ينسى والنسب العلمي ينفرد، وكثير من الناس لعدم وقوفهم على حقيقة الأمر، يجعلون كل ذلك راجعًا إلى النسب الدموي، فنحن على هذا المسلك أن جميع الإنسانية بعد نوح عليه السلام من أولاده، لكن من أولاده العلمي فإن طريقة الحق لايمكن التغيير فيه إلى يومنا هذا، فنفتخر أنه أب للإنسانية، لكن هذا الكلام له معنى غير ما يفهم عامة الناس، ثم من شيعته قام إبراهيم، فهو أب للإنسانية كلها، لأن طريقة الحق هو الموصل إلى النجاة. يأتي في بعض بعض الروايات أن أولاد المؤمنين الصغار إذا ماتوا يجمع أرواحهم عند إبراهيم عليه السلام، أليس معناه أنه أب للمؤمنين كلهم، فتخصيص هذه الأشياء بالأنساب الدموية إذا كانت في أشياء مخصوصة وظروف محدودة، فلاتنكر حقيقتها أن نجعل الإنسانية كلها أو نجعل مركز الإنسانية العامة بيد المتخصصين بنسب مخصوص دموي، فلانجد أن الإنسانية يتحمل ذلك، فكيف نجعل الدعوة القرآنية العامة للإنسانية مشتملة على مثل تلك النظريات! والقرآن بنصوصه يزيل شبهة تعتري لكلمة خاصة منه، فيكون تعليمه صافيًا، لكن هؤلاء المفسرون وملاك الحركات العلمية يصرحون بأشياء لايتحملها الإنسانية أبدًا، فنحن بحمد الله نتبرأ من ذلك.

٤٩

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

في تمهيد تلك السورة نقدم كلمات من الإمام ولي الله. الإنسان الفرد منه الكامل، نأخذه أنموذجًا ونحلل قواه، فأعلى قوة أدركنا في ذلك الإنسان نسميها بالعقلية، على طبقات بعضها فوق بعض، وهي تكون المدركة للأمور كالمجرد عن المادة، ثم تتبعها قوة أخرى نسميها الخيالية، هي تدرك أمورًا صورتها صورة الجسمانية، ومعناها خالٍ عن المادة، نرى في المنام بلدة منظمة بجميع مرافقها المادية، ولايكون شيء من المادة يدخل في دماغنا، ثم ندرك في الإنسان القوة العازمة معتمدة على العقل وحاكمة على جميع البدن حتى القوى الدماغية، ثم بعد ذلك في الإنسان حواس تدرك الماديات ونستلذ بها، ومرجع ذلك إلى قوة دون الخيال، مجمع الحواس نسميه الحس المشترك. هذا تحليل للإنسانية بوجه وبوجه آخر نحلله إلى نفس ناطقة مجردة عن المادة تستقر فيها القوى المجردة من العلمية والإرادية، ثم نسمة سارية في جميع أجزاء البدن والنفس الناطقة تستخدمها وتجعلها منصة لظهورها، ثم البدن الجسماني تحت حكم النسمة، وهذه الطبقات الثلاثة ممتزجة بعضها مع بعض صعودًا ونزولًا، والقوة الاجتماعية في مركز نسميه بانا، وفي التحليل الأول والثاني نطبق بعض الأشياء مع بعض، فالأمور المجردة كلها راجعة إلى النفس الناطقة، والأمور المتخيلة راجعة إلى النسمة وكذلك الحواس، والوحدة الاجتماعية راجعة إلى القوة العازمة، فكل من توجه إلى فهم معاني الإنسانية يحللها كتحليلنا أو قريبًا منه لايختلف في كثير من المعاني، إنما يكون الاختلاف بسب الاصطلاحات أو الأمور العارضية. نحن أخذنا حساب القوى من مبدأ وهو يشرع في ذلك من مبدأ إلى آخر، فبمثل تلك الصور يقع الاختلاف، وأما في جوهرية التحليل فلا، وفي حكمتنا الشخص الأكبر يوازي القوى التخييلية نسميها بعالم المثال، فأعلاها يتداخل في عالم الأرواح وأدناها يتداخل في عالم الأجسام، ومثل النسمة قوة جسمانية تجمع الشخص الأكبر ويجعله شيئًا واحدًا، ثم هكذا الحواس والماديات توازيها أشياء من الشخص الأكبر، ليس البحث عنها مقصورًا في هذا الموضع. عالم الأرواح وعالم المثال. الأعلى منه الشخصيات المتعلقة بها نسميهم بالملائكة وللأرواح الإنسانية مداخلة فيها، والأسفل من الشخص الأكبر مثل النسمة في الإنسانية، شخصياتها نسميها بالملائكة السفلية والجن وللروح الإنساني مداخلة في تلك الطبقة مثل الأول. الإنسانية مركزها حظيرة القدس في علياها عالم الأرواح وقد ذكرنا كثيرًا من تفاصيلها. فيوض حظيرة القدس تنقل إلى الإنسانية دائمًا بحسب استعداد الإنسانية مثل الأستاذ الحكيم يعلم مسألة عالية من الحكمة، يعلم عشرة من التلامذة مختلفين في الذهنية وإدراك المعاني العالية، فلايكون خطابه مع الكل بكلمة واحدة، بل يمهد تمهيدًا مناسبًا لذهنية كل تلميذ، فهم يدركون المسئلة على حقها، هكذا فيوض حظيرة القدس لا اختلاف في جوهريتها. أما لسان حظيرة القدس فمختلف باختلاف ذهنية النوع

الإنساني. مضى على الإنسانية دور ما كانوا يرون فيه مراكز التغير والتبديل في أرضهم بعد قوتهم العنصرية إلا الكواكب معدن الأنوار، فمن تنظيم العناصر أوجدوا علم الطب ومن رصد الكواكب هدوا إلى الحساب والرياضيات، وفي أول أمرهم المادية معناها الطب والروحانية معناها الرياضيات، فالحساب والهيئة هما أهم أجزاء الرياضيات واشتغل بتكميلها إلى أدوار مختلفة وكان في ذلك تثقيف قوته العقلية، فحظيرة القدس في تلك الأدوار لاتفيض على الإنسانية فيوضًا إلا بلسان الكواكب، والحكماء الذين ارتقوا في تحقيق تلك الحكمة هم الوسائط في قبول الإلهام من حظيرة القدس، هم يرصدون الكواكب ويرون في الكواكب صورة جديدة باجتماعها، فيتفكرون في خواصها، ففي ضمن ذلك يلهمهم حظيرة القدس أن الواقعة العظيمة كذا وكذا تقع في الإنسانية ويكون ذلك الانقلاب منتجًا نتيجة كذا وكذا،، فهؤلاء الحكماء كانوا أنبياء ذلك العصر، وعامة الناس يقلدونهم والطبقة الراقية في الهيئة والحساب يفهمهم الأنبياء خواص الكواكب ونتائج الصورة الخاصة المستحدثة بالإجماع في ذلك الزمان. هم يتيقنون بذلك كلهم. وتلك هي أساس ديانة الصائبة، هؤلاء الحكماء يثبتون أفلاكًا في عالم المثال، ويجعلون الكواكب ميزاب الفيض من تلك الأفلاك، أي معادن المثاليات ويجعلون للكواكب أيضًا أرواحًا مدركة يسمونهم الملائكة، فأرواح الكواكب تتمثل لهم في بعض الحالات في المنام مثلًا، هذا نوع أخر من لسان حظيرة القدس في ذلك العصر، أرقى من الأول لأن أصحاب هذا الإلهام، إنما يكونون أصحاب أخلاق وملكات فاضلة بالمرة، ولايشترط تلك العفة في الملكات في أرباب الحكمة حكمة إلهية الطبقة الأولى إلا الصدق وفي النازل من ذلك في الإنسانية رجال لايرتقون إلى تلك العلوم لكنهم يتشبهون بهم. اتصالهم الروحاني لايكون إلى الطبقة العالية من عالم المثال أي إلى الأفلاك وكواكبها، بل يكونون باعتبار المزاج مماثلين للطبقة النازلة من المثال المتوازية للعناصر، فأعلى الطبقات من العناصر نور يستفاد من الكواكب يمتزج به قوة مثالية، فينشأ نار وليس نورًا محضًا للكواكب، وليس مادة ظلمانية بل بتأثير القوى المثالية من أعالي الطبقة النازلة انتظمت نار، فهذه نار يعدونها أحد العناصر الأربعة ما قدروا على تحقيقها، هي ليست من العناصر الطبيعية الخالصة، بل مخلوط من المثالية والطبيعية اي نور الكواكب، لكن إثبات ذلك في حكمة المشائين إنما هو بتقليدهم على حكمة الإشراقيين، ثم العنصر الثاني الهواء والثالث الماء والرابع الأرض، فطبقات عالم المثال النازلة تقسم على أربعة أقسام. مثال يوازي النار، مثال يوازي الهواء، مثال يوازي الماء، مثال يوازي التراب، ثم امتداد عالم المثال تحت الأرض أيضًا محقق، لكن لانبحث عنه في هذا الموضع، فمن حكماء الطب رجال كاملون، طبيعة البعض الطبقة الأولى من المثال أي النار. وهكذا إلى الآخر، فهؤلاء يريدون أن يتشبهوا بالأنبياء علماء الهيئة ومن فوقهم، فلايجدون قوة روحانية تخبرهم عن الحوادث قبل وقوعها إلا الجن المبثوث في عالم المثال، وعندهم في حكمتهم الطبية أيضًا أشياء متقنة توازي في التأثير في الإنسانية تأثير أنبياءهم، فرجل ينظر إلى رجل صحيح البدن ما يجد نقصًا في حياته، فيحكم الطبيب أنه يموت في مدة كذا وكذا، فيقع كما قال، فالناس يظنون بهم أنهم مثل الأنبياء

وإخبارهم هذا كان مبنيًا إلا على حكمتهم، ويأتي عندهم أسئلة غير متعلقة بحكمتهم، فيتوجهون في الرياضة البدنية ويتقربون إلى الجن، فيتمثل لهم الجن ويقع السؤال والجواب. هؤلاء طبقة الصالحين بعد الأنبياء في ذلك العصر الحاصل في زمان الديانة الصائبة قبل إبراهيم عليه السلام مثل إدريس إلى إبراهيم كان جميع المخاطبات من حظيرة القدس بلسان الحكماء الرياضيين والطبيعيين أو بكلمة بلسان النجوم والطب. قد تقرر في الإنسانية من الأمور العامة كل ما ابتدأت حركة اجتماعية مفيدة في الأكثر يقوم بجنبها حركة مضادة لتلك الحركة للأقلية، فيمشي الحركتان معًا في التزايد، فإذا كان زمن الحركة الأولى الاجتماعية في العلو، فالحركة الثانية تكون ضعيفة ضئيلة، فإذا جاء زمن ضعف الحركة الأولى، وهذا لازم في الإنسانية لأن حركة واحدة لاتستديم إلى آخر أدوار الإنسانية إلا شيء مخصوص نذكره فيما بعد، فإذا جاء زمن سقوط الحركة الاجتماعية النافذة أولًا يغلب الحركة الثانية المناقضة لها. تلك الديانة ديانة الصائبة منشأها إدريس ومدارها على الهيئة على النجوم والطب، وكان باعتبار الأكثر حكمها نافذًا، لكن كان مع ذلك رجال عالي الفطرة يتصلون بحظيرة القدس رأسًا لابواسطة الأفلاك والكواكب من عالم المثال، فحركتهم قليلة ضعيفة، وكانت موجودة في ذلك الزمان أيضًا ومن أئمة هذه الحركة الذين لهم اتصال بحظيرة القدس رأسًا نوح في زمانه. نوح ما قام لإبطال الصائبة مثل ما قام إبراهيم بعده لكن نوح دل الناس على القبح في الهيئة والنجوم، أنهم يعتمدون على مراكز مختلفة لتحصيل الفوائد المختلفة، فالشمس والقمر حسابهم عند النجوم ظاهر. أما في السيارات الخمس زحل والمشتري ومريخ وزهرة وعطارد منابع فيوض خاصة، يستمطرون من ميزاب تلك الكواكب من حظيرة القدس. هذا أساس الديانة. وليس فيه شيء من النقص والشرك أبدًا. إذا كان المدار في استنزال الفيوض على حظيرة القدس الراجع إلى حكم الرحمن، ولايكون للكواكب استقلال في الفيوض لنوع ما، إنما هي كالميزاب، فإذا دخل الجهال واستبدوا على تفريق فرق مخصوصة بعضها من بعض، وأسندوا في ذلك إلى قوى تلك الكواكب، هذا يستند إلى زحل وهذا إلى الزهرة وتلك الفرق لايجتمعون تحت ملة واحدة ولايجعلون منبع الفيوض حظيرة القدس، فتلك الجاهلية كانت حدثت في زمان نوح وقام لردهم ويريد إرجاع جميع الأمور المتعلقة بتلك الخمس إلى الرحمن كما كان أصل الملة في أيام جده، فوقع ما وقع في طائفة مخصوصة في الملة الصائبة، والملة الصائبة في ذلك الزمان كانت هي الحاكمة على الإنسانية كلها، والإنسانية في أول أدوارها كانت تنتشر أفرادها كثيرة في زمان قليل، فما وقع مضادة دعوة نوح إلا من طائفة من الصائبة وإلا كان نوح هو الناسخ لدين الصائبة والقائم بالحنيفية لإبراهيم. نحن ذكرنا أسماء السيارات الخمس ونعرف من ديانة الهنود تحقيقًا أنهم يجعلون أصنامًا مظاهر لقوة الكواكب، وعندهم إلى الآن في الهند معابد مختلفة باسم الكواكب المختلفة وأصنامها مختلفة، عشرة بيوت منها مركزها موجود إلى اليوم في الهند، لأن الأقوام الهندية انقسموا إلى الشمسية أولاد الشمس وإلى القمرية أولاد القمر، ويقال لهم بلسانهم سورج بني أولاد الشمس، تندر بني أولاد الشمس، تندر بني أولاد القمر، خمسة بيوت لهؤلاء

وخمسة بيوت لهؤلا،ء فمقصدنا أن تلك الأسماء التي جاءت في القرآن ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فإنما هي أصنام كواكب الخمس، فالمبطل لتلك الحركة في الأرض هو إبراهيم، لكن البادي في إثبات الإبطال فيها هو نوح، ومدار إثبات الإبطال عنده أنهم يقسمون القوة بين الأصنام المختلفة، كأنهم متضادة بعضها لبعض، وهذا الفكر هو تحريف للملة الصائبة، فإذا زال التحريف عنها وما أبطلها، هذا هو رأي الإمام ولي الله. الغرض من هذا التمهيد كان تعيين الجن والباقي كله تتميم للكلام، فالقوى العاملة في الطبقة النازلة من عالم المثال الجن، كل إنسان يولد في الدنيا، فواحد من الجن يجعل قرينه في المثال أولا، ويكون اتصاله بالقوى النسمية، ومعراجه هو إلى دائرة الأفلاك منبع الملائكة العالية ومع الجن يكون ملائكة من الملأ السافل متحاذية لهم يأتمرون بأوامر الملأ الأعلى. أما الجن، فله اختصاص بالإنسانية خاصة، فالطبقة النازلة في الديانة الصائبة من الحكماء المتشبهين بالأنبياء كانت تستعين بالجن في الاستخبار عن الواقعات العالية، فالجن قوة مثالية، إنما ينظر بقوة التخييل لهم قوة في اختيار صورة البشر مثل الملائكة، فإذا ظهر في تلك الصورة، ينظر إليهم بالحواس. الشيخ عبد الرحيم والد الإمام وأستاذه كتب حالاته الإمام ولي الله، وذكر واقعات ظهر فيها الجن للشيخ عبد الرحيم، وكذلك ذكر الشيخ جرى[1] على نفسه في **حجة الله البالغة**، فبعد إدراك هذين الإمامين الجن بحواسهم الظاهرة، أنا لأشك في وجود الجن أبدًا، وحكايات الصالحين كثيرة شائعة عند المسلمين ويعتقدون بذلك وكذلك الكتب المقدسة التوراة والإنجيل وكتب الصائبين الهنود والفرس كلها مشتملة على ذكر الجن وحكاياتهم والناس منكرون لذلك القسم من الوجود يؤلون نصوص الكتب المقدسة كلها، فالمجادلة معهم لاتفيد شيئًا والحكايات التي تذكر عن الصالحين عامة أسانيدها منقطعة لايحصل الجزم بصحة الحكاية عن المحكي عنه، والمصادر التي أخذنا نحن ذلك العلم منها أسانيدها عندنا قطعية والاعتماد على مدارك هؤلاء الأئمة عندنا واجب من ألزم الواجبات، ونحن لو تشككنا في مدراك الإمام وكذلك مدراك الشيخ والده نصل إلى درجة لايبقى بعدها اعتمادنا على حواسنا ولما رويت تلك الروايات من الإمام بأسانيدها صحيحة، فكأنني رأيت الجن بعيني وهل يمكن لمشكك أن يشككني في نفسي، نحن لانؤمن بالخرافات ولانرد الواقعات بخوف من أصحاب الجدل.[2]

"**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ** الخ" جاء في الروايات أن النبي عليه السلام توجه إلى الطائف، ورأى منهم الإعراض والمخالفة الشديدة، فرجع إلى مكة، وفي الطريق في صلوة الصبح سمع الجن القرآن منه عليه السلام، ثم أوحى كلامهم إليه بواسطة الوحي، فاستبشر به النبي عليه السلام. معنى ذلك عندنا الاجتماعيات الظاهرة إن ردوا الدعوة القرآنية مثل أهل الطائف، فالاجتماعيات السرية الطالبة للحق

---

[1]- في النسختين جرت، وهذا خطأ.

[2]- في ن م: وعلى ذلك تم التمهيد، الحمد لله. بسم الله الرحمن الرحيم.

تؤمن بالقرآن والكلام الذي ذكره الله منهم أنهم سمعوا القرآن، فآمنوا به وقبل ذلك كانوا يرجعون حسب عاداتهم إلى مقاعد للسمع من الملائكة، فالآن لايسمعون، بل يجدون هاهنا شهابًا يطردهم عن ذلك. هذا الشهاب عندنا يكون في عالم المثال وهي غير الشهب والطبيعية التي نرى في جو السماء واشتباه قوة مثالية بقوة جسمانية متوارث في الإنسانية، ليس هذا أول قارورة كسرت، فإذا سمع الناس أن الجن يقولون نجد لها شهابًا حملوه على شهب جسمانية وفسروا بها القرآن، ورووا فيها أحاديث، فليس لهؤلاء عندنا شيء إلا أن نستغفر الله لهم لابتلائهم بالجهل المركب. يسندون الرويات إلى النبي حسب زعمهم، ويفسرون المراد حسب مرادهم وهم رجال علماء لايريدون الفساد، لكن الجهل لا دواء له، فكيف نتبعهم؟ إذا ثبت عندنا غلطهم وإنهم يقولون الانقلاب الذي حدث في الأرض لابد أن يكون له أصل، لأن استنزال الفيوض من حظيرة القدس كان فيه فوائد للإنسانية، فإذا منع الله ذلك وأقام طريقة أقوى منه، فأراد الله بهم رشدًا، فكنا نتردد من ذلك. أما الآن، فقد علمنا أن الله ما أراد بهم شرًا، بل أراد لهم رشدًا. من زمان إبراهيم أنه أبطل الديانة الصائبة، هل ذهب سلطانها عن وجه الأرض، بل الأئمة الحنيفية يتقدمون رويدًا رويدًا، وهي أيضًا بينهم تموج كأمواج البحار، فلما جاء أوان تكميل الحنيفية وبث سلطانها على وجه الأرض، بطل سلطان الديانة الصائبة ووهن أساسها. بعد قيام نبينا بالدعوة ظهر الفرق في كهانة الكهان عامتهم كانوا يغلطون خمسين في المأة أولا وكل من قل خطأه صار من الخواص على حسب المدارج، وأما الآن، فالعامة يكذبون المأة في المأة لايأتيهم شيء إلا حوادث في أنفسهم، فيخبرون بها والخصاصة منهم يأتي له الواحد في المأة، والباقي كلها حوادث نفسانية، ربما يزيد بعضهم في المأة إلى عشرة أو عشرين، لكن هؤلاء يندر وجودهم بالمرة، فهذا التغير إنما كان لذلك استبشار بغلبة كلمة الحنيفية على الصائبة ما يتعلق بحل الآيات القرآنية كأننا بحمد الله فرغنا عنها.

وهنا مشكلة استطرادية

الجن والملائكة عندنا من عالم المثال، وقد يظهرون لبشر في صورة البشر. هذا فرغنا من بيانه والآن نأتي بشيء على عكس ذلك. من الرجال قسم يلتحقون بالملائكة في علومهم في عاداتهم ليس لهم من البشر إلا شيء قليل يقدرون أن يصوموا شهرًا شهرين، بل سنة وسنتين بالوصال، لايشربون ولايأكلون ولاتضعف قوتهم لقوة الذكر في قلوبهم، فهؤلاء إذا قلنا إنهم ملائكة ليس فيها مبالغة ولا مجاز، معناه أن جبلتهم جبلة الملائكة، وصورتهم صورة الإنسان كما يكون المخنث صورته صورة الرجال، و معناه أخبث النساء أيضًا، بل من القردة والخنازير، كذلك طائفة من الإنسان يشابهون الجن والجن منهم جماعة يسمون بالشياطين، فلما ورد في القرآن شياطين الجن والإن،س فإثباتنا نوعًا من الإنسان في مرتبة الجن صار سهلًا. السياسيات التي تبتني على الاجتماع في الاجتماعيات، وهي تنقسم إلى ظاهرية وباطنية، وعليها قوام السياسة. متى بطل توازنهما بطل السياسة، فلما ألهم النبي أن الجن يأتون إليه ويستبشرون به ويؤمنون به، فتنبه لعلم خاص ما كان توجه إلى ذلك أولًا توجهًا تامًا، وهو أن النبي لم

لايستفيد من قوة الجن، فإذا آمنوا به فليظاهروه يسمعون أوامره تتعلق خاصة بتنظيم الجن. هذا إذا تفكر الرجل أن النبي تنبه على ذلك، والآن نأتي بمطالعتنا الخاصة. تاريخ العرب أنهم هاجروا من اليمن وقت هدم السد وانتشروا في الجزيرة جزيرة الفرات وكذلك كانت لقبائل العرب صدمات، فانتقلوا من بلادهم إلى سوريا وإلى أنادول وإلى بلاد الفارس، هم عرب يحبون قومهم، يحبون وطنهم. إنما توطنوا في غير وطنهم، وتعودوا فيها على عادات غير قومية لضرورة إجبارية، فحب قومهم وحب وطنهم يشتد في تلك الحالة. إذا بلغ إليهم أن نبيًا قام في العرب وينتظر مجد العرب وشرفهم كثيرًا في تلك الدعوة إلا تتيقظ عواطفهم القومية إلى نصرة الدين، فهؤلاء الجن يتخذهم النبي وسيلة في تبليغ القرآن إلى أقوام العرب المنتشرة في بلاد كسرى وقيصر، أهذا بعيد؟ حسب فهمي هذا لازم، فأفرضوا أن النبي أمرهم بذلك وقطعات من السور القرآنية بلغت إلى العرب في الفارس والروم بواسطة الجن المتظاهر بالبشرية، فأراد هؤلاء أن يعلموا أزيد من ذلك وما يقدرون عليه من نصرة قومهم وهم على ذلك الحال، فأشار إليهم ذلك أنهم يبعثون البعوث إلى النبي، فاتفقوا على ذلك، فيدلهم الجن الطريق ويخرج طائفة من العرب متسترة عن أعين الحكومة، فيأتون إلى النبي بالتستر، ويكون الواسطة في تعريف هؤلاء هذا الجني، فالنبي يخرج إليهم ويتكلم معهم، لكن تلك البعثة السرية لايعلمها كثير من الناس، فإن وقع لأحد اطلاع على ذلك أبهموا الأمر، فسموها بعثة الجن، فالنبي كان يأتيه العرب بصورة متسترة ويعرف بين الناس أن الجن من الطائفة أتى إليه لأصحاب الدعوة السرية شرائع مختلفة عن الاجتماعيات الظاهرة. أنا كنت في بيتي بعد أن أسلمت شهورًا قليلة، وبعد المغرب أخرج إلى خارج البلدة، فأصلي من صلوة الصبح إلى صلوة العشاء كلها في مجلس واحد، وهذا كان باجتهادي. ما أمرني أحد. ويكون لهم الأعمال الأصلية الاطلاع عن حالات العدو وإرشاد الجماعية بطريق موصل سهل إلى المقصد. هذا من فرائضهم الأصلية وما قدورا عليه أزيد من ذلك فلايدخل تحت القانون يعلمون به حسب ما تيسر، فتعارف الجن مع النبي فتح بابًا جديدًا من العمل وعندي مطالعة خاصة أن في سرعة الفتوح للمسلمين على كسرى وقيصر مدخل عظيم لتلك البعاث السرية والتنظيم السري، فالفتوح وإن وقعت على أيدي الخلفاء، لكن الحاكم في ذلك كان تدبير النبي عليه السلام والكل بحسب في أعماله. "**وأن لواستقاموا** الخ" كلام الجن كأنه انتهى إلى قوله: "**حطبًا**." من تتمة لكلامهم أو أنهم ذكروا على صورة مسألة جديدة، فمن أسلم واستقام على الطريقة الإسلامية الاجتماعية أمددناهم بإمداد سماوي مثل ما كان الديانة الصائبة بالاتصال بالجن من القوى السماوية، ففي هذه السورة يمكن أن يجعل ذلك من كلام الجن، فالإمداد السماوي إنما يكون للامتحان، فإن شكر الله يزيدهم في مدارج لا انتهاء لها، "**ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابًا صعدًا** " يرتقي الجبل ثم يلقى ثم يرتقي ثم يلقى هذا عذاب صعدًا. هذا أنموذج للصعود الباطل. الإنسان إذا كان أسلم لله واتبع أوامره يسلكه صعودًا صحيحًا وإذا استفاد من النعمة وترك نصرة الملة الاجتماع، فيعذب، هكذا يصعد ينزل يصعد ينزل بدون معنى. "**وأن المساجد لله**". الإسلام يحرم الدعاء بغير الله

مع ربه، فالأمور التي يقدرها الإنسان في نفسه أن هذا ينبغي أن يسئله فيها ربه، ففي تلك الأعمال يتقيد بأنه لايدعو في ذلك معه أحدًا، فهذا شرع عمومي ويجعل له مقدمة لتمرين النفس على ذلك التوحيد المساجد لايذكر مع ربه أحدًا، فإذا التزم ذلك بالتدريج هو لايدعو ربه وفي هذا محاذاة للديانة الصائبة، فإنها عينت لكل كوكب بيتًا مخصوصًا وجعلت فيه صنمًا يحكي قوى ذلك الكواكب كلها فإذا دخلوا ذلك البيت لايتوجهون إلا إلى ذلك الكوكب فإذا أسلم هذا الرجل يجعل على نفسه أن المساجد لله فإذا دخل المسجد لايذكر إلا ربه وهذا أيضًا كأنه من قول الجن فهولاء الجن كان فيهم رئيس هم تعمقوا في الدعوة إلى ديانة الصائبة فلما رأوا نسخها، أدركوا المصالح المترتبة في ديانة الحنيفية بأدنى التفات.

"**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا.**" إذا جعلنا هذا أيضًا تتمة من قول الجن، فمعناه المسلمون في مساجدهم يعملون مع إمامهم الصائبة مع صنمهم الصائبون لايفهمون عامة حكمة الكواكب ولاحكمة الصنم ولكن إذا دخلوا بيت الصنم يجتمعون حوله، فبعد الإسلام هؤلاء الصائبون يعملون ذلك العمل مع عبد الله قام يدعوا ربه في مساجد الله لايفهمون ما يقول وما يعلمه. أولًا كان عادتهم أن يجتمعوا عند صنم، الآن يجتمعون عند رجل. "**قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي** الخ" الآن شرع في إرشاد هؤلاء الناس الذين اجتمعوا في مساجد الله على عبد من عباد الله. معنى هذا الاجتماع: قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدًا. فالدعوة للاجتماعية الإنسانة تامة على مركز واحد وغلبة الحنيفية على الصائبة في جميع أجزائها." **لاأملك لكم – رشدًا.**" هذا محل الغلط الذي كان في ديانة الصائبة أنهم زعموا الكواكب والنجوم مؤثرة بالطبع والتأثير الطبيعي لها ينكر، لكن لايكفي لتنظيم الجمعية البشرية. تلك القوة منحصرة في حظيرة القدس والكواكب طريق لفيضانها فقط لامؤثرة مستبدة ففي الدعوة الحنيفية يكون الداعي إلى الملة مقام الكوكب فلايعتقدون فيه استبداده بالعمل ولذلك صرح بقوله قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا بل أزيد من ذلك "**قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ** الخ **إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ** الخ" يعني أداء ما علي، فلن يجيزني إلا أداء ما علي من وظيفة التبليغ، فيكون الإمام للمسلمين والمسلمون في مقام واحد بالنسبة إلى ربهم، ومن لم يؤد ما فرض الله عليه كائنًا من كان إمامًا أو مأمومًا وإلى هذا المعنى أشار في قوله: "**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ إلى عددًا.**" وبعد ما يأتون تحت مؤاخذة الرب لايجدون ناصرًا، فالفرض على كل مؤمن جنًا كان أو بشرًا أداء الفرض والآن هم يسئلون، هذا الأمر الذي يكون لنا فيه أعمال مثل الإخبار بأحوال العدو وتسهيل طريق الغازي في الوصول إلى المقصد متى يكون؟ لأن هذا كان في مكة في شدة الضعف على المسلمين، فاجتهاد النبي إن شدة الضعف تنبئ عن الفرج قريبًا، فلذلك يجتهد بتعليماته من هذا الوقت وإذا كان الأمر على ما قررنا في نظرياتنا، فانظر إلى جزم النبي بفتحة في شدة الضعف في مكة ينظم طرقًا للغلبة على كسرى وقيصر عندنا. هذا اليقين أن النبي كان جازمًا بذلك "**قل إن أدري أ قريب**" الخ فالمفسرون دائمًا مثل هذه

الآيات بالقيامة "**عالم الغيب إلى عددًا**." الجن كانوا يعتادون بأخذ الغيب واستراقه من الملائكة الآن نسخت تلك الشريعة، فإذا أراد الله أن يعلم رسولًا مرتضى شيًا من الغيب، فليس طريقه طريقة الديانة الصائبة الماضية. هذا الرسول الذي يعمل رسالة ويصير في عالم المثال، فإنه يرسل من بين يديه ومن خلفه رصدًا لئلا يأخذ في الطريق جني بنوع من الملابسات، فالرصد يباعده عن الطريق. "**لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**." تلك الرسالات في الديانة الحنيفية يكون فيها حفظ السر في بعض الأوقات ألزم الأشياء، لأن المحاربات واقعة بينهم وبين أعدائهم، فلايقدر رسول إنساني على تكميل الانقلاب إلا إذا حفظ السر من كل وجه، فهذا سلوك الرصد إنما يكون ليعلم الله الأعمال التي أمرنا لرسول إنساني هو قدر على أداء فرضه، فليس السر فاشيًا في الطريق وأحاط بما لديهم، هو يعرف بإفشاء السر في بعض الأوقات كيف ينقلب الأمر وهو يعرف أن هذا الأمر واجب أن يتم في عشرة من السنين مثلًا، فإذا لم يكن رصدًا يمكن أن يتم، لكن لا في تلك المدة المحدودة، فإذا أراد الله شيئًا مثل هذا عظيمًا جماعة من الضعفاء مقيمون في الحجاز ولايتركهم في بيتهم أيضًا ويريد الله بواسطتهم الانقلاب العظيم في العالم بواسطة إنشاء الانقلاب في كسرى وقيصر، ففي مثل تلك الواقعة يمكن أن يسئل رجل قائم بالأمر عن مدة عمله؟ هذا السؤال الذي وجهوه إلى النبي غير جائز أن يسئلوه ليس معناه أن النبي لايعلم ذلك لكن حفظ السر وعظمة الواقعة لاتجوز أن يتباحث فيه الناس.

٥٠

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

"لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الخ". عندنا من سورة ق إلى سورة القيامة. البحث عن القرآن وتعليمه وجهات مختلفة تتعلق بذلك مثلًا كيف ينظم جماعة تأخذ بيده القرآن للإشاعة؟ وما يكون لهم في المعاملات مع الناس من الحرب والضرب؟ وما يحدث في الجماعة القائمة لإقامة حكم القرآن من المنافقين؟ سبب النفاق وإزالته وأمثال ذلك من كل شيء نحسبها متعلقة بالقرآن ومن سورة القيامة إلى والضحى سور متعلقة بشرح يوم القيامة وما يتعلق به. ورد الشبهات التي تعتري للناس وعلل وجود يوم القيامة وكيفية ذلك اليوم وأشياء أمثال ذلك والمقصد من يوم القيامة ليس إلا إظهار نتائج كاملة في الفطرة الإنسانية، فمعنى المجازاة وإثباتها هو روح تلك المباحث. هذا النظام الذي الإنسان جزء منه، هذا هو قائم على الحكمة، وعلى استناد الآثار إلى عللها أو يقع شيء بالتصادف، فالذين يقولون بالثاني، هم ليسوا من الإنسانية في شيء، والذين قائلون بأن كل شيء تحت قانون الحكمة واستناد الأثر إلى سببه، هم الذين تحقق فيهم أدنى معنى الإنسانية، ثم يكون تفاضل فيهم بقدر وسعة علمهم في ذلك البحث. الرجل الذي ليس بقائل بتسلسل العلة والمعلول في هذا النظام، لاينشأ في قلبه لتنظيم حياته، فإذا كان أكثر الإنسانية متأثرون بذلك الفكر ويتركون تنظيم الحياة، بل يمكن فيهم الارتقاء والتمدن، بل يلتحقون في أقرب أوقات بالحيوانات أدنى من ذلك. الرجل والمرأة يتزوجان، فإن كان فيهما فكر التظيم ينشأن بيتًا يكون أنموذجًا للدنيا، كل شيء ينفع الإنسان في الدنيا تجدونه مهياً في ذلك البيت بحسب الإمكان، ثم يتولد لهم أولاد، فأولادهم لايضيعون أكثر أوقاتهم مثل ما يضيع أوقات أهل البادية في جمع أدنى مرافق الحياة، فإذا نشأ الأولاد على حالة راقية، هم يكملون ما أسسه أبواهم، وبذلك يرتقي التمدن، فإذا غلب فكر التصادف على الناس، يبطل قوة التعمير في الأرض. حدث من زمن ابتداء تنزل المسلمين فكر التصادف، لكن منظم على لون ديني وبطل جميع ما تقدموا فيه، وإنما تأخر عمل الإبطال لأن المسلمين ما غلب عليهم فكر التصادف. هذا هو فكر الأشاعرة، ينفون عن كل سبب كونه علة شيء، فهذا هو حقيقة التصادف، لكنهم لبسوه بحقيقة دينية أخرى، إن الله يفعل ما يشاء، فكأنهم فهموا من هذه الآية أنه يفعل بالتصادف وإنما شفاء العي السؤال إن لم يفهموا كان لهم أن يسئلوا أهل العلم. الله يفعل ما يشاء ولايبطل سببية الأسباب. عنده مخازن الأسباب الكثيرة غير المتناهية، فإذا ضاق سبب عن إيجاد شيء أراده الله، فيأتي الله بسبب أعلى منه ليتم الأمر ولايبطل سببية السبب الآتي. هذا هو فكر الحكماء من المسلمين ونحن على مسلك الإمام ولي الله اتقنا تلك الفكرة، ولكن عامة الأشاعرة كأنهم ليس عندهم دين ولادنيا إلا البحث في هذه المسئلة، فجعلوا الناس متجردين عن التفكر، فتركوا التدبير في القرآن وتركوا التشبث بمدارج الارتقاء والإثم في ذلك أنهم جعلوا ذلك عنوان الإسلام، ثم فسّروا القرآن

بنظريتهم، فكل آية وجدوها خلافًا لمقصدهم سووها بالتأويلات، وصنفوا كتب المجادلة. على هذا الفكر سموها علم الكلام، فعندي ليست فتنة أعظم منه فتنة فكرية على الإسلام وعلى تعليم القرآن، والقرآن يفهمنا مسئلة القيامة بالاستدلال بالفطرة الإنسانية، فهل ينتظم هذا الاستدلال على تلك النظريات ولذلك هم فككوا نظام السور القرآنية لئلا يتفطن الرجل أن القرآن يدعو إلى التفكير المبتني على الأسباب. وافق ذلك الفكر هوى الملوك الجبابرة، هم يعملون ما يشاؤون، مشيئتهم هي القانون ووافق على ذلك جهال الزهاد اغترارًا بالآت التي لم يفهموا معناها ويسهل بذلك على الناس ترك التكلف في تعلم الفنون والصنائع والاكتفاء بالحياة الفردية البدوية، فانتظمت الاجتماعية على ذلك، فتلك الاجتماعية ليس لها مس بالقرآن، حدث في ضمن ذلك الاجتماع رجال عقليون سموا بالمعتزلة ورجال حكماء ضعفاء الصوت لايسمع صوتهم ورجال من كبار الصوفية المحققين، فأصلحوا حسب ما استطاعوا، فكان للتمدن الإسلامي بقاء إلى زمان.

القرآن يأتي بدين العالمين. وتبليغ القرآن في زمن النبي ثم في زمن الخلفاء الراشدين ثم خلفاء بني أمية وبني العباس أعم جميع الأقوام العربية والدعوة جديدًا إلى الإسلام إن لم يكن بالغلبة العسكرية، فلايكون إلا بالتفهيم والناس مفطورون على سببية الأسباب، فإذا دعوا على فطرتهم وأمكن لهم فهم تعليمات القرآن دخلوا في الإسلام وإذا لم يكن تفهيم ينسد باب التبليغ، وهكذا وقع من زمان غلب ذلك الفكر على المسلمين امتنع نشر التعليم في الكفار، وهم يفتخرون بذلك، فإذا قيل لهم ما بلغهم القرآن إلى الأقوام يقولون واجب عليهم أن يتعلموا لساننا وطريقتها العقلية، ثم يأتوننا فنعلهم، فإذا لم يعملوا لم يتعلموا لساننا ولاطريق فكرنا يعنون بذلك كتبهم الكلامية، فالإثم كله راجع عليهم، لا علينا والبلاد التي تركوا فيها تبليغ القرآن أعداء الإسلام علموا الناس أكثر الإسلام وأتوا بمفتريات نسبوها إلى الإسلام وأقاموا جمعيات لعداوة المسلمين، ثم لما اشتد تنظيمهم هجموا على المسلمين وسلبوا ملكهم، فإذا نبهوا على هذا الفساد ويقولون هذا من آثار القيامة، لازم أن يأتي علينا ذلك الزمان يسلب منا كل مملكته، ثم يأتي القيامة، والأسف أن الملك يسلب منهم ولايأتي القيامة. هذا كله نتائج تلك الفتنة ظهرت بالتدريج بين المسلمين ونحن لانقدر على إحاطته بتفاصيل أحوال المسلمين في العصور السالفة، لكننا في الهند منذ مأئي سنة، نعرف تاريخ المسلمين بالتفصيل، كأننا رأينا وفي هذا الزمان نشأ فيهم الحكيم ولي الله الدهلوي وانتظمت على فكره جماعة واستفاد من أفكارهم القوم المتغلب على الهند، لكن المسلمين الذين تجمدوا على أفكار الأشاعرة، ما التفتوا إليهم ونحن جازمون لو توجه إلى ذلك جميعة صالحة لأكملت ودفعت كل نقصان عرض على المسلمين في الهند وحدث في بلادنا رجال للإصلاح، فأول شيء يأخذون على المسلمين أنهم يقلدون فقهاءهم، فانتظم نظام في داخل المسلمين وما نفع شيئًا الرجل الذي يترك التقليد يرجع إلى الأفكار كالأشاعرة، فلايأتي منهم شيء من التفكر، فالأمر الأصلي والمبني للفساد هو نفي عقلية الأسباب. العقل الإنساني لايدرك سببًا وجعل هذا الفكر الديني، فالذين

تنبهوا على فساد الأمر، فما وجدوا طريقًا للإصلاح إلا تعليم أولادهم من الأساتذة غير المسلمين وتعليمهم علوم الحكمة أولًا من علوم الأدب العربي والكلام الإسلامي، فاستخرج طائفة من الشباب بهذا الطريق وصاروا ينظرون في القرآن، والحكومة المتغلبة يكون لهؤلاء الشباب حظ منها، فالناس لايقتدرون على مخالفتهم، فتلك الأسباب ردًا لجماعة الشيخ ولي الله، فانتظم نوع من الفكر الإسلامي، لكن بعد ما ذهب كل شيء من أيدي المسلمين، وهذا هو نتيجة تلك الفتنة. لانقول إن فكر التصادف ليس في الإنسانية موجودًا بكل قوته في جميع الأقوام وجميع الأديان، لكننا نقول إن ذلك الفكر أساس هدم الإنسانية لاتعميرها.

جملة معترضة

الإمام أبو الحسن الأشعري[١] وقدماء أصحابه كانوا أصحاب العقلية ونظر في مناظراتهم مع خصومهم أتوا بنوع لأفهام خصومهم، ولو كان الكلام بالإنصاف جاريًا بين الفريقين ما يحتاجون إلى طلب دليل تلك المقاصد لأنها مقاصد متفق عليها عند أرباب العقول. أما كلام تلك الطائفة فكان للتغلب على الخصم، فكانت فيها نزعة سياسية فيسئلون الخصوم. الأدلة على مقدمات مسلمة ليفتضحوا عند العامة أنهم لايقدرون على إثبات المطالب. الإمام ولي الله في **إزالة الخفاء**. أول كلام أبي الحسن الأشعري يمثل ذلك، ثم الأشاعرة من ذلك البذر أخرجوا شجرة عظيمة، وعلى ذلك البناء بنوا قصرًا شامخًا، ففسد الأمر. في تلك الجماعات التي تنسب[٢] إلى الأشاعرة جماعة من الحكماء أيضًا موجودة، رأوا أن التظاهر بالأشعرية لازم لإفادة العوام، ففي كلامهم يقع الحكمة ويقع الفلسفة الأشعرية. من أمثال هؤلاء الإمام الغزالي، والإمام ولي الله أيضًا يراعي الجانب الأشعري، وقدماء أصحابه يؤولون كلامهم وينصرونهم في بعض الأوقات، وأما الأشاعرة المتأخرون الذين أوجدوا فكرة التصادف يرد عليهم، لكن لا مثل ردنا. كلامه متين مهذب ونحن نريد هدم هذه الفكرة من أساسها، فإن احتجنا في ذلك لاستيجار المعلمين الكفار لتعليم أولادنا، نجوز ذلك، ولانسلم أولادنا بأيدي هؤلاء الجهال المفسدين. عندي هذه أجزاء ملعنة المسلمين على تغافلهم. من تغلب الاجتماعية الكافرة على الاجتماعية المسلمة. الرجل المسلم العاقل الفهيم يتباعد عن هذه الاجتماعية الإسلامية التي معناها هو سلب العقلية، وللإمام عبد العزيز الدهلوي تفسير باللغة الفارسية على الجزئين الأخيرين من القرآن، وتفسير سورة القيامة كأنه موجود من كلامه، ورأينا من حكمته تصورات يأتي بها بالأدلة العقلية لتنظيم التسلسل الفكري، ويأتي بكلمات الواعظين لتسكين خواطر العامة، والزمان الذي كان فيه الإمام ولي الله أنور وأبصر من الإمام

١- هو من أعلام أهل السنة وينسب إليه مذهب الأشاعرة، يكنى بأبي الحسن كان من كبار أهل العلم وأصبح مؤسس اتجاه كلامي، له شيوخ وأتباع كثيرون، كان في البداية معتزليا ولكن بعد ذلك تحوال إلى مذهب أهل السنة، من كتبه مقالات الإسلاميين.(لينظر لترجمته: الزركلي ، **الأعلام**، ٤: ٢٦٣)

٢- في الأصل: الذين ينتسبون، وهذا خطأ فاحش، لعدم المطابعة بين الصفة والموصوف.

عبد العزيز، لأن الإمام ولي الله يصرح بكلمات الحكمة ويقبل منه والإمام عبد العزيز كل ما أتى بكلمة من الحكمة يأتي بجنبها بكلمة يزيل ثورتها. كانت أذهان المسلمين صارت متلبدة، فإذا ذهبت عنهم حكومة، فذهبت تلك الاجتماعية أيضًا، فالذي غلب على ظني أن الانقلاب الاجتماعي الكبير المسلمون يحتاجون إليه، وبعد ذلك كل فلاح يمكن أن يحصل لهم، لأن قوى عامة أفرادها ما صارت مفلوجة، والتعليم الديني إذا كان المركز الأصلي هو القرآن أقوى تعليم في الدنيا، فإذا تنبهت العقول وأخذوا بالقرآن عندي يمكن أن يأتي لهم النتائج مثل ما أتى في القرن الأول، لكن جمع القوة الانقلابية وتنظيمها في المحال المختلفة هو من أهم المبادئ للانقلاب الكبير في ذلك التعليم واتخذنا في بلادنا مركز انقلابنا داخل كانگريس الهندية ويكون لنا حزب مخصوص في الانقلاب الهندي.

"**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.**" النفس اللوامة اسم حالة للنفس الإنسانية إذا نظر في أعمالها السابقة، وتبين له خطأها، وكل ذلك ما كان إلا من سعيه واجتهاده، ففي تلك الحالة يلوم نفسها لم فعلت كذا، لم لم أفعل كذا، ففي تلك الحالة تسمى النفس الإنسانية بالنفس اللوامة وإذا تدبرنا في تحليل الأئمة التي يرجعها النفس إلى نفسها وجدنا تحتها أصلين مستقرين: ١ إن في النفس الإنسانية كانت قواعد مركوزة في جبلتها إذا وافقتها أعمالها يستحسن أفعالها وإذا خالفتها يلوم نفسها. ٢ إن في بعض الأوقات النفس الإنسانية تتغافل عن رعاية الأصول المجبولة عليها، وبعد زمن يتنبه على خطئها، فيوم القيامة ليس إلا تظاهر ذينك الأصلين للنوع الإنساني لا للنفس الواحدة.[1] الفرد يكون مشتملًا على مقتضيات النوع مع تشخص زائد عليها، فكما يمكن للفرد الإنساني أن يتغافل عن الأصول المشخصة في نفسه، كذلك يمكن أن يتغافل عن الأصول التي هي مقتضى النوع الإنساني، ثم يتنبه على خطئها، فاللائمة الثانية تكون أقوى من اللائمة الأولى.

تعين في الحكمة الإلهية أن النوع الإنساني له نفس كبير مثل نفوس الأفراد، كل ما يقع على النفس من الحالات ينتقل لون منها إلى نفس النوع الإنساني، فهو مجتمع حالات جميع أفرادها، فإذا تنبه هو بخطأ، اتفق عليه أكثر أفرادها، فهذا الوقت يسمى بيوم القيامة، فلا احتياج إلى الاستشهاد بيوم القيامة، وكذلك لاحاجة إلى الاستشهاد وبالنفس اللوامة لرجال يعرفون بسلامة فطرتهم وجود النفس الفردية، ووجود النفس النوعية والربط بينهما وهم في كل حالة تفرغوا للتفكر في ذلك يتنبهون بأنفسهم لاحاجة إلى مذكر ومنبه ولانظر ولااستشهاد. هذا معنى قوله: "**لا أقسم** إلى **اللوامة.**" "**أيحسب الإنسان** الخ" وبعد هؤلاء الكاملين طائفة أخرى يتنبهون على أصل الحكمة ولايقتدرون على فهم المسئلة تفصيلًا فرفع شبهتهم أيضًا لازم في الكتاب الإلهي. والنفس الإنساني المجرد عن البدن صحيح طريان اللائمة عليها ويكون مثل ذلك جميع أفراد النوع ينظرون إلى حساب أعمالهم لكن النشأة الثانية

---

[1]- في الأصل: للنفس الواحد، وهذا خطأ، لأن ''النفس'' مؤنث سماعي.

التي أخبر بها الأنبياء ليست على تلك الحالات النفسية فقط، بل هنا أكل وشرب وتمتع بالملاذ وعذاب في جهنم إحراق بالنار وما إليه.

وهذا يحتاج إلى إعادة الجسم الإنساني وهو مشكل على أصول الحكمة. إليه الإشارة في قوله: "**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ** الخ" والحكمة مفصلة في مواضع أخرى الإنساني دائمًا وتلك النسمة تحمل جميع القوى كان يحملها البدن وتلك الجسمية اللطيفة التي بقيت مع النفس الإنساني إذا أيد بقوة من عالم المثال ينتظم الجسم الإنساني مثل الأول يكون سببًا للتمتع بالملاذ ومحل العذاب فهذا الجسم الجديد مخلوق من القوة الجسمانية الباقية من البدن السابق وهذا يكون كالمني الذي يكون سببًا لاتصال النسب والبذر للبدن الإنساني في نشأة الدنيا، ثم تؤيده أسباب في رحم أمه، وفي الخارج، فينتظم بدنًا مثل بدن أبيه، كذلك النسمة يكون كالنطفة من ذلك البدن، ويؤيدها قوى عالم البرزخ والمثال فينتظم بدن مثل بدن النشأة الدنيا، وينبغي أن يحفظ أن القرآن أثبت جسمًا مثل الأول. "**أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم إلى فيكون.**" ففيه تصريح على أن الله يخلق مثل أجسامهم ويخلقه بأمره، فليس هذا يشبه قول الأشاعرة، فلا بأس بذلك، وهذا الجواب كان لرجل سئل. "**من يحيي العظام وهي رميم**". فلو كان في الأشاعرة المتأخرين رجل يتدبر في القرآن ما وقعوا فيما وقعوا من الخبط. قوله في سورة ق "**أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا** الخ". هذا ذكر الله تعجبهم بذلك، ثم أجاب عن ذلك قد علمنا "**ما تنقص الأرض**" الخ تفسيره على ما ذكره الشيخ عبدالقادر بن ولي الله في ترجمة القرآن. "**ما تنقص الأرض منهم.**" هو الجزء البدني. "**وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ**". يعني النسمة أي نقدر على إخراج ألف بدن من تلك النسمة مثل البدن الأول، فلو أدرك الأشاعرة المتأخرون تلك الحكمة المبنية في القرآن لما ناظروا الأديان الآخرين، وما جاءوا بخرافات لايرتضيها رجل عنده أدنى نصيب من العقل إلا إذا غلب عليهم السوفسطائية، فأي دين يشرحون بعد ذلك. "**بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**" الخ مثل تلك الشبهات كيف يخلق الله العظام منبعها خلق آخر في قلب الإنسان: هو أن لايقيد حياته بقانون. هذا معنى قوله يريد الإنسان ليفجر أمامه. يعمل ما وافق شهوته ولايتقيد بقانون. هذا هو الفجور، وأما التقيد بقانون العقل والإنصاف هو التقوى، فأصل الغرض ليس استفسار الشبهات، بل أصل الغرض من أمثال هذه السؤالات أن لايظهر أن التقيد فرض على الإنسان، فلو كان مثل النفس اللوامة تعتري لنا حالة بعد الموت أيضًا، فواجب أن نسعى للتجنب عن ذلك، فيأتي بسؤال آخر يقول. "**أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.**" فهذا السؤال لايقدر أن نشتغل بجوابه، فنذكر له بعض الآثار. "**فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ** "الخ خلاصة ذلك أنه إذا مات بصره يصير ضعيفًا والقمر يكون منخسفًا في نظره ويرى الليل والنهار مجموعين، مثل تلك الحالة يحدث للإنسان وقت الاحتضار، والمراد منه صنف من الإنسان، وليس هذا حال كل إنسان. "**أَيْنَ الْمَفَرُّ.**" يريد له مستقرًا. "**كَلَّا لَا وَزَرَ.**" ليس في ذلك مشقة خاصة. طبيعة

الإنسان تنجذب بنفسها إلى ربها. التجلي الإلهي القائم على إمام النوع الإنساني ينجذب إليه كل نفس بطبيعتها، وهناك جميع أعمالها محفوظة مستحضرة، وينبه بجميع أعماله، فيسأل متى يأتي يوم القيامة؟ يأتي يوم نموت! ومثل ذلك جاء في نصوص الأناجيل. الحالة العمومية لهذا العالم وقت انقطاع نوع البشر منها، فيصدق على تلك الحالة أيضًا. هذه الآيات : خسف القمر وجمع الشمس والقمر من علامة يوم انقطاع البشر من الأرض، فالحالة التي تجري على النوع وقت انقطاعه ظل من تلك الحالة، يأتي على كل إنسان وقت انقطاع حياته، فالأمران متطابقان حساب الإنسان بما يكون راجعًا إلى تشخصه يتم يوم موته وفي قبره يجازى على ذلك، ويوم المحشر يكون حساب النوع. حساب الأفراد في الأمور الراجعة إلى النوع، فالمحاسبة أيضًا في الحالتين مطابقة. "**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**." فهذا الفهم والتفهيم إنما يكونان لقطع الطريق في أدنى مدة، لكن إذا نجاوبه على هذه السؤالات، فبعد مضي زمان يفهم من نفسه بدون إرشاد من الخارج، ففي حياته الدنيا يلقي المعاذير الكثيرة، لكن نفسه فيه بصيرة تامة موجودة يحتاج ظهوره إلى زمن، وليس تعليم يوم القيامة والمحاسبة عليها إلا فطرة فطر الله الإنسان عليها، وكل رجل له دخل في فهم الحكمة إن ذاتيات الشيء لاتنفك عنه أبدًا، فإذا كان المجازاة والمحاسبة من الفطرة الإنسانية، فالبحث فيها ليس إلا لتكميل الفطرة بالسهولة وإلا بعد مرور زمن يأتي الفطرة بنفسها. تلخص من تلك المباحث أن التعليم في القرآن لتفهيم المجازاة، وشرح أحوال يوم القيامة كلها لتوفية الفطرة الإنسانية حقوقها، وهذا رحمة من الله كما أنه جبل الإنسان على الفطرة، كذلك سهل له المشي على الفطرة، فتكميل التعليم لتوفية الفطرة فعل إنساني أو فعل الرب؟ ظاهر أن ذلك فعل الرب، فتبديل النبي لتعليم قومه لايفهم أن ذلك من اقتضاء لنفس النبي. النبي في قلبه الرحمة على قومه، فيسعى بكل قوة له في تكميل فطرتهم، أما هذا الفعل ينشأ من نفسه؟ لا! منبع ذلك رحمة إلهية. نفس النبي كالميزاب لتلك الرحمة فقط، هذا معنى قوله: "**لاتحرك به لسانك** الخ" إن هذا الأمر ليس مستندًا إلى ذلك إن لم تعمل أنت ينتفي العمل؟ ليس هكذا ولا توهم للناس أن ذلك باقتضاء منك. هذا تعين في حظيرة القدس في أمر الله، فلازم عليهم أن لايغتروا لتعجيل التعليم منك. إن ذلك الأمر تؤيده أنت بل نحن نريده." **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** الخ" قال الإمام ولي الله في **فتح الرحمن** ظاهر نزديك آنست كه معنى آيت چنان باشد هر آئينه وعده لازم است بر ما جمع كردن قرآن در مصاحف وحفظ وقراءت عصرًا بعد عصر وايضاح وتفسير معانى آن خداى تعالى بردست شيخين جمع كردن آن كرد ودر هر زمانى قاريان را توفيق داد كه حافظ شوند وبتجويد بخوانند ودر هر زمان مفسر را توفيق داد كه در تفسير آن سعى نمايند والله اعلم.هـ

قلت: أقول في تفسير كلام الشيخ أن الله ألزم على نفسه جمعه وقرآنه وبيانه، فالجمع في المصاحف ومنه انتشر المصاحف على جميع أقطار الدنيا وقرآنه معناه الألفاظ كما تحفظ كتابته بنقوش كتابته، كذلك نقرأ بألفاظ ملفوظة لأن الكتابة إذا صارت عارية عن القراءة تحدث فيها شكوك

واحتمالات، فالقرآن حفظ عن ذلك الشكوك والكتاب العلمي في فهمه يحتاج إلى بيانات ومقدمات وتمهيدات ونتائج ولوازمات، فإذا لم تتعين المبادئ ولا اللوازم لمفهوم ما، لايبقى محفوظًا ولايكون مدركًا لكل أحد أراد تحصيله. وهذا الأمر أيضًا التزم الله سبحانه أنه ييسر للقرآن وإني شاهد على ذلك. أنا أردت أن أفهم القرآن، فوجدت ألفاظ القرآن محفوظة، وترجمتها إلى لساننا بالفارسية التي كانت لسان حكومتنا في الهند، وبالهندوستاني الذي هو لسان اجتماعيتنا، فترجمة ألفاظ القرآن باللسانين الذين حصلتها في اجتماعي قبل الاهتداء إلى الإسلام محفوظ، فالألفاظ المكتوبة للقرآن لا يأتي لرجل أن يقرأها مقلوبة عن الأصل، لأن المعاني بلساننا محفوظة. المترجم إلى الفارسية الإمام ولي الله والمترجم إلى الهندي ولده الشيخ عبد القادر مسلم علمهما وديانتهما في ذلك الفن في الاجتماع الذي أنا نشأت فيه. غرضي أن التشكك لمثلي غير ممكن في ألفاظ القرآن وهذه أعظم نعمة على الإنسانية. الرجل يتولد في غير المسلمين يريد يقرأ القرآن في مبدأ بلوغه ورشده ويجد محفوظًا قطعيًا ألّايتشك فيه. وليعلم أن ما حصلت العلوم العربية والعلوم العقلية مثل المنطق، ثم العلوم الفقهية والعلوم الحديثية إلا لحبي أن أفهم القرآن فبحمد الله وجدت جميع ما أحتاج إليه في فهم القرآن مبينًا مكتوبًا محفوظًا وجميع ما حصلته إلى العلوم الحديثية صارت مقدمة لفهم طريق الإمام ولي الله، ومنها سهل لي التدريج إلى فهم القرآن في فهم القرآن، فأقول وجدت ما يحتاج إليه طالب العلم في فهم القرآن من مقدمات علمية وتوضيحات حكمية، كلها وجدتها محفوظة مبينة في الاجتماع الذي فيه نشأت، وعندي جزم أن مثل ذلك يوجد في كل مجتمع للمسلمين بما يتيقن به أهل تلك البلاد إذا أرادوا أن يقرأوا القرآن: إن ألفاظه محفوظة ويتيقنون من معاني القرآن ببيانات من كبار أهل العلم مبينة واضحة، وهذا كله نتيجة ذلك الوعد الذي أنزله على رسوله. "**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ.**" معناه ما التفت إليه الإمام ولي الله خصوصًا لأن توجهه إلى وعد الله وضمانه في حفظ القرآن، وعندي توجيه لتلك الآية أيضًا. النبي عليه السلام بلغ القرآن جماعة من المؤمنين وحفظوه، وهذا الحفظ يكون مصداقًا لوعد الله سبحانه ثم يتردد النبي في كلمة بسبب نسيان يعتريه، لأنه من البشر، فالواجب أن يرجع إلى ما حفظ وصار محفوظًا عند المسلمين. هذا معنى قوله: "**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** الخ" فظهر بذلك حكمة النهي عن تحريك لسانه لايظهر الفزع في أخذ القرآن، لأن هذا أمرًا ليس فيه اقتضاء طبيعة النبي، فيه دخل أمر واجب من الحق سبحانه يظهر على كل حال ويوهم الناس أن لأمر النبي دخلًا خصوصيًا في هذا القرآن، لا! بل هو تابع للقرآن مثل عامة المؤمنين، وإنما الفرق فيه أنه صار ميزابًا لتلك الرحمة، فليس للميزاب دخل في مرور الماء عليه، بل هذا كله قرآنه، جمعه وبيانه من أفعال الله سبحانه خاصة، فإذا كانت الفطرة الإنسانية تهتدي إلى الحق، والقرآن نزل لتوفية مقتضى الفطرة في أقصر الأوقات، فهذا الأمر ليس للإنسان أن يعرض عنه، لكن حب العاجلة وصرف القوة فيها فوق ضرورتها يجعل الإنسان جاهلًا عن أمور الآخرة، والآخرة معناها يحصل الاتصال للإنسان إلى التجلي الرحماني أو يحدث الآخرة من يكون "**نَاضِرَةٌ .إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.**" والخاسر منهم يومئذ

يحب أن ينظر إلى ربه، لكن طبيعته حجب مانعة وإذا أراد ارتفاع تلك الحجب يكسر ظهره، فالتخلص عن الحجب وسلامة البدن غير ممكن. أما يرضى الحجب فيكون وجوه يومئذ باسرة وأما يسعى لرفع الحجب، فيظن أنه يكسر فقاره أيضًا مع ذلك، فتلك الحالة ينبغي أن يصرف فيها أكثر القوة؟ أو في الحالة الابتدائية؟ الحياة العاجلة نجعلها في درجة ابتدائية، ثم تحسينها وتكميلها نجعله في الدرجة الثانية، ثم تكميل النفس الناطقة نجعله في الدرجة الثالثة، ثم تكميل الروح الملكوتي المقترن بالنفس الناطقة نجعله في الدرجة الرابعة، وبعد ذلك يمكن أن ينظر إلى ربها، ففي حالة العاجلة يصرف جميع القوى ولايتدبر في تعليم القرآن وتكميل مدارج الحياة آخرها ليس مما يستحسن من الإنسان، وهذا التعليم ليس مما يمكن أن يتغافل عنه الإنسان، فلايلزمه بل هو لازم فطرته بين الله ذلك."**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى.**" فإذا جاء الموت لايمكن الفرار منه، وبعده لايمكن المعاملة إلا مع ربه بواسطة تجليه على إمام النوع الإنساني، فيؤاخذ بما يجب عليه من حقوق فاطر القوة من خضوعه له وعزمه على إطاعة في حقوق الاجتماعية الإنسانية. هذا معنى قوله:"**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى.**" يترك سدى من هذه الحقوق به هذا ليس بممكن للإنسان فقط بهذه الشبهة كيف يحيي الله الموتى، فلينظر في منشأ خلقه "**أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى** الخ". فمن خلق من نطفة مثل هذه الذكور والإناث يستبعده أن يخلق من نطفة النسمة الإنسان مرة أخرى."**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى.**" فالإشكال في فهم الحياة الآخرة في علم الكلام زعمهم أن الجسد الإنساني بعينه يخلق مرة أخرى لابمثله وإنما أوجبوا ذلك لمناظرات مع أديان أخرين وذلك لجدال أفسد فكرهم الصحيح وسدوا على الناس أن يتفكروا في حياتهم الأخروية، فجعلوا الحصة المتعلقة بأحكام الآخرة في كتب العقائد من باب عذاب القبر سمعية يعني عقولهم لاتوافق ذلك وردت بذلك نصوص وليس عندنا دليل على امتناعها العقلي فقبلنا معاني اعتقاداتنا وغاية جهدهم في تلك المعاملات أن عقلهم لايستحيل ذلك ونعرف لم حصل لهم ذلك المقام العالي. ذلك لسوفسطائيتهم لايجعلون سببًا عقليًا. السبب العقلي موجبًا لشيء، فلا يستحيل عندهم شيء، وذلك إحسان منهم عظيم حيث لم يقولوا باستحالة الحياة الأخروية، إذا كان عقول زعمائهم مندرسة إلى تلك الدرجة، فأي فلاح يرجى من هؤلاء القوم، ونحن إنما قرأنا تلك الكتب لا لاستفادة العقائد منها، بل لأنها مقدمات لفهم كلام أئمتنا، وقبل أن يكون لي تعارف لحكمة الإمام ولي الله، أنا قرأت كتب شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم بلساننا الهندوستاني واطمأن خاطري بذلك ثم قرأت كتب التفتازاني وغيرهم، فما وافق كلام شيخنا قبلنا وإلا كنا قادرين على رده وتلك الممارسة في الرد ما حصل لنا إلا باشتغالنا في كتبهم ثم تقدمنا فوصلنا إلى حكمة الإمام ولي الله.

الخاتمة في النتائج والتوصيات

نتائج البحث

إنني في قراءة النص وتحقيقه أقدمت على الخطوات التالية:

١- التفسير يحتاج إلى مزيد من الدقة في المقارنة بين النسخ.

٢- بعض المواضيع من التفسير صعب فهمها حتى بعد المقارنة بين النسخ، فهذا الجانب أيضا يحتاج إلى التأمل.

٣- أثبتتّ النص الأصيل وقابلت معه النسخة الأخرى لتكميل النقص وإثبات ما ترجح صوابه وإبراز الفروق في الحواشي.

٤- ضبطت النص وحاولت توثيقه وتحقيقه خارجا من التحريف وتقديمه في ثوب لائق حسب المستطاع حسب وضع المؤلف.

٥- خرجت الأحاديث مستندا إلى مصادرها ونبهت إلى تفصيلها في الحواشي.

٦- قمت بترجمة الأعلام عزوا إلى الكتب المعتبرة المؤلفة حول تراجم الرجال.

٧- توجد في النسخ الأغلاط حسب القواعد العربية فحاولت تصحيحها قدر مستطاعي وتارة نبهت إليها في الحواشي.

٨- توجد في التفسير إحالات إلى الكتاب لاسيما كتب الشاه ولي الله، فحاولت أن أخرج تلك الأقاويل وأعزوها إلى مظانها.

٩- قد تكرر تفسير بعض السور في التفسير فقمت بجمعها في موضع واحد.

١٠- اخترت النصوص القرآنية من المكتبة الشاملة حتى يكون النص القرآني خاليًا من الأخطاء.

١١- ذيلت النص بفهارس مفيدة ترشد إلى السور والأحاديث والأعلام معتمدا في ذلك على المناهج الحديثة المتبعة في فهرسة التراث الإسلامي.

التوصيات

هذا التفسير يحتاج إلى مزيد من العمل والتوجه، فإني عملت قدر مستطاعي لتكميل المتطلبات التعلمية ويمكن تلخيص تلك الأمور في النكت التالية:

١- التفسير على ترتيب النزول في السور ولكن المؤلف لم يتكلم على إفادة ذلك، فلو رتب التفسير حسب الترتيب المصحفي لكان أحسن.

٢- إن نسخة إسلام آباد لإلهام الرحمن أكثر شمولا إلا أنها أيضًا فقدت بعض السور، فلو تحمل طالب آخر مسئولية تكميلها لكان المشروع جامعا وشاملا.

٣- تارة يذكر الشيخ السندي تجاربه خلال تفسير الآيات وهي تكون بمثابة الجملة المعترضة فينبغي جمعها في موضع واحد للإفادة العامة.

وأخيرًا ينبغي هناك إشارة إلى بعض الجوانب الهامة:

الأول أن هذا التفسير هو حصيلة الفكرة المبتكرة للشيخ السندي، فليس على طراز كتب التفسير العامة، وهذا الأمر يؤدي حينًا لآخر إلى الإشكال في فهم المخطوط في مواضيع شتى.

الأمر الثاني أن لغة التفسير يشوبها أسلوب العجمة كثيرًا، فبذلك يقع في العبارة التعقيد اللفظي الذي يسبب الغموض في التأليف النحوي للجمل وتارةً إلى الأخطاء الجلية النحوية، وأكيدًا يرجع هذا الأمر إلى النساخ، فإن الشيخ السندي قد كتب كتبًا أخرى باللغة العربية، ولكنها بمعزل عن مثل هذه الأخطاء.

الأمر الثالث أني قمت بإصلاح العبارة وفق سنن اللغة العربية في مواضيع لاتحصى، ونبهت في الحواشي إلى بعضها لا كلها، وتجنبت قدر مستطاعي أن يكون النص مثقلا بالحواشي الكثيرة إلا ما كان ضروريًا.

ويبدو من مقابلة النسختين أن بينهما تطابقًا فلأجل ذلك يمكن القول بأنهما انبثقتا من أصل واحد. أنا حاولت قدر مستطاعي المقابلة بين النسختين ليخرج النص أكثر صحة ودقة، وخلال ذلك رجعت إلى كتب التفسير والحديث والكتب الأخرى، وبينت في الحواشي ما هو بحاجة إلى التفسير.

ثم هناك نسخة أخرى من حيدر آباد باكستان ولكنها مشتملة على عدة سور فقط وغير قابل للقراءة لسقوط الماء عليها، وأكبر جزء منها مشتمل على سورة النساء ولكنها ليست في نطاق بحثي، فلم أستطع الاستفادة منها.

إني ركزت جهدي على تحقيق هذا المخطوط من المجلد الأول بدأء من تفسير سورة العلق إلى نهاية سورة القيامة. وفي هذا القدر كانت هذه السور القرآنية داخلة في إطار التحقيق: ١-سورة العلق و٢-سورة الفاتحة و٣-سورة ن و٤-سورة المدثر و٥-سورة المزمل و٦-سورة الأعلى و٧-سورة الغاشية و ٨-سورة العصر و٩-سورة الهمزة و ١٠-سورة الكوثر و ١١-سورة التين و١٢-سورة العاديات و١٣-سورة التكاثر و١٤-سورة الماعون و١٥-سورة الكافرون و١٦-سورة النصر و١٧-سورة اللهب و١٨-سورة الإخلاص و١٩-سورة الفلق و٢٠-سورة الناس و٢١-سورة القدر و٢٢-سورة البينة و٢٣-سورة الزلزال و٢٤-سورة القارعة و٢٥-سورة الفيل و٢٦-سورة قريش و٢٧-سورة الضحى و٢٨-سورة الانشراح و٢٩-سورة البلد و٣٠-سورة الليل و٣١-سورة الفجر و٣٢-سورة المجادلة و٣٣-سورة الحشر و٣٤-سورة الممتحنة و٣٥-سورة الصف و٣٦-سورة الممتحنة و٣٧-سورة الجمعة و٣٨-سورة المنافقون و٣٩-سورة التغابن و٤٠-سورة الطلاق و٤١-سورة التحريم و٤٢-سورة الملك و٤٣-سورة الحاقة و٤٤-سورة المعارج و٤٥-سورة نوح و٤٦-سورة الجن و٤٧-سورة القيامة.وهذا القدر المطلوب تحقيقه، يستغرق قرابة مئتين وستة وعشرين (٢٢٦)صفحة بمساحة صفحتين من أصل المخطوط في صفحة واحدة في التصوير الألكتروني، ثم إنها ستكون ضعفًا فتصير العدد أربع مائة واثنين وخمسين صفحة (٤٥٢) من أصل المخطوط، ولكن هذا القدر يتقلل باعتبار التنضيد الحاسوبي، فصفحة واحدة من الكتابة الأكترونية استغرقت قدرًا أكثر من صفحة للمخطوط، وهذا القدر علاوة على كتابة المقدمة المبسوطة حول المخطوط وأحوال المفسر الشيخ السندي، والفكرة القرآنية عند الشيخ السندي وأسلوبه في تدبر القرآن على منوال الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي وما إلى ذلك من اللوازم المطلوبة ذكرها في هذا التحقيق.

ثم هناك أمر لابد من الإشارة إليه وهو أن تفسير بعض السور قد تكرر في المخطوط، فالباحث قد قام بجمعه واحدا تلو الآخر حتى يستفيد القارئ في موضع واحد، وهذا في تفسير سورة ن، وسورة الفاتحة، وسورة الغاشية. ثم إن التفسير ورد فيه كثير من الفقرات والجمل باللغة الأردية فقد ترجمت هذه الأمور باللغة العربية.

وأخيرا أدعو الله سبحانه وتعالى أن وفقني لإنجاز هذا العمل.

فهرس المراجع

١. https://books.google.com.pk/books?id=lThDDwAAQBAJ&pg=PA999&source=gbs_toc_r&cad=3#v=onepage&q&f=false

٢. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(م ١٩١١)، ت، محمد أبو الفضل إبراهيم، النوع السابع والأربعون: في ناسخه ومنسوخه (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ء).

٣. **إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**، الشاه ولي الله الدهلوي، ت، تقي الدين الندوي (دمشق: دار القلم، ٢٠١٣ء).

٤. إظهار الحق، رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٩٨٩ء).

٥. **أوجز المسالك إلى موطأ مالك**،محمد زكريا الكاندهلوي، ت، تقي الدين الندوي (بيروت: دار القلم، ٢٠٠٣ء).

٦. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام،ت، يوسف الشيخ محمد البقاعي(بيروت: دار الفكر، س ن).

٧. تأويل القرآن العظيم: أنوار التنزيل وحقائق التأويل،محمد أمين شيخو، جمع وتحقيق: الأستاذ المربي عبد القادر يحيى الشهير بالديراني.

٨. **التحرير والتنوير** ، محمد الطاهر بن عاشور، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط ١، س ن).

٩. **تذكرة الحفاظ**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي(٧٤٨ھ)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ء).

١٠. **تعبیر کی غلطی** ، وحيد الدين خان، (نئی دہلی: مکتبۃ الرسالہ، ١٩٩٥ء)۔

١١. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر كثير، (بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ء).

١٢. **تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة)**، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي(م ٣٣٣ھ)، ت، مجدي باسلوم(بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ء).

١٣. تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان،عبد الحميد الفراهي، تفسير سورة الفيل (أعظم كره: الدائرة الحميدية، ٢٠٠٨ء).

١٤. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، (دمشق: دار النوادر، ٢٠٠٨ء)

١٥. **جامع البيان في تأويل القرآن** ،أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(م ٣١٠هـ)، ت، أحمد محمد شاكر(بيروت: مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠ء)

١٦. **الجامع الكبير – سنن الترمذي،** محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، ت، بشار عواد معروف (بيروت : دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ء).

١٧. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري،** محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (القاهرة: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ).

١٨. **حجة الله البالغة،** أحمد بن عبد الرحيم الشاه ولي الله الدهلوي، (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٥ء).

١٩. ***رحماء بينهم*** ، محمد نافع، (لاهور: مكه بكس، س ن)-

٢٠. **الرسالة،**أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي(٢٠٤هـ)، ت، أحمد شاكر(مصر: مكتبة الحلبي، ١٩٤٠ء).

٢١. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،**شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق، علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

٢٢. **سنن ابن ماجه،** أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، ت، محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي).

٢٣. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ت، محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية، صيدا).

٢٤. **السنن الكبرى**،أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تخريج، حسن عبد المنعم شلبي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ء).

٢٥. **شاہ ولی اللہ کی تعلیم**، غلام حسين جلباني، (*لاہور: سندھ ساگر اکیڈمی*، ٢٠١٧ء)-

٢٦. **صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية** ، محمد بن رزق بن طرهوني، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٤هـ).

٢٧. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت، محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٢٨. ***عصر حاضر میں دین کی تفہیم و تشریح*** ، أبو الحسن علي الحسني الندوي، (*کراچی: **مجلس نشریات اسلام***، س ن).

٢٩. **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء** ، أحمد بن عبدالرزاق الدويش، (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع).

٣٠. **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

٣١. **فتح القدير** ، محمد بن علي الشوكاني اليمني، (بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ).

٣٢. **الفوز الكبير في أصول التفسير**، الشاه ولي الله الدهلوي، (كراتشي: بيت العلم، ٢٠٠٦ء).

٣٣. **القاموس الوحيد** ، وحيد الزمان قاسمي كيرانوي، (لاهور: اداره اسلاميات، ٢٠٠١ء).

٣٤. ***قرآن کی چار بنیادی اصطلاحیں*** ، أبو الأعلى المودودي، (*لاہور*: اسلامک پبلیکیشنز، ٢٠٠٠ء)-

٣٥. ***قرآنی شعورِ انقلاب***،عبيد الله السندي، جمعه و رتبه، بشير أحمد لدهيانوي و خدا بخش، راجعه، عبد الغني القاسمي (*لاہور*: مكي دار الكتب، ١٩٩٩ء)-

٣٦. **الكنز الجليل في تفسير الإنجيل** ، وليم إدي، (بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ١٩٧٣ء).

٣٧. **لسان العرب** ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، (بيروت : دار صادر، ١٤١٤هـ).

٣٨. ***مسدس حالی*** ، الطاف حسين حالي، (*لاہور*: ***تاج کمپنی لمیٹڈ***)-

٣٩. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، ت، شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ء).

٤٠. **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، (إستانبول: دار الدعوة، ١٩٨٩هـ).

٤١. **معجم مقاييس اللغة**،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، ت، عبد السلام محمد هارون (دار الفكر، ١٩٧٩ء).

٤٢. **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (الأزهر: المطبعة المصرية، ١٩٢٩ء).

٤٣. **الموطأ**، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) ، ت، محمد مصطفى الأعظمي (أبو ظبي – الإمارات:مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ٢٠٠٤ء).

فهرس الأحاديث

١٦	مثل المسلمين واليهود والنصارى، كمثل رجل استأجر قوما	صحيح البخاري	٤٣

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الموضوعات

